

تقرير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب «ج»

إن بني الجاهلية الذين يروون والقد المبقرى (السيد أحمد الهاشمي) قد تصفحت مجموعتك المنة التي فيها (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) فإذا هي دائرة منارف كبرى لا يستغنى عنها أديب، كلها صحاح وعلم صراح وما يسمى أن يقال في وصف صحاح الجوهري

إني وربي أنه لكتاب صرح على الخوض زبده وأسفر عن الأدب، فلم تتلفع بفضل منظرها دغدغ. وانفردت سطورها عن فضل اختيار تغري ليل عن بياض نهار جلاء الفرناس، على صفحات القرطاس

اختار في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفي الخلة، ويروي الصدى ولقد أتى فيما انتقاء لكتابيه الثمين بيوت النكلام من أبوابها، وميز أبقارها من أترابها وأهدى إلى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كلهواء رقة ويسيل كالماء عذوبة يمتزج بالنفوس لنفاسه، ويشرب بالقلوب لسلامته

أحاديث لو صيغت لألهمت بحسنها عن الوشى أو شمت لأغنت عن المسك (وبعد) فإن سنن مؤلفك العظيم لقويم، ما منى بشين، فحشيت عليه العين وما أطيب الخزامى في قول بعض القدامى

ما كان أحوج ذا السكال إلى عيب يوقيه من العين كيف لا وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفلّ الحز، ويطبق المفصل له حل من البلاغة يتقلدها. فيكاد السحر يحسدها. يدلّ عليه بيانه، كما يدلّ على الجواد عنائه، فمن عرفه فقد اكتفى — ومن قصر فلينشده

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلاً على اللبيب اختياره فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال في المجالس، وخفة المدار في المدارس بل إن (هذا الكتاب يهدي للتي هي أقوم) جزى الله مؤلفه خير الجزاء وأثابه أحسن

« د » تدير وتقرّظ العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب
 المثوبة ، وأكثر في الامة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال
 كتبه الفقير اليه جل شأنه في ليلة ١٢ ربيع أول سنة ١٨٣١ هـ حمزة فتح الله
 هـ وكتب إلى صديقي المرحوم حسن أفندي توفيق العدل رئيس بكلية (كبرج)
 عزيزي
 حضرة الاستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمي

تسرفت بكتابك المسمى (جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغة العرب) فوجدت
 بين اسمه وسماء مناسبة اقتضاها طبعك السليم واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم
 فما أنفست فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفسح مقالاه ، وأفسح مجاله. صدر هذا الكتاب
 عن علم سابق ، وفكر نقيب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، وروية ملأت تصانيفها
 المغارب والمشارق ، فأكرم به من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب ،
 ومواهب لا تدرك بيذا كتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب ، وإذا
 تدبره الأديب أغنته تلك الأفاين ، عن نعمات القوانين ، وإذا تأمله الأريب نزه
 طرفه في رياض البساتين ، قد سور على كل فن من البديع باب ، لا يدخله إلا من
 خص من البلاغة بالآباب ، والله تعالى يؤتي الحكمة وفصل الخطاب. حسن توفيق العدل
 المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول « مخاطباً مؤلف هذا الكتاب »
 كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة »

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »
 وانه لدارة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب ألف في اللغة العربية وتاريخ
 آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة
 « ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً »
 كتبه سعد زغلول

صحيفة	صحيفة
٣٦ تقسيم الانشاء الى فنى النظم والنثر	١ فاتحة الكتاب
٣٧ كيفية عمل الشعر	٢ اليكم معشر الاب
٣٩ فنون الانشاء سبعة	١ تمهيد فى مبادئ علم الادب
٣٩ الفن الاول فى المكاتبات	١ مقدمة فى علم الانشاء
٤٠ أبواب الرسائل	١ الباب الاول فى أصول الانشاء
٤٠ الرسائل الاهلية	١ مواد الانشاء
٤١ الفصل الاول فى رسائل الشوق	١ خواص الانشاء
٤١ رسائل أبى منصور الثعالبي	١ عيوب الانشاء
٤٣ رسالة البساطي	١ طبقات الانشاء
٤٤ » عبد الرحمن محمد بن طاهر	١ محاسن الانشاء
٤٥ » ابو الفضل بن العميد	١ كيفية الشروع فى عمل مواضيع
٤٥ » بديع الزمان الهمداني	١ الانشاء
٤٥ » ابو محمد عبد الله البطلبيوسى	١ أركان الكتابة
٤٦ » الشيخ ابراهيم اليازجى	١ كيفية نظم الكلام
٤٧ » أبو العباس الغسانى	٢ الطريق الى تعلم الكتابة
٤٨ » الصاحب اسماعيل بن عباد	٢ كيفية تهذيب الكلام
٤٨ » أبو بكر الخوارزمي	٢ محاسن الانشاء ومعايبه
٤٩ » المرحوم الشيخ حمزة فتح الله	٢ فصاحة الالفاظ ومطابقتها
٥٠ » المرحوم محمد بك دياب	للمعاني
٥٠ » المرحوم وفا افندى محمد	٢ حقيقة الفصاحة
٥١ » مؤلف هذا الكتاب	٢ الانسجام
٥٣ الفصل الثانى فى التعارف قبل اللقاء	٢ حل الشعر
٥٣ رسالة الثعالبي	٢ التخلص والاقتضاب
٥٣ » المرحوم الشيخ حمزة فتح الله	٢ كيفية افتتاح مواضيع الانشاء

٩٦	رسالة الشيخ أحمد بك رافت	١١٩	رسالة الشيخ محمد عبده
٩٧	رسالة الشيخ محمد باشا	١٢١	الفصل الخامس في رسائل العتاب
٩٨	رسالة حسن أفندي توفيق العدل	١٢١	كتاب الهمداني
١٠٠	استمناح رجل لعبد المملك بن مروان	١٢٤	» الجاحظ
١٠١	استمناح العتابي لأحد أصدقائه	١٢٤	» الخوارزمي
١٠٢	» أعرابية لابن أبي بكرة	١٢٥	» عبد الله بن معاوية
١٠٣	» حكيم فارسي للمعلم	١٢٥	» الشيخ عبد العزيز جاويز
١٠٣	تلطف رجل في استمناح للمنصور	١٢٩	» معاوية الى ابنه يزيد
١٠٤	استمناح ابن زرارة لمعاوية	١٣٠	» اعرابي الى ابنه
١٠٥	» للمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي	١٣١	» حفي بك ناصف
١٠٦	» الصابئي لبعض الرؤساء	١٣٤	» القاضي الفاضل
١٠٦	» ابن عباد الى جعفر وزير المعتر	١٣٥	الفصل الثالث في الشكوى
١٠٧	الفصل الثالث في رسائل الشكر	١٣٥	كتاب الامير الميكالي
١٠٧	رسالة الثعالبي	١٣٥	» عبد الحميد بن يحيى
٢٠٧	» الحسن بن وهب	١٣٦	» الشيخ محمد عبده
١٠٨	» الامير ابو الفضل الميكالي	١٤٠	» حافظ بك ابراهيم
١٠٩	» الشيخ محمد عبده	١٤٣	الفصل السابع في رسائل العيادة
١١٢	الفصل الرابع في النصيح والمشورة	١٤٣	كتاب بن الرومي
١١٢	رسالة الهمداني	١٤٣	» الخوارزمي
١١٢	» الاسكندر المقدوني	١٤٤	الفصل الثامن في رسائل التهاني
١١٤	» ارسطو الى الاسكندر	١٤٤	كتاب الثعالبي
١١٥	» الامام علي	١٤٤	» بديع الزمان الهمداني
١١٥	» السيد عبد الله النديم	١٤٥	» الثعالبي تهنئة بقدم
		١٤٥	» » » رمضان

صحيفة	صحيفة
١٨٥ نصيحة أعرابي لابن عبد الملك	١٤٦ رسالة ابى الفرج الببغاء
١٨٦ نصيحة لا بها	١٤٦ كتاب المرحوم الشيخ حمزة
١٨٦ نصيحة الهمذاني لوارث مال	١٤٩ » المرحوم محمود بك ابوالنصر
٢٨٧ وصية الرياحي لقومه	١٤٩ » المرحوم عبد الله باشا فكري
١٨٨ وصية ذى الاصبع لابنه	١٥٠ الفصل التاسع في التعازي والتأبين
١٨٨ وصية ابن شداد لابنه	١٥٠ كتاب الثعالب
١٩٢ الفصل الثاني عشر في التنصل	١٥٠ » الهمذاني
١٩٢ كتاب ابن الرومي	١٥١ » اليازجي
١٩٢ » ابن زيدون	١٥٢ تأبين الاخنف بن قيس
٢١٠ مكاتبات متفرقة	١٥٣ تأبين الاسكندر
٢١٠ كتاب الدولة العلية	٢٥٤ الفصل العاشر في رسائل الاجوبة
٢١١ » ابن العميد	١٥٤ رسالة عبد الله باشا فكري
٢١٢ » السيد توفيق البكري	١٥٦ » حفي بك ناصف
٢١٥ » السيدة وردة اليازجية	١٥٨ » الشيخ على اللبيثي
٢١٥ » السيدة عائشة تيمور	١٥٩ الفصل الحادي عشر في الوصايا
٢١٧ » السيد عبد الله النديم	١٥٩ من كلامه عليه الصلاة والسلام لعمر
٢١٩ » ابراهيم المويلحي بك	١٦٠ من وصاياه عليه الصلاة والسلام
٢٢٠ » ابن هارون	١٦٤ عهد الامام على للاشتر النخعي
٢٢٥ النكلام على الرسائل العلية	١٧٦ كتاب أبي بكر الصديق
٢٢٦ الفن الثاني في المناظرات	١٧٧ » عمر بن الخطاب
٢٢٦ مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى	١٧٨ وصية ابن سميد المغربي
٢٣٢ » اكرم بن صيفي	١٨٣ وصية هرون الرشيد
٢٣٣ » حاجب بن زرارة	١٨٤ وصية بعض نساء العرب لابنها
٢٣٣ » الحارث البكري	١٨٤ نصيحة رجل لهشام

صحيفة	صحيفة
٢٥٣ مناظرة معاوية بن عبد الله	٢٣٤ مناظرة عمرو بن الشريد
٢٥٩ وفود بكرة الهلالية على معاوية	» ٢٣٤ علقمة بن علاثة
٢٦٠ مناظرة السيف والقلم لابن الوردي	» ٢٣٥ خالد بن جعفر الكلابي
٢٦٤ » للاممدي صاحب أبي تمام	» ٢٣٥ قيس بن مسعود الشيباني
٢٦٤ وصاحب البحرى	» ٢٣٦ عامر بن الطفيل العامري
» ٢٦٩ الليل والنهار	» ٢٣٧ عمرو بن معدى كرب
» ٢٨١ الارض والسماء	» ٢٣٧ الحارث بن ظالم المري
» ٢٨٨ بين فصول العام	» ٢٣٨ رواية الكلابي عن كسرى
» ٢٨٨ الربيع	» ٢٣٨ حذيفة بن بدر
» ٢٨٩ الصيف	» ٢٣٩ الاشعث بن قيس
» ٢٩٠ الخريف	» ٢٣٩ بسطام بن قيس
» ٢٩١ الشتاء	» ٢٤٠ حاجب بن زرارة
» ٢٩١ البر والبحر	» ٢٤٠ قيس بن عاصم
» ٢٩٣ الهواء والماء	٢٤١ مناظرات ومشاورات المهدي عليه
» ٢٩٥ الجمل والحصان	لاهل بيته في حرب خراسان
٢٩٦ الفن الثالث في الامثال	٢٤١ مناظرة سلام وجواب المهدي عليه
٢٩٧ أمثال القرآن الظاهرة	» ٢٤١ الربيع
٢٩٩ أمثال القرآن الكامنه	» ٢٤٢ الفضل بن العباس
٣٠٠ في الصدق	» ٢٤٢ على بن المهدي
٣٠٠ الصبر والثبات	» ٢٤٢ موسى بن المهدي
٣٠٠ العلم والاسترشاد	» ٢٤٢ العباس بن محمد
٣٠٠ الاتحاد والوئام	» ٢٤٢ هارون للمهدي
٣٠٠ العفو	» ٢٥٠ صالح للمهدي
٣٠٠ الوفاء	» ٢٥٠ محمد بن الليث

صحيفة

- ٣٠٠ الاقتصاد
٣٠١ الأمر بالمعروف
٣٠١ بر الوالدين والأقارب
٣٠١ النصيحة
٣٠١ الشكر
٣٠٢ الاغضاء والتغافل
٣٠٢ المدح
٣٠٢ التبرئة والتزنية
٣٠٢ حسن الخلق
٣٠٣ الكذب والزور
٣٠٣ الخيانة ونقض العهد
٣٠٣ القتل والانتحار
٣٠٤ الزنا
٣٠٤ الخمر والميسر
٣٠٤ البخل وحب المال
٣٠٤ الربا
٣٠٤ المعجب والكبرياء
٣٠٥ الاستبداد والآثره
٣٠٥ التفرق والاختلاف
٣٠٥ الجبن والفرار
٣٠٥ الأمر بما لا يفعل
٣٠٥ الغفلة
٣٠٥ انكار الجميل
٣٠٦ الذم والاهانة والتحقير

صحيفة

- ٣٠٦ الصالحين والمصلين
٣٠٧ قرناء السوء
٣٠٧ المنافقون والمرآؤون
٣٠٨ تمثيل أعمال المرائين والمنافقين
٣٠٨ الانذار والوعيد
٣١٠ الحياة الزوجية
٣١٠ آداب النساء
٣١٠ الصالح والسلم
٣١٠ الداس بخير ما تباينوا
٣١١ الحث على الصدقة
٣١١ التحية والاستئذان
٣١١ آداب المشى
٣١١ التلطف فى الدعوة
٣١٢ التورى
٣١٢ الشفاعة
٣١٢ الخطاء والاضرار
٣١٢ المسئولية عن العمل
٣١٢ الحماد
٣١٢ الايمان
٣١٢ الكلام والاستماع
٣١٣ الجدل والمناظرة
٣١٣ وبضدها تتميز الاشياء
٣١٣ الحث على العمل
٣١٤ الجزاء عن العمل

صحيفة

- ٣١٤ الجزء من جيمس العمل
 ٣١٤ شبيهة الشيء منه بوجه اليه
 ٣١٤ الافساد والبغى
 ٣١٥ المفسدين والمكابرين
 ٣١٥ غرور الظلمة
 ٣١٥ سوء عاقبة الظالمين
 ٣١٥ الاعراض عن الدعوى
 ٣١٦ التدخل فيما لا يعنى
 ٣١٦ الكرم والضيافة
 ٣١٦ التعزية وتهوين الخطب
 ٣١٦ الكيل والميزان
 ٣١٧ الرشوة
 ٣١٧ مال اليتيم ومتاعه
 ٣١٧ صك الدين وانذار المعسر
 ٣١٧ الاحكام والحكام
 ٣١٧ اتهام الابرياء
 ٣١٨ المبكرة فى الحق
 ٣١٨ فى الحق والباطل
 ٣١٨ أداء الشهادة
 ٣١٩ الخبر اليقين
 ٣١٩ الاستنكار والتعجب
 ٣١٩ المحاماة والدفاع
 ٣١٩ التحدى وعدم المبالاة
 ٣١٩ فى الظن والشك

صحيفة

- ٣١٩ فى النجوى والمؤامرة
 ٣٢٠ فى التبرء والتنصل
 ٣٢٠ موقف الجرمين أمام العدالة
 ٣٢٠ عند ظهور الحق
 ٣٢٠ فى الاخام والالزام
 ٣٢٠ اليأس والتمئيس
 ٣٢٠ امضاء الامر
 ٣٢١ حال المجرمين
 ٣٢١ الشيب والكبر
 ٣٢١ صفات الانسان
 ٣٢٢ الخوف
 ٣٢٢ التضجر والتجسر
 ٣٢٢ النسيان
 ٣٢٢ النفس الأمارة بالسوء
 ٣٢٣ الرؤيا والاحلام
 ٣٢٣ زوال المكروه
 ٣٢٣ النعيم والسرور
 ٣٢٣ الجبال والبحار
 ٣٢٤ البساتين والرياحين
 ٣٢٤ التفكير والنظر
 ٣٢٥ العظة والعبرة
 ٣٢٥ نعم الله وفضله
 ٣٢٥ ما استؤثر بعلمه
 ٣٢٥ العمل لوجه الله

مصحف

٣٢٦	النحذير من النفس
٣٢٦	الاعتماد على الله
٣٢٧	الترغيب في التقوى
٣٢٦	التوبة
٣٢٧	القرآن الكريم
٣٢٧	الأنباء والاستنباء
٣٢٧	الكتب والكتابة
٣٢٨	الاقتراب
٣٢٨	الضعف والعجز
٣٢٨	البلاء وما يصاب الناس به
٣٢٨	الاغترار بالظهور
٣٢٩	البشرى والتهنئة
٣٢٩	الامتنان
٣٢٩	التحدث بالنعمة
٣٢٩	التأمين والطمأنينة
٣٣٠	أمثال العرب
٣٣٨	إفمن الرابع في الاوصاف
٣٣٨	وصف البلدان
٣٣٩	القلاع
٣٣٩	الدور
٣٣٩	الديار الخالية
٣٤٠	ايام الربيع
٣٤٠	الرياض
٣٤١	طول الليل والسهر

مصحف

٣٤١	وصف اتصاف الليل وتناهيه
٣٤٢	طلوع الشمس وغروبها
٣٤٣	الزعم والبرق
٣٤٣	مقدمات المطر
٣٤٣	الثلج والبرد وأيام الشتاء
٣٤٤	المطر والماء والسحاب
٣٤٤	القيظ وشدة الحر
٣٤٥	الشب
٣٤٥	آلات الكتابة
٣٤٦	الخطباء
٣٤٧	العلماء
٣٤٧	البلغاء
٣٤٨	الشعر والمنشئين
٣٤٩	الامراء والاشراف
٣٥١	القلم
٣٥٢	الخط
٣٥٧	الكتاب
٣٥٨	عاصفة
٣٥٩	العلم
٣٦٠	رجل لخصمه
٣٦١	أبى دلف
٣٦١	اعرابي لرجل
٣٦٢	الامام العادل
٣٦٤	عمرو بن العاص لمصر

(فهرس الجزء الأول من جواهر الأدب)

صحيفة	صحيفة
بعض أحياء العرب » ٣٨٦	٣٦٠ وصف المطر
نهج البلاغة » ٣٨٨	٣٦٠ » حديثي
حنلة - ومتحف » ٣٩٠	٣٦٠ » البيان
الفونوغراف » ٣٩١	٣٦٠ » المكارم
نظارة » ٣٩١	٣٧٠ » القرآن الكريم
سان استيفانو » ٣٩٣	٣٧٠ » البلاغة
الشمس » ٣٩٥	٣٧١ » عمر بن الخطاب
القمر » ٣٩٩	٣٧١ » علي بن أبي طالب
الفن الخامس في المقامات ٤٠٣	٣٧٢ » كلام العرب
المقامة الاسكندرانية ٤٣٠	٣٧٢ » حرب
المقامة البشرية ٤١١	٣٧٢ » الكتاب
الفن السادس في الروايات ٤١٥	٣٧٤ » التاريخ
رواية ليلى الاخيلية ٤١٦	٣٧٤ » الرجل الكامل
رواية بناء الشاعر المقتول ٤١٨	٣٧٥ » قناة السويس
المتكلمة بالقرآن ٤١٩	٣٨١ » فرس
مروان بن الحكم ٤٢١	٣٨١ » العصا
عبيد بن الابرس ٤٢٢	٣٨٢ » كرة القدم
أبو تراب والشريف العباسي ٤٢٣	٣٨٢ » جيوش
المأمون والمنظمة ٤٢٥	٣٨٣ » الحسد
عمر بن الخطاب والهرمزان ٤٢٦	٣٨٣ » افضل الكلام
ابراهيم بن المهدي ٤٢٦	٣٨٣ » الشعراء المحدثين
الاحنف بن قيس ٤٢٧	٣٨٤ » ابي تمام والبحثري والمتنبى

صحيحة	صحيحة
١٠ المقدمة السابعة فى أخلاقهم	٤٢٨ معن بن زائدة . وجاره
١٢ » الثامن فى دينهم	٤٢٩ معن بن زائدة والأسود
١٣ » التاسع فى ثقافتهم	٤٣١ معاوية والاعرابية
١٤ » العاشرة فى عصور اللغة	٤٣١ الأحنف بين يدي معاوية
١٥ العصر الأول عصر الجاهلية	٤٣٢ الأحنف بين يدي عمر بن الخطاب
١٥ حالة اللغة فى ذلك العصر	٤٣٢ أسيد بن عتقاء
١٥ سوق عكاظ	٤٣٣ الفضل وجعفر البرمكى
١٦ كلام العرب	٤٣٦ براعة الرشيد فى الأدب
١٧ أغراض اللغة فى الجاهلية	٤٣٦ الواثق وأبى دود
١٧ معانى اللغة » »	٤٣٧ المنصور والربيع بن يونس
١٧ عبارة اللغة » »	٤٣٧ الأعرابى السائل
١٨ تقسيم كلام العرب الى نثر ونظم	٤٣٨ معاوية والأحنف بن قيس
١٨ النثر والخطابة	٤٣٩ الحجاج ورسول المهلب
١٩ المحادثة	٤٤٠ حديث معاوية وليلى الاخيلية
٢٠ خطباء العرب	٤٤٥ سودة بنت عمارة ومعاوية
٢١ قس بن ساعدة الايادى	٤٤٧ أم سنان بنت جشمة ومعاوية
٢٢ اكثم بن صيفى	٢ الفن السابع فى التاريخ
٢٣ الكتابة	٢ تاريخ أدب اللغة العربية
٢٤ علوم العرب وفنونها علم النجوم	٢ المقدمة الأولى فى التاريخ
٢٥ الطب - والبيطرة	٣ » الثانية فى توضيح الأولى
» الأخبار - والقصص	٤ » الثالثة فى جزيرة العرب
» التاريخ - والجغرافيا	٦ » الرابعة فى اللغة العربية
» الفراسة - والقيافة	٧ » الخامسة فى تاريخ العربية
٢٦ السكّهانة والعرافة والزجر	٨ » السادسة فى حياة العرب

صحيفة

- ١١٤ حالة اللغة فى ذلك العصر
١١٦ القرآن الكريم
» اعجاز القرآن الشريف
١١٧ جمع القرآن وكتابه
١١٨ صاحب الشريعة محمد صلى الله عليه
١٢١ الحديث النبوى
» النثر لغة التخاطب الخطابة الكتابة
١٢٢ الخطابة فى هذا العصر والخطباء
» النبى محمد - صلعم - وخطبه
١٢٦ أبو بكر الصديق وخطبه
١٢٩ عمر بن الخطاب وخطبه
١٣١ خطبته فى القضاء الى أبى موسى
١٣٢ عثمان بن عفان وخطبه
١٣٤ على بن أبى طالب وخطبه
١٣٦ سحبان وائل وخطبه
١٣٧ زياد بن أبىه وخطبه
١٣٩ الحجاج الثقفى وخطبه
١٤١ طارق بن زياد وخطبه
١٤٣ الكتابة الخطبية
١٤٣ الكتابة الانشائية
١٤٥ مميزات الكتابة الانشائية
١٤٥ الكتاب فى هذا العصر
١٤٦ عبد الحميد الكاتب
١٤٧ التدوين والتصنيف

صحيفة

- ٢ النظم - أو الشعر والشعراء
٢ أغراضه وفنونه
٢ الفخر والمدح والهجاء
» الرثاء الاعتذار - الوصف
٣ الحكمة والمثل
» معانيه وأخيلته
٣١ ألفاظه وأساليبه
» أوزانه وقوافيه
» الشعراء وطبقاتهم
» الشعراء الجاهليون
٣٤ امرؤ القيس ومعلقته
٢٥ النابغة الذبياني
» ٥٣ زهير بن أبى سلمي
» ٦٠ عنتره العبسى
» ٦٩ عمرو بن كلثوم
» ٧٨ طرفة بن العبد
» ٨٩ اعشى قيس
» ٩٤ الحارث بن حلزة
» ٩٨ لبيد بن ربيعة ومعلقته
١٠٩ علقمة الفحل ومعلقته
١١٣ أمية بن أبى الصلت وقصيدته
١١٤ الرواية والرواة
١١٤ خلفاء بنى أمية
» العصر الثانى عصر صدر الاسلام

صحيفة

- ١٧٩ داود بن على
١٨٠ شبيب بن شيبه
١٨١ الكتابة الخطية والانشائية
١٨٢ ابن مقلة
١٨٣ الكتابة الانشائية فى الرسائل
١٨٤ الكتاب فى هذا العصر
» ابن المقفع
١٨٦ ابراهيم الصولى
١٨٧ ابن العميد
» بقية خلفاء العباسيين
١٨٨ صاحب بن عباد
١٨٩ أبو بكر الخوارزمى
١٩٠ بديع الزمان الهمذانى
» ابن زيدون
١٩١ القاضى الفاضل
١٩٢ التدوين والتصنيف
١٩٣ كتابة التصنيف والتدوين
» العلوم اللسانية ونشأتها
١٩٤ الجاحظ
١٩٥ أحمد بن عبد ربه
» الحريرى
١٩٦ فن التاريخ
١٩٧ العروض والقافية
» النحو

صحيفة

- ١٤٨ الشعر والشعراء
١٤٩ أغراض الشعر وفنونه
١٥٠ معانيه وأخيلته والنفاظه
١٥١ الشعراء فى هذا العصر
١٥١ كمب بن زهير وقصيدته بانث سعاد
١٥٦ عمرو بن معدى كرب الزبيدى
١٥٧ الخنساء
١٦٠ الخطيئة
١٦١ حسان بن ثابت
١٦٢ النابغة الجعدى
١٦٤ عمر بن أبى ربيع
١٦٦ الاخطل
١٦٨ الفرزدق
١٧٠ جرير
١٧٢ الكميت
١٧٣ الرواية والرواة
١٧٤ العصر الثالث عصر الدولة العباسية
» أحوال اللغة وآدابها فى هذا العصر
» خلفاء بنى العباس
١٧٥ أغراض اللغة
١٧٦ المعانى والافكار
١٧٧ الالفاظ والاساليب
» النثر — المحادثة أولغة التخاطب
١٧٨ الخطابة والخطباء

صحيفة

- ٢١٧ ابن الرومى
» ابن المعتز
٢١٨ أبو الطيب المتنبى
٢٢٠ ابن هانىء الاندلسى
٢٢١ أبو العلاء المعرى
٢٢٣ ابن خفاجة الاندلسى
٢٢٤ الطغرأتى
٢٢٥ البهاء زهير
» الرواية والرواة
٢٢٦ الاصمعى
٢٢٦ العصر الرابع عصر الدولة التركية
» حالة اللغة وأدائها فى ذلك العصر
٢٢٧ النثر لغة التخاطب
» الخطابة
» الكتابة الخطية
» الكتابة الانشائية
٢٢٨ الكتاب فى هذا العصر
» القاضى محيى الدين
٢٢٩ شهاب الدين العمري
» لسان الدين بن الخطيب
٢٣٠ التدوين والتصنيف
» الادب
٢٣١ بقية العلوم الاسلامية
» كتابة التدوين والتصنيف

صحيفة

- ١٩٧ علم اللغة
١٩٨ علوم البلاغة
١٩٨ الخليل بن أحمد
١٩٩ سيبويه
٢٠٠ الكسائى
» العلوم الشرعية
٢٠١ كتب الحديث
» الامام البخارى
٢٠٣ علم الفقه
» الامام أبو حنيفة
٢٠٣ الامام مالك
» الشافعى
٢٠٤ » أحمد بن حنبل
٢٠٥ علم الكلام
» أبو الحسن الاشعري
٢٠٦ الغزالى
» نشأة العلوم الكونية
٢٠٨ الشعر والشعراء
٢٠٩ بشار بن برد
٢١٠ أبو نواس
٢١٢ مسلم بن الوليد
٢١٣ أبو العتاهية
٢١٤ أبو تمام
٢١٥ البحرى

صحيفة	صحيفة
٤٩٦ الباب التاسع فى العلم	٣٨٤ وصف دار بناها الصاحب بن عباد
» العاشر فى العقل	٣٨٦ » زوج اثنتين
» الحادى عشر فى الادب	٣٨٧ » قصر الممر بالله
» الثانى عشر فى الصبر والثبات	» » جواد
٥٢٦ » الثالث عشر فى الصدق	٣٨٨ » حديقة
٥٢٨ » الرابع عشر فى الكذب	» » الطبيعية
٥٢٩ » الخامس عشر فى التواضع	٣٨٩ » النيل لحافظ ابراهيم
٥٣٠ » السادس عشر فى السكر	» » حال اللغة العربية
٥٣٠ » السابع عشر فى البخل والبخلاء	٣٩٠ » قطار البخار - للرصاصى
٥٣٢ » الثامن عشر فى وصف الدنيا	٣٩١ » سكان جزيرة كريد
٥٣٣ » التاسع عشر فى الاسرار	٣٩٢ » البسنور
٥٣٤ » الباب العشرون فى اللسان	٣٩٣ » المقراض
٥٣٥ » الحادى والعشرون فى المعاشرة	» » الشمعة
٥٣٦ » الثالث والعشرون فى الحقد	٣٩٤ » قصر وبركة عليها أشجار
٥٣٦ » الثانى والعشرون فى القناعة	٣٩٦ » زلزال صقلية
٥٣٧ » الثالث والعشرون فى الحسد	٤٠٠ » شعب بوان
٥٣٧ » الرابع والعشرون فى الحلم	٤٠١ » طيارة لحافظ ابراهيم
٥٣٨ » الخامس والعشرون فى الحماسة	٤٠٤ » قطار السكة الحديد
٥٣٨ » السادس والعشرون فى الوطن	٤٠٥ » حريق عابدين
٥٣٩ » السابع والعشرون فى المال	٤٠٦ » خزان اسوان
٥٤٠ » الثامن والعشرون فى السياحة	٤٠٦ » الباب الخامس فى الاستمطاف
٥٤٣ » التاسع والعشرون فى الغدر	٤١٤ » الباب السادس فى التهانى والتهادى
٥٤٣ » الثلاثون فى الختام بالدعاء	٤٢٣ » السابع فى المراتى
	٤٤٤ » الثامن فى الحكم والنصائح



في

ادبيات وانشاء لغة العرب

—٤٤٤٤٤٤٤٤—

(تأليف)

السيد احمد الهاشمي بك

« مدير مدارس فؤاد الاول حالا - ومراقب مدارس فكتوريا الانجليزية سابقا »

(الطبعة الخامسة عشرة والاعادة وحقوق الطبع محفوظة لحضرة مؤلفه وولده)

قرظت على طبعه مشيخة الأزهر الشريف

« وقرظه أيضاً كثير من فضلاء وزارة المعارف العمومية »

« مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة »

سنة ١٣٥٦ هـ — سنة ١٩٣٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

... Association No...

أحلى ما سَجَعَتْ بِهِ بِلَابِلُ الْأَقْلَامِ ، وَأَغْلَى مَا انْتَمَطَتْ فِيهِ عَقُودُ الْبَلَاغَةِ
وَالْإِنْشِجَامِ ، وَأَشْعَى مَا يَنْعَتُ بِهِ (جَوَاهِرُ الْأَدَبِ) حَمْدُ مولانا الذي بِشَرَفِ لُغَةِ
العَرَبِ ، وَأَرْسَلْ لَنَا نَبِيًّا عَرَبِيًّا مَنْزَهاً عَنْ جَمِيعِ الرِّيبِ ، سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَمَنْ صَحَبَ

(أَمَّا بَعْدُ) فِهَذَا كِتَابٌ سَمَّيْتُهُ «جَوَاهِرُ الْأَدَبِ» ، فِي أَدَبِيَّاتِ لُغَةِ الْعَرَبِ
أَوْدَعْتُهُ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارِي ، لَا مِنْ ثَرَى وَأَشْعَارِي ، فَلَيْسَ لِي فِي تَأْلِيهِ مِنْ
الِافْتِخَارِ ، أَكْثَرُ مِنَ الْاِخْتِيَارِ ، وَاخْتِيَارُ الْمَرْءِ قِطْعَةٌ مِنْ عَقْلِهِ ، تَدُلُّ عَلَى تَخْلُقِهِ
وَفَضْلِهِ ، وَفَضِيلَتُهُ هَذَا التَّأْلِيفُ هِيَ فِي جَمْعِ مَا افْتَرَقَ ، مِمَّا تَنَاسَبَ وَاتَّسَقَ ، وَاخْتِيَارِ
عَمِيونَ ، وَتَرْتِيبِ فُنُونِ ، مِنْ أَحَادِيثِ نَبَوِيَّةٍ ، وَمَكَاتِبَاتِ أَدَبِيَّةٍ ، وَحُكْمِ بَاهِرَةٍ
وَأَيَّاتِ نَادِرَةٍ ، وَأَمْثَالِ شَارِدَةٍ ، وَأَخْبَارِ وَارِدَةٍ ، وَوَصَايَا نَافِعَةٍ ، وَمَوَاعِظَ
جَامِعَةٍ ، وَمَنْاظَرَاتِ مُسْتَظَرَفَةٍ ، وَمَقَامَاتِ مُسْتَظَرَفَةٍ ، وَأَوْصَافِ عَلَيْهِ ، وَخُطَبِ
اجْتِمَاعِيَّةٍ ، لِئَلْيَنْتَفِعَ بِهِ مُقْتَنِيهِ ، وَيَسْتَغْنِيَ عَنْ غَيْرِهِ الرَّائِبُ فِيهِ ، إِذْ كَانَ أَحْسَنَ مِنَ
الزَّهْرِ وَالرِّيَاضِ ، وَالْحَدَائِقِ وَالْغِيَاضِ ، وَالزَّبْرِجَدِ وَالْمَرْجَانِ ، وَالْدُّرِّ وَالْعَقِيَانِ
وَالْأَكَالِيلِ وَالتَّيَّجَانِ ، وَالنَّزْهِ وَالْبُسْتَانِ ، إِنْ دُعِيَ أَسْرَعَ ، وَإِنْ تَحَدَّثَ أَمْتَعَ
وَإِنْ سُئِلَ أَجَابَ ، وَإِنْ حُكِمَ أَصَابَ ، جَلِيسٌ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَضَرِ ، وَأَنْيَسُ لَهُ فِي السَّفَرِ
تَدِيمُ ظَرِيفٍ ، وَسَمِيرُ حَصِيفٍ ، بِالْغَتِّ فِي تَهْنِئَتِهِ ، وَبَذَلَتْ مَجْهُوداً فِي حَسَنِ تَرْتِيبِهِ
وَأَجَزَلَتْ التَّحِفَةَ ، وَانْتَقَمَتِ الطَّرْفَةَ ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكَيلُ

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

والجفاف الایجاز والاختصار المحل كقول الحارث بن حذّرة المتوفى سنة ٢٣٢ هـ
والعیش خیرٌ فی ظلال النول^(١) ممّن عاش کذا^(٢)

ووَحدةُ السّیاق التّزام أسلوب واحد من التّعبر وطريقه واحدة من التّركیب
بحیث تكون للأذهان کلالا^(٣) وللقلوب ملالا^(٤)

وللکلام عیوبٌ كثيرةٌ منها اللحنُ ومخالفة القیاس الصّرفی وضعف
التّالیف والتّعقید اللفظی والمعنوی والتّکرار وتمايُع الاضافات إلى غیر ذلك من
الاشیاء الّتی تكون ثقیلةً علی اللّسان مخالفةً للذوق والعرف غریبةً علی السّمع^(٥)
وأما طبقاته فتلاثٌ (الأولى الطبقة السفلی) ومرجعها إلى الانشاء الساذج
وهو ما عرّی عن رقة المعانی وجرّالة الألفاظ والتأثّق فی التّعبر فهو بالكلام
العادیّ أشبهُ لسهولة مأخذه وقرب مورده، ویستعمل فی المحافل العمومیة لیقرب
منال المعانی علی جمهور السامعین وفی المقالات والتالیف العلمیة لیمصرف الذّهن
إلى أخذ المعنی ولیس دونه حائلٌ من جهة العبارة وفی المکاتبات الأهلّیة
والرحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك (الثانية الطبقة العلیا) ومرجعها إلى
الانشاء العالی وهو ما شُحن بغرر الألفاظ وتعلّق بأهداب المجاز ولطائف
التّخیلات وبدائع التّشابه فیفتن ببراعته العقول ویسحرُ الألباب ویصلحُ فی

(١) بفتح النون وضما الحقی (٢) تبعاً (٣) سیئة (٤) سامة (٥) حکي عن الصفي الخلی ان بعض
الفضلاء بلغه أنه أطلع علی دیوانه وقال لا عیب فیہ سوى انه خال من الالفاظ العربیة فاجابه الصفي
انما الحزبون والردیس والطعنا والنقاخ والعلطیس
لغة تنفر السامع منها حین تروی وتشمّر النفوس
وقبیح أن یسلك النافر السوحيش منها ویترك المأنوس
ان خیر الالفاظ ما طرب السامع منه وطاب فیہ الجایس
ولذیذ الالفاظ مقناطیس :

التَّرسُّلَينِ بُلغَاءَ الكِتَابِ وَفِي المَجَالِسِ الأَدَبِيَّةِ وَدِيَابِجَةِ بعضِ التَّصَانِيفِ إِلَى غيرِ ذَلِكَ مِنَ المَوَاضِعِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الزُّجْرُ وَتَحْرِيكُ العَوَاطِفِ وَالحَمَاسَةِ (الثَّالِثَةُ الطَّبَقَةُ الوَسْطَى) وَمَرَجْعُهَا إِلَى الإِنشَاءِ الأَنِيقِ (١) وَهُوَ مَا تَوَسَّطَ بَيْنَ الإِنشَاءِ العَالِيِ وَالسَّادِجِ فَيَأْخُذُ مِنَ الأَوَّلِ رَوْنَهُ وَرَشَاقَتَهُ وَمِنَ الثَّانِي جَلَاءَهُ وَسَلَامَتَهُ - وَيُصْلَحُ فِي مُرَاسِلَاتِ ذَوِي المَرَاتِبِ وَفِي الرِّوَايَاتِ المُتَمَقِّمَةِ والأَصَافِ المُسْتَهْمَةِ، وَفِي خُطَبِ المُخَافِلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (٢)

وَأَمَّا مُحَاسِنُهُ فَبِهِيَ أَسَالِيبُ وَطَرَائِقُ معلومةٌ وَضِعَتْ لِتَرْبِيَةِ السَّامِعِ وَتَمْنِيقِهِ لِفَرَضٍ أَنْ يَتِمَكَّنَ البَلِيعُ مِنْ ذِهْنِ السَّامِعِ بِمَا يوردهُ مِنْ أَسَالِيبِ الكَلَامِ المُسْتَحْسَنَةِ فَيَحْرِّكُ أَهْوَاءَ النَفْسِ وَيُثِيرُ كَأْمَنَ حَرَكَاتِهَا ، وَلِفَرَضٍ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ أَشَدَّ اتِّصَالًا بِالعَقْلِ وَأَقْرَبَ لِلإِدْرَاكِ بِتَصَرُّفِهِ فِي فَنُونِ البَلَاغَةِ

(كَيْفِيَّةُ الشُّرُوعِ فِي عَمَلِ مَوَاضِيعِ الإِنشَاءِ)

إِذَا عَنَّ (٣) لَكَ أَوْ اقْتَرَحَ عَلَيْكَ إِنْشَاءُ مَوْضُوعٍ فَأَنْتَ مَنُوطٌ (٤) إِذَا أَبَا مَرِينِ :
التَّفَكُّرَ أَوَّلًا وَالكِتَابَةَ ثَانِيًا . فَإِذَا أَنْعَمْتَ الفِكْرَ مَلِيًّا (٥) فِي أَجْزَاءِ المَوْضُوعِ بَعْدَ اسْتِئْذَانِ الإِحْسَاسِ بِهَا عَلَى قَلْبِكَ وَقَلْبَتِهَا عَلَى جَمِيعِ الأَوْجِهَةِ المُمَكِّنَةِ فِيهَا تَوَلَّدَ فِي

(١) المَعِجَبُ (٢) الَّذِي اشتهرَ بِالإِنشَاءِ السَّادِجِ السِّيَوطِيُّ وَالْمَوَارِدِيُّ وَالْغَزَالِيُّ وَأَبُو الْفَرَجِ الْإِسْهَابِيُّ وَابْنُ الْإِثِيرِ وَأَبُو الْفَدَاءِ . وَالَّذِي اشتهرَ بِالإِنشَاءِ الْإِنِيقِ التَّعَالِيُّ وَابْنُ خُلْدُونِ وَالتَّطَرِيُّ وَالفَخْرِيُّ وَابْنُ المَعْتَزِ وَالبَهَاءُ زَهْدِيُّ وَابْنُ المُفَنِّعِ وَالمُسْعُودِيُّ . وَالَّذِي اشتهرَ بِالإِنشَاءِ العَالِيِ الحَرِيرِيُّ وَالمُهَنْدِيُّ وَالمَعْرِيُّ وَالاخْطَلُ وَحَرِيرُ وَابُو تَمَامٍ وَالبَحْثَرِيُّ وَالمُتَنِيُّ وَابْنُ خَافَانَ وَالعَتَبِيُّ وَالفَارُصِيُّ . وَاعْلَمْ أَنَّ طَبَقَاتِ الإِنشَاءِ كَثِيرًا مَا تَخْتَلِطُ بِبَعْضِهَا يَصْعَبُ تَعْيِينُ طَبَقَتِهَا فَرُبَّمَا جَاءَ فِي الطَّبَقَةِ الواحِدَةِ أَشْيَاءٌ مِنَ الطَّبَقَاتِ الثَّلَاثِ لَا يُمَيِّزُهَا إِلَّا المُتَقَدِّمُ البَصِيرُ (٣) عَرَضَ (٤) مَلُزَمَ (٥) سَاعَةِ طَوِيلَةٍ

اليوم معشر الكتاب

أما بعد - حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وساطكم ووقفكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة سواء وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم. فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والروية والعلم والرواية. بكم تلتئم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها. وبصالحكم يصلح الله لخلق سلاطنتهم، وتعمر بلادهم. لا يستغنى الملك عنكم. ولا يوجد كاف إلا منكم. فموقعكم من الملوك موقع أسماعيل التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون^(١) فأمّعتكم^(٢) الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه^(٣) من النعمة عليكم. وليس أحد من أهل الصناعات كلّها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودّة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم

أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يشقّ به في مهمّات اموره أن يكون حليماً في موضع الحليم، فهيماً في موضع الحكم، مقدّماً في موضع

الاقدام ، مجاماً في موضع الاحجام ^(١) مؤثراً ^(٢) للعفاف والعدل والانصاف
كثوماً للاسرار . وفيما عند الشئاذ ، عالماً بما يأتي من النوازل ، يضع الامور
مواضعها ، والطوارق اما كنها . قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه
فان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به . يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه
وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدُر عنه قبل صدوره ، فيعدُّ
لكل أمر عدته ^(٣) وعتاده . ^(٤) ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته .
فتنافسوا يا معشر الكتاب ، في صنوف الآداب ، وتفقها في الدين وأبداً ، واعلم كتاب
الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ^(٥) ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط
فانه حلية كُتُبكم وأرووا الأشعار وأعرفوا غريبها ومعانيها وآيام العرب
والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا
تضيّعوا النظر في الحساب فانه قوام ^(٦) كُتُب الخراج ، وأرغبوا بأنفسكم عن
المطامع سنيها ^(٧) ودنيها وسفساف ^(٨) الأمور ومحارها فانها مذلة للرقاب
مفسدة للكُتُب ، ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة وأربأوا ^(٩) بأنفسكم عن
السعاية والذميمة وما فيه أهل الجهالات . وإياكم والكبر والصلف والعظمة
فانها عداوة مجتلبة من غير إحنة ^(١٠) وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم
وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبيل ^(١١) من سلفكم
وإن نبأ ^(١٢) الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وآسوه حتى يرجع اليه حاله
ويثوب ^(١٣) اليه أمره . وإن أقعد أحداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه

(١) التأخر (٢) مختاراً له (٣) ما أعدده لحوادث الدهر (٤) العدة (٥) تعديلاً
(٦) نظام (٧) رفيحها (٨) الرديء من كل شيء (٩) أعرضوا وفروا (١٠) اضمار حقد
يسبق عداوة (١١) الدكاء والتجابة (١٢) قصر وقت (١٣) يرجع

فَزُرُّوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَاسْتَظْهِرُوا بِفَضْلِ تَجَرِبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلِيَكُنِ
 الْاَجَلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحْفَظَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ
 وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّعْلِ مُخْدَمَةٌ فَلَا يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ . وَإِنْ عَرَضَتْ
 مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْذَرْ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَّ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْحَالِ فَإِنَّ
 الْعَيْبَ الْيَكْمَ مَعَشَرَ الْكُتَّابِ اسْرِعْ مِنْهُ إِلَى الْفِرَاءِ ^(١) وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهَا
 فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحَبَهُ الرَّجُلُ يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ
 لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ ، وَاحْتِمَالِهِ وَخَيْرِهِ
 وَنُصِيحَتِهِ وَكَيْفَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ فِعْلُهُ لَهُ
 عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْإِضْطِرَارِ إِلَى مَالِدِهِ ، فَاسْتَشْعِرُوا ذَلِكَ وَفَقِّمُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
 فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ وَالْحَرَمَانِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فَتَعَمَّتِ
 الشَّمِيمَةُ هَذِهِ لِمَنْ وَسُمِّ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ . وَإِذَا وَكَلَى الْاَجَلُ
 مِنْكُمْ أَوْ صَبِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلَقَ اللَّهُ أَمْرٌ فَلْيُتِرَاقِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُؤَثِّرِ طَاعَتُهُ
 وَلِيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا ، وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصَفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحْبَبُّهُمْ إِلَيْهِ
 أَرْقَقُهُمْ بَعِيَالُهُ . ثُمَّ لِيَكُنِ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكَمَّمًا وَلِلْفُقَرَاءِ ^(٢) مُوَقَّرًا
 وَلِلْبَلَادِ عَامِرًا ، وَلِلرَّعِيَةِ مُتَأَلِّفًا ، وَعَنْ أَذَاهُمْ مُتَخَلِّفًا ، وَلِيَكُنْ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا
 وَفِي إِسْجَلَاتِ خَرَاجِهِ وَاسْتَقْضَاءِ حُقُوقِهِ دَقِيقًا ، وَإِذَا صَحِبَ أَحَدَكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ
 خُلَاقَتَهُ ، فَإِذَا عَرَفَ حَسَنَتَهَا وَقَبِيحَتَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُؤَافِقُهُ مِنَ الْحَسَنِ ، وَاحْتَالَ عَلَى
 صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقَبِيحِ بِالْطَفِ حِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ
 الْبَهِيمَةِ إِذَا كَانَ بَصِيرًا بِسِيَاسَتِهَا التَّمَسَّ بِمَعْرِفَةِ أَخْلَاقِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ

يهيجها اذار كبتها وان كانت تسبى بآتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً
توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرؤناً قمع هواها برقيق في طريقها (١)
فان استمرت عطفها يسيراً فيسأس (٢) له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة
دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وحرّ بهم ودأخلهم .

والكتاب بفضل أدبه وشریف صنّعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول
من الناس وينظره ويفهم عنه أو يحاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه، ومداراته
وتقوم أودّه من سائس البهيمه التي لا تفقه جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم
خطاباً إلا بقدر ما يُصيرها اليه صاحبها الرأكب عليها ، ألا فأمعنوا رَحْمَكُم
الله في النظر ، وأعمّلوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله
من صحبتموه النبوة (٣) والاستئصال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا
منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلّسه
وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر
حقه ، فانكم مع ما فضلكم به الله من شرف صنعتكم خدّمة لا تُحمّلون في
خدمتكم على التقصير ، وحفظة لا تُحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير -
واستمعنوا على أفعالكم بالقصد في كلّ ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا
متالف السرف وسوء عاقبة الترف (٤) فانهما يُعقبان الفقر ويذلان الرقاب
ويفضحان أهلها ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب ، وللأمور أتباه
وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتف (٥) أعمالكم بما سبقت اليه تجرّبتكم
ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها بحجة وأصدقها بحجة وأحمدّها عاقبة
واعلموا أنّ للتدبير آفة متافّة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علم

(١) في مرة من المرات (٢) وفي سعة يسلس أي يقاد ويسهل (٣) التّج (٤) التّعم ه (مبدأ)

ورؤيته ، فليَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلَسه قَصْدَ الْكَافِي مِنْ مَنْطِقِهِ ، وَلْيُؤْجِزْ فِي
ابْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَجِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِفَعْلِهِ وَمُدْفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ
مِنْ إِكْثَارِهِ .

وَلْيَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ وَامْدَادِهِ بِتَسْديدِهِ مَخَافَةً وَقُوعِهِ فِي الْغَلْطِ
الْمُضَرِّ بِدَنِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدْبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانٌّ أَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ الَّذِي بَرَزَ
مِنْ جَمِيلِ صِنْعَتِهِ وَقُوَّةِ حُرْكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحَسَنِ تَدْبِيرِهِ فَقَدْ تَعَرَّضَ
بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَيَصِيرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ
وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَلَا يَقُلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرُ بِالْأُمُورِ وَأَجْلُ لِعِبْوِ التَّدْبِيرِ مِنْ مُرَافِقِهِ فِي
صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى
بِالْعُجْبِ وَرَأَى ظَهْرَهُ ، وَرَأَى أَنْ صَاحِبَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَجْلُ فِي طَرِيقَتِهِ

وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ
اغْتِرَارِ بِرَأْيِهِ وَلَا تَزْكِيَةِ لِنَفْسِهِ وَلَا تَكَاثُرِ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ .
وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُّعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّذَلُّ لِعِزِّهِ وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَتِهِ
وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمِثْلُ (مَنْ تَلَزَمَهُ النَّصِيحَةُ يَلْزَمُهُ الْعَمَلُ)
وَهُوَ (جَوَاهِرُ) هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .
فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَمْتُهُ بِهِ : تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ
سَبَقَ عِلْمُهُ بِأَسْعَادِهِ وَارْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٢٢ هـ (١)

(١) هُوَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ بَجِي الْعَامِرِيُّ ، كَاتِبُ دَوْلَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ آخِرِ خُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ - قَتْلُهُ
السَّافِحَ سَنَةَ ١٣٢٢ هـ

(تمهيد في مبادئ علم الادب)

الادب عبارة عن معرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطأ وهو قسمان: طبيعي وكسبي - فالطبعي ما فطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة والصفات الحمودة كالكرم والخلم - والكسبي ما اكتسبه بالدروس والحفظ والنظر وهو المقصود لنا في هذا الكتاب فيمنئذ يعرف بأنه علم صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله : وهو المدعو (بعلم الادب)

و موضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته وغايته الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، وتهذيب العقل بتذكية الجنان ، وفائدته أنه يعصم صاحبه من زلة الجبل ، وأنه يروض لأخلاق ويلين الطبائع ، وأنه يعين على المروءة ، وينهض بالهمم إلى طلب المعالي والأمر الشريفة

(وآركانه أربعة) الأول - قوى العقل الغريزية وهي خمسة

الذكاء (١) والخيال (٢) والحافظة (٣) والحس (٤) والذوق (٥)

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والعارف بالكروفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة واد وسرعة النظنة (٢) قوة باطنة تمسح صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر باب النجاح في فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره الحاجة ولذلك سميت داكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم ومن شروط الكتابة اد يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات بما يحكمها فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستالة القلوب ألا ترى أن الكلام العذب حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام اسنه الخفية وتحصل بالتأثرة على السرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع نطق لحواص معانيه وتواكيه وتبزيه العقل والقلب عما يفسد الاخلاق والاداب

الثانى - معرفة الأصول وهي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التأليف وضروب الانشاء وفنون الخطابة

وتنقسم هذه الأصول الى قسمين عامة وخاصة (فالعامه) كالتأليف الادبية من منظوم ومنثور فى أغراض شتى (والخاصة) كالتأليف المفردة بالرسائل أو بالامثال

الثالث - مطالعة تصانيف البلغاء بالتأتى والتبصر فيها ، ليدخر الكاتب كل

لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة وشروطها ثلاثة (الاول) أن يستقل المطالع ببعض علماء اللغة وأئمة الأدب فيقتصر على درسهم حتى ينسج على منوالهم (الثانى) أن يطيل النظر فى هذه المطالعة ويردد مراراً ما يستحسنه من تصانيفهم كي يروى ذهنه فى حلابة^(١) سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تركيبهم (الثالث) أن ينتقى منها شيئاً مما استجاده^(٢) من اللفظ الحر والتراكيب الصحيحة والمعانى البليغة لتسكون ذخراً لذالك^(٣) ومهمازاً^(٤) لقرينته

الرابع - الارتياض وهو التدرّب بوجوه الانشاء بأن تتوسع فى شرح بعض المعانى فتبيته بأوجه شتى وتنمقه بأشكال البديع وبأن تجتهد فى وضع بعض مواضع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة ، وأخرى تسرد مثلاً أو تسبك رواية إلى غير ذلك - وأن تحذو حذو المتقدمين فى أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تحلّ النظم فتأتى به نثراً أنيقاً^(٥) وتعتقد النثر فتصوغه صوغاً رشيقاً^(٦)

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون فى مؤخر خف الرافض للمهر

(٤) معجباً (٥) حسناً

(مقدمة في علم الانشاء)

ألا نشاء لغة الشروع والایجاد والوضع - تقول أنشأ الغلامُ يمشي إذا شرع في المشي - وأنشأ الله العالمَ أوجدَهُم وأنشأ فلانُ الحديثَ وَضَعَهُ واصطلاحاً علمٌ يُعرَفُ به كَيْفِيَّةُ استنباط المعاني وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لا تُقْبَلُ بالمقام وهو مُستمدٌّ من جميع العلوم. وذلك لِأَنَّ الكاتبَ لَا يَسْتَشْفِي صِنْفًا مِنْ كِتَابَةٍ فيخوضُ في كلِّ المباحث ويتعمدُ الانشاءَ في كلِّ المعارف البشرية وينحصر المقصود منه في ثلاثة أبواب وخاتمة وملحق

(الباب الاول في أصول الانشاء)

وهي أربعة: مَوَادُّهُ وَخَوَاصُّهُ وَطَبَقَاتُهُ وَحَاسِنَتُهُ.
أما مَوَادُّهُ فثلاث: الأولى الألفاظُ الفصيحة^(١) الصريحة^(٢) الثانية المعاني^(٣)

(١) الألفاظ البينة الطاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها.
(٢) الألفاظ التي تدل على نس المطلوب بحيث تكون كقالب لمنها ويتوصل الى ذلك بمعرفة رادفات والصفات والابدال (٣) بحيث يكون المعنى واضحاً أى سهل المأخذ خالياً من س والاشكال كقول الاخطل:

واذا اقتقرت الى السخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الاعمال
يكون المعنى سديدا أى أن يكون القول مطابقا للواقع كقول لبيد:
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبي العتاهية:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر
أقال أبو الفتح البستي:

تكلم وسدد ما استطعت فانما كلامك حي والسكوت جباد
[فان لم تجد قولاً سديداً تقولهُ فصمتك عن غير السداد سداد

اد بمقتضى الحال الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص أي مراعاة الاحوال التكلم.

الثالثة إيرادُ المعنى الواحد بطُرُقٍ مختلفةٍ، ومَرَجْعُهَا الى الفصاحة وعلمي المعاني
والبيان

والمخاطب ومقام الكلام — والمعنى اما أن يكون مبتكرا أى مخترعا كقول ابن النبية :
الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
وكقول آخر فى وصف الشتاء

والنار فأكفة الشتاء فن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل
أو دقيقاً وهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين فى فخر الدين
الرازى وكانت قد دخلت الى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرتها
جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلهم من جناحي خاطف
من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنتك ملجأ للخائف
أو فظرياً وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا اعمال روية ودل على بعض السذاجة فى قائله
كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا فأنتد :

لا أركب البحر أخشى على منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين فى الماء ذائب

وكقول الصياد

سبحان ربى يعطى ذا ويحرم ذا هذا بصيد وهذا يأكل السمكة
أو ليثا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياء تطرب المسامع وتبهج
القلب كقوله

ان السماء اذا لم تبك مقلتها لم تضحك الارض عن شيء من الزهر
أو نافذا وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنتره
وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان
أو جامعاً وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبى تمام فى المعتصم
ترام اذا ما جثته مهللا كالنك تعطيه الذى أنت سائله
تعود بسط الحلف حتى لوانه أراد اقتباضاً لم تطعه أنامله

وكقول المتنبي: قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انساها
أو متيناً وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبى العتاهية
لدوا للموت وأبنوا للخراب فكلكم بصير الى ذهاب
والمعنى الموهل أو الاقبال هو ما فتن بسموه القلب ومسى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة
كما قال قائل على لسان ربه
سألت عبدي وانت فى كنفى وكل ما قلت قد سمعناه

وأما خواصه فهي محاسنه السبعة وهي: أولاً الوضوح ^(١) بأن يُختار المفردات
البيّنة. الدالة على المقصود، وأن يُعدل عن كثرة العوامل ^(٢) فى الجملة الواحدة، وأن
يتحاشى الالتباس فى استعمال الضائر وأن تسبك الجمل سبكاً جلياً بدون
تعقيد والتباس، وأن يُتحاشى كثرة الجمل الاعراضية

وثانياً الصراحة بأن يكون الانشاء سالماً من ضعف التأليف وغمابة التعبير
بحيث يكون الكلام حراً مذهباً تناسب ألفاظه للمعاني المقصودة كما قيل
تزيّن معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعاني

ويكون الكلام صريحاً بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحرة الكريمة
وكذا بإصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه
وتأليفه. وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف
والاهتداء إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها

وثالثاً الضبط وهو حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ كقول
قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م

أرى الموت لا يرعى على ذى قرابة
وأن كان فى الدنيا عزيزاً بمقعد
لعمرك ما الأيام إلا معارة
فما أسطفت من معروفيها فتزود

سلى بلا خشية ولا رهب ولا تخف انى أما الله
واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص وإنما يحصل عليها الاديب من مطالعة كتب اللفاء
وامثال الفكرة الطويلة والتبصر فى الموضوع الذى يقصد وصفه ليستخرج منه المعاني اللائقة
به وإنما يلجئ الى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال
التكلم ومقام المخاط ومواقع الكلام (١) كقوله

ليس الجلال بأثواب تزينا ان الجلال جمال العلم والادب
ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب
(٢) كقول بعضهم: أقسم لأعود أقوم أخطب فيكم

ورابعاً الطبعية بأن يخلو الكلام من التكلف والتصنع كما قال فى رثاء
ابنهِ أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ

بكيتك يا بُنى بدمع عيني فلم يُغن البكاء عليك شيئاً
وكانت فى حياتك لى عظام وأنت اليوم أوعظ منك حياً

وذلك لأن من تطبع بغير طبعه نزعتُه العادة حتى تردّه الى طبعه كما أن الماء
إذا أسخنته وتركته عاد الى طبعه من البرودة . وحينئذٍ الطبع أملك
وخامساً السهولة بأن يخلص الكلام من التعسف فى السبك وأن يختار ما لان
منها كما قال فى الاشواق بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ

شوقى اليك شديداً كما علمت وأزيد
فكيف تنكر حياً به ضميرك يشهد

وأن تهذب الجمل وأن يأتلف اللفظ مع اللفظ مع مراعاة النظير كما قال
الشاعر فى الوداع

فى كنفِ الله طاعينٌ ظعنا أودع قلبى وداعه حزناً
لا أبصرتُ مُقلتي محاسنة إن كنتُ أبصرتُ بعده حسناً

قال بعض البلغاء أحذركم من التعيير والتعمق فى القول وعليكم بحاسن
الآ لفاظ والمعانى المستخفة المستملحة فإن المعنى المليح إذا كُسى لفظاً حسناً وأعاره
البليغ مخرجاً سهلاً كان فى قلب السامع أعلى ولصدره أملاً قال البُستي

إذا انتقاد الكلام فقدّه عفواً الى ما تشتهيهِ من المعانى
ولا تُكرهه بيأسك إن تأبى فلا اكراه فى دين البيان

وسادساً الاتساق بأن تناسب المعانى كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ :

وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرٌ^(١)
وَأُسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ إِقَائِهِ فَلَمَّا التَقِينَا صَغَرَ الْخَبَرَ الْخَبِيرُ
وسابعاً الجزالة وهي إبرازُ المعاني الشريفة في معارض من الألفاظ
الأنيفة^(٢) اللطيفة كقول الصَّابِي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

لَكَ فِي الْحَافِلِ مَنْطِقٌ يَشْفِي الْجَوَى^(٣) وَيَسُوحُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سَلَافَهُ^(٤)
فَكَانَ لَفْظَكَ لَوْ لَوْ مُتَّخِلٌ^(٥) وَكَأَنَّمَا آذَانَا أَصْدَافُهُ
وأما غيوبه فسبعة: الهجنة بأن يكون اللفظ سخيلاً والمعنى مستقبيحاً كقوله

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهُ بَصَلاً غَلَبَ الْمَسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
والوحشية كون الكلام غليظاً تمجُّه الأسماع وتنفّرُ منه الطُّبَاعُ كقوله
وَمَا أَرْضَى لُفْلَتَهُ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوْهَمُهُ أَبْشَاكَ^(٦)

وَالرَّكَاءُ ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبّي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ
إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنْتَ فَبَرْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ
والسهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبّي يُشَبِّهُهُ مَمْدُوحُهُ
بِاللَّهِ تَعَالَى (وهو كفر)

تتقاصر الألفهام عن إدراكه مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ مِنْهُ وَالْذُّنَى^(٧)
وَالْأَسْهَابُ الْإِطَالَةُ الزَّائِدَةُ الْمُيْلَةُ فِي شَرْحِ الْمَادَّةِ وَالْعُدُولُ إِلَى الْحَشْوِ كقوله
أَعْنَى فَتِي لَمْ تَذَرُ الشَّمْسَ طَالَعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعًا

(١) خبر زلت يسارني والركب جماعة الركاب أي مارلت اسمع ذكره في كل ركب
صحبته حتى قادني الشوق الى زيارته والمتني يمدح علياً الاطاعي ومعنى البيت الثاني اني ما زلت
استعظم ما يذكر لي من أخباره حتى لقيته فصغرت عدي تلك الاخبار بالسبب اليه لاني
وجدته اعظم مما وصنوا (٢) المعجبة (٣) الخرقه (٤) الحمرة (٥) مصطفي ومختار (٦) يقول
— وان حدثه حلم في نومه عن شكرى له فلا أرضى به لعله يتوهمه كذبا . (٧) الدنيا

خيالك لكل جزء عدة صور^(١) تتفاوت في تأديته كتفاوت صور المنظوم في الحسن والقبح، فبعضها يستميل النفوس بتأثيره في الحواس، وبعضها يوجب نفورها، وبعضها يبين، وإذا تشخصت الصور في الخيال يتخير العقل منها ماله المسكنة الرفيعة في حسن تأدية الغرض المناسب للمقام، فان كان المقام للتحريض على القتال مثلاً أنتخب الصورة المهيبة للإحساس، المشجعة للنفس على اقتحام الأخطار وإن كان المقام مقام فرح وسرور أنتخب ما يشرح الصدور، وتقر به العيون، وتروق به الأرواح، ويذهب عنها الحزن والأتراح^(٢).

وبعد تشخص الصور وتخيّر المناسب منها تعتن - أيها المُنشئ - بحسن تأليف وترتيب ما تخيرته: بأن تجمع الصور المناسبة التي يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف، بحيث يكون المجموع منسجماً يَمْضِي وحده مع النفس دون علاج وتعب في فهم الغرض منه، وحينئذ يمكنك إظهار هذه الصورة المعقولة في صورة محسوسة بواسطة القلم.

(١) إما إذا تساوت في حسن تأدية الغرض اخذ احداها فقط ولا يحسن جمعها (٢) الاحزان « تنبيه » براعي حال المخاطب ومزله فان ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي، وما يناسب ذا الجدل لا يناسب الهزلي، وما يصلح للرئيس لا يصلح للمراءوس، فغاطب كلا على قدر أهيته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت، وغاير الكلمة بمعايرها اذا سحنت، فكما احلوا لي الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كانت أسهل ولو جاء في الاسماع واشتد اتصالا بالقلوب وخف على الافواه، ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤثق شريف ومعبراً بكلام عذب بدون تكليف ولا تعقيد، فالمعنى الخفي أشبه بالروح الخفي واللفظ الظاهر أشبه بالجنان الظاهر، والالتضاء المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء في الاطمار الرثة

(أركان الكتابة)

إِعلم أنَّ للكتابة أركاناً لا بُدَّ من إيداعها في كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذى شأنٍ ، أولها أن يكون مطلعُ الكتاب عليه جِدَّةً^(١) وَرِشاقَةً فَإِنَّ الكاتبَ مَنْ أجاد المطلعَ والمقطعَ . أو يكون مبنياً على مقصدِ الكتاب . الثاني أن يكون خروجُ الكاتبِ من معنى إلى معنى برابطة لتكون رقابُ المعاني آخذةً بعضها ببعضٍ ولا تكون مُقتضبةً . الثالث أن تكون ألفاظُ الكتاب غيرَ مُخلوطةٍ بكثرةِ الاستعمال . ولا أريدُ بذلك أن تكون ألفاظاً غريبةً فَإِنَّ ذلك عيبٌ فاحشٌ بل أريدُ أن تكون الألفاظُ المُستعملةُ مسبوكةً سبباً غريباً يظنُّ السامعُ أنها غيرُ ما في أيدي الناس وهي بما في أيدي الناس . وهناك مُعتركُ الفصاحة التي تظهرُ فيه الخواطرُ براعتها والآقلامُ شجاعتها . وهذا الموضعُ بعيدُ المنالِ كثيرُ الاشكالِ يحتاج إلى لطفِ ذوقٍ وشهامةِ خاطرٍ وليس كلُّ خاطرٍ يراق إلى هذه الدرجة (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ومع هذا فلا تظنَّ - أيُّها الناظرُ في كتابي - أني أردتُ بهذا القولَ إهمالَ جانبِ المعاني بحيثُ يُؤتَى باللفظِ الموصوفِ بصفاتِ الحُسْنِ وَالْمَلَاحةِ ، ولا يكونُ تحتَهُ من المعنى ما يماثله ويُساويه ، فانه إذا كان كذلك كان كصورةٍ حسنةٍ بديعةٍ في حسنِها إلا أنَّ صاحبها بليدٌ أبلهٌ . والمرادُ أن تكون هذه الألفاظُ المشار إليها جسماً لمعنى شريفٍ . على أنَّ تحصيلَ المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرتُ إليه أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المشارِ إليها . ولقد رأيتُ كثيراً من

(١) صار حديداً متكرراً وهو يقيس الخلق الدائم

الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق، ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين. فالعبارة عن المعاني هي التي بها تخلص العقول. وعلى هذا فالساسة كلهم مشتركون في استخراج المعاني، فانه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة.

واستخراج المعاني إنما هو بالذكاء لا بتعلم العلم.

فاذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيَتْ بها في كل كتاب بلاغي ذي شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم، ووجب لك أن تسمي نفسك كاتباً.

(عن «المثل السائر» باختصار)

(كيفية نظم الكلام)

إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيه ببالك. وتنق له كرائم اللفظ واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك طلبها. وأعمله ما دمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور وتخونك الملal فأمسك: فإن الكثير مع الملal قليل. والنفيس مع الضجر خسيس. والخواطر كالينابيع يسقي منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الرى، وتال أربك من المنفعة، فاذا أكرت عليها غضب ماؤها، وقل عنك عناؤها. واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاودة. وإياك والتوغر، فإن التوغر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي

يَسْتَمِلكُ معانيكُ ويشينُ ألفاظكُ .

ومنْ ° أرَادَ معنىً كريماً فليلتَمِسْ له لفظاً كريماً ، فإنَّ مِنْ حقِّ المعنى الشريفِ اللفظَ الشريفَ .

فاذا لم تجِدِ اللفظةَ واقعةً مَوْقعها صائِرةً إلى مستقرِّها حالَّةً في مركزِها متصلةً بسلكها ، بل وجدتها قلقةً في مَوْضعها نافرةً عَنْ مكانها فلا تُكرِّهها على اغتصابِ الأَماكنِ والنُّزولِ في غيرِ أوطانها ، فإنَّكَ إنْ لم تَتمَاطَ قَرِيضَ السَّعْرِ المنظومِ ولم تَتَكَلَّفِ اختيَارَ الكلامِ المنثورِ ، لم يَعبُكَ يَدُكُ أَحدٌ .

وإنْ تَكَلَّفْتَهُ ولم تكنْ حاذقاً مطبوعاً ولا مُحْكَمًا لسانك بصيراً ، عابَكَ منْ أنتَ أَقلُّ عيباً منه ، وزرَى (١) عليك منْ هو دونك .

فإنْ لم تَسمحْ لك الطَّبِيعَةُ بِنَظمِ الكلامِ في أوَّلِ وَهلةٍ ، وَتَعصَّيْ عليك بعد إجمالة الفكرة ، فلا تعجلْ ، ودعْه سَحابَةُ يَوْمِكَ ولا تَضْجِرْ ، وامهلْهُ سَوَادَ لَيْسَتِكَ وعَاودَهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ ، فإنَّكَ لا تَعدَمُ الإِجابةَ والمُؤَاتاةَ . فإنْ تَمَنَعَ عليك بعد ذلك - مع تَروِيحِ الخاطرِ وطولِ الإمهالِ - فتَحوَّلْ منْ حَذه الصَّنَاعَةِ إلى أَشْغَى الصَّنَاعَاتِ اليكْ وأخفِّها عليكْ : فإنَّكَ لم تشبِها إلاَّ وَبَيْنَكُمَا نَسَبٌ .

والشَّيْءُ لا يَجنُّ إلاَّ إلى ما شاكاهُ .

ويَنبغي أنْ تَعرِفَ أَقدَارَ المعاني ، فَتُوزَنَ بَيْنَها وَبَيْنَ أوزَانِ المُستَمِعينَ وَبَيْنَ أَقدَارِ الحَالَاتِ ، فَتَجْعَلَ لِكُلِّ طَبِقةٍ كَلاماً ، ولكلِّ حالٍ مقاماً ، حتَّى تَقسِمَ أَقدَارَ المعاني على أَقدَارِ المُستَمِعينَ ، وَأَقْدَارَ المُستَمِعينَ على أَقدَارِ الحَالَاتِ .

(من « كتاب الصناعتين » باختصار)

(الطريق الى تعلم الكتابة)

إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى تَعَلُّمِ الْكِتَابَةِ عَلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ :
 الْأُولَى : أَنْ يَتَصَفَّحَ الْكَاتِبُ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَيَطَّلِعَ عَلَى أَوْضَاعِهِمْ فِي
 اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ، ثُمَّ يَحْذَوْ حَذْوَهُمْ : وَهَذِهِ أَدْنَى الطَّبَقَاتِ عِنْدِي .
 وَالثَّانِيَةُ : أَنْ يَمْزِجَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَجِيدُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةِ حَسَنَةِ :
 إِمَّا فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ ، أَوْ فِي تَحْسِينِ مَعَانٍ : وَهَذِهِ هِيَ الطَّبَقَةُ الْوُسْطَى ، وَهِيَ أَعْلَى
 مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا .

وَالثَّالِثَةُ : أَنْ لَا يَتَصَفَّحَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، بَلْ يَصْرِفَ
 هَمَّهُ إِلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَائِنِ فُجُولِ الشُّعْرَاءِ مِمَّنْ غَلَبَ
 عَلَى شُعْرِهِ الْإِجَادَةُ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْاِقْتِبَاسِ فَيَقُومُ وَيَقَعُ
 وَيُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَيُضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَفْتَتِحُهَا لِنَفْسِهِ .
 وَأَخْلَقَ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مَبْتَدَعَةً غَرِيبَةً لَا شَرَكَةَ لَهَا مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ
 فِيهَا . وَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ الْاجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يُعَدُّ إِمَامًا فِي فَنِّ الْكِتَابَةِ ،
 إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَوْعِرَةٌ جَدًّا ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ لِسَانًا هَجَامًا وَخَاطِرًا
 رَقَامًا . وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبَطًا فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ
 مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالشُّعْرِ ، بَلْ يَنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ أُرِيدُ
 أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ وَأَكْثَرَ مِنْ حِفْظِ الْأَشْعَارِ ثُمَّ نَقَبَ عَنْ ذَلِكَ تَنْقِيبًا مُطَّلِعًا
 عَلَى مَعَانِيهِ مَفْتَشًّا عَنْ دِفَائِنِهِ وَقَلْبُهُ ظَهَرًا لِبَطْنِ عَرَفٍ حِينَئِذٍ مِنْ أَيْنَ تَوَّكَّلَ
 الْكَاتِبُ فِيمَا يَنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ ، وَاسْتَعَانَ بِالْمَحْفُوظِ عَلَى الْغَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ .

(عَنْ « الْمَثَلِ السَّائِرِ » بِاخْتِصَارٍ)

(كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه)

تهذيبُ الكلام: عبارةٌ عن تردِّدِ النظرِ فيه بعد عمله - نظماً كان أو نثراً -
وتغيير ما يجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه، وإصلاح ما يتعين إصلاحه،
وتحريك ما يدقُّ من معانيه، وإطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه،
لتشرق شمسُ التهذيب في سماء بلاغته، وترشَّف الأسماعُ على الطرب رقيق
سلافته. فإن الكلام إذا كان مَوْصُوفًا بالمهذب، منعوتًا بالمنقح، علت رُبَّتُهُ
وان كانت معانيه غير مبتكرة. وكلُّ كلام قيل فيه: لو كان موضع هذه
الكلمة غيرُها، ولو تقدَّم هذا المتأخِّرُ وتأخَّر هذا المتقدِّمُ، أو لو تمَّ هذا النقص
بكذا، أو لو تكمَّل هذا الوصفُ بكذا، أو لو حذفت هذه اللفظة، أو لو اتَّضح
هذا المقصدُ وسهل هذا المطلبُ لكان الكلامُ أحسن والمعنى أبين - كان ذلك
الكلامُ غير منتظمٍ في نوع التهذيب.

وكان زهير بن أبي سلمى معروفًا بالتنقيح والتهذيب، وله قصائدُ تعرفُ
بالحواليات - قيل: إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها وينقحها في
أربعة أشهر، ويعرضها على علماء قبيلته أربعة أشهر. ولهذا كان الإمامُ عمرُ بن
الخطاب - مع جلالة في العلم، وتقدمه في النقد - قدَّمه على سائر الفحول من طبقته.

وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيب بقوله

خذها ابنةَ الفكرِ المهذبِ في الدجي والليلُ أسودُ رقةِ الجلباب
فإنه خصَّ تهذيب الفكرِ بالدُّجى لكون الليلِ تهادياً فيه الأصواتُ وتسكنُ
الحركاتُ، فيكونُ الفكرُ فيه مجتمعاً ومِرآةَ التهذيبِ فيه صقيلةٌ لخلوِ خاطرِ
وصفاءِ القرينة لا سيما وسط الليلِ

قال أبو عبادة البَحْتَرِيُّ : كنتُ في حدائِتي أروى الشعرَ، وَكُنتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبِيعِ سَلِيمٍ، وَلَمْ أَكُنْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى تَسْيِيلِ مَأْخِذٍ وَوُجُوهِِ اقْتِضَابٍ، حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَامٍ وَانْقَطَعْتُ إِلَيْهِ وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ . فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عَبَادَةَ : تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهُمُومِ ، صَفَرٌ مِنَ الْغُمُومِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ فِي الْأَوْقَاتِ إِذَا قَصَدَ الْإِنْسَانُ تَأْلِيفَ شَيْءٍ أَوْ حِفْظَهُ أَنْ يَخْتَارَ وَقْتَ السَّحْرِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حِظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ وَخَفَّ عَلَيْهَا ثِقَلُ الْغَدَاءِ . وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنَ الْمَعَانِي ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شَعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الْوَحْشِيَّةِ ، وَنَاسِبٌ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ ، وَكَنْ كَأَنَّكَ خِيَاطٌ مُتَدَرِّبٌ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَأَرْخِ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ ، وَلَا تَنْظِمْ إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نَعْمَ الْمَعِينُ عَلَى حُسْنِ النَّظْمِ . وَجُمْلَةُ الْحَالِ : أَنَّ تَعْتَبَرَ شَعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَشْعَارِ الْمَاضِينَ . فَمَا اسْتَخَسَّنَ الْعُلَمَاءُ فَاقْصِدْهُ ، وَمَا اسْتَقْبَحُوهُ فَاجْتَنِبْهُ .

(عن «خزانة الادب - وزهر الآداب» باختصار)

(محاسن الانشاء ومعانيه)

إِنَّ لِلنَّشْرِ مُحَاسِنَ وَمَعَايِبَ ، يَجِبُ عَلَى الْمُنْشِئِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا ، مُحْتَرِزاً مِنْ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ وَمَا يَحُلُّ فِيهِمْ الْمَرَادِ وَيُوجِبُ صُعُوبَتَهُ - وَلَا يَدَّ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ الْأَلْفَاظَ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي دُونَ الْعَكْسِ . لِأَنَّ الْمَعَانِيَ إِذَا تَرَكِبَتْ عَلَى سَجِيَّتِهَا طَلَبَتْ لَا نَفْسَهَا أَلْفَاظاً تَلِيقُ بِهَا فَيَحْسَنُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعاً . وَأَمَّا جَعْلُ الْأَلْفَاظِ مُتَكَلِّفَةً وَالْمَعَانِيَ تَابِعَةً لَهَا : فَهُوَ شَأْنٌ مِنْ لَهُمْ شَغَفٌ بِإِيرَادِ شَيْءٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ

فيصرفون العناية اليها، ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لافادة المعني، فلا يُبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعني .
ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الانشاء أن يكتب ما يراد لا ما يُريد، كما قيل
في الصَّاحِبِ والصَّابِي : ان الصَّابِيَّ يكتب ما يراد ، والصَّاحِبَ يكتب ما يريد .
(عن « آداب المنشيء » ببعض تصرف)

(فصاحة الالفاظ ومطابقتها للمعاني)

فصاحةُ الالفاظ تكون بثلاثة أوجه :
الأوّل : مجازبةُ الغريب الوحشيّ حتى لا يمجّه سَمْعٌ ، ولا ينفّر منه طَبْعٌ .
والثاني : تنكبُ اللَّفْظِ المبتذل ، والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصي ، ولا ينبو عنه فهمُ عامي ، كما قال الجاحظ في كتاب البيان : أَمَا أَنَا فَمَ أَرَأَيْتَ قَوْمًا أَمْثَلَ طَرِيقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكِتَابِ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّمَسُوا مِنْ الْإِلْفَافِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا وَحَشِيًّا ، وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا .
والثالثُ : أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْإِلْفَافِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ .
أَمَّا الْمُطَابَقَةُ : فَيَبْيُنُ أَنْ تَكُونَ الْإِلْفَافُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصُ عَنْهَا .

وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ : فَيَبْيُنُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ الْإِلْفَافِ - إِمَّا لِعُرْفِ مُسْتَعْمِلٍ ، أَوْ لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسِنٍ - حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ تِلْكَ الْإِلْفَافِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لَاعْتِيَادٍ مَا سِوَاهَا .

(عن « أدب الدين والدنيا » باختصار)

(حقيقة الفصاحة)

إِعلم أنَّ هذا موضوع متعذرٌ على الواجِّ ، ومسلَكٌ متوعرٌ على النَّاهِجِ . ولم يَلِ العلماءُ من قديمِ الوقتِ وحديثه يكثرُونَ القولَ فيه . والبَحثُ عنه : ولم يُجدْ من ذلك ما يعوَّلُ عليه إلا القليلُ . وغايةُ ما يقالُ في هذا البابِ : إنَّ نصيحةَ هي الظهورُ والبيانُ في أصلِ الوضعِ اللغويِّ - يقالُ : أفصح الصَّبحُ إذا لَهَرَ . ثمَّ أنهم يَقِفُونَ عند ذلك ولا يَكشِفُونَ عن السِّرِّ فيه . وبهذا القولُ ' تَبَيَّنَ حَقِيقَةُ الفصاحَةِ ، لأنَّه يُعْتَرَضُ عليه بِوُجُوهِ من الِاِعتِراضاتِ .

أحدها : إذا لم يكن اللفظُ ظاهراً بيِّناً لم يكن فصيحاً ثمَّ إذا ظَهَرَ وتَبَيَّنَ صارَ فصيحاً . الوجهُ الثاني : أنه إذا كان اللفظُ الفصيحُ هو الظاهرُ البيِّنُ فقد صارَ ذلك لِنَسَبِ والِإِضافاتِ إلى الأشخاصِ . فإنَّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ولا يكونُ ظاهراً لعمرو . فهو إذاً فصيحٌ عند هذا - وغيرُ فصيحٍ عند ذاك . وليس كذلك ، بل الفصيحُ هو فصيحٌ عند الجميع لا خِلافَ فيه بحالٍ من الأحوالِ ، لأنه إذا تَحَقَّقَ حدُّ الفصاحَةِ وعُرف ما هي ، لم يَبْقَ في اللفظِ الذي يَخْتَصُّ به خِلافٌ .

الوجهُ الثالثُ : أنه إذا جِئَ بلفظٍ قَبِيحٍ يَنْبِؤُ عنه السَّمْعُ وهو مع ذلك ظاهراً من يَنْبَغِي أن يكونَ فصيحاً . وليس كذلك لأنَّ الفصاحَةَ وصفٌ حَسَنٌ لِلْفِظِ وصفٌ قَبِيحٌ .

ولما وَقَفْتُ على أقوالِ النَّاسِ في هذا البابِ مَلِكْتَنِي الحَيْرَةُ فيها ، ولم يَثْبُتْ بِي مِنْهَا ما أُعَوِّلُ عليه . وَلَكثَرَةُ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي آيَاهُ ، كَشَفَ لِي السِّرُّ فِيهِ - وسأوضِّحُه في كِتَابِي هَذَا وأُحَقِّقُ القولَ فيه فَأَقُولُ :

إِنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ . وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ : أَنْ تَكُونَ
الْأَفَاقَةُ مَفْهُومَةً لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا إِلَى اسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ .
وَأَمَّا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةً لِاسْتِعْمَالِ بَيْنِ أَرْبَابِ النَّظْمِ
وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ . وَأَمَّا كَانَتْ مَأْلُوفَةً لِاسْتِعْمَالِ دَائِرَةٍ فِي الْكَلَامِ
دُونَ غَيْرِهَا مِنْ الْأَفَاقِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ غَرَبُوا
اللُّغَةَ بِاعْتِبَارِ أَفَاقِهَا ، وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا فَاخْتَارُوا الْحَسْنَ مِنَ الْأَفَاقِ حَتَّى
اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ ، فَحَسَنُ الْاسْتِعْمَالِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا
دُونَ غَيْرِهَا ، وَاسْتِعْمَالُهَا دُونَ غَيْرِهَا - سَبَبٌ ظُهُورُهَا وَبَيَانُهَا . فَالْفَصِيحُ إِذَا مِنْ
الْأَفَاقِ هُوَ الْحَسَنُ .

فَإِنْ قِيلَ : مَنْ أَىَّ وَجْهٍ عَلِمَ أَرْبَابُ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الْحَسْنَ مِنَ الْأَفَاقِ حَتَّى
اسْتَعْمَلُوهُ ، وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى نَفَوْهُ ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ ؟ قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا
مِنْ الْأُمُورِ الْحَسُوسَةِ الَّتِي شَاهَدُهَا مِنْ نَفْسِهَا . لِأَنَّ الْأَفَاقَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ
الْأَصَوَاتِ . فَالَّذِي يَسْتَلْذِهُ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ . وَالَّذِي يَكْرَهُهُ
وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلْذِهُ صَوْتُ الْبُلْبُلِ مِنَ الطَّيْرِ
وَصَوْتُ الشَّجَرِ وَيَمِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُهُ صَوْتُ الْغَرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ . وَكَذَلِكَ
يَكْرَهُ نَهيقَ الْحَمَارِ ، وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ . . وَالْأَفَاقُ جَارِيَةٌ هَذَا
الْمَجْرِي ، فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمَزْنَةِ وَالْدَّيْمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلْذِهَا السَّمْعُ ،
وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ . وَهَذِهِ الْأَفَاقَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ
الْمَطَرِ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَبْرَى لَفْظَتِي الْمَزْنَةِ وَالْدَّيْمَةِ

وما جرى مجراها مألوفى الاستعمال - وترى لفظَ البعاق وما جرى مجراه متروكاً لا يُستعملُ، وإن استعمل فأنما يستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة، أو من ذوقه غيرُ ذوقٍ سليمٍ.

ولا جرم أنه ذمٌ وقُدح فيه ولم يُلفت إليه وإن كان عريباً محضاً من الجاهلية الأقدمين. فإن حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرج على ما خرج عنها

(عن «ابن الاثير» باختصار)

(الانسجامُ)

الانسجامُ لغةٌ: جريانُ الماءِ، وعند أهل البلاغة: هو أن يأتي الناظمُ أو النائر بكلامٍ خالٍ من التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي بسيطاً مفهوماً دقيقاً الألفاظ جليلاً المعنى، لا تكلف فيه ولا تعسف، يتحدرُ كتحدُّرِ الماءِ المنسجمِ، فيكادُ لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه، أن يسيل رقةً.

ولا يكونُ ذلك إلا في من هو مطبوعٌ على سلامة الذوق، وتوقدِ الفكرة وبراعةِ الانشاء وحسن الاساليب.

وإن فحول هذا الميدانِ ما أثقلوا كاهلَ سهولتهِ بنوعٍ من أنواعِ البديعِ، اللهم إلا أن يأتي عفواً من غير قصد.

وعلى هذا أجمع علماء البديع في حدِّ هذا النوع، فأنهم قرَّروا أن يكون بعيداً من التصنع، خالياً من الأنواع البديعية إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصدٍ، فإن كان الانسجامُ في النثر تكون أغلب فقراته موزونةً من غير قصدٍ، وإن كان في النظم فتكادُ الآياتُ أن تسيل رقةً وعذوبة ورُبما دخلت في المطرب المرقص.

(عن «بديعة العيان وبديعة الحموى»)

(حل الشعر)

حلُّ الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول منها وهو أدناها مرتبة أن يأخذ الناثر بيتاً من الشعر فيشره بلفظه من غير زيادة، وهذا عيب فاحش. ومثاله كمن أخذ عقداً قد اتقن نظمها وحسن تأليفه فأوحاه وبدده، وكان يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقداً إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه. وأيضاً فانه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرفة، فيقال هذا شعر فلان بعينه : لكون اللفاظ باقية لم يتغير منها شيء . وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مستهجنًا، كقوله في بعض أبيات الحماسة :

وَأَلَدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَى كَأَنَّمَا تَعْلَى عداوة صدره في مرجل

أزجيتُه عني فأبصر قصده وكويتُه فوق النواظر من عل

فقال في نثر هذين البيتين : فكم لقي ألد ذا حنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل، وتعلّى عداوة صدره في مرجل، فكواه فوق ناظره وأكبّه لفمه ويديه . فلم يزد هذا الناثر على أن أزال روثق الوزن وطلاوة النظم لا غير .

ومن هذا القسم ضربٌ محمودٌ لا عيب فيه : وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه فحينئذٍ يعذر ناثره إذا أتى بذلك اللفظ، وكذلك الأمثال السائرة فانه لا بد من ذكرها على ما جاءت في الشعر .

وأما القسم الثاني - وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه، ويعبر عن البعض بألفاظ أخرى - وهناك تظهر

الصنعة في المماثلة والمشابهة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة .
فإنه إذا أخذ لفظاً لشاعرٍ مجيدٍ ، قد نقحه وصحّحه فقرنه بما لا يلائمه ، كان
كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة . ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح
والاستهداف للطعن . والطريقُ المسلكُ إلى هذا القسم : أن تأخذ بعض بيت
من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله :

وسأوردُ هنا مثلاً واحداً ليكون قدوةً للمتعلم - فأقول : قد وردَ هذا
البيت من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له :

حذاء تملأ كلُّ أذنٍ حكمةً ، وبلاغةً وتدرُّ كلُّ وريد

فقله (تملأ كلُّ أذنٍ حكمةً) من الكلام الحسن ، وهو أحسن ما في
البيت . فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه ، لأنّه
الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة . فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله .

وهذا عسرٌ جدّاً ، وهو عندي أصعبُ مثلاً من نثر الشعر بغير لفظه ، لأنّه مسلكٌ
نيقٌ لما فيه من التعرُّض للمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة . وأما نثر
شعرٍ بغير لفظه فذلك يتصرف فيه نثره على حسب ما يراه ، ولا يكون
قيّداً فيه بمثال يضطرُّ إلى مؤاخاته ، وقد نثرت هذه الكلمات المشار إليها
أتيت بها في جملة كتاب فقلت : وكلامي قد عُرف بين الناس واشتهر
فاق مسير الشمس والقمر . وإذا عُرف الكلام صارت المعرفة له علامةً
أمن من سرقة ، إذ لو سُرِق لدلت عليه الوسامة - ومن خصائص صفاته أن
بلا كلُّ أذنٍ حكمةً ، ويجعل فصاحة كلِّ لسانٍ عجمةً . وإذا جرت نفثاته في
لافيهام ، قالت : أهدى بنت فكرة ، أم بنت كرامة ؟

فانظر كيف فعلت في هذا الموضع ، فاني لما أخذت تلك الكلمات من البيت
السعري التزمت بأن أوأخيها بما هو مثلها أو أحسن منها ، فجئت بهذا
الفصل كما تراه . وكذلك ينبغي أن يفعل في ما هذا سبيله .

وأما القسم الثالث - وهو أعلى من القسمين الأولين - فهو أن يأخذ المعني
فيصاغ بالفاظ غير ألفاظه . وثم يتبين حذق الصانع في صياغته ويعلم مقدار
تصرفه في صناعته ، فإن استطاع الزيادة على المعني فذلك الدرجة العالية والأ
أحسن التصرف وأتم التأليف ليكون أولى بذلك المعني من صاحبه الأول .
واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لنثره فيورده بضروب من
العبارات ، وذلك عندى شبيه بالمسائل السئلة في الحساب التي يجاب عنها
بعدة من الاجوبة . ومن الأبيات ما يضيق فيه المجال حتي يكاد الماهر في
هذه الصناعة أن لا يخرج من ذلك اللفظ ، وإنما يكون هذا لعدم النظر
فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول أبي الطيب المتنبي :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتي يكون حشاك في أحشائه

وقد نثرت هذا المعني ، فمن ذلك قولي : لا تعذل المحب في ما يهواه حتي
تطوي القلب على ما طواه : ومن ذلك وجه آخر ، وهو : إذا اختلفت العينا
في النظر فالعدل ضرب من المذر . وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر علي
النثر تبديل ألفاظه - كقول أبي تمام :

تردّي ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر
قصداً أبو تمام : المؤاخاة في ذكر لوئي الثياب من الأحمر والأخضر
وجاء ذلك واقعاً على المعني الذي أراد من لون ثياب القتلى وثياب الج

هذا البيتُ لا يمكنُ تبديلُ ألفاظه - وهو وأمثاله مما يجبُ على النَّاسِ أنْ يحسنَ لصنعة في فكِّ نظامه لأنَّهُ يتصدَّى لنثره بألفاظه . فان كان عنده قوَّة صرفٍ ، وبسطة عبارة ، فانهُ يأتي به حسناً رائقاً .

وقد قلتُ في نثره : لم تكسهُ المنايا نسجَ شَفَارِها حتَّى كسَّتهُ الجنةُ نسج عارها ، فبدلُ أحرُّ ثوبه بأخضره ، وكأْسِ حمائه بكأْسِ كوثره .

وإذا انتهى بنا الكلامُ إلى ههنا في التنبيه على نثر الشعر وكيفية نثره ذكر ما يسهلُ منه وما يعسرُ ، فلنَتَّبِعْ ذلك بقولٍ كليٍّ في هذا الباب فنقول :

من أحبَّ أن يكون كاتباً أو كان عنده طبعٌ مجيَّبٌ ، فعليه بحفظ الدواوين وات العدد ، ولا يقنعُ بالقليل من ذلك . ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته .

وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيداً من القصائد فينثره بيتاً بيتاً على التوالي .

ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعرَ بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع

! ذلك .

وإذا مرت نفسه وتدرَّبَ خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى يكسوه عبارة من عنده ، ثم يرتفعُ عن ذلك فيكسوه ضرباً من العبارات المختلفة .

حينئذ يحصل لخاطره مباشرة المعاني لقاحٌ فيستنتجُ منها معاني غير تلك المعاني

وسبيله : أن يكثرَ الإدمان ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدةً طويلة حتَّى يصير ملكةً ، فإذا كتب كتاباً أو خطب خطبةً تدفقت المعاني في أثناء كلامه وجاءت مفاظه معسولةً وكان عليها جدةً حتَّى تكاد ترقصُ رقصاً — وهذا شيء خبرته لتجربة ، ولا ينبئك مثل خبير .

(عن «المثل السائر» باختصار)

(التخلص والاقتراب في مواضيع الانشاء)

التخلص: هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معني من المعاني، فبينما هوفيه إذ أخذ في معني آخر غيره، وجعل الاول سبباً إليه، فيكون بعضه أخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعا للوزن والقافية فلا تؤاياه الا لياظ على حسب إرادته . وأما الناثر فانه مطلق العنان يمضي حيث شاء - فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر . ومما جاء من التخلصات الحسنة قول المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ :

خَلِمَ لِي إِنِّي لَا أَرِي غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوِي وَمَنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِن السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض، ألا تري إلى الخروج إلى مدح الممدوح في هذه الايات كأنه أفرغ في قالب واحد .
والاقتراب: أن يقطع الشاعر كلامه الذي هوفيه، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالاول : كقول أبي نواس - المتوفى سنة ١٩٨ هـ - في قصيدته الثونية التي لم يكمل حسننها بالتخلص من الغزل إلى المديح، بل اقترابه اقتراباً، فبينما هو يصف الحر ويقول :

فَاسْتَفَنِي كَأَسَا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتُ مَسْمُوءَهُ أَذْنِي
مِنْ كَمِيَّتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرَ مَا سَلَسَلَتْ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فؤَادِي فَدَرِي مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

(حتى قال)

تَضَحُّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَتَارِ وَالسُّنَنِ
 سَنَ لِلَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ
 وَإِذَا لَمْ يَحْسُنِ التَّخْلُصُ: بَأَن كَانَ قَبِيحًا مَسْوَحًا فَلَا قِتْضَابُ أُولَى مِنْهُ
 فَيَنْبَغِي لِسَالِكِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ .
 نَأْتَاهُ التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي ، وَالْأَفْلِيدَةُ وَلَا يَسْتَكْرِهُهُ ، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا
 وَاعْلَمْ أَنَّ التَّخْلُصَ عَيْرٌ مُمَكِّنٌ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، وَهُوَ مِنْ مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ
 تَدَبَّرِ السَّاعِرَ

(عَنِ « الْمَثَلِ السَّائِرِ » بِتَصْرِفٍ)

(كَيْفِيَّةُ افْتِتَاحِ مَوَاضِيْعِ الْاِنْشَاءِ وَخِتَامِهَا)

الافتتاحُ أَنْ تَجْعَلَ مَطْلِعَ الْكَلَامِ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ الرَّسَائِلِ ذَا عُلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ
 ذَلِكَ الْكَلَامُ : إِنْ كَانَ فَتِيحًا فَفَتِيحًا ، وَإِنْ كَانَ هُنَاءً فَهِنَاءً ، أَوْ كَانَ عَزَاءً فَعَزَاءً
 كَذَا . وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدِئِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ مِنْهُ ، فَإِذَا نَظَّمَ السَّاعِرُ
 بَدَأَ . فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صَرَفًا لَا يَخْتَصُّ بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ ، فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ
 تَحِيَهَا بِغَزَلٍ ، وَبَيْنَ أَنْ يَرْتَجِلَ الْمَدِيحَ أَرْتَجَالًا مِنْ أَوْلَاهَا . كَقَوْلِ الْقَائِلِ :
 نَ حَارَتِ الْأَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ فِي ذَا الْمَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
 نَامِجٌ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا أَهْمُ أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 نَ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنُ فَأَمَّا أَحْسَنُونَ إِذْنُ لَدَيْكَ قَلِيلُ
 وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ كَفَتْحِ مُقْبَلٍ ، أَوْ هَزِيمَةِ جَيْشٍ
 (٣ - جَوَاهِر - أَوَّلُ)

أو غير ذلك: فانه لا ينبغي أن يُبدَأ فيه بغزل، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يُتَظَرُّ منه، أو يُستَقبَحُ، لا سيما إذا كان في التهاني، فانه يكون أشدَّ قُبْحاً. وإنما يُستعمل في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة، ومتى كان الكلام في المديح مُفْتَتِحاً بشيء من ذلك، تَظَرُّ منه سامعه وإنما حُصَّتْ الاِبتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرُق السَّمْع من الكلام. فإذا كان الابتداء لا تَقاً بالمعنى الوارد بعده، تَوَفَّرَت الدَّواعي على استعماله. والختام: أن يكون الكلام مُؤَذَّناً بتمامه، بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى، فلا ينتظر السامع شيئاً بعده. فعلى الشاعر والنثر أن يتأنقاً فيه غاية التأنق، ويُجوداً فيه ما استطاعا لانه آخر ما ينتهي الى السَّمْع، ويتردَّد صداه في الأذن، ويعلق بحواشي الذِّكْر. فهو كَمَقْطَع الشَّراب، يكون آخر ما يمرُّ بالقلم، ويُعرَضُ على الذوق، فيشعر منه بما لا يشعر من سواه. ولذلك: ينبغي أن يكون الختام مُمَيَّزاً عن سائر الكلام قبله بنكته لطيفة، أو أسلوب رَشِيق، أو معنى بليغ. ويُختار له من اللفظ: الرقيق الحاشية، الخفيف المحمل على السَّمْع، السهل الورود على الطبع، ويتجافى به عن الأسباب، والتعقيد، والثقل، وغير ذلك. وحكم الختام كما سبق، أن يكون مؤذناً بتمام الكلام، بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى، فلا ينتظر السامع شيئاً بعده. وإذا لم يكن المعنى دالاً بنفسه على الختام، حَسُنَ أن يُبدَلَ عليه بكلام آخر، يُذكر على عقب الفراغ من سياقة الأغراض السابقة. وحكمه أن يكون مُنْتَزِعاً مما سبقه، فيُتَقَى به تقريراً لشيء من الأغراض، أو إجمالاً لمفصلها، مُورد أعلى وجه من وجوه البلاغة، أو الكلام الجامع، أو مُخرِجاً مُخرَج المثل، أو الحكمة، أو ما شاكل ذلك، مما تعلقه الخواطر، وتقيده الأذهان: كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

وَمَا أَخْصَكُ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا
وكقول الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ في ختام إحدى مقالاته : « إِنَّ الطَّيِّشَ
فِي الْكَلَامِ يُرْجَمُ عَنْ خِيفَةِ الْأَحْلَامِ . وَمَا دَخَلَ الرَّفْقُ شَيْئًا إِلَّا زَانَهُ ، وَمَا زَانَ
الْمُتَكَلِّمُ إِلَّا الزَّانَةَ » .

وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَا كَثْرُ فِيهِ : أَنْ يُضْمَنَ غَرَضًا آخَرُ مِنَ الدُّعَاءِ ، أَوْ
عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، أَوْ تَوَقُّعَ الْجَوَابِ مِنْهُ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا تَحْتَمِلُهُ مَقَامَاتُ الْكَلَامِ ، وَتَقْتَضِيهِ دَوَاعِي الْحَالِ .

وَأَكْثَرُ مَا يَحْتَمُونَهَا فِي النَّثْرِ بَعْدَ الْأَغْرَاضِ الْمَذْكُورَةِ بِقَوْلِهِمْ : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ »
أَوْ « بِمَنْ أَلَّهِ وَفَضْلَهُ » وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَكَثِيرٌ مَا يَخْتِمُ النَّاثِرُ بِقَوْلِهِ : « وَالسَّلَامُ » أَوْ « بَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »
أَوْ بِقَوْلِهِ : « وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ » أَوْ بِقَوْلِهِ : « وَآلْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، بَاطِنًا
وَظَاهِرًا » . أَوْ بِقَوْلِهِ : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ » . أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ

وَرُبَّمَا خَتَمَ بِمِثْلِ ، كَخَتَامِ الْخَوَارِزْمِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٣ هـ رِسَالَتَهُ بِقَوْلِهِ : « وَلَقَدْ
سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكُرَمِ طَرِيقًا ، يَسْتَوْحِشُ فِيهَا لِقَلَّةِ سَالِكِيهَا ، وَيَتَبَيَّنُ فِي قَفَارِهَا
لِدُرُوسِ آتَارِهَا ، وَانْهَدَامِ مَنَازِلِهَا ، أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ ، وَقِلَّةِ الرَّفِيقِ ، وَأَلْهَمَهُ
صَبْرًا يُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَحْمَالَ الْمَغَارِمِ ، وَيَقْرِبُ عَلَيْهِ مَسَافَةَ الْمَكَارِمِ .

فَبِالصَّبْرِ تَنَالُ الْعُلَا ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى »

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٩ هـ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالِكُمْ وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْمُقَلِّ سَلَامٌ

(تقسيم الانشاء الى فني النظم والنثر)

اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين : فن الشعر المنظوم ، وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة . وفن النثر ، وهو الكلام الغير الموزون فأما الشعر ، فمنه : المدح ، والهجاء ، والثناء . وأما النثر ، فمنه ما يؤتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ، ويسمى سجعاً . وهو ثلاثة أقسام : القسم الأول : أن يكون الفصلان متساويين ، لا يزيد أحدهما على الآخر : كقوله تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزِرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه والقسم الثاني أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول ، لا طويلاً يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فإنه يقبح عند ذلك ، ويُستكره ، ويعد عيباً . فمما جاء من ذلك قوله تعالى : « بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَّقْرَيْنَ دَعَوْا هُنَالِكَ تَبُورًا ^(١) » فالفصل الأول ثمان لفظات . والثاني واثالث تسع تسع . ويُستثنى من هذا القسم : ما كان من السجع على ثلاث فقر . فإن الفِقرتين الأولىين يُحسبان في عدة واحدة . ثم تأتي الثالثة ، فيذبغى أن تكون طويلة طويلاً يزيد عليهما . وقد تكون الثلاث متساويات . كقوله تعالى : « فِي سِدْرٍ ^(٢) خِضْدٍ ^(٣) وَطَلْحٍ ^(٤) مَنْضُودٍ ^(٥) وَظِلِّ مَمْدُودٍ » . والقسم الثالث أن يكون أقصى الآخر أقصر من الأول وهو عيب فاحش ^(٦) . وأما النثر المرسل فهو

(١) وبلا (٢) شجر معروف (٣) مقطوع إشوك (٤) السوز (٥) مترام بعضه فوق بعض (٦) للسجع أربعة شروط : اختيار المردات الصيحة واختيار التأليف النصيح وكون اللفظ تابعاً للمعنى لا عكس . وكون كل واحدة من المترتين أو الفقر دالة على معنى ، لئلا يصحح الكلام تطويلاً معيماً

ما يؤتى به قطعاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها . وهو الذي يُطلق فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقطع أجزاء ، بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها .
(انتهى من « المثل السائر » باختصار)

(كيفية عمل الشعر)

إعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً
أولها : الحفظ ^(١) من جنسه - أي من جنس شعر العرب - حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحرّ النقي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ المختار ، أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من فحول الاسلام ، مثل : ابن أبي ربيعة ، وكثير ، وذو الرّثمة ، وجريز ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبُحتري ، والشّريف الرّضي ، وأبي فراس ، وأكثره شعر « كتاب الأغاني » لأنّه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كلّها ، والمختار من شعر الجاهلية .

ثم لا بدّ له من الخلوة ، واستجادة المكان المنظوم فيه ، باشتاله على مثل : المياه والازهار ، وكذا استجادة المسموع ، لاستنارة القريحة باستجماعها ، وتنشيطها بملاذّ الشّور . ثم مع هذا كلّ فشرطه أن يكون على جّام ^(٢) ونشاط ، فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه ، قالوا وخير الأوقات

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء - ولا يعطيه الرونق والخلوة الاكثره المحفوظ فن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحد القريحة للنسج علي المنوال ، يقبل علي النظم . وبالاكثر منه تستحكم الملكة وترسخ . وربما يقال : ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحي رسموه الحرفية الظاهرة ، اذ هي صادرة عن استعمالها بينها . فاذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها ، امتشّح الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسج عليه بمثلها من كلمات أخرى ضرورة (٢) الراحة

لذلك أَوْقَاتُ الْبُسْكِيِّ (١) عند المَبُوب من النوم، وفراغ المعدة، ونشاط الفكر وربما يكون من بَوَاعِثِ العَشَقِ وَالْإِنْتِشَاءِ. قالوا: فإن استصعب عليه بعد هذا كله، فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ، وَلَا يُكَرِّدْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ. وليكن بناء البيت على القافية من أَوَّلِ صَوْغِهِ وَنَسْجِهِ، يَضَعُهَا وَيَبْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ. لانه إن غفلَ عن بناء البيت على القافية صَعَبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي مَحَلِّهَا. فربما نجى في نافرة قلقة. وإذا سَمَحَ الْخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَنْسَبِ الَّذِي عَنْده، فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْيَقِ بِهِ. فإن كُلَّ بَيْتٍ مُسْتَقَلٌّ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا الْمُنَاسِبَةَ، فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ، وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخِلَاصِ مِنْهُ، بِالتَّنْقِيحِ (٢) وَالنَّقْدِ، وَلَا يَضِنْ (٣) بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ، إِذْ هُوَ بَنَاتُ فُكْرِهِ، وَاخْتِرَاعُ قَوَائِدِهِ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ، وَالْخَالِصَ مِنَ الضَّرُورَاتِ اللَّسَانِيَّةِ، فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّمَا تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ، وَقَدْ حَظَرَ أُمَّةُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْمَوَلِّدِ (٤) ارْتِكَابَ الضَّرُورَةِ، إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ. وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ جُهْدَهُ، بِحَيْثُ تُكَوِّنُ الْفَافِظُ عَلَى طَبَقِ مَعَانِيهِ، وَمَعَانِيهِ تَسَابِقُ أَلْفَافُهُ إِلَى الْفَهْمِ. وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا الْخَوْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَافِ، وَالْمَقْصَرَ. وَكَذَلِكَ السَّوْقِيُّ الْمُبْتَدِلَ، فَإِنَّهُ يُنْزَلُ بِالْكَلامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا، فَيَصِيرُ مُبْتَدِلًا، وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ. وَفِي هَذَا الْقَدْرِ كَفَايَةُ لِمَتَعَاطِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ.

(١) عن «ابن خلدون» باختصار

(١) جمع بكرة الصاح وزن غرفة وغرف (٢) بالتهذيب (٣) بفتح الضاد وكسرها لا يبخل (٤) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الاحنف ومن بعده

(فنون الانشاء)

فنون الانشاء سبعة : وهي : المكاتبات ، والمناظرات ، والأمثال
والأوصاف ، والمقامات ، والروايات ، والتاريخ .

(الفن الاول فى المكاتبات والمراسلات)

المكاتبة : وتُعرف أيضاً بالمراسلة ، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم . وفائدتها
أوسع من أن تُحصَر من حيث أنها تُرجمانُ الجنان ، ونائبُ الغائب فى قضاء
أوطاره ،^(١) وريـ باطُ الوداد ، مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة
البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما^(٢) . وخواصها
خمس : السذاجة ، والجلالة ، والإيجاز ، والملاءمة ، والطلاوة^(٣) . فالسذاجة : تجعل
الكلامَ فطرياً سليماً من شوائب التكلف مُنزهاً عن زُخرف^(٤) القول ، بعيداً
عن بهرجة^(٥) الكلام . والجلالة : هو العدولُ عن الكلام المُغلق والتشابه المستبعدة
والتراكيب الملتبسة إلى الكلام المَهذب الصريح . والإيجاز : تنقيحُ الرسالة من
حشو الكلام ، وتطويل الجُمْل فيبرزها وآفة الدلالة على المقصود ، مقتصرة على

(١) الحاجات (٢) قال ابراهيم بن محمد الشيباني : اذا احتجت الى مخاطبة أعيان الناس
أو أوساطهم أو سوقهم فتخاطب كلا على قدر أهته وجلالته وتلو مكاته وانتباهه ونطته . ولكل
طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان تراها في مراسلتك . فلا يكتب لمن أصيب
في ماله أو في عياله كما يكتب لمن فرغ بالله ووفر ماله . قال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من
ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة الي المتكلم - واعلم ان لكل
مقام مقالا (٣) بتلث الطاء (٤) مزورة (٥) العدول عن الجادة المتصودة .

المُحَسَّنَاتِ القَرِيبَةِ الْمَنَالِ ^(١) : وَالْمَلَأَمَةِ : نَزَلَ الْاَلْفَاظَ وَالْمَعَانِي عَلَى قَدْرِ الْكَاتِبِ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَلَا تُعْطَى خَسِيسَ النَّاسِ رَفِيعَ الْكَلَامِ ، وَلَا رَفِيعَ النَّاسِ خَسِيسَ الْكَلَامِ . عَلَى أَنَّهُمْ تَجْعَلُ الرِّسَالَةَ وَتَعَايِيرَهَا مُسْتَعْدَبَةً الْاَوْضَاعِ ، حَسَنَةً الْاَرْتِبَاطِ ، يَأْخُذُ بَعْضُهَا بِأُزْمَةٍ بَعْضُ . وَالطَّلَاوَةِ : تُكْسُو الْكَلَامَ رَوْقًا وَإِشْرَاقًا بِجُودَةِ الْعِبَارَةِ ، وَسِلَاسَةِ الْمَعَانِي ، وَسِلَاسَةِ الْاَلْفَاظِ ، ^(٢) وَتَجْعَلُهُ بِذَلِكَ أَحْسَنَ مَوْقَعًا عِنْدَ سَامِعِهِ

(أَبْوَابُ الرِّسَالِ)

تَنْقَسِمُ الرِّسَالُ بِاعْتِبَارِ مَوْضُوعِهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْأَوَّلُ الرِّسَالُ الْاَهْلِيَّةُ وَالثَّانِي الرِّسَالُ الْمُتَدَاوِلَةُ ، وَالثَّالِثُ الرِّسَالُ الْعِلْمِيَّةُ

(الْكَلَامُ عَلَى الرِّسَالِ الْاَهْلِيَّةِ)

الرِّسَالُ الْاَهْلِيَّةُ وَتُعْرَفُ بِرِّسَالِ الْأَشْوَاقِ — هِيَ مَا دَارَتْ بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، وَأُسْفِرَتْ ^(٣) عَنْ مَكْنُونِ ^(٤) الْوُدَادِ ، وَسَرَائِرِ الْفُؤَادِ . وَلَا حَرَجَ عَلَى الْكَاتِبِ إِذَا بَسَطَ فِيهَا الْكَلَامَ عَلَى أَحْوَالِهِ ، وَأَخْفَى السُّؤَالَ فِي أَحْوَالِ أَصْحَابِهِ . وَتَفَرَّدُ هَذِهِ الرِّسَالُ بِأَنْ يُطْلَقَ الْكَاتِبُ فِيهَا الْعِنَانُ لِلْأَقْلَامِ ، وَيَتَجَانَفَ عَنِ الْكَلْفَةِ ، وَيَعْدَلَ عَنِ الْاَنْقِبَاضِ . وَقَدْ قِيلَ : « الْاُنْسُ يُذْهِبُ الْمَهَابَةَ ، وَالْاَنْقِبَاضُ بَضِيعُ الْمَوَدَّةِ » . هَذَا : وَلَا بَدَّ مِنْ مَرَاعَاةِ مُقْتَضَى الْحَالِ ، وَالْاِعْتَصَامِ بِرُكْنِ الْفُتْنَةِ ، أَبْخَذًا بِقَوْلِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيِّ :

(١) وَلَا يَبْدُو مُنَاقَضًا لِلْإِيجَازِ مَا يَسْتَدْعِيهِ الْمُتَامُ مِنَ الْبَسْطِ فِي الْمَوْضُوعِ : أَمَّا تَعْرِيزُ اللَّعْمَى وَامَّا حَزْرًا مِنَ الْإِبْهَامِ ، أَوْ دَلَالَةً عَلَى عَوَاطِفِ التَّلَبُّ ، أَوْ رَغْبَةٍ فِي تَمْكِكِ الْخَوَاطِرِ . قُلْ الْاَقْدَمُونَ : « خَيْرَ الْكَلَامِ مَا قُلَّ وَدُلَّ وَلَمْ يَمَلْ » (٢) سَهُولَتِهَا (٣) كَثَفَتْ (٤) مُسْتَوْر

لَا تُرْسَلَنَّ رِسَالَةٌ مُشْهُورَةٌ لَا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِدْرَاكَهَا
وَأِلَى هَذَا الْبَابِ تَرْجَعُ مَكَاتِبَاتُ الْأَشْوَاقِ، وَالتَّعَارُفُ قَبْلَ الْلِقَاءِ ، وَالْمُهَايَا ،
وَالِاسْتِعْطَافُ ، وَالْإِعْتِدَارُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَلِنَذْكُرْ شَذَرَاتٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكِتَابِ (١)

(الفصل الأول في الشوق)

« كَتَبَ أَبُو مَنصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ النَّيْسَابُورِيَّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٩ هـ »

تَوْفِي إِلَيْكَ رَهِينُ قَلْبِي ، وَقَرِينُ صَدْرِي ، وَالزَّعِيمُ (٢) بِتَعْلِيقِ فِكْرِي ، وَتَفْرِيقِ
صَبْرِي ، سَمِيرُ ذِكْرِي ، وَنَدِيمُ فِكْرِي ، زَادِي فِي سَفَرِي ، وَعِتَادِي (٣) فِي حَضْرِي ،
لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ صَدْرِي ، وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ صَبْرِي ، يَكَادُ يَكُونُ لِزَامًا ، وَيَعْدُ غَرَامًا ،
لَا يَرْحَلُ مَقِيمُهُ ، وَلَا يُصَرِّفُ غَرِيمُهُ ، أَسْتَخَفَّ نَفْسِي وَأَسْتَفْزَهَا ، وَحَرَكْتُ جَوَانِحِي وَهَزَّهَا ،
شَوْقٌ أَخَذَ بِسَمْعِ خَاطِرِي وَبَصَرِهِ ، وَحَالَ بَيْنَ مَوْرَدِ (٤) قَلْبِهِ وَمَصْدَرِهِ ، (٥) شَوْقٌ
قَدْ اسْتَنْفَذَ جَلْدِي ، (٦) وَمَلَأَ خَلْدِي ، (٧) شَوْقٌ بَرَّأَنِي بَرَى الْخِلَالَ ، (٨) وَمَحَقَّنِي مَحَقَّ
الْهَلَالِ ، شَوْقٌ تَرَكَنِي حَرَضًا ، (٩) وَأَوْسَعَنِي مَضَضًا ، (١٠) أَرَانِي الصَّبْرَ حُسْرَةً ، وَالْوَجْدَ
يَمْنَةً وَوَيْسَرَةً ، شَوْقٌ يَزِيدُ عَلَيَّ الْإِيَّامَ (١١) تَوْقَدًا أَوْ تَأْجُجًا ، وَتَضَرُّمًا وَتَوْهَجًا ، نَارُ الشَّوْقِ
حَسَبُ ضُلُوعِي ، وَمَاءُ الصَّبَابَةِ مَلَأَ جَفُونِي ، أَنَا مِنْ لَوَاعِجِ الشَّوْقِ بَيْنَ عِمَائِمِ ، لَا تَمْطُرُ
الْأَصْوَاعُ وَسَمَائِمِ ، (١٢) قَدْ قَدَحْتُ فِي كَبْدِي مِنَ الْحُرْقَةِ ، بِهَذِهِ الْفَرْقَةِ ، مَا يَفُوتُ

(١) قد أوردنا للرسائل الإلهية كتاباً خاصاً أسميناه (إنشاء المكاتبات العصرية والمراسلات
العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية إله فارح إليه إذا شئت ولهذا نختصر في هذا الكتاب أبواب
الرسائل وندكر ما تمس إليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعددت له لحوادث الدهر (٤)
موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الصعف (٩) مريضاً (١٠) وحماً
(١١) بضم الهمزة وكسرهما الدخان (١٢) الريح الحارة

أيسره حدَّ الشكَايةِ ، ويجوز أضعفه كُنْه الكِنَاية ، شوقُ الرّوض الماحل ، ^(١) إلى الغيث الماحل .

(وكتب في تشبيه الشوق)

مّا الأعرابية حنّت الى نجد ، وأنت من وجد ، بأشدّ منّي كلفاً ، ^(٢) وآتمّ منّي شففاً . أنا في شدّة الشوق اليك كالطشان كشيّف له عن ماء عذب ، ومنيع منه بمانع صعب ، شوق لو ألقى على الكواكب بعضه لما سارت ، أو كلفت الافلاك ثقله لما دارت ، شوق لو فرّق على القلوب الخالية لاشتغلت ، ولو قسّم على الاكباد الباردة لاشتعلت ، أنا اشتاقك مع كلّ صباح طالع ، وضياء شارق ، ونجم طارق ^(٣) .

(وكتب في أثر الفراق)

وجدٌ يتكرّر على كُرّ الجديدين ، ^(٤) ويستغرقُ ساعات الملوّين ، ^(٥) قد تحمّلت مع يسير الفُرقة ، عَظِيم الحُرقة ، ومع قليل البعد ، كثير الوجد ، قد آتنتيتُ بجسم ناحل ، وصرتُ من صبري على مرّاحل ، فارقتني ، فأرقتني ، ^(٦) وفرقت جميع صبري ، واستصحبت فريقاً من قلبي ، فرقت به بين عيني والرّقاد ، ^(٧) وجنبي والمهاد ، ^(٨) مّا أعولُ إلا على العويل ^(٩) لو كان يُغني ، ولا أستنصيرُ غير الوجد لو كان يُجدي ، ^(١٠) يدي لا تساعدني ، وخطي لا يشبه في الدقة إلا بدني ، ولو لاحصاة ^(١١) الأجل ، أخرجت رُوحِي على عجل ، فارقتني ففرّق عني شمل أنس مُنتظم ، وتمكّن منّي برح شوق مُضطرم ، فارقتني ففرقت بين الروح والبدن ، وتركتني والنزاع في

(١) المجدب (٢) كلنا مصدر كلف من باب فرح التغيير (٣) الآتي ليلاً (٤) الليل والنهار (٥) الليل والنهار أيضاً (٦) أسهرتني (٧) النوم (٨) مكان النوم (٩) رفع الصوت بالبكاء (١٠) ينفع (١١) حفظ

قُرْن، (١) قد صرتُ حليفَ وَحْشةٍ وان كنتُ تَاوِيَا (٢) فِي وَطْنٍ، وَقَرِينَ كَرْبَةٍ
وان كنتُ بينَ جِيرَةٍ وَسَكَنٍ.

عَسَى الدَّهْرُ يُدْنِينَا وَيُدْنِي دِيَارَكُمُ وَيَجْمَعُ مَا بَيْنِي وَيَبْنِكُمُ السَّمَلَا
فَأَشْكُو تَبَارِيحَ الْغَرَامِ الْيَكُمُ وَحَرَّ جَوِّ بُلَى عِظَامِي وَمَا يُسَلَّى

« وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ هـ »

قَلْبِي بِنَارِ الْهَوَى مُعَذَّبٌ شَوْقًا إِلَى حَضْرَةِ الْمُهَذَّبِ
شَوْقًا إِلَى مَاجِدِ كَرِيمٍ يَخْطُرُ لِي ذِكْرُهُ فَأُطْرَبُ
وَبَعْدُ فَالْعَبْدُ يَنْهَى مِنْ لَوَاقِحِ (٣) شَوْقِهِ، وَلَوَاقِحِ (٤) تَوْقِهِ، (٥) إِلَى شُهُودِ
ذَاتِكُمُ الْجَمِيلَةِ، وَمُشَاهَدَةِ صِفَاتِكُمُ الْجَمِيلَةِ، لِيَنْشَقَّ عَرْفُكُمْ (٦) الْفَائِحِ، وَبُخُورُ عَرْفُكُمْ (٧)
الْفَائِحِ، مَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظِلُّكُمْ، وَأَدْرَأَ وَبَلَّكُمْ (٨) وَطَلَّكُمْ. (٩)
أَحَبُّ الْوَعْدِ مِنْكَ وَإِنْ تَمَادَى وَأَفْنَعُ بِالْخِيَالِ إِذَا أَلَمَّا
عَسَى الْأَيَّامُ تُسَمِّحَ لِي بِوَصْلِ وَتَأْخُذُ لِي مِنْ الْهَجْرَانِ سَلْمًا
وَالْجَنَابُ مِنْذُ طَوَى عَنَا أَبْوَابُ مُلَاقَاتِهِ، وَزَوَى مِنْهَا أَطْيَابَ أَوْقَاتِهِ، قَبْضُ
الْعَبْدِ عَنَانَ مَقَالِهِ، وَخَفْضُ لِسَانِ حَالِهِ.

شَكُوتُ وَمَا الشُّكُوى بِمِثْلَى عَادَةٍ وَلَكِنْ تَفْيِضُ الْعَيْنِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا
فَجَلَسَ الْفِرَاقُ بِعَظِيمِ حِجَابِهِ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، عَلَى ذُرْوَةِ (١٠) عَرْشِهِ، وَافْتَرَسَ
بِقُوَّةِ بَطْشِهِ، وَصَارَ لِلسَّرْجَارِ، وَأَوْقَدَ لِلْحَرْبِ نَارًا جَهَارًا.

طَوْعًا لِقَاضِي أَنْ فِي حُكْمِهِ عَجَبًا أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ

(١) قرن مصدر قرن من باب فريح التقي (٢) مقايما (٣) الرياح (٤) الرياح الحارة
(٥) الشوق (٦) الريح الطيبة (٧) نبت يقال له التهام طيب الرائحة (٨) المطر الكثير
(٩) الندى (١٠) بضم الدال وكسرهما أعلاه

وهذه حالته ، المنصَح منها مقالته

إِن الْأُمُورَ إِذَا التَّوَتْ وَتَعَقَّدَتْ جَاءَ الْقَصَاءُ مِنَ الْكَرِيمِ فَحَلَّهَا
فَلَعَلَّ يُسْرًا يَبْدُ عُسْرٌ عَلَيْهَا وَلَعَلَّ مِنْ عَقْدِ الْعُقُودِ يَحُلُّهَا
فَلَعَلَّ غُرُوسَ التَّمَنِّي قَدْ أُمِرَتْ ، وَلِيَالِي الْحِظِّ قَدْ أَقْمَرَتْ .

سَأَلْتُ أَحِبَّتِي مَا كَانَ ذَنْبِي أَجَابُونِي وَأَحْشَانِي تَذُوبُ
إِذَا كَانَ الْمُحِبُّ قَلِيلَ حِظٍّ فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلَّا ذُنُوبُ

فَرَعَى اللَّهُ أَيَّامًا لَاحَتْ ^(١) فِيهَا أَقْمَارُ ^(٢) غُرُوزِهَا ، وَفَاحَتْ فِيهَا أَطْرَازُ
طُرُوزِهَا ، مِنْ بَهَاءِ سَاهِبِهَا ، عَلَى مَنَارِ ضِيَائِهَا ، مِنْ ذَاتِ جَلَالِهَا ، وَصَفَاتِ دَلَالِهَا ،
فِي جَنَّاتِ عَوَاطِفِهَا ، وَحَنَاتِ تَعَاطُفِهَا .

فَإِنْ كُنْتُ لَا أَطْرُقُ ^(٣) رَحْبَ ^(٤) فَنَائِكُمْ ، ^(٥) فَقَدْ أَطْرُقُ بَابَ ثَنَائِكُمْ
لِئِنْ غَيَّبْتَنِي عَنْ ذَرَاكَ حَوَادِثُ فَلَيْسَ ثَنَائِي عَنْ فِنَاكِ بَغَائِبِ

« وَكُتِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٩٣١ هـ »

كُتِبَتْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عَنْ ضَمِيرِ أُنْدَمَجٍ ^(٦) عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ دُرُّهُ ، وَتَبَلَّجٍ ^(٧)
فِي أَفْقِ وَدَادِكَ بَدْرُهُ ، وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ ثَنَائِكَ مَسْكُهُ ، وَصَارَ فِي رَاحَتِي
سَنَائِكَ ^(٨) مَلَكُهُ . وَلَمَّا ظَفَرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتَهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرَ أَجْنِيَا ، يُؤَافِيكَ عَرَفُهُ
ذِكِيًّا ، وَيُؤَالِيكَ أَنَسُهُ نَجِيًّا ، ^(٩) وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ فَرْضًا مَأْتِيًّا ^(١٠) . عَلَى أَنَّ
شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ ، ^(١١) وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ ، لَا يَمْلَهُ خَاطِرٌ ، وَلَا يَمْسَهُ عَرَضٌ
دَائِرٌ ، ^(١٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الاغصان من النوار (٣) آتى ليلا (٤) المتسع (٥) بكسر
الفاء متسع البيت (٦) حى واستر (٧) أضواء (٨) رفعتك (٩) متاجيا (١٠) آتيا (١١) متمثل
(١٢) هالك

(وكتب أبو الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ)

قد قَرُبَ (أيدك الله) مَحَلُّكَ على تراخيه ، وَتَصَاقَبَ مُسْتَقَرُّكَ على تنائييه ، لَأَن
الشَّوْقَ يُمَثِّلُكَ ، وَالذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ ، فَحَنُّ فِي الظَّاهِرِ على افتراق ، وَفِي الْبَاطِنِ
على تلاق ، وَفِي النَّسْبَةِ مُتَبَايِنُونَ ، وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ ، وَلِئَن تَفَارَقْتَ الْإِشْبَاحَ
لَقَدْ تَعَاقَتِ الْأَرْوَاحُ .

(وكتب بديع الزَّمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

يَعِزُّ عَلَى - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ - أَن يُنُوبَ فِي حُدُومَتِهِ قَلَمِي عَنْ قَدَمِي ، وَيَسْعَدَ
بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ وَصُولِي ، وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ الْإِنْسِ بِهِ كِتَابِي ، قَبْلَ رَكَابِي .
ولكن : مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَاقِقُ جَعَلَتْ ؟ !

وَعَلَى أَنَّ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَى إِدْرَاكَ النَّجَاحِ

وَقَدْ حَضَرَتْ دَارَهُ ، وَقَبِلَتْ جِدَارَهُ ، وَمَا بِي حُبُّ الْحَيْطَانِ ، وَلَكِنْ شَغَفَا
بِالْقُطَّانِ ، وَلَا عِشْقُ الْجُدْرَانِ ، وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى السَّكَّانِ .

أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارَ سَلَمَى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

وَحِينَ عَدْتُ الْعَوَادِي عَنْهُ ، أَمَلَيْتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ ، مُعْتَذِرًا إِلَى
مَوْلَايَ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرٍ وَقَعَ ، وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ :

إِنْ يَكُنْ تَرَكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أُرَاكَ عِقَابًا

(وكتب أبو محمد عبد الله البَطْلِيُّوسَى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ)

يَاسِيدِي الْأَعْلَى ، وَرِعَادِي الْأَسْنَى ، وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ الْحُسْنَى ، الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ ،
وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ ، وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، لِفَضْلِ يُعْلَى مَنَارِهِ ، وَعِلْمِ يُحْيِي .

آثاره - نحن (أعزك الله) نَدَانِي إِخْلَاصًا، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا، وَيَجْمَعُنَا الْأَدَبُ
وَإِنْ فَرَقْنَا النَّسَبَ: فَلَا شَكْلَ أَقَارِبُ، وَالْأَدَابُ مُنَاسِبٌ، وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءُ
الْأَشْبَاحِ، إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ.

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي . وَإِنْ بَاعَدْتَنِي فِي الْأُصُولِ الْمُنَاسِبُ

(وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

أَرَانِي أَذْكَرُ «مَوْلَايَ» إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، أَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ، أَوْ نَجَّمَ النِّجْمُ، أَوْ
بَلَغَ الْبَرْقُ، أَوْ عَرَضَ الْغَيْثُ، أَوْ ذُكِرَ اللَّيْثُ، أَوْ ضَحِكَ الرَّوْضُ. وَأَنْتَ ^(١) لِلشَّمْسِ
مُحْيَاهُ ^(٢) وَلِلرَّيْحِ رِيَّاهُ، ^(٣) وَلِلنَّجْمِ حُلَاهُ وَعُلَاهُ، وَلِلْبَرْقِ سَنَاوُهُ ^(٤) وَسَنَاوُهُ ^(٥)، وَلِلغَيْثِ
نِدَاهُ ^(٦) وَنِدَاهُ ^(٧) وَفِي كُلِّ صَالِحَةٍ ذِكْرَاهُ، وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ أَرَاهُ، فَمَتَى أَنْسَاهُ؟ وَاشْدُدَّ
شَوْقَاهُ! عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَنِي وَإِيَّاهُ.

(وكتب الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ)

مَا زِلْتُ أُدَافِعُ النَّفْسَ عَمَّا تَمَقَّضَانِي مِنْ شَكْوَى أَشْوَاقِهَا، وَفِي الشَّكْوَى سِفَاءٌ،
وَاسْتِزْوَاجٌ أَثَرٌ مِنْ لَدُنْكَ تَتَعَلَّلُ بِهِ مَسَافَةُ الْبَيْنِ، ^(٨) إِلَى أَنْ يُعَنَّ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ، وَمَنْ
حَدَّثَ عَنْ إِجَابَتِهَا مُشَادِدُهُ ^(٩) قَدْ شَغَلَتِ الذَّرْعُ، ^(١٠) وَشَوَاغِلُ قَدْ أَفْرِغَ مِنْ إِدْوَانِهَا
الْوُسْعُ، إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاوِلِ الصَّبْرِ، وَزَاخَمَ مَنَاكِبَ الْعَدْوَاءِ
حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ ^(١١) بَيْنَ الْحِجَابِ ^(١٢) وَالصَّدْرِ، فَاتَّخَذَتْ هَذِهِ الرُّقْعَةُ أَزْجِيهَا ^(١٣)
إِلَيْكَ، وَفِيهَا مِنْ وَقَرٍ ^(١٤) الشَّوْقِ مَا يَنْوِي ^(١٥) بِرَسُولِهَا، وَمِنْ رِقَّةٍ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ

(١) أَيْ مِنْ أَيْنَ (٢) وَجْه (٣) رَاحَةُ طَيْبَةٍ (٤) الرِّفْعَةُ (٥) بِالتَّصْرِ الضَّوْءِ (٦) بَضْمُ النَّوْنِ
وَكُسْرُهَا أَشْهَرُ الصَّوْتِ (٧) الْعَطَاءُ (٨) الْبَعْدُ (٩) مَشَاغِلُ (١٠) بَسَطَ الْيَدَ (١١) الْحَبْلُ يَشْدُوهُ
سَرَادِقُ الْبَيْتِ (١٢) لُحْمَةُ رَقِيقَةٍ بَيْنَ الْجَنْبَيْنِ (١٣) أَرْفَعَهَا (١٤) بِكُسْرِ الْوَاوِ الْحَبْلُ الثَّقِيلُ
(١٥) يَنْقُلُ بِهِ

يَطِيرُ بِهَا ، أَوْ يُخْلِفُهَا فَيُصَافِحُ الْأَعْتَابَ قَبْلَ وَصُولِهَا ، رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُنَاقِي بِمَا
عُهِدَ فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ ، وَأَنْ لَا يَضُنَّ ^(١) عَلَيْهَا بِمَا عَوَّدَنِي مِنْ تَهْمِيدِ الْعُذْرِ ،
وَيَصْلُنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِهِ ^(٢) الطَّيِّبَةِ ، عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاضِرِ قَرَّةً ، وَلِلخَاطِرِ
مَسْرَّةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْه وَكَرَمِهِ .

(وَكُتِبَ أَيْضًا)

وَإِنِّي كُتِبْتُكَ الْعَزِيزُ - فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ : جَاءَ بَيِّنَاتُ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ ،
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِخَاءِ ، يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ ، مَا شَهِدَ
بَصِيحَتِهِ سَقَمِي ، وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصَلٍ مِنْ جَسَمِي ، وَيَذْكُرُنِي مِنْ عَهْدِكَ ،
مَا طَلَمَا أَذْكُرُنِيهِ الْبَرْقُ إِذَا لَمَعَ ، وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ ، وَالْقَمَرِيُّ ^(٣) إِذَا سَجَعَ . وَإِنَّمَا
عَدَانِي عَنْكَ : مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُجَادِبَةِ الشَّوَاغِلِ ، وَمَسَاوِرَةِ ^(٤) الْبَلَابِلِ ^(٥)

وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهُوَى تَبَدَّلَتْ الْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمٌ
وَأَنَا - (عَلَى مَا بِي مِنْ غَلٍّ الْبَنَانِ ، ^(٦) وَشُغْلِ الْجَنَانِ) - ^(٧) مَا زَالَتْ أَنْبَاءُكَ ^(٨)
عِنْدِي . لَا يُخْطِئُنِي بَرِيدُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وَرُودُهَا ، أَهْنَى النَّفْسِ مِنْهَا بِمَا تَمَنِّي
لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ ^(٩) لَهَا شِعَارٌ ، وَإِقْبَالٌ لَا يَعْتَرِضُهُ بِأَذْنِ اللَّهِ إِدْبَارٌ .

وَقُصَارِي الْمَأْمُولِ فِي كَرَمِكَ : أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ الصَّلَةِ ، إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِالْإِجْتِمَاعِ ، وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمَاعِ : وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .

(وَكُتِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْغَسَّانِي - الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٩٨ هـ) ^(١٠)

سَرَّ إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ . وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَتِهِ مِنْ جَوَاهِدٍ ، حَتَّى

(١) أَي لَا يَخْلُ . (٢) أَخْبَارُهُ (٣) طَيْرٌ مِنْ جِنْسِ الْحَمَامِ يُقَالُ لِلْأَنْثَى قَرِيَّةً ، وَلِلذَكَرِ سَاقٌ أُخْرَى

(٤) الْمَوْتَةُ (٥) الْإِحْزَانُ (٦) الْأَصَابِعُ (٧) الْقَلْبُ (٨) أَخْبَارُكَ (٩) لَا يَبْلِي

يحل بين يديك . فله در^(١) كـ : ان طلعت بدرأ بأعلاه ، وجماله : ان ظهرت غرة^٢
بمحياء . فهو أفق قد حوى نجومًا تنشوق إلى طلوع بدورها ، وقطر قد اشتمل على
أنهار تنشوق إلى بحر ها ، لتستمد منها - إن منفت بالحضور ، وإلّا فيا خيبة السرور :

(وكتب الصاحب اسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)

مجلسنا يا سيدي مُنتقِرُ اليك ، مُعوّلٌ في شوقه عليك : ولقد تورّدت خُذود
بنفسجِه ، وفتقت فأرة^(٢) نارِ نِجِه ،^(٣) وأنطلقت ألسنُ الأوتار ، وقامت خطباء
الآطيّار ، وحبّت رياحُ الأقداح ، ونفقت^(٤) سوقُ الأانس والأفراح . وقد أبت
راحته أن تصفو إلّا أن تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه لا طيب حتى تبعيه أذُنك .
ووجنات اترجّه قد احرّرت خجلًا لا بطائك ، وعيونُ نرجسه قد حدّقت^(٥)
تأميلًا للقائك ، ونحنُ لغيرتك كعقد ذهبٍ واسطئه^(٦) ، وشباب قد أخذت
جذته^(٧) . وإذا غابت شمسُ السماء عنا ، فلا أن تدنو شمسُ الأرض منا . فان رأيت
أن تحضرَ لتتصل الواسطة بالعقد ، ونحصل بك في جنة الخلد ، فكن إلينا أسرع
من السهم في ممرّه ، والماء إلى مقرّه ، لئلا يخبث من يومى ما طاب ، ويعود من
نومى ما طار

(وكتب أبو بكر الخوارزمي - المتوفى سنة ٣٨٣ هـ -)

كتّابى : وأنا بما يبلغني من صالح أخبار (السيد) مُغتبطٌ مسرورٌ ، وبما
يعرفه الزمانُ وأهله من اعتضادي^(٨) به مَصونٌ موفورٌ ، والله على الأولى محمودٌ ، وعلى
الأخرى مستكورٌ ، التّظنُّ وإن كانَ محظوراً في غير موطنه ، فإنه مباحٌ في أما كنه ،

(١) كمة تعجب (٢) فبآت المسك (٣) تمر معرب باريك (٤) راجت (٥) تانت (٦) الجوهرة
التي في وسطه وهي أجوده (٧) الطريقة (٨) استعانني

وهو وان كان في بعض الأحوال يجمع عاراً ووزراً، فإنه في بعضها يجمع فخرًا وذخراً ورُبَّ فعلٍ يُصابُ بهِ وقتهُ فيكونُ سنةً، وهو في غير وقته بدعة، وقد تطلّلت على « السيد » بهذه الأحرُف، أخطبُ بها مودّته اليه، وأعرضُ فيها مودّتي عليه وأسأله أن يرسم لي في لسانِي وقلبي رَسْماً، ويختمَ عليهما ختمًا، فقد جعائهما باسمه وقصرتهما على حكمه، وسأضعهما تحتَ خَمِّه، وبرئتُ اليه منهما، وصرّتُ وكيله فيهما، فهما على غيره حمي^(١) لا يُقرب، وبحيرة^(٢) لا تُحلب، ولا تركب، ولما نظرتُ الى آثار السيد على الأحرار، ونشرتُ طرازُ محاسنه من أيدي القاصدين والزوّار، ورأيتُ نفسى غفلاً^(٣) من سِمة^(٤) مودّته، وعظلاً^(٥) من جمالِ عِشرته حميّةُها من أن يحمى عليها ورْدٌ موزود، ويحسّر^(٦) عنها ظلٌّ على الجميع ممدود، وعجبتُ من : —

سحابُ خطائي جودُهُ^(٧) وهو صيبُ^(٨) وبحرُ عدائي سِيلُهُ وهو مَقْعَمُ^(٩)
وبدرُ أضاءِ الأرضِ شَرْقاً ومغرباً وموضعُ رجلى منه أسودُ مُظلم

« وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ »

مولاي - أمّا الشوق إلى رؤيتك فشديد، وسَلَّ فؤادك عن صديقٍ حميم،^(١٠)
وودَّ صميم،^(١١) وخُلّةٍ لا يزيدُها تعاقبُ المَلَوَيْنِ^(١٢) وتألّق^(١٣) النّيرين^(١٤)
إلا وتوقّف في العُرى، وإحكاماً في البناءِ، ونماءً في الغراس، وتسييداً في الدّعائم^(١٥).
ولا يظنُّ سيدي أن عدمَ أردياري^(١٦) ساحتُهُ الشريفة، وأجتلائي طلعتَهُ

(١) محطور (٢) الشاة التي اذا نتجت عشرة أبطن شقوا اذنفا فكانت حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها (٣) من لا علامة عليه (٤) العلامة (٥) من لا حلى عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) دو المطر (٩) الملتئ (١٠) القريب الذي يهيم لا مره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) الامعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الاركان (١٦) زيارتي (٤ - جواهر - أول)

المُنيّة ، لتقاعُس^(١) أو تقصير ، فإنّ لي في ذلك معذرةٌ أقتضت التأخير . والسيد
(أطال الله بقاءه) أجدر^(٢) من قبل معذرة صديقه وأغضى عن ريث^(٣) استدعته
الضرورة .

(وبعد) فرجائي من مقامكم السّامي ، أن لا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن
زيارتي ، فلَكُمْ منّا طَوْقُتمونيها ، ولكم فيها فضلُ البداءة ! وعلى دوام
الشكران . والسلام .

« وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ »

كتابي اليك : وقد حال بي الانتظار ، وشوقي يجلّ عن الكيف والانحصار
فشخصك دائم المثل^(٤) أمام انساني ،^(٥) وعن سواك من الأخلاء الهاني
وانساني . فله أيتام قضيناها ، وليال من الدهر اختلسناها ،^(٦) كان السرور
فيها ضارباً خيامه ، والأُسُ ناشراً أعلامه - طوي بساطها ، وكان الأمر ما كان
غير أنها زرعَتْ بفؤادي شجرة الاشجان^(٧) ، لكن عودها حليف أو بك^(٨) ،
وتجدد دهارهين اِشارتك . فمتي يقرب المزار ، وتمجلى سحب الأكدار ؟
فاضرب لعودك أجلاً ، فالعود لا شك أحمَدُ ، واكتب بقرُّبك وصلاً فالوصل
أضمن للعهد ، وعهدي من خلُقك الوفاء ، وحسن الولاء ، فلا تجعل صفة^(٩) شوقي
إليك خسرّاً ، بل هبني بعد العسر يسراً .

« وكتب وفا افندي محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ »

أمّا بعد سلامي عليك ، فهذا كتابي اليك ، يُنبئك^(١٠) عني وعن شوقي
وعن ودّي^(١١) ولا أزيدك علماً أنّي ما كتبتُه من دواة ، ولا أجريت عليه

(١) التأخير (٢) احق (٣) البطء (٤) القيام منتصباً (٥) انسان عيني وهو ما يري في
السواد (٦) اتميزا فرصتها (٧) الاحزان (٨) رجوعك (٩) أصلها لعقد اليع (١٠) يحبرك
(١١) تثليث فؤده

فلما؛ ولكنها دُمُوعٌ وَشَوْقٌ سالت على اقرطاس، وَجَرَتْ على حركات الخواطر
والأنفاس، وَهَبَتْ عليه حرارة كيدي بالاشواق. وَوَجَدِي بِالْفِرَاقِ . فبينما
هي عقيقة حمراء، إِذْ صَارَتْ فَحْمَةٌ سَوْدَاءَ ! أَلَا وَإِنَّ كِتَابِي هُوَ قَلْبِي وَلِسَانِي
أَمَّا تَرَاهُ عَلَى رِقَّتِهِ، وَلُطْفِ عِبَارَتِهِ ، وَصَدْقِ طَوِيلَتِهِ ، بَيْنَ يَدَيْكَ مُقْبِلًا عَلَيْكَ ؟
يُنْشِرُهُ الشَّوْقُ وَيُطْوِيهِ ، لَا يُخْفِي أَمْرًا ، وَلَا يَكْتُمُ عَنْكَ سِرًّا ، وَتِلْكَ صِفَاتُ لِسَانِي
وَقَلْبِي مَعَكَ . فَمَا الَّذِي ابْتَغِيهِ بَعْدُ ؟! وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِالْأَصْغَرَيْنِ ! (١) وَمَا أَنَا إِلَّا
بهذين ! نَعَمْ أَرْجُو بَقَاكَ ، مُمْتَعًا بِنِعْمِكَ ، لَا كُونَ عَلَى الدَّوَامِ مَحَلَّ نَظَرِكَ وَالسَّلَامِ

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

كِتَابِي لَدَيْكَ ، يَصِفُ شَوْقِي إِلَيْكَ ، وَلَا يُخْفِي عَلَيْكَ ، فَمَنْ فَارَقْتَنِي فَرَّقْتَ بَيْنَ
أَنْسِي وَنَفْسِي ، بَلْ بَيْنَ رُوحِي وَجَسْمِي ، وَلَا تَعْجَبْ إِذَا كُنْتُ أَغْدُو وَأَرْوَحُ
فَالطَّيْرُ يَمْشِي مِنَ الْأَلَمِ وَهُوَ مَذْبُوح . وَإِنِّي أَتَكْوَمُ إِلَيْكَ مِنْ أَلَمِ الْوَحْشَةِ غَرَامًا
لَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا مَنْ ذَاقَ حُلُولَ أَنْسِكَ ، وَعَرَفَ مَقْدَارَ نَفْسِكَ ، وَشَاحَدَ جَهَالَ لُطْفِكَ
وَرَأَى كَمَالَ أَدَبِكَ وَظَرْفِكَ ، وَلَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ فِي شَخْصِكَ نُورًا لِعَيْنِي ، وَفِي
حَدِيثِكَ سُرُورًا لِقُودَادِي ، وَفِي صِفَاتِكَ تَرْوِيحًا لِرُوحِي ، وَفِي كَرَمِ خُلُقِكَ
تَفْرِيحًا لِنَفْسِي .

إِذَا وَصَفَ النَّاسُ أَشْوَاقَهُمْ فَشَوْقِي لَوَجْهِكَ لَا يُوصَفُ
فَعِنْدِي لَكَ مِنَ الْحُبِّ وَالشَّوْقِ ، وَالتَّالِيفِ وَالتَّوَقُّعِ ، مَا لَا يَصْنَعُهُ الْوَاصِفُونَ
وَلَا يُعْبِّرُ عَنْ حَقِيقَتِهِ الْعَارِفُونَ
الشَّوْقُ فَوْقَ الَّذِي أَتَكْوَمُ إِلَيْكَ وَهَلْ تَخْفِي عَلَيْكَ صَبَابَاتِي وَأَشْوَاقِي ؟!

فيا شوقي إلى لُقيَاكَ ! وَوَالِهِي عَلَى جَمَالِ مُحِبَّكَ ! قَيَّدَتْ أُمْلَى عَنْ سَوَاكَ
وَهَبَتْ نَازِرِي بِنَظَرَةِ سَنَاكَ ، وَكَسَرَتْ جَيْشَ قَرَارِي ، وَتَرَكَتْنِي لَا أَفَرِّقُ بَيْنَ
لَيْلِي وَنَهَارِي !

فَوَادِي وَالْمُحَوِّي سَلِّمْ وَحَرْبُ وَسُلُوَانِي أَقَامَ عَلَى الْحَيَاةِ
وَشَوْقِي كَامِلٌ مَا فِيهِ نَقْصٌ فَلَسْتُ عَلَيْهِ أَطْمَعُ فِي الزِّيَادَةِ

فليت شعري ! ماذا أصممُ في شوقي أنا مدفوعٌ إليه من صادق حُبِّي ، بعوامل
صادقتْ منِّي قلباً خالياً ، فتمكنت بالتعارف ، ولم تدع للسُّلُوَانِ سَبِيلاً ؟ !
عَرِفْتُ هَوَاهُ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهُوِي فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
إِي وَرَبِّي : إِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ شَوْقُ الظَّمآنِ إِلَى بَرْدِ الشَّرَابِ ، وَحَنِينِي لَكَ
حَنِينُ الشَّيْخِ إِلَى زَمَنِ السَّبَابِ ، فَمَا الْإِبِلُ وَقَدْ حَنَّتْ إِلَى أُعْطَانِهَا ، وَالْغُرَابُ
وَقَدْ آتَتْ إِلَى أَوْطَانِهَا ، بِأَعْظَمَ مِنْ حَنِينَا ، وَلَا أَكْثَرَ أَتِينَا ،

وَلَكِنَّ التَّفَرُّقَ طَالَ حَتَّى تَوَقَّدَ فِي الضَّلُوعِ لَهُ حَرِيقُ
فَكَلَّمَا تَخَطَّرُ بِبَالِي ، فِي أَى وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، يَمَثَلُ إِلَى التَّذَكُّرِ مِنْكَ مُحَاسِنَ
وَلَطَائِفَ ، تَجِدُنِي مَيْلًا إِلَيْكَ ، وَتُطَرِّبُنِي شَغَفًا بِكَ وَاعْتِبَاطًا بِإِخَائِكَ ، فَلَا عَجَبَ أَنْ كَانَ
سَوْقِي لِرُؤُوبَتِكَ عَظِيمًا ، لِأَنَّهُ كَمَا قَبْلَ « مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ حَمِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَشَوْقُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ »

يَا حَلَاصَ الْأَسِيرِ يَا صَحَّةَ الْمُدِّ نَفْ يَا زَوْرَةَ عَلَى غَيْرِ وَعْدِ
يَا نَجَاةَ الْغَرِيقِ يَا فَرْحَةَ الْأَوْ يَا قَفْلَةً أَتَتْ بَعْدَ مُبْعَدِ
إِرْضَ عَنِّي قَدْ تَكَّ نَفْسِي إِنْ لَكَ عَبْدٌ أَذَلُّ مِنْ كُلِّ عَبْدِ

نَاشِدُكَ اللَّهُ أَنْ تَرْفُقَ بِحَالِي ، وَتُعِيدَ وَصَالِي ، وَارْزُقَ الْوَدَّ الْقَدِيمَ ، وَأَبْدَلْ شِقَا
مُحِبِّكَ بِالنَّعِيمِ . وَأَغْمِدْ سَيْفَ ظُلْمِكَ الْمَسْلُولَ ، وَأَوْفِ بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا .

(الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء)

« كتب أبو منصور الشعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

نحن في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن على تلاق ، نحن نتناجى بالضمائر ونتخاطب بالسرائر . إذا حصل القرب بالاختلاص ، لم يضرب البعد بالاشخاص أنا أناجيك بخواطر قلبي ، وإن كان قد غاب شخصك عني ، إن أخطأتك يدي بالمكاتبة ، ناجاك سرّي بالمواصلة ، رُبَّ غائبٍ بشخصه ، حاضرٌ بخلوص نفسه إن تراخى اللقاء ، فاننا نتلاقى على البعد ، ونتلافى ^(١) نظر العين بالفؤاد .

(وكتب أيضاً)

أنا أشتاقك كما تشاق الجنان ، وإن لم تتقدّم لها العيان . أنا وإن كنت ممن لا يسعد بلقاءك ، فقد اشتمل على الناس ببقائك ، والشوق الى محاسنك التي سارت أخبارها ، ولاحت آثارها ، لا زالت الأيام تكشف لي من فضلك ، والأخبار تعرض على من عتلك ، ما يشوقني إليك ، وإن لم أرك ، ويزيدني رغبة في ودك وقد سمعت خبرك .

(وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

كما أن شغف ^(٢) الجنان ^(٣) بالحسن والاحسان ، تكون داعيته المشاهدة وتسريح الأنظار ، في محيّا الكمال ، ومجتلى الجمال ، فتري العين من تلك الغرة ، مما يملؤها قرة ، فكذلك السماع يستدعي هذا الشغف ، فيتأثر الفؤاد بما يشف ^(٤) الأذن ، مما تهديه إليه طرائف ^(٥) الأخبار ، حتي كأن حاستي السمع والبصر

(١) تدارك (٢) دخول الحب في غلاف القلب (٣) القلب (٤) يزين (٥) المستلجة

في ذلك صنوان،^(١) بل أخوان في هيكل هذا الجثمان^(٢).
وقد يعلم السيد (أطال الله بقاءه وأدام ارتقاءه) أن ذلك الأمر (أي الشغف
بالسج) ليس بالحديث العهد، ولا اقريب الجدة^(٣). بل هو أمر معروف قديماً أن
يهدي السج إلى سويداء القلب لا عجب^(٤) الحب، سقره^(٥) من الأنباء^(٦) عرف^(٧)
شميم^(٨) فتهميم^(٩) بمجرّد استنشاق ذلك الشميم^(١٠) حتى يقول الشاعر العربي
«وَالْأُذُنُ تَعْتَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا»

أجل! (١١) والقذوة في هذا المعنى، والأُسُ^(١٢) لذلك المبنى، قوله صلى
الله عليه وسلم: «إِنِّي لِأَشْمُ نَفْسَ^(١٣) الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ» لما أُمّنته
العناية الربانية، والمَلَكُ الرُّوحاني، على قلبه الشريف من نبأ^(١٤) انقَرنى^(١٥)
أويس^(١٦) ولم يكن رآه بعد.

ألا: وان محاسن السيد الأجل، لما سارت بها الركبان، وآثني عليها كل لسان
ما بين أحلاق أبهي من الرّوض النّضير،^(١٧) وأعرّاق أشهى من عذب النّمير^(١٨)
قد احتلت من فؤادي (لا أقول منزلاً رحيباً ولا وادياً خصبياً) بل منزلة شماء^(١٩)
ودارة^(٢٠) علياء، وأوجاً^(٢١) بطوالها السعيدة يُسعد، ويلوح بها من ذرّ كراد
كلّ حين فرقد^(٢٢) فلم أنتب^(٢٣) أن قدّمت كتابي هذا لمولاي بين يدي اللقاء
علّه أن يسمح به الزّمان، وتُسفر^(٢٤) عنه الليالي والأيّام، ليُنتاح^(٢٥) لي ريّ

(١) هما فرعا الحلة (٢) بالناء وبالسين الحسم (٣) الخطوة (٤) المتردد (٥) أوتد
(٦) الاخار (٧) الريح الطيبة (٨) مسموم (٩) تذهب (١٠) المرتفع (١١) حرف جواب
مثل نعم (١٢) الاصل (١٣) كناية عن الوحي (١٤) الخبر (١٥) نسبة الى قرن قبيلة
(١٦) هو سيد التابعين أويس بن عامر قتل في واقعة صفين مع علي كرم الله وجهه وخبره قوله
صلي الله عليه وسلم يأتيكم أويس بن عامر مع اعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص
فبرئ منه الا موضع درهم وله والدته هو بها بار ولو أقسم على الله لا يره (١٧) الحسن (١٨) الماء
الزّاكي (١٩) مرتفعة (٢٠) دارا (٢١) علوا (٢٢) النجم (٢٣) لم ازل (٢٤) تكشف (٢٥) يعطي

الفوائد، بما أرويه من حديث زيد الخيل ، الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وقال له « ما وصف لي أحد فرأيتُهُ إلاّ وجدته دون ما وصف لي سواك وان فيك خصلتين يُحبُّهُما الله : « الحلم والاناءة » مقتدياً بالأمام (محمود جابر الله) في تقديم هذا الحديث الشريف، علي ما أنشده إياه (الشريف بن الشجري) أول ما لقيه ، وكان قد تحاببا بالسمع

كانت مُسألة الرُّكبان تُخبرنا عن جابر بن رباحٍ أطيّب الخبر
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت أذنًى بأحسن مما قد رأي بصري .

(وكتب حفي بك ناصف المتوفى سنة ١٩١٩ م)

يعلم الله ما عندي من الشّوق إلى لقاء السيّد: وإن لم يره البصر، والشّوق إلى شهوده: وإن لم يكتحلّ بإثمد^(١) محاسنه النّظر ، والشّغفُ بسماع الحديث منه، كما سمعته عنه ، فقد سبقّت ذكري محاسنه إلى السّمع ، ووصل خبرُ لطائفه إلى النّفس (وما المرء إلاّ ذكره وما أثره) وحسدت العينُ عليه الأذنَ ووَدّتْ لو أنّها السابقةُ إلى اجتلاء رقائقه ، وشهود حقائقه . (فلاعين عشقٌ مثلُ ما يعشق السّمعُ) لا جرّمَ أن ما تعارفَ من الأرواح اتّلفَ ، وما تناكرَ منها كما قيل اختلّف . ونحن وإن بعدتْ بيننا الشّقة^(٢) ولم يسبقْ لنا باللقاء عهدٌ، فالحمة^(٣) الأدب تجمعنا ، ووحدةُ الوجهة تضمنا . ولحمةُ الأدب أقوى ، من لحمةِ النّسب ، وجامعةُ الوجهة فوق اجتماع الوجود ، وقد رأيتُ أن أزدلف^(٤) إليك بالمكاتبة ، وأتوسّل إلى شرف التعرّف بالمرّاسلة، حتى إذ لم يبق في الصبر علي الاقتراق مسكة^(٥) ، ولبّي الجسم دعوةَ الرّوح ، فاندفع إلى طلب

(١) كحل بالحجاز (٢) بالضم والكسر الناحية (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة ولا عقل

الاجتماع ، أكون قد مهدت له سبيلا ، ووطأت (١) له طريقا ، فلا تبهرني (٢)
فرحة اللقاء ، ولا يغرنني (٣) طرب الظفر « فمن فرح النفس ما يقتل ، ومن
نسوة (٤) أراح (٥) ما يزهق الأرواح » .

فان رأي السيد أن يكتب عبده ، ويعتقه من رق الفرقه ، عجل بجواب
هذا الكتاب ، ليعلم العبد أن نميته صادفت (٦) قبولا ، وأن وسيلته اتخذت
إلى سيده سبيلا ، قرب الله زمن اللقاء ، وقصر أمد النوى ، (٧) حي أنشد في الختام :
تطابق الخبر في عليك والخبر صدق السمع في أوصافك البصر

(وكتب احمد افندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

يعلم سيدي أن المودة لا تباع ولا تشري ، وإنما هي نتيجة الاجتماع
والتعارف ، وقد خلقت الانسان مضطرا اليهما ، لان انتظام العمران عليهما
موقوف ، ولهذا : شهد العيان بأن المفرد بأعماله ، المستبد بأرائه ، عرضة
للخطأ ، مظنة لعدم الثقة ، بخلاف ما إذا كان الاشتراك في الفكر قاعدة للعمل
فلا بد أن الصواب يتمحض منه ، لضعف الفرد وقوة الاجتماع ، إذ لا جرم
أن المرء كما قيل : « قليل بنفسه كثير بإخوانه »

وقد سمعت عن السيد : وقرأت من آثاره المأثورة ما حبه إلى ، وشاقني
للتعرف به ، لنشرك في منفعة تبادل الافكار ، فاني لا أكتفي بمجرد السماع
ولا أقول : « إن الأذن تعشق قبل العين » فانما هي جارة صغيرة - ولكن
كل ميال إليه ، محب لاستجلاء مرآه ، عالم أني إذا دخلت إلى مودته من
باب التلاقي ، لا أجد دهرى

(١) بالتخفيف والتشديد هيأت (٢) لا تغلبي (٣) لا يعلوني (٤) بفتح النون وكرها
السكر (٥) الحمر (٦) وحدت (٧) المعد

يُقَرَّبُ مِنِّي كُلَّ شَخْصٍ كَرِهْتُهُ ۖ وَيُبْعِدُ عَنِّي مَنْ إِلَيْهِ أَمِيلُ ۖ
فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ أَنْ يَرَانِي أَوْ أَرَاهُ ، فَلْيَسْعِدْنِي بِبِضْعَةِ أَسْطَرٍ تَضُمُّ لِي رِضَاهُ ، عَنْ
هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ التَّرْسَلِيَّةِ . لِنَتَرَأَى بِأَحْسَنِ الطَّرِيقِ ، (١) قَبْلَ أَعْيُنِ الرُّؤُوسِ
وَنَتَجَذَّبَ أَحَادِيثَ الْمُرَاسَلَةِ ، إِنْ عَزَّتِ الْمَقَابِلَةُ ، وَقَدْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ خَالِصٌ وَدَّى
وَاخْتَرْتُهُ مِنْ بَيْنِ رِجَالِ الْعَصْرِ ، سَعِيًّا لِكَسْبِ الْمَعَالِي بِمَعْرِفَتِهِ . فَكُلَّ أَمْرٍ بَمَا
كَسَبَ رَهْنٍ ، (٢) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى .

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَاسْأَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

(وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

لَمْ أَكُنْ فِيمَا أَكْتَبُهُ لَكَ إِلَّا سَارِيًّا فِي لَيْلِ التَّعَارُفِ عَلَى ضِيَاءِ خِلَالِكَ ، (٣) الَّتِي
أَمْلَاهَا عَلَيَّ لِسَانُ الْمَدْحِ ، الَّذِي شَرَّقَ وَغَرَّبَ ، وَطَبَّقَ الْأَرْضَ صَيْدَتُهُ . وَإِنِّي وَإِنْ
لَمْ أَكُنْ أَسْعَدْتُ مِنْ قَبْلُ بِاجْتِلَاءِ طَلْعَتِكَ الزَّاهِرَةِ ، وَاجْتِنَاءِ مُفَاكِمَتِكَ
الْغُضَّةِ ، (٤) فَقَدْ دَلَّنِي عَلَى اللَّيْلِ زَيْبِرُهُ ، (٥) وَعَلَى الْبَحْرِ خَرِيرُهُ ، (٦) وَعَلَى الْعَمَلِ
أَثَرُهُ ، وَعَلَى السَّيْفِ أَثَرُهُ . (٧) وَلَكِنْ لَمْ تَجْمَعْنَا لِحِمَّةُ (٨) النَّسَبِ ، فَقَدْ جَمَعْتَنَا
حِرْفَةُ الْأَدَبِ ، أَوْ لَمْ يَضْمَنَّ قَبْلُ مُصَيِّفٌ وَمَرْتَبِعٌ ، فَأَلْطَمُورٌ عَلَى أَشْكَالِهَا تَقَعُ
وَسَبَّهُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ ، وَأَخُو الْفَضَائِلِ هُوَ الْمُعْوَلُ عَلَيْهِ .

وَهَذِهِ الرُّقْعَةُ وَإِنْ وَصَفَتْ لَكَ بَعْضَ مَا أَنَا مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ مِنَ التَّهَافُتِ عَلَى
رُؤْيَيْكَ ، وَالْمِيلِ إِلَى صِدَاقِكَ ، فَقَلَمًا تَتُوبُ عَنِ الْمَشَافَهَةِ ، أَوْ تَقْضِي حَاجَاتِي فِي
النَّفْسِ طَالَمَا تَرَدَّدَ صِدَاقُهَا . وَفِي ظَنِّي أَنْ (سَيِّدِي) يَوْذُمًا أَوْ ذُهُ . وَعَمَّا قَلِيلٍ يُسْفِرُ
صَبِيحُ الْقَاءِ ، وَنَتَجَذَّبُ أَهْدَابَ الْمَعْرِفَةِ ، وَأُرِي مِنْ (سَيِّدِي) فَوْقَ مَا تَوَسَّعَتْهُ

(١) الصحائف (٢) رهون (٣) مصادقتك وإخائك (٤) اللينة (٥) صوته (٦) صوته

(٧) حوهره (٨) القراية

الفصل الثاني في رسائل التعارف قبل اللقاء

وسمعه ، ويرى منى ما يرضيه والسلام
(وكتب الشيخ طه محمود المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ)

أيها السيد العزيز الجنب : الغزير الآداب

قد علمت (ولا أزيدك علماً ، زادك الله ولا نقصك) أن الانسان كما اشتق اسمه من الأنس ، كذلك جبل عليه سماه . وأن المجتمع الانساني عقد يتحلى به صدر الزمان ، نظامه التألف ، ووساطته ^(١) التعارف . فهذان الأمران هما قطب المدار في هذه الدار ، لهذا العالم ، من لدن آدم . وليس إلا بهما يحسن الحال وينعم البال . وتدبر ضرور المافع ، وتتفجر عيون الفوائد . ومن ثم كان أوفر الناس حظاً من معتم الا انسانية ، من يألف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا . وناحيك بخلق آمن الله به على عبادته ! إذ قال عز من قائل : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »

ذلك - (أيها السيد) هو الذي بعثني أن أكتب اليك ، أستفتح باب مودتك بمنتاح الترسل ، وأستصبح في سبيل صحتك بمصباح التوسل ، لا أبا لي بما ينسب الي ، ويذمم علي ، ممن عسى أن يقول : مالك ولهذا الفضول ! وكيف تتطفل على مادية أدبية لم تدع اليها ! وهل هذا منك الا أشبه بالتبرج ^(٢) لغير خاطب ؟ أيها المنتقد . هوّن عليك ما تجد . فلو علمت أن ظل الآداب شامل ، ودعوة المودة الجفلى ^(٣) لا يداد ^(٤) عنها وأغل ، ^(٥) لا سرعت معي الى الوغول ، ^(٦) ولم ترى التودد الى أهل الفضل من فضول . وأي عيب على النكرة في التحلي بحلية المعرفة ؟ ومصاحبة الأعلام ؟ ! أما سمعت قول القائل

(١) الجوهرية التي في وسط المتد وهي أجود (٢) اظهار المرأة زينتها للرجال (٣) العانة للجماعة (٤) لا يطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل

بصُحْبَتِكَ الْكَرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ وَتَأْمَنُ مِنْ مُلَمَّاتِ الزَّمَانِ !
وكيف أضع نفسي بحيث يقول الأول :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُعْتِهَا (١) وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي !

وَسَتَّانِ مَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ : رَجُلٌ يَهْوِي الْمَكَارِمَ وَبَنِيهَا ، وَيَتَنَغَّى الْمُنَاقِبَ
وَذَوِيهَا ، وَيَقِفُ نَفْسَهُ عَلَى مَسْأَلَةِ يَعْلَمُهَا ، وَفَضِيلَةٍ يَتَحَلَّى بِهَا . وَآخَرٌ يَبْذُلُ وَجْهَهُ
الْمُصُونِ ، فِي مَلَأِ الْحَقَائِبِ (٢) وَالْبَطُونِ !

هذا : وقد رجوتُ أن أَكُونَ الرَّجُلَ الْأَوَّلَ بِصُحْبِكَ « أَيُّهَا السَّيِّدُ » فكم
روي لنا من أحاديث فضائل الصَّحَّاح ، وتلى علينا من آيات فضائل الحَسَن ،
ما (٣) أَسَخَّصَ إِلَيْكَ الْقُلُوبَ قَبْلَ قَوْلِهَا ، وَأَوْفَدَ عَلَيْكَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ أَشْبَاحِهَا ،
وَأَعَجَّلَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِهَذَا الرَّقِيمِ ، أَلْتَمَسُ بِالْتَعَرُّفِ إِلَى جَنَابِكَ الْكَرِيمِ ،
مَا أَلْتَمَسَ الْكَلِيمُ مِنْ صُحْبَةِ ذِي الْوَجْهِ النَّضِيرِ ، (٤) أَبِي الْعَبَّاسِ الْحَضَرِ . وَأَتَى وَإِنْ
كَنتُ وَأَلْحَدُ لِلَّهِ مِمَّنْ آمَنُوا بِالْغَيْبِ ، وَلَيْسَ عِنْدِي فِي صَدْقِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَرِيَّةٌ (٥)
وَلَارِيبَ ، يَدٌ (٦) أَنْ لِلصُّحْبَةِ فَضْلًا لَا يُنْكَرُ ، وَلِلْمُؤَاخَاةِ مَزِيَّةٌ لَا يُتَارَى (٧)
فِيهَا اثْنَانِ .

فاذا ورد على السيد كتابي هذا : وانسرح صدره (شرح الله صدره) إلى
إجابة سؤلي ، وَأَرَاتُحَتْ نَفْسُهُ إِلَى أَصْطِنَاعِي ، كَتَبَ إِلَى عَبْدِهِ بِمَا تَكُونُ آيَةٌ جَلِيلَةٌ
عَلَى أَرْتِيَاخِهِ ، لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ .

حَتَّى أَقُولَ لَوْجُهُ آمَالِي أَتَمَّجِ لَا وَلِيَّكَ قَبْلَهُ تَرْضَاهَا

(١) بكسر الهمزة والطاء وبضمها الأخافة (٢) الركائب (٣) ما فعل روي (٤) الحسن

(٥) شك (٦) غير (٧) لا يختلف

(وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر المتوفى سنة ١٩٣٠ م)

إنسان العين، وعين الإنسان
المودة (وصل الله بأجفان الأشواق أهدابها، وفتح لنا أبوابها) أمر
عزيز المرتقي، على من يصطفى صديقه، ويرعى حقوقه. وإني اصطفيك على الناس
برسالتى هذه، وعهدى بكرم سجايك أن تصافحها براحة القبول، وتتخذها
فاتحة ود طارت به إليك رياح فضلك، بعدما مثلت آياته لك فى القلوب معنى
ظهرت فى مرآة الأعين صورته.

فإن أبيت ودادى غير مكترب فغنك مادمت حياً لا أرى بدلاً
وحاشاك عن مثل ذلك الإباء، ونحن وإن لم تحظ أشباحنا باللقاء، فأرواحنا
من قبل جنود، وأعيننا شهود، فإن أنت منحتني ولأء خالصاً، وإخاء صادقاً،
(والأفهمني امرأ حالكا)، ولا إخالك رضاه، وإن كنت المتطفل على مائدة
مودتك، فلى نفس أديب لا ترى العز إلا فى الترامي على ذرا الكمال. لازلت
على مرقى الجلال. والسلام

(وكتب الفاضل السيد محمد الببلاوي)

سيدي: إن مكارم الأخلاق ومعالي المهيم مما تسترق القلوب، وتسرق
العقول. وتلك الأرواح، وإن لم تتلاق الأشباه، فإنني مذسري إلى النسيم
بأخلاقكم الغراء، وابتسم لى تغر هذا العصر عن آثاركم الزهراء، وتواترت
الأخبار بحبكم للفضل وأهله، وأرتياحكم للعلم وذويه، وأنا مشغوف الفؤاد
بالتعرف بسيادتكم، مشغول البال بالتوسل الى رياض مودتكم. ولعلمي أن
للصدقة حقوقاً، وللمصاحبة شروطاً، ربما صعبت على من حاولها، وعزّت على من

رَادَ الوفاءَ بها ، كنتُ أرى الوحدةَ أولى . والافرادَ بى أسلمَ ، ولكن مازالت
نمي (١) إلى أحسنُ شمالكُم المشرقة ، وتواردُ على مسامعى محاسنُ سيركم
لطهرة ، فينموُ الوجد ويزدادُ الشوق . « وَالْأُذُنُ تَعشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانًا »
ما كنتُ أجدُ سبيلًا للتعرف ولا سببًا للتودد ، ولا تجسرُ نفسي على المراسلة
بتداء ، الى أن رأيتُ سيدي قد اهتم للأدب فأعلى منارده ، ونظرَ للإشياء فرفعَ
قداره ، ونصرَ دولته وأحيا صولته ، وأعادَ شبابه ، وفتحَ لأدباء هذا العصر بابَه
لمتُ أن الدهرَ قد ساعدنى ، والفرصة قد أمكنتنى من مُصافحة ما أمّلتُ
مُصافاة ما أردتُ ، من اجتناء ثمار مودة سيدي ، والتعرفُ به والتمسك بأهداب
ضائله ، والتزود من آدابه . فانَّ الأدبَ أحسنُ ما يستصحبُ بأنوارِه ، (٢)
أشرفُ ما يتسابقُ لاقتطاف أثمارِه (٣) ويحمدُ التطفُّلُ على موائده ، ويمدحُ
تنافسُ في الالتقاطِ فوائده . فجعلتُ طلبَ الانتظامِ فى سلكِ آربابِ الأقالِمِ
سيلةً لورودِ عذبِ وداده ، ونمير (٤) التعرفِ به ، فان رأيتُ سيدي أن
يدنِّسَ حرَّ فى عدادِ معارفه ، ويُقابلَ رسالتهُ بما اشتهرَ من لطائفه ، حتى
نمتعَ بالرؤية الإِبصارُ ، كما تمتعتُ المِسمعُ بِطِيبِ الأخبارِ ، كنتُ مُدِيمٌ
شكرًا لفضاله ، مُستمرُّ الثناء على كماله .

(وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

أما بعدُ - فهذه أولُ رسالةٍ أكتبُها إلى مَنْ لم تكنْ لي به جامعة جسمية ،
لم تضمَّنِي وإيادُ حفلةِ تعارفٍ شخصية . وهي - وإن كانتْ فى عُرْفٍ غيرِى تعدُّ
جومًا ، أو تحسُّ فضولًا ، إلا أني أعتقدُ أنها أوفدتُ على كريمٍ يكرم

(١) تزيد (٢) اضوائه (٣) ازهاره (٤) الراكي

وفادتها ، وبتة بل به ما يهديه اليه من رعيم تحية وجليل اجلال . ويجتلي من خلاله
إرادة ود ، ورجاء ولاء ، وبغية فضل ورغبة في إخاء . فيحاط منها محل القبول
ويدرأ^(١) عنها وصمة^(٢) الفضول . إن لسيدي آثاراً شاحداً لها ، فاستغناها
وما أثر سمعناها ، فرويناها أوتناقلناها ، ولا مريية^(٣) في أن ما غاب عنا منها
أكثر مما وعينا ، وأوفي مما سمعنا . ونحن (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) طلاب كمال ، ومنتهج^(٤)
إفضال ، ورؤاد^(٥) . ما خصب من فيحاء العلوم . وقد توسعنا^(٦) في السيد (أطال
الله بقاء) طلبتنا . ووجدنا لديه ضالتنا . فحششنا إلى أرحابه مطية المكتبة
ولنا أمل كبير في نوال المأمول . لعله يفتح^(٧) إلى مقابلة المثل بالمثل . فيكتب
لأخيه بعض كلمات ، يعرف منها أنه قبل الإخاء . ومال إلى مقتضى طبعه
من الوفاء . ولا أظن ذلك إلا وقد كان في أقرب ما يكون من الزمان . فان
الأرواح ما تعارف منها ائتلف . كما يرهن الأوصاف في معاشراتهم خلفاً عن سلف
(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

لَقَدْ سَمِعْنَا بِأَوْصَافِ لَكُمْ كَمَلْتُمْ قَسَرْنَا مَاسَمِعْنَاهُ وَأَحْيَانَا
مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْكُمْ نَلَا مَحَبَّتَكُمْ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

سيدي ومولاي

لقد بلغني عنك في وفائك وفضلك . ما يدعوني لخطب ودك ، ويرغبني في
إحاثك . ويجبني في التوسل إلى معرفة جنابك . وإن لم تجمعنا جامعة شخصية ،
ولم تضمنا حفلة تعارف ذاتية . إلا أن أحاديث فضائلك الصّباح ، أوفدت عليك
الأرواح قبل الأشباح . والولاء والإخلاص ، قبل الأجسام والأشخاص . ولا

(١) يدفع (٢) العار (٣) بضم الميم وكسرهما الشك (٤) طالبو معروف (٥) طالبون
له (٦) ترسنا (٧) بتثنية النون يميل

غَرَابَةً فِي ذَلِكَ . فَإِنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ : أَنْ يُؤَلَّفَ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَأَمْثَالِهَا . وَإِنَّ اللَّهَ مَلَأَ ذِكْرَهُ ، يَسْقُونَ إِلَّا شَكَالَ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَشَبَّ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ . وَأَخُو الْفَضَائِلِ هُوَ الْمَعْوَلُ عَلَيْهِ .

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ بِأَلْهَوَاءٍ تَعْتَرِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ
فَلِذَا أَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي . وَاخْتَرْتُكَ لِمُودَّتِي وَأُنْسِي . نَتَنَاجَى بِالضَّمَائِرِ ، وَنَتَخَاطَبُ
بِالسَّرَائِرِ ، وَإِنْ بَعْدُنَا فِي الظَّاهِرِ ، فَرُبَّ غَائِبٍ بِنَفْسِهِ ، حَاضِرٌ بِخُلُوصِ نَفْسِهِ
فَإِنْ أَيْبَسْتَ وَدَادِي غَيْرُ مُكَثَّرٍ فَعَنْكَ مَا دُمْتُ حَيًّا لَا أَرَى بَدَلًا
وَحَاشَاكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْإِبَاءِ ، وَالْهَجْرِ وَالْجَفَاءِ

لِكُلِّ أَمْرٍ شَكْلٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ يَهْوِي إِلَى مَنْ يَشَاكُهُ
نَاشِدُكَ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ مِنِّْي الْإِخَاءَ ، وَتَضْمِنَ لِي الْوَفَاءَ . وَأَنَا أَرْضَى بِكَ مِنَ
الدُّنْيَا نَصِيدًا ، وَأَخْتَارُكَ مِنَ الْعَالَمِينَ حَبِيبًا

(الفصل الثالث في رسائل الهدايا)

« كَتَبَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٠٥ هـ يَوْمَ النِّيرُوزِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ »

أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ

عَشْتُ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بَزِيَادَةِ مِنَ الْعَمْرِ ، مُوَضُّوْلَةٌ بِفَرَاثِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا
يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يَجِدَّ لَكَ أُخْرَى . وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصَرًّا عَمَّا
بَعْدَهُ ، مُؤَفِّيًّا عَمَّا قَبْلَهُ

أَنِ تَصَفَّحْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ يُجِبُّ عَلَيْهِمُ الْهُدَايَا إِلَى السَّادَةِ . وَالتَّمَسْتُ
التَّاسِّيَ بِهِمْ فِي الْإِهْدَاءِ (وَإِنْ قَصُرَتْ بِي الْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ) فَوَجَدْتُ أَنِّي :

انْ أهديتُ نفسيَ فحى مأكُّ لك ، لا حظَّ فيها لغيرك . وزميت بطرفي
إلى كرائم ما لي ، فوجدتها منك . فان كنتُ أهديتُ منها شيئاً ، فإنني لمهد مأكُّ
إليك . ونزعتُ إلى مودتي فوجدتها خالصةً لك ، قديمةً غير مستحدثة . فرأيتُ
إن جعلتها هديتي ، أني لم أجدد لهذا اليوم الجديد براً ولا لطفاً . ولم أميز منزلةً
من شكري بمنزلة من نعمتك ، إلا كان الشكر مقصراً عن الحق ، والنعمة زائدة
على ما تبلغه الطائفة . فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقك ، هديةً إليك ، والاعتراف
بالتقصير عما يجب لك ، براً أنوسل به إليك . وقلتُ في ذلك :

إن أهد ما لا فهو واهبه وهو الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مژتهن بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طنعت أن تستغنى بسنة^(١) الدهر

(وكتب حفي بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م)

أهدية في نظر الأصفياء جليلة ، وإن كانت في نفسها قليلة . ومكانتها خطيرة ،
وان كانت يسيرة . وسنة حسنة ، اجتمعت على فضلها إلا لسنة
مضت الدهور وأمرها مستحسن وتعاقت بمديحها الأيام
اللهم إلا إن لبست جانباً^(٢) الرياء . ولجت^(٣) أبواب الارشاء
ولا مرأ^(٤) ان الأوداء من ذلك براً

لا يبتغون سوى الوفاء وما لهم غير البقاء على الصفاء مرأ
وما زالت الهدية شعار الأصدقاء ، وعنوان تذكارات الولاء ، وكم جددت
بين الاصحاب عهود التحاب

وتعهدت وُدًّا فعادَ شتيتهُ^(١) ولستمليه بعد البَدَادِ^(٢) نِظَامُ
قد وصلتني يدُ العصا فجدًّا الإهداء ، وأهلاً بتلك اليدِ البيضاء ، وليست هذه
أولُ أياديكَ عليّ ، ولا أكبرُ عارٍ فجةٍ جاءت من ناديك إلى ، أمنتُ بها الثوب^(٣)
واعترضت^(٤) بها على تفريق شمل الكُرب .

فاذا طغَا^(٥) بجرُّ المموم ضربتهُ بعضاى فاجتازت^(٦) به الأقدامُ
تنفلقُ بها من الأيامِ صخورٌ ، فنذبجس^(٧) منها عيونُ السرورِ . وتأقفُ ما يصنعُ
الأعداءُ ، فتذهبُ بسحر البغضاء . وإذا اشتدَّ هَجِيرُ^(٨) ألوحشةٍ ، نشرتُ
ظلال انساها ، أو عصى فرعونُ الدهرَ ، راعنه^(٩) يبأسها^(١٠) .

فكأنما أوصى الكليم^(١١) لنا بها حتى يرى آياتِهِ الأرقامُ
وقد فكرتُ ماذا أقابلُ به طرفتك^(١٢) ، وأتلقى به تحفَتِكَ ، إلى أن هداني
اللهُ ، أن يدَ المنعمِ إنما تقابلُ بالافواه ، ليُعزَّزَ القبولُ بالقبَل ، ويؤدي الرسمُ
باللشم . فأرسلت إليك فم سِجارة ، وجعلته لهذا المعنى إشارة . وقلت :

مولاى كمْ فاضت يمينك بالندى^(١٣) حتى عدوتُ غريقَ بحرِ الأَنعمِ
والشكرُ أوجبَ أن أقبلَ راحها فكيتُ عن هذا بإهداء الفمِ
وقد علمت أن المنظرَ البهيجَ ، يتمُّ بالتدبيح^(١٤) ، فاخترتُ أن يكون مبدؤه
كالليل إذا عَسَسَ ،^(١٥) ومنتهاه كالصبح إذا تنفسَ ،^(١٦) إيذاناً بزوال
السرور بالسرور ، ورمزاً إلى الخروج من الظلمات إلى النور .

(١) التفريق (٢) جمع مائه مصيبة (٣) استعنت (٤) علا (٥) سلكت (٦) تنجر
(٧) حرها (٨) أزعجته (٩) بشدتها (١٠) سيدا موسى عليه السلام (١١) احساك
(١٢) العطاء (١٣) الرين (١٤) أقبل بظلامه (١٥) أضاء (١٦) اعلاما

(وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر)

يأيتها المولى الذى عمت أياديهِ الجميلة
إقبلْ هديةً من يرى فى حقك الدنيا قليلة

غرة وجه السعود ، وقرّة عين الوجود - الأمير الجليل

يا جليل الفضائل - إليك توجه الآمال . ويا جميل الشّائل بساحتك تحطّ
الرحال . تلك هى السّاحة الفيحاء ، (١) والشّيمة (٢) الحسنة ، والهمة العليا ، واليد
البيضاء ، والأعمال التى تضرب بها الأمثال . كم من نعم أسديتها ، (٣) ومكّرم
أوليتها ، وعلوم أحيتها ، فانت المصدر والمورد ، والمقصّد والموعّد . إليك أقدم
تلك الهدية المرضية ، وأرفع ذلك الكتاب المستطاب ، مشفعاً فى قبوله كرم
سجياك ، وعظم مزاياك . واني وإن كنت أعلم أن مقامك العلىّ يجبل عن أن
يرفع اليه مثله ، فقد عرفناك ، متواضعاً فى علاك ، قريباً مع اعتلاك .

دنوت بتواضعاً ، وعلوت بمجداً فشأنك انخفاض وارتفاع
كذلك الشمس يبعد أن تسامى (٤) ويدنو الضوء منها والشّعاع
وحاشاك أن أهدى للقمر نوراً ، أو للشمس ضياءً . أو أبعث بينية القطر (٥)
الى ذلك البحر . ولكنني أحببت أن يحظى بلثم بنائك ، (٦) وينال من كرمك
واحسانك . وقد عهدت لك تهتزّ للمكرم اهتزاز الصّارم (٧) وترتاح لاسداء الجليل
كما يرتاح للكرم التّزّيل ، وللشفاء العليل - وما هو إلا من نور فكرك مقتبس ، (٨)
ففساد يحظى بالقبول ، فأبلغ غاية المأمول والسلام .

(١) الواسعة (٢) الخلق (٣) اعطيتها (٤) تناسخ (٥) المطر (٦) الاصاب

(٧) السيف التاطع (٨) مأخوذ

(وكتب الاستاذ عبد الله بك الانصارى المتوفى سنة ١٩٣٢ م)

المولى (أدام الله وجوده ممتعاً بهدايا الأيام ، وتحف الأغوام) طالما
أوفد^(١) من الرغد^(٢) الى^(٣) ، ووجه من الخيرات ما أفعم^(٤) يدى^(٥) ، حتى
أصبحت^(٦) (وله الفضل والمنة) أجر^(٧) ذبول النعماء ،^(٨) على غبراء^(٩) البأساء^(١٠)
وأجتلى^(١١) معارف السراء ، بعوارفه البيضاء ، التى لا يوازىها ثناء وحمد ، ولا
يوازنها عطاء ورغد ، ولا يطاولها سماء وبحر ، ولا يغالبها بؤس وفقر . وإن لى
من آلاء^(١٢) السيد (حفظه الله ، وآدام علاه) ، ما أينع ، وأزهر وأوزق وأثمر
حدائق قامت لشكره عيدانها ، وسجدت لفضله أغصانها ، وترنمت طرباً
وتمايلت عجباً ، بنفحات هي عرفه^(١٣) ، وبركات هي عرفه^(١٤) . ولى أمل فى جنبه
(وأنا سليل^(١٥) نعمته) ، وعهدي بأخلاقه وأنا ابن مودته (أن يمن بقبول
ما أهديته ، وهو من مال نفسه ، وثمرة غرسه ، (باكورة تفاح) يرفعها إجلال
وإعظام ، وتصحبها تحية وسلام .

(وكتب الشيخ احمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

الهدية (غمرك الله بالمعروف) تبسط يد المودة ، وتدثر بها أخلاف^(١١)
القرب ، وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر
الخلاف . وما أنا فيما أهديه اليك إلا : كمستبضع^(١٢) تمرأ الى أرض خيبر^(١٣)
أو كالواهب الماء للبحر ، والضوء للبدر ، والمالك لسليمان^(١٤) ، والمال لقارون^(١٥)

(١) ارسل (٢) العطاء والصلة (٣) ملائمة (٤) بالفتح النعمة (٥) الارض (٦) الداهية
(٧) نظر اليها مجلوة (٨) نعمة (٩) بالفتح الريح الطيبة (١٠) الولد (١١) جمع خلف بالكسر
(١٢) جاعله بضاعة (١٣) موضع بالحجاز (١٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام
(١٥) من قوم موسى عليه السلام اعطاه الله من الكنوز ما لم يعطه لغيره .

والحلم لأخف، (١) والذكاء لياس، (٢) والتفسير لابن عباس. (٣) وماذا لك إلا كتاب كما تراه ضرب في الأحكام بسهم، ووعى من الأحكام، ماخلت منه مفعات (٤) الأسفار (٥) وموجزات الرسائل. فهو كما قيل: «كل الصيّد في جوف الفراء» (٦)

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائحات المعاني

على أنى وإن تطلعت عليك، وسقت لك هذا الكتاب مژدلاً (٧) إلى جنابك الرحب، ومقامك الأسنى. فقد أصبت كبد الصواب، ووضعت حيث يعرفه أهله، ويتقبله من باذله عالموه. علماً بأنك عباد العلوم وأساس الفضائل لا تغادر (٨) شاردة إلا وعيتها، ولا نادرة إلا رويتها. والآن لو كان يهدي على قدرى وقدركم لكتب أهدى لك الدنيا وما فيها (وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى أستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده).

سيدي ومولاي، أطال الله بقاءك، ورفع في الدارين علاك - الهدية مفتاح باب المودة. وعنوان تذكار المحبة. يتسابق إليها كرام السجاياء، (٩) ويتسارع إلى إحياء شعائرها عشاق المزايا، حرصاً على حفظ عهد الوداد والتألف وإذهاباً لوحشة التقاطع والتحالف

هدايا الناس بعضهم لبعض تؤلّد في قلوبهم الوصالاً

(١) هو أبو بحر صخر بن قيس تابعي كبير يضرب به المثل في الحلم توفي سنة ٦٧ هـ
(٢) هو أبو وائلة بن معاوية بن مرة المزني يضرب به المثل في الذكاء توفي سنة ١٢٢ هـ (٣) هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي يلقب ترجمان القرآن توفي سنة ٩٨ هـ (٤) مملوآت (٥) الكتب (٦) حمار الوحش ومعناه - كل ما عده دونه. قاله النبي عليه الصلاة والسلام تطميناً لرجل خرج يصطاد مع أصحابه فلم يصن غير حمار الوحش (٧) متقرباً (٨) لا تترك (٩) لا خلاق

وَتَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ هَوًى وَوَدًّا وَتَكْسُوكَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَ
وَلَقَدْ وَجَدْتُكَ إِيمَانًا حَكِيمًا، وَفِيلَسُوفًا عَلِيمًا، تَهْدُرُ الْأَعْمَالَ حَقَّ قَدَرِهَا، وَتَضَعُ
الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، نَسْبًا قَافًا إِلَى نَشْرِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
يَبْقَى الثَّنَاءُ وَتَنْفَدُ الْأَمْوَالُ وَلِكُلِّ دَهْرٍ دَوْلَةٌ وَرِجَالٌ
مَانَالٌ مُحَمَّدَةُ الرِّجَالِ وَشُكْرُهُمْ إِلَّا الصَّبُورُ عَلَيْهِمُ الْمَفْضَالُ
فَلِذَا أَهْدَيْكَ كِتَابِي (جواهر الادب — في أدبيات لغة العرب) جَمْعُ فَأَوْعَى
مِنَ الْآدَابِ وَالْحُكْمِ، مَاخَلْتُ مِنْهُ مُفْعَمَاتِ الْأَسْفَارِ^(١). فَهُوَ بِلَا شُكٍّ وَلَا مِرَا
كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا.

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظُهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي

عَلَى أُنْبِيٍّ - وَإِنْ تَطَلَّعْتُ عَلَيْكَ، وَوَضَعْتُ كِتَابِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ - فَقَدْ وَجَلْتُ
الْأُمُورَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَأَصَبْتُ كِبَدَ الصَّوَابِ، حَيْثُ يُعْرَفُ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ
ذُوُوهُ. وَيَتَقَبَّلُهُ بِقَبُولِ حَسَنِ عَالَمُوهُ.

شُكْرًا وَحَدًّا إِنْ قَبِلْتَ هَدِيَّتِي وَجَعَلْتَ لِي فَضْلًا عَلَى أَقْرَانِي
فَتَنَازَلَكَ بِقَبُولِهِ يَكُونُ الْإِقْبَالُ عَلَيْهِ جَلِيلًا، وَيَعِجْزُ لِسَانِي عَنْ أَنْ أَشْكُرَكَ
شُكْرًا جَزِيلًا - وَالسَّلَامُ

(الفصل الثالث في رسائل الهدايا)

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى المرحوم (سعد باشا) زغلول يهديه كتابه)

« جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب »

مولاي : أطالَ اللهُ بقاءك في أهنأ عيشةٍ وأرغدِها . وآتمَّ نعمةٍ وأسعدها
وأعمَّ عافيةٍ وأزيدها . وأولاك من الأكلأ بأمدها مزيداً ، ومن السَّلامةِ بأسبَلِها
يَسْتَرَأ ، ومن الشُّرُور بأوفره حظاً ، ومن العزِّ بأشدَّه رُكناء ، ومن العُمُرِ بأبعده
مدأ ، تولاك المولى بحفظه وحياطته ، وحرَّسك تحت جناح السَّلامةِ بكَلَّته
ورعايته .

إنَّ اللهَ تعالى قد خَصَّكَ : بالعزِّ المنيع ، والتَّسَرُّفِ الرفيع ، والمُخْلِصِ السَّنيِّ
والفخرِ البهيِّ ، والرَّأيِ والحرم ، والبلاغةِ والفهم ، والبراعةِ والكمال ، والبذلِ
والنَّوال ، وألجود والإفضال ، والحمدُ والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهبِ الجميلِ
والقدَرِ الجليلِ . فانتَ (أدامَ اللهُ كرامتك ، وأكرمَ حياطتك) مَعْدِنُ الفضائلِ .
وَزَيْنُ المحافلِ . غِيَاثُ اللاَّجِي . إِلَيْكَ . وسندُ المَعُولِ عليك . لا يُجحدُ فضلك .
ولا يُنسي ذِكْرُكَ . عَرَفَكَ شائع . وجودُكَ واسع . ومعروفتُكَ ذائع . وفُضلك شامل
ولبُّكَ كامل . سلَّمٌ لآ ولِيائِكَ ، وحربٌ لآ أعدائِكَ . سَعَائِبُ كُفَيْكَ تُمطرُ دِيمِ
الإِنعام . وشأيبُ يَدَيْكَ تنفوق أفعالُ السَّكرام . زادَكَ اللهُ أيُّها الرِّئيسُ عِزّاً
إلى عقلِكَ . وفخراً إلى فخرِكَ . وفضلاً إلى فضلك . وطولاً إلى طولِكَ . وسُودداً
إلى سُوددِكَ . إنَّه لطيف كريم

لَمَّا رَأَيْتُكَ (أَدَامَ اللَّهِ عُلوَّكَ وَتَأْيِيدَكَ . وَأَجْزَلَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظَّكَ وَقِسْمَكَ) نَغْنِي عَنْ التَّوَسُّلِ إِلَيْكَ بِكَرِيمِ أَخْلَاقِكَ . وَشَرِيفِ أَعْرَاقِكَ . جَعَلْتُ كَرَمَكَ ذَرِيعَتِي إِلَيْكَ . لِمَا دَلَّنِي مِنْ فَضْلِكَ عَلَيْكَ . وَكَفَى بِهِ عَنِ الْبَيْبِ شَاهِدًا . وَإِلَى الْكَرِيمِ قَائِدًا . فَأُطْمَعُنِي فِيكَ مَا رَأَيْتُ مِنْ جُودِكَ وَسَمَاحَتِكَ . وَحُسْنِ بَشْرِكَ وَطَلَّاقَتِكَ . وَلَئِنْ أَمْلَنْتَكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَدَفَعْتُ بِكَ صَوْلَةَ النُّوَابِ وَرَجَوْتُكَ لِكَشْفِ الْمَلَمَّاتِ ، وَالْحَوَادِثِ الطَّارِقَاتِ ، وَاسْتَعَثَّمْتُ بِسَيِّمِكَ وَجَدَوَاكَ عَلَى غَيْرِ شَافِعٍ ، أَطْمَعُ فِي شَفَاعَتِهِ إِلَيْكَ . أَوْ مُتَوَسِّلٌ فِي مَالِدِكَ . فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ يُدْنِي كَفِّي سَبَبًا لِلْحُرِّ أَنْ يَجْتَدِيَ حُرًّا بِلَا سَبَبٍ وَلَمَّا كَانَتْ الْوَسِيلَةُ إِلَى السَّادَاتِ . وَأَهْلِ الْأَخْطَارِ وَالْمُرُوءَاتِ . إِنَّمَا هِيَ وَكِيدٌ حُرْمَةٌ ، أَوْ قَدِيمٌ خِدْمَةٌ . وَكُنْتُ صَفْرَاءَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، غَيْرَ دَاخِلٍ فِي جُمْلَةِ أَهْلِهِ تَوَسَّلْتُ بِكِتَابِي « جَوَاهِرِ الْأَدَبِ - فِي أَدَبِيَّاتِ لُغَةِ الْعَرَبِ » إِذْ كَانَ الْمُتَوَسِّلُ بِهَا عَلَى ثِقَةٍ يَمُنُّ بِعَرَفِ قَدَرِهَا . لِأَنَّ الْأَدَابَ عِنْدَ ذَوِي الْكِرَمِ ، أُعْطِفُ مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ . وَهُوَ سَبَبٌ بَيْنَ الْكِرَامِ مَوْضُولٌ ، يَنْزِعُونَ إِلَيْهِ ، وَحَقٌّ يَتَعَاطَفُونَ عَلَيْهِ وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ

أَدَبٌ بَيْنَنَا تَوْلَدَ مِنْهُ نَسَبٌ وَالْأَدِيبُ صَنُوُ الْأَدِيبِ

وَقَالَ الْآخَرُ

حَقُّ الْأَدِيبِ وَإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسَبٌ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مَنْ أُمْسِيَ لَهُ أَدَبٌ وَقَدْ ضَمَنْتُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْأَدَابِ أَظْرَفَهَا ، وَمِنَ الْأَشْعَارِ أَفْضَلَهَا وَأَجْمَلَهَا وَجَعَلْتُهُ سَبَبًا أُمْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، وَهَدِيَّةً أَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَتَنَازِلُ دَوْلَتِكُمْ بِشَرَفِ الْقَبُولِ ، يَكُونُ غَايَةً مَطْلُوبِي : وَنَهَايَةَ الْمَأْمُولِ .

(الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف والاعتذار)

(كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

أَلْكَرِيمَ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ ، وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ ، وَإِذَا أَسْرَ أَعْتَقَ . قَدْ هَرَبْتُ مِنْكَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَعْنْتُ بِعَفْوِكَ عَلَيْكَ . فَأَذِقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاكَ عَنِّي ، كَمَا أَذِقْتَنِي مَرَارَةَ انْتِقَامِكَ مِنِّي . الْحُرُّ كَرِيمُ الظُّفْرِ . إِذَا نَالَ أَقَالَ ^(١) . وَاللَّيْمُ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ ^(٢) . قَدْ هَابَكَ مَنْ اسْتَرَى . وَلَمْ يُذْنِبْ مِنْ أَعْتَدَرَ . تَكْلَفُ الْإِعْتِذَارِ بِلَا زَلَّةٍ ^(٣) . كَتَمْتُ الدَّوَاءَ بِلَا عِلَّةٍ . مَوْلَايُ يُوجِبُ الصَّفْحَ عِنْدَ الزَّلَّةِ ^(٤) . كَمَا يَلْزِمُ الْبَدَلَ عِنْدَ الْخَلَّةِ ^(٥) . مَوْلَايُ يُؤَلِّينِي صَفِيحَةَ ^(٦) صَفْحِهِ ، وَيُؤْتِينِي الْعَفْوَ مِنْ عَفْوِهِ . زَلَلْتُ وَقَدْ يَزِلُّ الْعَالَمُ الَّذِي لَا أَسَاوِيهِ . وَعَثَرْتُ وَقَدْ يَعْثُرُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا أَجَارِيهِ . لَا تُضَيِّقَنَّ عَنِّي سَعَةَ خَلْقِكَ . وَلَا تَكْذَرَنَّ عَلَيَّ صَفْوَ وَدِّكَ . مَا لِي ذَنْبٌ يَضِيقُ عَنْهُ عَفْوُكَ وَلَا جُرْمٌ يَتَجَانَى تَجَاوُزَكَ وَصَفْحَكَ : وَالسَّلَامُ

« وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٣٢ هـ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ »

مِنَ الْأَسِيرِ فِي يَدَيْهِ ، بِإِذْنِ إِلَهِهِ ، وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ . (أَمَّا بَعْدُ) فَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ حِفْظَ الْوَصِيَّةِ . وَمَنْحَكَ نَصِيحَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَأَلْهَمَكَ عَدْلَ الْقَضِيَّةِ . فَإِنَّكَ مُسْتَوْدَعُ الْوَدَائِعِ ، وَمَوْلَى الصَّنَائِعِ . فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ ، بِحَسَنِ صُنَائِعِكَ . فَالْوَدَائِعُ عَارِيَةٌ ، وَالصَّنَائِعُ مَرْعِيَةٌ ، وَمَا التَّعَمُّعُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا فَيْكَ بِمَنْزُورٍ . نَدَاةً ، وَلَا بِمَبْلُوغٍ مَدَاهَا ، فَنَبْهًا لِلتَّفَكُّيرِ قَلْبِكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ ، وَأَعْطِ مَنْ نَفْسَكَ مِنْ هَوِّ تَحْتَمُّكَ ، مَا تَحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ مِنْ هَوِّ فَوْقِكَ . مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ ، وَالْأَمْنِ مِنَ الْحَقَافَةِ . فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بِأَنْ فَوْضَ

(١) نَزَلَ (٢) تَمَلَّكَ وَتَمَسَّكَ (٣) بِالْفَتْحِ السَّقَطَةُ (٤) بِالْفَتْحِ الْغَلْطَةُ (٥) بِنَتْجِ الْحَاءِ الْخَاجَةُ وَالْفَقْرُ (٦) صَفِيحُهُ - عَرِيضٌ . أَيْ عَظِيمٌ صَفْحُهُ

أمرنا إليك. فاعْرِفْ لَنَا لَيْنَ شَكْرِ الْمَوْدَّةِ، وَاعْتَظِرْ مِنَ الشَّدَّةِ، وَالرِّضَا بِمَا رَضِيتَ
وَالْقَنَاءَ بِمَا هَوَيْتَ. فَإِنَّ عَلَيْنَا مِنْ سَمَكِ الْحَدِيدِ وَثَقْلِهِ أَذًى شَدِيداً، مَعَ مَعَالِجَةِ
الْإِغْلَالِ، وَقَلَّةِ رَحْمَةِ الْعَمَالِ، الَّذِينَ تَسْهِّلُهُمُ الْغَلْظَةُ، وَتَيْسِرُهُمُ الْفُظَاظَةُ، وَإِيرَادِهِمْ
عَلَيْنَا الْعُمُومَ، وَتَوْجِيهِهِمُ الْبَيْنَا الْمُمُومَ. زِيَارَتُهُمْ الْحِرَاسَةَ، وَبِشَارَتُهُمُ الْإِيَّاسَةَ! إِيَّاكَ (بَعْدَ
اللَّهِ) نَرْفَعُ كُرْبَةَ الشَّكْوَى، وَنَشْكُو شَدَّةَ الْبَلَاوِ. فَمَتَى تُمَلِّ الْبَيْنَا طَرْفًا، وَتَوَلُّنَا مِنْكَ عَطْفًا
نَجِدُ عِنْدَنَا نَصْحًا صَرِيحًا، وَوَدًّا صَحِيحًا، لَا يَضِيعُ مِثْلُكَ مِثْلَهُ، وَلَا يَنْفِي مِثْلُكَ أَهْلَهُ
مِنْ حَرَمَةٍ مَنْ أَدْرَكَتْ بِحَرَمَتِهِ، وَأَعْرِفْ حُجَّةً مَنْ فَلَجَتْ بِحُجَّتِهِ^(١)، فَإِنَّ النَّاسَ
مِنْ حَوْضِكَ رَوَاءَ. وَنَحْنُ مِنْهُ ظَاهٍ. يَمْشُونَ فِي الْأَبْرَادِ، وَنَحْنُ نَحْجُلُ فِي الْأَقْيَادِ
بَعْدَ الْخَيْرِ وَالسَّعَةِ، وَالْخَفْضِ وَالِدَعَةِ، وَاللَّهُ أَلْمُسْتَعَانُ. وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ.

« وَكَتَبَ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبِ الْحَلَبِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٧٩٩ هـ »
رَفَقًا بِمَنْ مَلَكَ الْوَجْدُ قِيَادَهُ، وَعَطْفًا عَلَى مَنْ أَذَابَ الشَّقُّ فَوَادَهُ، مَتِّمًا^(٢)
أَقْلَقَهُ قَرطَ صُدُودِكَ، وَمُغْرَمًا أَغْرَاهُ بِحَبْلِكَ قَوْلُ حُسُودِكَ، وَسَقِيمًا لِاشْفَاءِ لَهُ
جُورَنَ مَزَارِكَ، وَمُقِيمًا عَلَى عَهْدِكَ وَلَوْ طَالَتْ مُدَّةُ نَفَارِكَ. إِلَى مَ هَذَا التَّنَائِي^(٣)
وَالنَّفُورُ؟ وَعِلَامَ إِذَا الْقَدَّ الْعَادِلُ تَجُورُ؟! لَقَدْ تَضَاعَفَ الْأَسْفُ وَالْأَسَى
وَتَطَاوَلَ التَّعَلُّلُ بَعْلًا - وَعَسَى.

هَبْنِي تَخْطِيطُ إِلَى زَلَّةٍ وَلَمْ أَكُنْ أَذْنَبْتُ فِيمَا مَضَى
أَلَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِهَا حَرَمَةٌ؟ تَوْجِبْ لِي مِنْكَ جَمِيلَ الرِّضَا!
وَلَسْتُ أَلُوذُ إِلَّا بِبَابِ نَعْمِكَ، وَلَا أَعْتَمِدُ فِي مَحْوِ الْأَسَاءَةِ إِلَّا عَلَى حَلْمِكَ
وَكِرْمِكَ. وَمَا جَلَّ^(٤) ذَنْبٌ يُضَافُ إِلَى صَفْحِكَ، وَلَا عَظُمُ جَرْمٍ^(٥) يَسْنَدُ إِلَيَّ
عَفْوِكَ. وَمِثْلُكَ مَنْ يَقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَفْوَاتِ.

(١) فليج بحجته - أثبتنا (٢) مستبعد ذليل (٣) التباعد (٤) ماعظم (٥) ذنب

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رِضْوَى ^(١) تَزُولُ وَأَنَّ وَدَّكَ لَا يَزُولُ
وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ لَهَا انْقِلَابٌ وَحَالَاتُ ابْنِ آدَمَ تَسْتَحِيلُ
طَالَمَا آتَيْتَنِي بِقُرْبِكَ، وَدَنَوْتَ مِنِّي مَغَارِ قَاطِبَاءَ سِرِّكَ، وَأَنْجِزْتَ وَعْدِي
وَأَطْلَعْتَ نَجُومَ سَعُودِي.

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَذْنَيْتُ مَجْلِسِي وَوَجْهَكَ مِنْ مَاءِ الْبِشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَى بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ
قَيَّدَتْ أَمْلِي عَنْ سِوَاكَ، وَبَهَرَتْ نَاضِرِي بِنُظْرَةِ سَنَّاكَ ^(٢). وَكَسَرَتْ جَيْشِي
قِرَارِي، وَتَرَكْتَنِي لَا أَفَرِّقُ بَيْنَ لَيْلِي وَنَهَارِي، أَحُومُ حَوْلَ الدِّيَارِ، وَأُعُومُ فِي
بَحْرِ الْأَفْكَارِ، وَأَتَمَسَّكَ بِعُطْفِ عَطْفِكَ، وَأَتَعَلَّقُ بِأَذْيَالِ مَكَارِمِكَ وَلَطْفِكَ، أَمَا
عَلِمْتَ أَنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ؟ وَأَذَا صَدَرَتْ مِنْ عَبْدِهِ زَلَّةٌ أَسْبَلَ عَلَيْهَا رِداً،
الْعَفْوُ وَسِتْرٌ؟ وَأَنَّ شَفِيعَ الْمُذْنِبِ إِقْرَارُهُ؟ وَرَفُضَ خَطِيئَتِهِ عِنْدَ مُوَلَّاهِ اسْتِغْفَارُهُ؟
وَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٌ فَعَذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُدْرٌ
لَهْفِي عَلَى عَيْشِ سَلَاَفٍ ^(٣) حَدِيثُكَ سَلَفِ أَوْاقَاتٍ حَلَّتْ، ثُمَّ خَلَّتْ وَأَوْرَثَتْ
الْتَلَفَ أَوْ آهًا لَا يَأْتِمُ بِطِيبِ أَنْسِكَ مُضْتَابِرُوقٍ لِيَالٍ لَوْلَا قُرْبُكَ مَا أَوْمَضْتُ ^(٤)
قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ فِي الْهَوَى مَقْدَارَهَا رَحَلْتُ وَبِالْأَسْفِ الْمَبْرَحَ عَوَّضْتُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِعَادَةِ مِثْلِهَا وَهِيَ الَّتِي بِالْبُعْدِ قَلْبِي أَمْرَضَتْ
فَجَذُّ بِالْتَدَانِي، وَأَسْمَحُ بِنِيلِ الْأَمَانِي، وَأَلِينُ قَلْبَكَ الْقَاسِي، وَعَدُّ عَنِ التَّنَائِي
وَالْتَنَامِي، وَارْعَ الْوُدَّ الْقَدِيمَ، وَأَبْدِلْ شِقَاءَ مُحِبِّكَ بِالنَّعِيمِ، وَلَا تَعْدِلْ عَنْ مَنَاهِجِ

المعدلة ، وسلم فقد أخذت حقها المسئلة ، وأغمد سيف حيف ^(١) صيرته مسلولاً وأوفٍ بالعهد أن العهد كان مستولاً .

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

ليس عندي (أعزك الله) سبب ، ولا أقدر على شفيع ، إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة ، والتأميل الذي لا يكون إلا من نتاج حُسنِ الظن ، وإثبات الفضل بحال المأمول ، وأرجو أن أكون من الشاكرين ، فتكون خير مُعتب ^(٢) وأكون أفضل شاكر . ولعل الله يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الانعام ، وهذا الانعام سبباً للإيقاط اليكم ، والسكون تحت أجنحتكم ، ^(٣) فيكون لأعظم بركة ولا أنبي بقيّة من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك (جعلت فداك) عاد الله نب وسيلةً والسيئة حسنة . ومثلك من انقلب به الشرُّ خيراً ، والغرم ^(٤) مغناً ^(٥) .

من عاقب فقد أخذ حظه ، وإنما الأجر في الآخرة ، وطيب الله كفي الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجزع المرائر . وأرجو أن لا أضيع (وأهلك) فيما بين كرمك وعقلك وما أكثر من يعفون صغراً ذنبه ، وعظم حقه . وإنما الفضل والثناء العفون عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمه ، وأن كان العفو العظيم مستطرقاً ^(٦) من غيركم فهو تِلَادٌ ^(٧) فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة أمكم ، فلا أنتم عن ذلك تنكلون ، ^(٨) ولا على سالف إحسانكم تندمون ، ولا مثلكم إلا كمثل عيسى ابن مريم ، حين كان لا يمر ببلأ من بني اسرائيل إلا أسمعوه شراً ، وأسمعهم خيراً ، فقال له (شمعون الصفا) : ما رأيت كالיום اكلمنا أسمعوك شراً ، أسمعتم

(١) الجور (٢) مسر بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم اداؤه (٥) الغنيمة

٦ (مستحدثنا (٧) المال القديم (٨) تجنبون

خيراً! فقال: «كلُّ امرئٍ يُنفقُ مما عنده» وليس عندكم إلاَّ الخيرُ، ولا في أوعيتكم إلاَّ الرحمة. وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيه ينضحُ .

(وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء)

نَبَتُ (١) في غُرَّةِ الحِداثةِ ، فَرَدَّتْني إِلَيْكَ التَّجربةُ ، وقادَتْني الضَّرورةُ ، فَثَقَّ بِأَسْرَاعِكَ إِلَيَّ ، وَأَنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ ، وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ . وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي سَدَّتْ عَلَى مَسَالِكِ الصَّفْحِ عَنِّي ، فَرَأَيْتُ فِي مَجْدِكَ وَسُوءَ دَدِكَ . (٢) وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي ، لَوْلَا أَنْ الْمُخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ . وَلَا خُطَّةً أَذْنًا مِنْ خُطَّتِي ، لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ - وَالسَّلَامُ .

« وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ »

لو بغير الماءِ حَلَقِي شَرْقُ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ (أَبْقَى اللَّهُ السَّيِّدَ) عَلَى الدَّوَامِ؟ مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءُ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ؟ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ! وَكَيْفَ يَعَالِجُ عَمَلَةَ الْقَرْحَةِ الْعَمِيَاءَ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ؟ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟! الْكَرِيمُ إِذَا قَدَرَ غُفْرَ . وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلُقَ . وَإِذَا أَسْرَعَ اتَّقَبَ وَلَقَدْ هَرَبْتُ مِنَ السَّيِّدِ إِلَيْهِ . وَتَسَلَّحْتُ (٣) بِغُفْوِهِ عَلَيْهِ . وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ (٤) حَيَاتِي وَمَتَانِي بِيَدَيْهِ . فَلْيَذْفُقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاكَ عَنِّي . كَمَا إِذَا أَقْبَى مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنِّي . وَلْيُلْحِمْ (٥) عَلَيَّ حَالِي غُرَّةَ غُفْوِهِ . كَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا مَوَاسِمُ (٦) غَضَبِهِ وَسَطْوُهُ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْحُرَّ كَرِيمُ الظَّنِّ . إِذَا نَالَ أَقَالَ . وَأَنْ اللَّيِّمَ لَيْتِمُ الظُّفْرَ . إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ . وَلْيَغْمِ الْعُجَاوِزَ عَنْ عَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ . وَلْيَتَهَيَّزْ (٧) فَرَسَ الْاِقْتِدَارِ . وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ

(١) ابعدتني (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التي يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تطهر (٦) العلامات (٧) يهتزم

الذى أقامه مقام من يُرتجى ويُنشئ، وركب نصابه في رتبة شاب الزمان ومجدها
فقي، وأخلق العالم وذكرها طري. وليعتقد أنه قد هابه من استتر، ولم يذنب
إليه من اعتذر. وأن من ردَّ عليه عذره، فقد أخرج إلى الشجاعة بعد الجبن
وأخرج ذنبه إلى صحن اليقين من ستر الظن. وفق الله السيد لما يحفظ عليه
قلوب أوليائه، وعصمه مما يزيد به في عدد جاحم أعدائه. له

« وكتب بعضهم إلى رئيسه »

وجدتُ استصغارك لعظيم ذنبي أعظم. بقدر تجاوزك عني. ولعمري. ما جلّ
ذنب يُقاسُ إلي فضلِكَ، ولا عظمُ جُرم يُضافُ إلى صفحك، ويُعوَّلُ فيه على
كرم عفوك. وإن كان قد وسعه حلمك، فأصبح جليله عندك محترقاً، وعظيمه
لديك مستصغراً، أنه عندى لفي أقبح صور الذنوب، وأعلى رُتب العيوب. غير
أنه لو لا بوادِر (١) السفهاء، لم تُعرف فضائل العلماء، ولو لا ظهور نقص بعض
الأتباع، لم يَن جمال الرؤساء. ولو لا المام المامين بالذنب، لبطل تطوُّل المتطولين
بالصفح. وآتى لا أرجو أن يمنحك الله السلامة بطلبك لها، ويقيمك العثرات
بأقالتك أهلها. وما علمت أنى وقفتُ منك على نعمة أتدبرها، إلا وجدتها تشتمل
على فائدة فضل، تتبعها عائدة عقل.

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ هـ »

بِمَ يعتذرُ اليك من لا يرى لنفسه عذراً؟! وكيف يستتر من عتبك من
لا يستطيع لذنبه سترًا؟! بل كفى من العتب: تعنيف نفسي على ما ألقىت عليا
من تبعة تقصيري. وما حلتُ به من التفرط بينها وبين معاذيري، والله أعلم كان

تقصيري شيئاً أردته. ولا كان تفريطي أمراً قصده. ولكنّها الأيام! إن صاحبها لم تصحب. وإن عاتبها لم تعتب. فلقد عبرت بي هذه البرهة كلها، وأنا بين شواغل لا يشغلها عني شغل، وبلايل^(١) قد اختلطت بها بالناسيل، فتناسلتها هذه النهضة^(٢) اليسيرة، أجدد فيها التذكرة، إلى أن يمن الله بصلة الجبل واجتماع الشمل. وأستنزل أحرفاً من خطك يكتبها لي بها الشاطر، ويأنس إليها الخاطر، متوقفاً بعد ذلك أن أبقى بين بدى مودتك مذكوراً. والآن يكون عجزى لديك شيئاً منظوراً. وإن تجري بي على عادة حلمك، إلى أن يجمع الله الشيتين، ويغنى العين^(٣) عن الأثر بالعين^(٤). إن شاء الله تعالى - والسلام.

(وكتب أيضاً)

وآفان كتابك العزيز « والنفس نازعة »^(٥) إلى ما يزيل نفارها، والقرينة^(٦) نائمة^(٧) إلى ما يشد^(٨) غرارها^(٩). فكان روضة باسمه^(١٠) الكائم^(١١) فاتحة النسائم. قد ردت على النفس انبساطها، وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها فأنا منه ما بين وشي^(١٢) فينجل طراز العبقرية،^(١٣) وزخرف^(١٤) دونه نضرة^(١٥) السارية^(١٦) تناجيني منه رشاقة^(١٧) ألفاظ تفضح قدود^(١٨) الحسان، وعضاضة^(١٩) أنفاس يغار منها ورد الجنان، ورقة خطاب يشف^(٢٠)

(١) هموم والخابل قيل ناصب الجباله للصيد وقيل سدي التوب - والنابل قيل صاحب النبال وقيل حمة الثوب ولط الثل « اختلط الخابل بالنابل » وهو مثل يضرب في ارتباك الأمر (٢) بضم النون للفرصة (٣) الباصرة (٤) الدات (٥) مشتاقة (٦) الملكة التي يتندر بها على استنباط العلم بمجدة الطبع (٧) مشتاقة (٨) بحده وأصله لحد السكين (٩) بكسر الغين والمراد أن الملكة مشتاقة إلى ما يجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) ثياب تبلغ الغاية في الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رفيعة جيدة وأصلها للدروع السارية نسبة إلى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخاً (١٧) لطافة (١٨) جمع قد القامة (١٩) الحسن (٢٠) يحكى

عن ودِّ صفيٍّ ، ولطفِ خفيٍّ ، ^(١) وكرمِ وفِّيٍّ ، وعَتَبِ أعذبٍ من الماءِ
الرقَّاحِ ^(٢) وأرقٍّ من نَسَمَاتِ الصَّبَا في الصَّبَاحِ . حتَّى لقد حَبَّبَ إلىَّ تقصيري ،
وشفَعَ عندَ نفسِي في قبولِ معاذيري . على أنِّ ما عندي من الولاءِ لا يعتريه (معاذِ
الله) وهنٌ ، ^(٣) ولا يُخلِّقه ^(٤) تَمَادِي زَمَنِ ، أو ترَامِي وَطَنِ . ولكن صُرُوفَ
الأحداثِ ^(٥) قد قصَّرتِ الجُهدَ ، ^(٦) وصرفتِ جِوَادَ العزيمةِ عن القصدِ . والله يعلم
أني لو تزلت على حكمٍ تَوَازَلِ الدَّهْرُ ، ولم أدافعِ طلائعها بما بقي من ساقَةِ ^(٧)
الصَّبْرِ ، لما كان في حِمَمِي إلا كسرُ البِرَّاعِ ، ^(٨) وهجرُ الحَاجِرِ وَالرَّقَّاعِ ^(٩) وحسبي
من العذرِ ما أعرفُهُ من حِلْمِكَ المألوفِ ، وما ألفتُهُ من كَرَمِكَ المعروفِ .
والله أسأل أن يُبقيكَ لِي من الدَّهْرِ نصيباً ، ويمتعي بِلِقَائِكَ قريباً بمنته وكرمه

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

أما بعدُ . فنعمَ البَدِيلُ من الزَلَّةِ الاعتذار . وبِسِ العِوَضِ من التَّوْبَةِ الإِصرَارُ
فإنَّهُ لا عِوَضَ من إِيثَاكَ ، وَلَا خَلْفَ من حُسْنِ رَأْيِكَ . وَقَدْ انتَقَمْتَ مِنِّي فِي
زَلَّتِي بِجَفَائِكَ ، فَأُطْلِقَ أَسِيرَ تَسَوُّقِي إِلَى لِقَائِكَ . فَأَتْنِي بِمَعْرِفَتِي بِمَبْلَغِ حِلْمِكَ ، وَغَايَةِ
عَفْوِكَ ، ضَمَنْتُ لِنَفْسِي العَفْوَ من زَلَّتِهَا عِنْدَكَ ، وَقَدْ مَسَّنِي مِنَ الْآلَمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ
غَيْرُ مَوَاصِلَتِكَ .

(وكتبت زبيدة أروجة الرشد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ إلى المأمون)

كلُّ ذَنْبٍ (يا أمير المؤمنين) وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ ، وَكُلُّ إِسَاءَةٍ وَإِنْ

(١) ظاهر فهو من الاضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لا يبليه (٥) كلاهما
مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضما الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاع بكسر الراء
مردده رقعة وبضمها القطعة من الورق التي تكتب

جَلَّتْ يَسِيرَةُ لَدَى حَلْمِكَ. وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ أَطَالَ مَدَّتَكَ ، وَتَمَّمَ نِعْمَتَكَ وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ ، وَدَفَعَ عَنْكَ الشَّرَّ وَالضَّرِيرَ .
وَبَعْدُ : فَهَذِهِ رُقْعَةٌ الْوَلَهِي (التي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَفِي الْمَاتِ لِجَلِيلِ الذِّكْرِ) فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَاسْتَكْثَانِي ، وَقَلَّةَ حِيلَتِي ، وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي ، وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا ، وَفِيهِ رَاغِبًا - فافعل - وتذكر من لو كان حيًّا لكان شفيعي إليك .

(وكتب إليها المؤمن جواب المواساة الآتية)

وَصَلَّتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَه (أحاطك الله وتولأك بالرعاية) ^(١) ووقفتُ عليها وساءني (شهد الله ^(٢)) جميع ما أوضحتُ فيها . لكنَّ الأقدار نافذة ^(٣) والأحكام جارية . والأُمُور متصرفة . والخلقون في قبضتها ، لا يقدرُونَ على دفاعها ^(٤) . والدُّنْيَا كلها إلى شتات ^(٥) وكل حيٍّ إلى ممات . والغدر والبغي حتفُ الإنسان ^(٦) والمكر راجعٌ إلى صاحبه .

وقد أمرتُ بِرَدِّ جميع ما أخذ لك . ولم تفقدي مِمَّنْ مضى إلى رحمة الله إلاَّ وجهه . وأنا بعد ذلك لك على أكثر مما تختارين ^(٧) والسلام .

(وكتب بعضهم)

إِنِّي وَإِنْ جُنَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَحَرَجْتُ عَنْ حَدِّ الْأَدَبِ ، فَمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ - فإني عبدُ نِعْمَتِكَ وَصَنِيعِ إِحْسَانِكَ . وَذَنْبِي وَإِنْ عَظُمَ ، وَضَاقَ بَابُ التَّوْبَةِ عَنْ قَبُولِ الْمَعْدَرَةِ ، فَالْعَفْوُ عَنْهُ بَعْضُ حُسْنَاتِكَ ، الَّتِي فَطَرْتَ عَلَيْهَا . وَالْإِغْضَاءُ عَنِّي

(١) يعنى حفظك الله وصالح رعايته (٢) جملة معترضة يتصد بها تأكيد ما يتول (٣) يعنى ما قدره الله لا بدأى كقول (٤) يعنى أن المخلوقات مستسلمة لأحكام الله وأقداره (٥) مآلها الترق (٦) يعنى أذ الغنى فيه هلاك الباغي (٧) يعنى أقوم لك بجميع ما تحب وزيادة

سرٌّ من أسراركَ التي تميل إليها ، فاجعل العفوَّ عنِّي قُرْبَةً ألى مؤلى الموالى ، وأترك
العبدَ عتيق مكارم الأَخلاق . وآلَا فَضْعُ سَيْفِ نَقْمَتِكَ ، فى نحر عبد نعمتك
وَأَنْتَ حِلٌّ مِنْ دَمٍ أَرَاقَهُ أَهْلُهُ ، أَوْ آلَ أَمْرُهُ الى وارثٍ لا يسعهُ الا التَّزَوُّلُ
عن المُطالَبَةِ به . أَلَا وَهُوَ مقامُ جلالَتكم السَّامى
وحاشاك أَنْ تُعْدمَ الصَّادِقَ فى خِدمَتِكَ بهفوةً لم يقصدها ، وَذَنْبٍ أَقْلَعَ عَنْهُ
وَعَلَى كُلِّ فالعبدُ بين يديك ، وَأَمْرُهُ مِنْكَ واليك . فقد ألقى اليك مقاليد
الأجل . فافعل ما تشاء ، وآتقِ الله عزَّ وجلَّ

استعطاف أم جعفر (١) بن يحيى الرشيد لاجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أَرْضَعَت الرشيد مع جعفر (٢) وَرَبَّتْهُ فى حِجْرِها وَغَذَّتْهُ
بِرِسْلِها (٣) وَكان الرشيد يشاورها مظهرًا لا كرامها ، والتبهرُكُ رَأْيِها . وَكان ألى وهو
فى كَفَّالَتِها أَنْ لا يُحْجِبُها ، ولا اسْتَشْفَعَتْهُ لأحد إلا شَفَّعَها . وآلت أم جعفر أَنْ لا دَخَلَتْ
عليه إلا مَأْذُونًا لها . ولا شَفَّعَتْ لأحد مَقْتَرَفَ ذِبابٍ . فكم أُسِيرَ فَكْتُ ، ومُبْهَمَ عِنْدِهِ
فَتِمَحَتْ وَمُسْتَفْلَقٌ (٤) مِنْهُ فَرَّجَتْ . فلما قَتَلَ ابنُها جعفرًا وَحَبَسَ يحيى زوجها وسائرَ
أهل بيته طَلَبَتْ الاِذْنَ عليه ، ومَتَّتْ (٥) بِوَسائِلِها اليه ، فلم يَأْذَنْ لها ، ولا أَمَرَ بِنِىءِ فيها

(١) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة ، وذكر الطبري
أن اسمها زيب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن اسمها عتابة وكذا صاحب نجاء الأبناء ،
وذكر بعضهم أن اسمها عبادة والله أعلم . (٢) كذا ذكر صاحب العقد ، وذكر الطبري
أنها أَرْضَعَتْهُ مع الفضل ويؤيده قول سليمان الاثعمي برثى جعفرًا ويستعطف الرشيد للفضل :

أَمِينَ الله فى الفضل بن يحيى رضيعك والضيع له ذمام

(٣) الرسل : اللبن . (٤) المستعلق : المفاق . (٥) مت إليه ؛ تؤسل بقرابة أو نحوها

(٦ - جواهر - أول)

فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، مُحْتَفِة في مشيتها، حتى صارت
ببواب قصر الرشيد، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال: ظنر^(١) أمير المؤمنين
بالباب، في حالة قلب شامة الحاسد، إلى شفقة أم الواحد. فقال الرشيد: ويحك
يا عبد الملك. أو ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، حافية. قال: أدخلها يا عبد الملك
فرب كبد غدتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها. فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخله
مُحتَفِة قام مُحْتَفِة حتى تلقاها بين عمد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها
ثم أجلسها معه. فقالت: يا أمير المؤمنين أيعذو علينا الزمان؟ ويخفونا خوفاً لك
الأعوان؟ ويخردك^(٢) علينا البهتان، وقدر يديتك في حجري، وأخذت برضاك الأمان
من عدوي ودهرى؟! فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: ظنرك يحبي وأبوك
بعد أباك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه
وتعرضه للتحذف في شأن موسى أخيه^(٣). فقال لها: يا أم الرشيد أمر سبق، وقضاء حم^(٤)
وغضب من الله فخذ. قالت: يا أمير المؤمنين «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
ألم الكتاب»^(٥). قال: صدقت، فهذا مما لم يمحه الله. فقالت: الغيب محجوب عن
النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد ملياً ثم قال:
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع^(٦)
فقلت بغير روية: ما أنا ليحبي بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول:
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم يجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

(١) الظنر: المرسعة. (٢) أحرده: أغضبه وحده هو. (٣) تشير إلى ما كان أراد
الهادي وهو موسى بن المهدي من حرمان أخيه الرشيد الخلانة من بعده ونقلها إلى ولده واختيال
يحيى بن خالد في رد الهادي عن عزمه بإذلا في ذلك - بعده. (٤) حم الأمر: قضي وتذ.
(٥) ألم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ. (٦) التميمية: ما يلقى للأولاد من كتابة أو غيرها
دفعاً للعين أو للمرض.

هذا بعد قول الله عز وجل « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » والله
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فأطرق ملياً ثم قال : يا أمّ الرشيد أقول
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ
فقلت : يا أمير المؤمنين وأقول

سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينَكَ فَاَنْظُرْ أَى كَف تَبَدَّلُ (١)
قال هارون : رَضِيتُ . قالت : فهبه لى يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله لم يُؤْجِدْهُ (٢) الله لفقده » فأكبَّ هارون ملياً
ثم رفع رأسه يقول « لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ » قالت : يا أمير المؤمنين « ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله يبصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » واذكريا أمير المؤمنين
أَلَيْتَكَ (٣) : ما استشفعتُ إلا شَفَعْتَنِي . قال : واذكري يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ أَنْ لَا
شَفَعْتَ لِمُقْتَرَفٍ ذَنْبًا . فلما رآته صَرَّحَ بِمَنْعِهَا ، وَلَا ذَنْبَ (٤) عَنْ مَطْلَبِهَا ، أَخْرَجَتْ حَقًّا
مِنْ زُمُرْدَةٍ (٥) خضراء فوضعتَه بين يديه . فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه فقلنا
من ذهب ، فأخرجت منه خَفْضَه وذوائبه وثناياه قد غَمَسَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ فِي الْمَسْكِ
فقلت : يا أمير المؤمنين أَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، وَبِمَا صَارَ مَعِيَ مِنْ
كَرِيمِ جَسَدِكَ ، وَطَيِّبِ جَوَارِحِكَ لِيُحْيِيَ عَبْدَكَ . فأخذ هارون ذلك فَلَثَمَهُ ثُمَّ
اسْتَعْبَرَ (٦) وَبَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا وَبَكَى أَهْلَ الْمَجْلِسِ . فلما أفاق رمي جميع ذلك فِي الْحَقِّ
إِقَالَ لَهَا : لِحَسَنٍ مَا (٧) حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ . فقالت : وَأَهْلٌ لِلْمَكَافَاةِ أَنْتَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ . فَسَكَتَ وَأَقْفَلَ الْحَقُّ وَدَفَعَهُ إِلَيْهَا . وقال : « إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا
لَأَمَانَاتٍ إِلَى أَهْلِهَا » قالت : وَاللَّهِ يَقُولُ : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

(١) البَيِّنَاتُ مِنْ قَصِيدَةِ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ الْآتِيَةِ فِي بَابِ الْعِتَابِ . (٢) أَوْجَدَهُ : أَحْزَنَهُ .
(٣) الْإِلَاحَةُ : الْخَلْفُ . (٤) لِأَذْيُودُ : رَاغٌ وَانْحَرَفَ . (٥) الزُّمُرْدُ وَالزُّمُرْدُ : مِنَ الْإِحْجَارِ
الْخَضِرَةِ . (٦) اسْتَعْبَرَ : جَرَتْ عَيْرَتُهُ وَهِيَ الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَنْ تَفِيضَ . (٧) مَا مَصْدَرَةٌ .

بالعدل». ويقول: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» قال: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: أو ما أقسمت لي أن لا تنجيني ولا تتمهني^(١)؟ قال: أحب يا أم الرشيد أن تشتريه بمحكمة^(٢) فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عن لم يُسَخِّطَكَ. قال: يا أم الرشيد أمالي عليك من الحق مثل الذي لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين انت أعز على، وهم أحب إلي. قال: فتَحَكَّمِي في تَمْنِيَةٍ^(٣) بغيرهم. قالت: كَلا. قد وهبتك وجعلتك في حلٍّ منه وقامت عنه وبقي مَبْهُوتًا ما يُحِيرُ^(٤) لفظه. قال سهل بن هرون: وخرَجَتْ فلم تعد، ولا والله ما رأيت لها عَبرة، ولا سمعت لها أنة.

استعطاف ابراهيم^(٥) بن المهدي للمأمون

أمر المأمون بإبراهيم بن المهدي فأدخل عليه فلما وقف بين يديه قال هيه^(٦) يا إبراهيم فقال: يا أمير المؤمنين وليُّ الشار مُحَكَّم في القصاص «والغزو أقرب للنفوى» ومن تناوله الاغترار بما مُدَّله من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت فبحقك، وان عفوت فبفضلك. ثم قال: ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه

(١) امتهنه: ابتذله وأهانته. (٢) يقول: أحب أن تطلي ما تشائين ازاء هذا القسم. (٣) التمنية والامنية والمنية: بمعنى واحد. (٤) يقال: هو لا يحير جوابا أي لا يرد. (٥) كان إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد لأنه قد ادعى الخلافة بعيد قتل الأمين وقبيل عودة المأمون من خراسان إلى بغداد وأطاعه على ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فأنشئ حتى ظفر به المأمون. وكان إبراهيم بارعا في الأدب حسن الغناء جيد الشعر توفي سنة ٢٢٤ هـ في خلافة ابن أخيه المعتصم. (٦) هيه مثل أياه للاستزادة أو الاستنطاق فبني اسم فعل.

فخذُ بحقِّكْ أولاً فاصفح بفضلكْ عنه
إن لم أكنْ في فعالي من الكرام فكُنْهُ

فقال المأمون : شاورت أبا إسحاق ^(١) والعبّاس في قتلك فأشارا به . فقال
فما قلتُ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال المأمون : قلتُ لهما نَبْدُوهُ بإحسان ، ونَسْتَأْمِرْهُ ^(٢)
فيه ، فإنْ غيّر . فالله يُغيّر ما به . قال : إمّا أن يكونا قد نصّحّا في عظيم
بما جرّتْ عليه السّيّاسة ، فقد فعلا وبلغنا ما يلزمُهما وهو الرأْيُ السّديدُ ، ولكنك
أبيت أن تستجلب النّصر إلّا من حيثُ عودك الله ، ثم استعبرَ باكياً
فقال له المأمون : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : جدّلاً اذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في
الإيّام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جُرمي استحلال دمي فحلّم أمير المؤمنين
وفضله يبلّغانى عَفْوَهُ ، ولّى بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب ، وحقّ الأبوة بعد الأب
فقال المأمون : يا ابراهيم لقد حُبّبَ إليّ العفو حتّى خفتُ أن لا أوجر عليه .
أما لو علم الناس مالنا في العفو من اللذة لتقرّبوا إلينا بالجنايات . لا تُثْرِب ^(٣)
عليك . يغفر الله لك . ولو لم يكن في حقّ نسبك ما يسلّغ الصّفح عن جُرمك
لبسّك ما أمّلت حسنُ تنصّلِكَ ، ولطف توصلك ثم أمر برّد ضياعه وأمواله .
فقال ابراهيم :

رَدَدْتُ مالى ولم تبخل علىّ به وقبل ردّك مالى قد حقّقت دمي ^(٤)
وقام علمك بي فاحتجّ عندك لى مقام شاهد عدل غير متهم
فلو بذلت دمي أبغى رضاك به والمال حتّى أسلّ النعل من قدمي
ما كان ذاك سوي عارية سلفت لو لم تهبها لكنت اليوم لم تُلم

(١) أبو إسحاق هو المعتصم بن الرشيد . والعبّاس هو بن المأمون ولقد أحسن ابراهيم في تصويب رأيهما
لأنّ ذلك أنجح في طلب الرضاوا ببلغ دفع المكروه من الارزاء عليهما في رأيهما . (٢) اصل الاستأمر :
المشاورة ، وإيراد هنا التجربة (٣) التثريب : إلزام اليوم والتعير بالذنب . (٤) حقن الدم : صانه .

استعطاف اسحاق بن العباس للمؤمن

قال المأمون لاسحاق بن العباس: لَا تَحْسِبْنِي أَغْفَلْتُ أَمْرَ ابْنِ الْمُهْدِي وَتَأْيِيدَكَ لَهُ، وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ. فقال: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَجْرَامَ قَرِيشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ، وَلَرَحْمِي بِكَ أُمَّتَنَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ (عَلَىٰ نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لِأَخَوْتِهِ: «لَا تُرِيبُوا عَلَيَّ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» وَانْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الطَّوْلِ، وَنُمْتِئِلُ^(١) لِحُلَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ.

قال ديهات: تِلْكَ أَجْرَامُ جَاهِلِيَّةٍ عَفَا عَنْهَا الْإِسْلَامُ وَجُرْمُكَ جُرْمٌ فِي إِسْلَامِكَ وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ.

قال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لِلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِأَقَالَةِ الْعَثَرَةِ وَغُثْرَانِ الذَّنْبِ مِنَ الْكَافِرِ وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذْ يَقُولُ: «سَارِعُوا إِلَيَّ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» وَالنَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَبَةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ، وَالشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ

قال: صَدَقْتَ، وَرَرْتُ^(٢) بِكَ زِنَادِي وَلَا بَرِيحَتِ أَرِي مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالِكَ.

(١) امتثل طريقته: تبعها فلم يعدها. (٢) ورت بك زنادي، ووقدت بك زنادي: مثلان يقالان لمن أنجبتك أو أرشدك. والمراد بهما السوء

استعطاف الفضل^(١) بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل أكان من حتى عليك
وحتى آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك ان تثليني^(٢) وتسبني وتحرض على دمي؟
أحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن عذري مُحَقَّدُك إذا كان واضحاً جليلاً ، فكيف إذا
أخفَّته العيوب ! وقبحته الذنوب ! فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك ،
فأنت كما قال الشاعر^(٣) فيك :

صفوح عن الأجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذي إذا ما الأذي لم يغش بالكره مسلماً

استعطاف . . . جميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسي^(٤) قد خرج بشاطيء الفرات واجتمع إليه كثير
من الأعراب فعظم أمره ، وبعد ذكره ، تم ظفر به وحمل مؤثماً إلى باب المعتصم .
فقال أحمد بن أبي دؤاد : ما رأيت رجلاً عاين الموت فيما هاله^(٥) ولا شغله عما
كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فانه لما مثل بين يدي المعتصم فأحضر

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس صاحب الرشيد ثم وزيره بعد نكبة البرامكة ثم وزير
الأمين في خلافته . ويقال : انه هو الذي أوتر صدر الرشيد على البرامكة حسداً لهم على منزلتهم
وفيه يقول أبو نواس :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
توفي الفضل سنة ٢٠٨ هـ . (٢) لبه : تنقصه وصرح بعبه . قال الشاعر :
لا يحسن التعريض الا ثلثاً

(٣) القائل : هو الحسن بن رجاء . (٤) سدوس : بطن من بني شيبان ثم من بني بكر
(٥) هاله : أفزعه .

السيف والنطع^(١) ، وأوقف بينهما ، تأمله المعتصم (وكان جميلا وسيما) فأحَبَّ
أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره . فقال : تكلم يا تميم . فقال : أمّا إذا أذنت
يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان
من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . جبر بك صدع^(٢) الدين ، ولم
بك شعت^(٣) المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل . إن
الذنوب تُخرس الألسنة الفصيحة . وتُعفى الأفتدة الصحيحة . ولقد عظمت الجريمة
وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقر بهما
منك وأسرعهما إلى أشبههما بك وأولاهما بكرمك . ثم قال (على البديهة) :

أرى الموت بين السيف والنطع كما منا
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
وأى امرئ يأتي بعذر وحجة
وما جزعي من أن أموت وإنتي
ولكن خلفي صبيّة قد تركتهم
كأنّي أراهم حين أنعي إليهم
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة
وكم قاتل لا يبعد الله دوحه
فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العدل . قد وهبتك

(١) النطع : بساط من الجلد يرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض .
(٢) الصدع : الشق في الحائط ونحوه . (٣) الشعت : انتثار الأسم والأشياء المنثرة .
(٤) أقلت : تخلص ونجا . (٥) أصلت السيف : استله من عنده . (٦) خش
وجهه : لطمه وهو من باب ضرب ونصر . (٧) موتوا : كثر فيهم الموت .

لصبية ، وغفرت لك الصبوة ^(١) . ثم أمر بفك قيوده وخلع ^(٢) عليه .
 وكتب الجاحظ الى ابن الزيات يستعطفه قد تنكّر ^(٣) له وتلوّن عليه .
 أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف ^(٤) الهوى ، وصرف ما أعارك
 من القوة إلى حب الانصاف ، ورجّح في قلبك إيثار الأناة ^(٥) فقد حمت - أيديك
 لله - أن أكون عندك من المنسوين الى نزق ^(٦) السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء
 بعد فقد قال سبد الرحمن ^(٧) بن حسان بن ثابت :

وان امرأ أمتي واصبح سالما من الناس إلا ماجني لسعيد
 وقال الآخر . ^(٨)

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
 فان كنت أجترأت عليك - اصلحك الله - فلم أجترىء إلا لأن دوام
 نفاقك عني شبيه بالاهمال الذي يورث الاغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة
 لذلك قال عيينة ^(٩) بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله: عمر كان خيرا الى منك
 رهبني فأغاني ^(١٠) واعطاني فأغاني . فان كنت لا تهب عقابي - أيديك الله - لخدمة
 بهبه لا ياديك عندي ، فان النعمة تشفع في النعمة ، والا تفعل ذلك لذلك فعد الى حسن
 لعادة ، وإلا فافعل ذلك لحسن الاحدثة ^(١١) ، وإلا فأت ما أنت اهله من العفودون ما أنا

(١) الصبوة : الرلة ووجهة الشباب . (٢) خلع عليه خلعة : محبه بعض ثيابه وقد
 راد به مطلق العطاء . (٣) تنكّر له : تغير . (٤) السرف : محاوره الحد .
 (٥) الأناة : الحذر والوقار . (٦) النزق : الحفة والطيش . (٧) هكذا يقول الجاحظ
 غيره ينسب البيت لحسان نفسه . راجع الاغانى . (٨) من الناس من يروى هذا البيت في جملة
 أبيات لكعب بن زهير ، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلي . راجع الاغانى . (٩) هو
 سيد بني ذبيان في صدر الاسلام وهو من سلالة حذيفة بن بدر الفزارى الذى كان السبب في حرب
 احس والغبراء . (١٠) أتقاه : صبره تقياً . (١١) الاحدثة : الحديث والسيرة ، جمعها أحاديث .

أهله من استحقاق العقوبة ، فسيحان من جعلك تغفو عن المتعمد وتَجَافِي (١) عن عقاب المصير (٢) حتى إذا صرت الى من هفوته ذَكَرَ (٣) ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف السكر إلا لك والآنعام إلا منك هَجَمْتَ عليه بالعقوبة . وأعلم - أيديك الله - أن شَيْنَ غضبك على كَزَيْنِ صفحك غنى ، وأن موت ذكري مع انقطاع سببي منك كحياة ذكري مع اتصال سببي بك (٤) . واعلم أن لك فطنة عليهم وغفلة كريم والسلام .

استعطاف رجل من أهل الشام للمنصور

يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفي غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يذكَر فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والشبهي طَرَفٌ من الجزع ، ولم يمدح أهل التقوي والنهي من كان حليماً بشدة العقاب ولكن بحسن الصفح والاعتذار وشدة التغافل . وبعد : فالمعاقب مستودعٌ لعداوة أولياء المذنب (٥) والعافي مُسْتَرَعٌ لشكرهم آمن من مكافأته . ولأن يشنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقة ، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجبة لإقالة عثرتك من ربهم وموصولة بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

استعطاف روح بن زنباع لمعاوية

أراد معاوية معاقبة روح بن زنباع . فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله تعالى

(١) تتجافى : تتأعد . (٢) أصر على الذنب : استمر . (٣) يقول : هفوته هي تذكر الهفوة أو حريها على لسانه (٤) التشبيه في هاتين الفقرتين من قبيل قولهم في التفضيل : العمل أحلى من الحل . يقول : ان مقدار قبح الغضب كمقدار حسن الصبح وان مقدار موت الذكر عند الانقطاع مثل مقدار حياته عند الاتصال . (٥) الا ولىاء : الأهل والأقارب .

أَلَا تَضَعُ مِنِّي خَسِيصَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا أَوْ تَنْقُضُ مِنِّي مَرِيرَةً^(١) أَنْتَ أَبْرَمْتَهَا^(٢) أَوْ
تَشْمِيتُ بَنِي عَدُوِّ أَنْتَ كَبَبْتَهُ^(٣)، وَحَاسِدًا بِكَ وَقَمْتَهُ^(٤)، وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِلَّا أَرْبِي
حِلْمَكَ عَلَى خَطِيئِي وَصَفْحَكَ عَلَى جَهْلِي. فَقَالَ معاوية: إِذَا اللَّهُ سَنِيَّ^(٥) عَقْدَ شَيْءٍ تَيْسِرًا
وَعَفَا عَنْهُ

وَقَدْ أَلَمَّ الْمُتَنَبِّي بِقَوْلِ رَوْحٍ إِذْ يَقُولُ :

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكِبَتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامُ مَعْمَدَا

استعطاف ابن الرومي للقاسم^(٦) بن عبيد الله

كُتِبَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَسْتَغْفِرُ الْقَاسِمَ بْنَ عَبِيدِ اللَّهِ :

تَرَفَّعَ عَنْ مُظْلَمِي إِنْ كُنْتُ بُرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا ، فَوَاللَّهِ
إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ ، وَأَلْتَمِسُ الْإِقَالََةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ ، لَتَزِدَّادَ
تَهَوُّلًا^(٧) وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا. وَأَنَا أَعِيذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ،
وَأُخْرِسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ
بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ ، وَبِحِلْمِي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ أُسْتَحَقُّ مِنْكَ. وَالسَّلَامُ.

(١) المريرة : الحبل الشديد القتل . (٢) أبرم الحبل : أجاد قتله . والأمر : أحكمه .
(٣) كبته : أدله وظلمه وصرعه لوحه . (٤) وقه : قهره . (٥) سني الشيء : فتحه وسهله
وهذا شطر بيت وهو :

واعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سني عقد شيء تيسرا

(٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبينته بيت وزارة وكتابة وأدب فقد كان
وزيرا ابن وزير ابن وزير أما الكتابة فهو فيها معرق لأنه يربها عن ثمانية آباء متعاقبين منذ
خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وهو الذي دس لابن
الرومي السم في الطعام خوفا من لسانه ، توفى القاسم سنة ٢٩١ هـ وعمره نيف وثلاثون
(٧) التهلل بالاعمال

وكتب اليه :

لو كان في الصمت موضع يسع حالي لحفقت عن سمع الوزير ونظره ،
ولم أشغل وجهاً من فكره . وما زالت الشكوي تُعربُ عن لسان البلوي . ومن
اختلت حالته كان في الصمت هلاكته ^(١) . وقد كان الصبر ينصرني على
ستر أمري حتي خذاني .

استعطاف اخوارزمي

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالفصان بالماء اعتصاري ^(٢)
كيف يقدر (أبقى الله السيد) على الدواء ، من لا يهتدي إلى أوجه الداء ؟
وكيف يداري أعداءه من لا يعرف الأعداء من الاصدقاء ؟ أم كيف يسري
بلا دليل في الظلماء ؟ أم كيف يخرج الهارب من بين الأرض والسماء ؟ الكريم
(أيد الله مولاي) اذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعاق . ولقد
هربت من الشيخ اليه ، وتسلحت بعفوه عليه ، وألقيت ربة ^(٣) حياتي وماتي
بيديه ، فليذقني حلاوة رضاه عني كما أذاقني مرارة انتقامه مني ، وتسلح ^(٤)
على حالي غرة ^(٥) عفوه كما لاحت عليها مواسم ^(٦) غضبه وسطوه ، وليعلم أن
الحرك كريم الظفر اذا نال أقال ، وأن اللئيم لئيم الظفر اذا نال استطال ^(٧) ، وليعقنهم

(١) اهلكة الهلاك (٢) الشرق بالماء كالغصة بالطعام والاعتصار معالجة الفصص بشرب
الماء قليلا قليلا ، والبيت لعدي بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي من قصيدة يستعطف بها النعمان
ابن المنذر يقول ان الانسان اذا غس بالطعام تالجه بالماء فاذا شرق بالماء فاذا يصنع ؟
(٣) الربة العروة التي يربط بها ويراد بها الزمام (٤) لاح ظهر (٥) الغرة بياض في وجه
الحيوان والمراد هنا الأثر (٦) المواسم : العلامات (٧) استطال : تطاول واعتدي

لتجاوز عن عثرات الأحرار ، وليتَّهَنَ فَرَصَ الاقتدار ، وليحمد الله الذي أقامه
 مقام من يُرْتَجَى وَيُحْشَى ، وركَّبَ نصابه في رتبة شاب الزَّمانُ ومجدها فتي ،
 أَخْلَقَ الْعَالَمُ وَذِكْرُهَا طَرَى ، وليعتقد أنه قد هابه من استتر ، ولم يُذْنَبْ إليه
 من اعتذر . وفق الله تعالى الشيخ لما يَحْفَظُ عليه قلوب أوليائه ، وعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ
 به في جماجم أعدائه .

اعتذار لسعيد بن حميد

كتب سعيد (١) بن حميد يعتذر :

أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه ، ولا يُغَالِطُكَ عن جُرمه ، ولا يُلْتَمَسُ رِضَاكَ إِلَّا
 مِنْ جِهَتِهِ ، ولا يَسْتَدْعِي بِرُكِّ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ ، ولا يَسْتَطْفِكُ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِالدُّنْبِ
 ولا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ . نَبَتْ بِي عَنْكَ غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ ، وَرَدَّتْ بِي إِلَيْكَ
 الْحُمْكَةُ (١) ، وباعدتني منك الثقة بالأيام ، وقادتني إليك الضرورة . فان رأيت
 أَنْ تَسْتَقْبَلَ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعَذْرِ ، وَتُجَدِّدَ النِّعْمَةَ بِإِطْرَاحِ الْحَقْدِ ، فان قديم الجريمة
 وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة . وإن أيام الحياة وإن طالت قصيرة
 والمُتَعَمِّقُ بها وإن كثرت قليلة .

اعتذار لأبي علي البصير

كتب أبو علي البصير يعتذر .

أنا أحد من أَسْكَنَتْهُ ظِلُّكَ ، وَأَعْلَقَتْهُ حَبْلُكَ (٢) ، وَحَيَوَتْهُ بَاطِفُ بَرِّكَ
 ووَخَّصَّ عَنَائِتِكَ ، وَأَنْتَ صَفَّ بَكَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَاسْتَغْنَى بِأَخَائِكَ عَنِ الْإِخْوَانِ ، فَهُوَ
 لَا يَرْغِبُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَنْجِحُ (٤) طَالِبُهُ إِلَّا بِكَ . وَقَدْ كَانَ

(١) هو من اولاد الدهاقين كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح احذ عن الامام ابن
 الاعرابي ويؤخذ عليه انه كان كثير الاخذ بالكلام غيره . (٢) الحنكة خرة التجارب .
 (٣) وصلته وقيدته بزمانه . وذللك (٤) استنجح حاجته وتنجحها تجزها وطلب مجحها

فَرَطَ مِنِّي قَوْلَ إِنْ تَأَوَّلْتَهُ ^(١) لِي أَرَاكَ وَجْهَ عَذْرَى وَقَامَ عِنْدَكَ بِحُجَّتِي ، فَأَغْنَانِي
عَنْ تَوْكِيدِ الْإِيمَانِ عَلَى حَسَنِ نِيَّتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى أَحَاقٍ ^(٢) بِي لَا تَمْتَكِ ^(٣)
وَحَبْسَنِي عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ عِنْدَكَ . وَقَدْ أَتَيْتَكَ مُعْتَرِفًا بِالزُّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا ^(٤) لِلْمَوْجِدَةِ ^(٥)
عَائِذَا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقَرَّرَ عَيْنَا قَرْتَ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تُسَلِّبَنِي
مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ، وَإِنْ تَقْتَصِرْ مِنْ عِقَابِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَالَنِي بِسَبَبِ عَتَبِكَ
عَلَيَّ ، وَتَأْمَرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا يُطَامِنُ ^(٦) هَلَعِي وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِي وَيَأْمَنُ بِهِ
رُوعِي ^(٧) « فَعَلْتُ » إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

اعتذار للبديع

كتب البديع إلى القاسم الكرجي يعتذر :

يعز عليّ — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوب في خدمته قلبي ، عن
قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي ، دون وصولي ، ويرد شرعة ^(٨) الانس به كتابي
قبل ركابي . ولكن ما الحيلة والعوائق جمة ،

وعليّ أن أسعي وليدس عليّ إدراك النجاح

وقد حضرت داره ، وقبلت جدّاره ، وما بي حب الجذران ، ولكن شغفًا
بالقُطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقًا إلى السُكّان ^(٩) . وحين عدت ^(١٠)

- (١) أول الكلام وتأوله مره
(٢) أحاق ائزل
(٣) اللائمة اللوم
(٤) استكان خضع وهو من الكون وزنه افعال زيادة الألف للاشباع كما قالوا في انظر
(٥) الموجدة الغضب
(٦) بطامن ، يمحض ويخفف
(٧) الروح القلب والروح الفزع والحواف
(٨) الشريعة والشريعة والمراد الشاربه من الماء
(٩) الم البديع هنا يقول الشاعر
امر على الديار ديار ليبي
وما حب الديار شغفس قلبي
اقبل ذا الجدار وذا الحدارا
ولكن حب من سكن الديارا
(١٠) منعت الموانع

العوادى عند أملت ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى مولاي عن تقصير وقع
وفتور في الخدمة عراض . ولكنى اقول :

إن يكن تركي لقصدك ذنباً فكفى أن لا أراك عقاباً

(الفصل الثانى (١) في رسائل حسن التقاضى والطلب)

(كتب الى عميد الله بن سليمان أبو العيـنـاء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)
انا (أعزك الله) وعيالى زرع من زرعك : إن أسقيته راع^(٢) وزكاه
وإن جفوته ذبل وذوي^(٣) . وقد مسي منك جفاه بعد بري^(٤) ، واعفاله بعد
تعاهد . حتى نكلم عدو^(٥) ، وسميت حاسد^(٦) . ولعبت بى ظنون رجال كنت بهم
لا عباً . ولهم مخزياً

لا تهني بعد أن أكرمتني وشديده عادة مؤثره

(وكتب المرحوم عبد الخالق باشا ثروت)

إليك (يا من قد استأسر النفوس بكرمه . واسترق الأحرار بجميل صنعه
وأولى النعم والخيرات . وأسدي المعروف والمبرات) . أرفع كتاباً . تبعثه
إلى ناديك العالى عوآمل الحاجة ، وترجيئه^(٧) إلى ساحتك دواعي الشدة . أمل
أن يكون تذكرة بأمرى ، (والد كرى تنفع المؤمنين) وتذكرة بحالى (والله
لا يضيع أجر المحسنين) فقد كان سيدي رفع الله قدره ، وأعلى مرتبته ،
وعدنى (ومثله من يتمسك من الوفاء بالضرورة^(٨)) ألوثني ، ويقطع حبل الخلاف
بسيف الوفاء . ويطرز خلعة الوعد بوشى العطاء) أن يرسل إلى من خيراته

(١) والنصل الاول في الرسائل التجارية التي أغفلناها في كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة
بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد (٣) ذهب (٤) تدفصه (٥) من الجبل الوثيق المحكم

وَيُؤَيِّنِي مِنْ آلَائِهِ وَحَسَنَاتِهِ، وَيُضَاعِفُ لِي مِنْ مَنِّهِ ، وَيَزِيدُنِي مِنْ عَطَائِهِ مَا أَشَدُّ
بِهِ أَزْرِي (١) عَلَى الزَّمَانِ . وَأَطْوَلُ بِهِ نَوَائِبَ الْحَدَنَانِ . (٢) فَقَدْ بَارَزَنِي
الدَّهْرُ بِسُيُوفِهِ ، وَرَمَانِي بِسَهَامِهِ ، وَأَنَاخَ (٣) عَلَى بَكْلَاكِهِ (٤) وَقَدْ طَالَ
الْأَمْدُ (٥) عَلَى حَاجَتِي عِنْدَ سَيِّدِي (أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ) حَتَّى طَالَ غَرَابُ شَبَابِيهَا ،
وَصَاحَ بِجَانِبِ لَيْلِيهَا ، فَخَفْتُ أَنْ تَكُونَ هَبَّتْ عَلَيْهَا رِيحُ النَّسِيَانِ ، وَعَصَفَتْ (٦) بِهَا
عَاصِفَةُ (٧) الْحَدَنَانِ (٨) فَكَتَبْتُ إِلَى سَيِّدِي وَمَوْلَايَ تِلْكَ الرِّقْعَةَ ، أَسْتَعْجِلُ بِهَا
بِرَّهَ ، وَأَسْتَدْرُ بِهَا ضَرْعَ عَطَائِهِ . عَلِمًا بِأَنَّ التَّعْجِيلَ يُكَبِّرُ الْعَطِيَّةَ ، وَإِنْ كَانَتْ
صَغِيرَةً . وَتُكْثَرُهَا ، وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً . فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ لَاحَ نَجْمُ النِّجَاحِ
وَهَبَّ نَسِيمُ الْفَلَاحِ . فَيُرْسِلُ سَيِّدِي إِلَى سَحَابِ كَرَمِهِ ، وَيَمْطُرُنِي مِنْ غِيَاثِ فَضْلِهِ
فَتَرِفُ (٩) غُصُونُ آمَالِي بَعْدَ ذُبُولِهَا ، وَتَضْحَكُ وَجُوهُ مَطَالِبِي بَعْدَ عُيُوسِهَا
وَأُمْلِي فِي ذَلِكَ فَسِيحٌ ، فَانْ سَيِّدِي مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ نَسَبًا وَأَشْرَفِهِمْ حَسَبًا . وَمِثْلُهُ
جَدِيرٌ (١٠) بِحِفْظِ الْعَهْدِ ، وَإِنْجَازِ الْوَعْدِ - فَانْ رَأَى سَيِّدِي أَنَّ يَخْفَفَ ثَقُلَ الْحَاجَةِ
عَنِّي ، وَيَرُدَّ مَا سَلَبَهُ الدَّهْرُ مِنِّي بِقَطْرَةٍ مِنْ بَحْرِ عَطَائِهِ ، وَمِنَّةٍ (١١) مِنْ بَعْضِ
آلَائِهِ ، (١٢) وَيَجْبِرُ مَا كَسَرَهُ الْفَقْرُ مِنْ جَنَاحِي ، وَيَرُدَّ عَنِّي النَّوَائِبَ الَّتِي لَا تَهْتَأُ (١٣)
تَوَلَّائِي - عَقَدْتُ لِسَانِي عَلَى مَدْحِهِ ، وَوَقَفْتُ نَفْسِي عَلَى شُكْرِهِ . فَيُخْرِزُ مِنْ
اللَّهِ أَجْرًا جَزِيلًا ، وَمِنِّي شُكْرًا جَمِيلًا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

(وَكُتِبَ الْمَرْحُومُ أَحْمَدُ بِكَ رَأْفَتٌ)

السَّيِّدُ الْكَامِلُ (أَدَامَ اللَّهُ عِلَاءَهُ ، وَأَطَالَ بَقَاءَهُ ، وَجَعَلَهُ مَوْئِلَ (١٤) الْكَرَامِ

(١) ظهري (٢) بفتح الحاء والذال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر (٣) مثال
(٤) مصائبه (٥) الغاية (٦) اشتدت (٧) الريح (٨) حوادث الدهر (٩) تتلا (١٠) حنين
(١١) نعمة (١٢) نعمه (١٣) تستمر (١٤) ملجأ

يُسَدِّي النَّبِيَّ (قَدْ غَمَرَنِي بِنِعْمَائِهِ ، وَطَوَّقَنِي بِاِكْلَائِهِ . حَتَّى قَصَرْتُ حَمْدِي عَلَيْهِ
 أَمَسَكْتَ لِسَانِي عَنِ الشُّكْرِ إِلَّا إِلَيْهِ . وَكَانَ مِنْ مَنَنْهُ عَلَيَّ ، وَأَيَادِيهِ الْبَيْضَاءُ لَدِيَّ
 - أَنْ وَعَدَنِي أَنَّهُ يُقَلِّدُنِي فِي أَوَّلِ الْعَامِ وَظِيفَةً عَالِيَةً ، وَمَرْتَبَةً سَامِيَةً . فَاخْضَلْ^(١)
 رَوْضُ الْأَمَلِ بَعْدَ ذُبُولِهِ ، وَبَزَغَ^(٢) كَوْكَبُهُ بَعْدَ أَفْوَلِهِ^(٣)) وَأَتَّسَعَ نَظَافُهُ^(٤)
 وَاسْتَبَشَّرَ الْقَلْبُ بِفَيْلِ أَمْنِيَّتِهِ ، وَالْحَصُولُ عَلَى طَلِبَتِهِ . وَاشْتَدَّ أَرْزِي^(٥) عَلَى
 مُقَارَعَةِ كِتَابِ^(٦) الزَّيْمَانِ ، وَقَوِيَ جَنَانِي عَلَى صَدِّ جَبُوشِ الْخِذْلَانِ . وَمَا زَالَتُ
 بِي الْأَيَّامُ ، حَتَّى حَانَ أَوَّلُ الْعَامِ ، وَمَا تَحَقَّقَ الْوَعْدُ ، أَوْ أَوْفَى الْعَهْدُ . وَمِثْلُ السَّيِّدِ
 مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَى ، أَوْ تَعَهَّدَ أَوْفَى .

أَفَى دِينَ ذِي الْمَعْرُوفِ يَجْمَلُ أَنْتَنِي تَنَوَّعَ بَنَى الْبُؤْسِي وَبِثْقَانِي الْعُسْرُ
 وَأَنْتَ الَّذِي أُعْطِيَ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا وَلَمْ يَحْكُجْ جَذْوَاكَ السَّحَابُ وَلَا الْبَحْرُ
 فَعَجَلَ فَخِيرُ الْبَرِّ يُحْمَدُ عَاجِلًا وَأَوْفَى فَوْعَدُ الْخُرْدَيْنِ بِهِ الْخُرُّ
 هَذَا وَلَكِنِّي رَجَعْتُ وَحَكَمْتُ الْعَقْلَ ، فَعَذَرْتُ السَّيِّدَ ، وَحَمَلْتُ ذَلِكَ عَلَى
 أَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَعْجَلْ بِأَنْجَازِ وَعْدِهِ ، وَإِيفَاءِ عَهْدِهِ ، إِلَّا لَتَقْلِيدِ عَبْدِهِ وَظِيفَةِ أَسْمَى
 وَمَرْتَبَةِ أَعْلَى ، عَلَيْهِ يُسْتَدْرِكُ مَا فَاتَ ، وَيُحَسَّنُ إِلَى عَبْدِهِ فِيمَا هُوَ آتٍ
 (وَكُتِبَ الْفَاضِلُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بَكْرُ مُحَمَّدٍ)

عَهْدِي بِالسَّيِّدِ الْجَالِيلِ (أَدَامَهُ اللَّهُ مَصْدَرًا لِلْمَكَارِمِ تَشْتَقُّ مِنْهُ صِفَاتُهَا ، وَمُظْهِرًا
 لِلْفَضَائِلِ تَتَجَلَّى فِيهِ آيَاتُهَا) سَبَّاقًا إِلَى غَايَاتِ الْمَجْدِ دَرَاكًا لِمَطَالِبِ الْحَمْدِ ، أَرْيَحِيًّا^(٧)
 لَا يَصْبُو^(٨) إِلَّا إِلَى إِسْدَاءِ الْمِنَّنِ ،^(٩) جَوَادًا لَا يَطْمَعُ طَرْفُهُ فِي بَثِّ عَوَارِفِهِ إِلَى

(١) صار ندبا (٢) طلع (٣) غييبته (٤) نوبه (٥) ظهري (٦) الجيوش (٧) يرتاح للعطاء

(٨) لا يميل (٩) احسان

ثمن . ما أمه (١) أسيرُ فاقّة (٢) إلاّ وأنّي (٣) لديه كهفاً منيعاً ، وجاهاً رفيعاً .
وما قصده ذو حاجةٍ إلاّ وصدّر (٤) عن مورد (٥) فضله سادياً (٦) بثنائه ، معلناً
بولائه . وإنّ لي إلى السيد حاجةً أن لم يُسغف بقضاها ، فيا حسرة نفسي وطول
شقائها . وليست هذه بأوّل مرّة استمحت (٧) فيها على مروءته ، واستمطرتُ
صيّب (٨) هيمته . فأنه طالما طوّقني قلائد نعيمه ، وأرسل تليّ مذرّار (٩) كرمه .
فليجز في هذه أيضاً على عادته ، ويقابلني بما عودتني من كرامته . ومعاذ الله أن
أسأله ما ليس في وسعه ، أو أن أستقضيّه شيئاً يحرصُ على منعه . ولكنّي
أريدُ بسطةً كفّ أستعين بها على قضاءِ حقوقٍ للعلی قبلي .
والذي يكفلُ لي تلك البسطة : أن يقلدني سيدي وظيفةً مناسبةً لحالي ، حتى
تكون لي درعاً آتقى بهامها نه الفقر ، وسيفاً أكفّ به عوادي الدهر . ومالي
والأقسام عليه في إنالتي هذه البغية : بنفس وقْتِ قصّيته في خدمة العلم ، واقتناء
أبكاره ، وطويل عناءِ تحمّله في مُراوَلَة (١٠) الأدب واكتشاف أسرارِهِ ، ونفس
ارتاضت (١١) بالفضل ، وآترت (١٢) غصّة الفقر على منّة البذل ، وله من سنيّات (١٣)
الفضائل ، (١٤) وعلّيات الفواضل ، (١٥) وجليّات الماكث ، وجليّات المفاخر - ما لو
اقسم به عليه في إنالة أعز المطالب ، لألزمه كرمُ سجاياه برّ ذلك القسم ، واجابة
دواعي المهم ، وانك لفاعل ان شاء الله تعالى .

(وكتب أفقيد الأدب حسن افندي توفيق العدل المتوفى بلندن سنة ١٣٢٢ هـ)
كتابي إلى ربّ النعماء ، واليدِ البيضاء ، وقد أصبحتُ كما قال الخريّ :

(١) قصده (٢) فقر (٣) وجد (٤) رجع (٥) مكان الورود (٦) مترنماً (٧) سأله العطاء
(٨) السحاب (٩) مايدر بالمطر (١٠) مماياته (١١) تمرنت (١٢) اختارت (١٣) عايات
(١٤) جمع - فضيلة - الدرجة (١٥) فاضلة النعمة الجميلة

«خاوي» (١) الوفاض (٢) بادي (٣) الانفاض، (٤) لا أملكُ بُلغةً، (٥) ولا جد في جرابي مضغة» (٦) - قد التوي على أمرِي، وثقل من حاجتي ظهري..
 مد الاحتياجُ إلى أطنابه، (٧) وسر بلني (٨) الافتقار إياه (٩). والدنيا مكدرّة
 أحداها، (١٠) وقصورها منغصةٌ بأجداها (١١) نعيمها يصفو، (١٢) ولكن لا يصفو
 أنت (كما أعلم) مفرج كُرْبتي، ومنقذي من شدتي، بطرفة (١٣) من طرف
 فذك، (١٤) ولمحة من لمحات برك. (١٥) فان استدررت (١٦) حلوبة (١٧)
 مالك، فقد لاذ غيري بجاهك. ما يمتُّ (١٨) غيرك. وكيف يقصِدُ النهر، من
 بأوز البحر ويحتاج إلى النجم، من يسرى في ضوء البدر؟ فاستهزئ عطف (١٩)
 ودك، وأستمطر سحاب كرمك. كيف وأنت قبلة المعروف! وملاذ الملهوف!
 بك تُشدُّ الرِّحال، وبك تُناطِ المال. أوليائك منك في ظل تمدود،
 هناء وسعود. أفأنت الشمس عمت بالاشراق؟! أو الغيث والى الاندفاق؟! -
 كن.

مَنْ قاسَ جدواكَ يوماً
 بالسُّحْبِ أخطأ مدحك
 فالسُّحْبُ تعطي وتبكي
 وأنت تُعطي وتضحك

نسبُ الكرم بك عريقٌ، وروضُ المجد أنيقٌ، أصلُ راسخٍ، وفرعٌ
 مخ. تهتزُّ للمكلام اهتزاز الحسام، وتثبتُ أمام الشدائد بشعرٍ بَسام.
 تراه إذا ماجئته مُتهللاً. كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(١) خالي (٢) بكسر الواو جراب الزاد (٣) ظاهر (٤) فناء الزاد والمال (٥) بضم الباء
 نة القليلة (٦) انتهى كلام الحريري (٧) جبال الحيمة (٨) البسنيه قيصا (٩) جالده
 (١٠) مصائبها (١١) قبورها (١٢) يكثر (١٣) بنعمة (١٤) عطائك (١٥) احسانك (١٦)
 طبت (١٧) ماتح (١٨) ما قصدت (١٩) جانب

حَكَمْتَ الأَمالَ فِي أُمُوكَ ، وَاسْتَعْبَدْتَ الأَحْرَارَ بِفَعَالِكَ ، يَنَابِيعُ أُمِّي
مِنْ أَنَامِكَ تَتَفَجَّرُ ، وَرَبِيعُ السَّاحِ بِكَ ضَاحِكٌ لَا يَضْجُرُ ، فَلَا زِلَّةَ مَوَا
مَمْتَعًا بِشَرَفِ سَجَايَاكَ وَشِيمِكَ ، مُسْتَمَدًّا الشُّكْرَ مِنْ غِرَاسِ نِعْمِكَ ، وَلَا ز
الأَنَامُ تَنْتَفِعُ بِتِلْكَ الشَّيْمِ ، وَتَنْجُو ثَمَارُ ذَلِكَ الْكَرَمِ ، وَدُمْتَ لِلْمَكَارِمِ بِدَر
لَا يَنَالُهُ خُسُوفٌ ، وَشَمْسُ فَضِيٍّ لَا يَلْحَقُهَا كُسُوفٌ ، أَطَالَ اللَّهُ لَكَ الْبَقَاءَ ، كَتَبَ
يَدِيكَ بِالْعَطَاءِ آمِينَ .

استمناح رجل لعبد الملك بن مروان

وَقَدْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا نَدْرِي إِذَا مَا قَاتَنَا طَلَبُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي نَتَطَلَّبُ ؟
فَلَقَدْ ضَرَبْنَا ^(١) فِي الْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يَنْسَبُ
فَاصْبِرْ لِعَادَتِنَا الَّتِي عَوَّدْتَنَا أَوْ لَا فَأَرْشِدْنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ ؟
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ . إِلَى ! إِلَى ! وَأَمْرٌ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ . ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَقَالَ
يَرْبُ ^(٢) الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ أَنَّهُ إِذَا-فَعَلَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّا
وَلَيْسَ كِبَارٍ حِينَ تَمَّ بِنَاؤُهُ تَتَّبِعُهُ بِالنَّقْضِ حَتَّى تَهْدَمَ
فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْعَامِ الثَّالِثِ فَقَالَ .
إِذَا اسْتَمَطَرُوا كَانُوا مَغَازِيرَ ^(٣) فِي النَّدِيِّ يَجُودُونَ بِالْمَعْرُوفِ عَوْدًا عَلَى بَدِيهِ
فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ .

(١) ضرب في الأرض سافر (٢) رب زاد وأصلح (٣) اغزر المعروف جعله شذرا
والمغازير لا يكون الا جمعا لمغزير أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس
وفي المحفوظ سحابة مغزار : مغزير فيكون جمعا لمغزار حتما .

استمناع العتَابِي لِأَحَدٍ أَصْدَقَائِهِ

كتب كُثُومٌ ^(١) بنُ عمرو العتَابِي إلى صديق له

أما بعدُ — أطل الله بقاءك ، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجَنَّة — فانك كنت عندنا رَوْضَةً من رياضِ الكَرَم ، تبتهج النفوس بها ، وتستريح القلوب إليها وكُنَّا نُعْفِيهَا من النُّجْعَةِ ^(٢) استمَامًا لَزَهْرَتِهَا ، وَشَفَقَةً على خَضْرَتِهَا ، وَاذْخَارًا لثَمَرَتِهَا ، حَتَّى أَصَابَتْنَا سَنَةٌ كَانَتْ عِنْدِي قِطْعَةً من سِنِي يَوْسُفَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْنَا كَلْبُهَا ^(٣) ، وَغَابَتْ قِطْعَتُهَا ، وَكَذَبَتْنَا غُيُومُهَا ، وَأَخْلَفَتْنَا بُرُوقُهَا ، وَفَقَدْنَا صَالِحَ الْإِخْوَانِ فِيهَا ، فَانْتَجَعْتُكَ . وَأَنَا بَانِتَجَاعِي إِيَّاكَ شَدِيدُ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ ، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّكَ مَوْضِعُ الرَّائِدِ ^(٤) ، وَأَنَّكَ تَغْطِي عَيْنَ الْحَاسِدِ . وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مَا أَعْدُّكَ إِلَّا فِي حُومَةٍ ^(٥) الْأَهْلِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَرِيمَ إِذَا اسْتَحْيَا مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ وَلَمْ يُمْكِنَهُ الْكَثِيرُ لَمْ يُعْرِفْ جُودَهُ وَلَمْ تَظْهَرْ هِمَّتُهُ . وَأَنَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ ^(٦)

إِذَا تَكَرَّمْتَ عَنْ بَذْلِ الْقَلِيلِ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
بَثَّ الذُّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فَكُلَّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودٌ

استمناح اعرابية لعبد الله بن أبي بكر

دخلت أعرابية على عبد الله^(١) بن أبي بكر بالبصرة فوقفت بين السَّاطِنِ^(٢) فقالت : — أصلح الله الأمير وأمتع به — حَدَرَتْنا إليك سَنَةً اشْتَدَّ بِلاؤُها وانكشف غطاؤها ، أفودُ صبيةً صغاراً ، وآخرين كباراً ، في بلدة شاسعة تخفُّضُنا خافضة ، وترفعُنا رافعة ، لِمِلِمَاتٍ من الدَّهرِ أَذْهَبْنَ لِحِمي ، ووبرين عظمي وترَكْنِي وإِلَهة^(٣) أدور بالحضيض ، وقد ضاق بي البلدة العريض . فسألت في أحياء العرب . من الكاملة فضائله ، المُعْطَى سائله ، الكافي نائله ؟ فدللت عليك — أصلحك الله تعالى — وأنا امرأة من هوازن^(٤) ، قد مات الوالد ، وغاب الرافد وأنت بعد الله غبائي ومنتهى أُملى ، فاصنع بي إحدى ثلاث خصال . إمَّا أن ترُدَّنِي إلى بَلَدِي ، أو تحسن صفدي ،^(٥) أو تقيم أددي^(٦) فقال . بل أجمعُهن لك . ولم يزل يُجري عليها كما يُجري على عياله حتى ماتت

استمناح حكيم فارسي للمهلب

قال الهيثم بن عدي : قدم حكيمٌ من حُكَّاء أهل فارس على المهلب فقال : — أصلح الله الأمير — ما اشْخَصْتَنِي الحاجةُ ، وما قَنِعْتَ بالمَقَامِ ، ولا أرضى مِنْكَ بالنِّصْفِ إذ قمتُ هذا المَقَامِ . قال . ولم ذلك ؟ قال . لأن النَّاسَ ثلاثة . غَنِيٌّ وفقير ومُسْتَزِيدٌ ، فالغنيُّ مَنْ أُعْطِيَ فما يستحقُّه ، والفقير من مُنْعِ حقِّه ، والمستزيد الذي يطلب الفضل بعد الغني ، وإني نظرت في أمرك

(١) هو ابن أخي زياد بن أبيه (٢) السباط الصف (٣) الواهة والوهي الشديدة الحزن (٤) هوازن قسم من قيس وعبد الله بن بكره سبه في ثقيف وهم من هوازن فبي نريد أن نميله بعاطفة القرابة (٥) الصند العطاء (٦) الأود الاعوجاج

فَرَأَيْتُ أَنَّكَ قَدْ أَدَيْتَ إِلَى حَقِّي ، فَتَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى اسْتِزَادَتِكَ ، فَإِنْ مَنَعْتَنِي
فَقَدْ أَنْصَفْتَنِي ، وَإِنْ زِدْتَنِي زَادَتْ نِعْمَتُكَ عَلَيَّ ، فَأَعْجَبَ الْمُهْلَبُ كَلَامَهُ ،
وَقَضَى حَوَائِجَهُ

تَلَطَّفَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي اسْتِئْذَانِ الْمَنْصُورِ

قَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ فَتَكَلَّمَ مَعَهُ كَلَامًا حَسَنًا ،
فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ : حَاجَتُكَ . فَقَالَ : يَبْنَؤُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : حَاجَتُكَ
فَأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ سَاعَةٍ يُمْكِنُكَ هَذَا وَلَا تُؤْمِرُ بِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا اسْتَقْصَرْتُ عَمْرَكَ ،
وَلَا أَخَافُ بُحْلَكَ ، وَلَا أَغْنِمُ مَا لَكَ ، وَإِنْ سُئِلْتُ كَشَرْتُ ، وَإِنْ عَطَاءُكَ لَزَيْنٌ ،
وَمَا بَامِرِيءَ بَذَلَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِمَنْحَةِ
سَنِيَّةٍ .

وَقَدْ أَلَمَّ الرَّجُلُ فِي أَكْثَرِ مَعَانِيهِ بِقَوْلِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ : يُسْتَمْنَحُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ^(١) الْقَرَشِيُّ .

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَامِرِيءَ إِنْ حَبَوْتَهُ بِبَذْلِ وَمَا كُلَّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لَامِرِيءَ بَذَلَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

...

وَمِنْ أَلْطَفِ الاسْتِئْذَانِ قَوْلُ أُمِّيَّةَ يَخَاطَبُ ابْنَ جُدْعَانَ أَيْضًا .

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَبَاؤُكَ إِنْ شِيمَتَكَ الْحَبَاءُ

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ أَمِنْ بَنِي تَيْمٍ رَهْطُ سَيْدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهُوَ حِوَادٌ مَشْهُورٌ وَكَانَ
أُمِّيَّةَ مَدْلَحًا لَهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ تَوَفَّى أُمِّيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِسْلَامَ

وعلمك بالأمر وأنت قَرَم
كَرِيم لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ
تَبَارَى الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا

لَكَ الْحَسْبُ الْمَهْدَبُ وَالسَّنَاءُ (١)
عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءَ
إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجَحَرَهُ الشَّتَاءُ (٢)
كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ (٣)

استمنح عبد العزيز بن زرارة معاوية

قال العتي . وفدَ عبدُ العزيز بن زرارة على معاوية ، فلما أذن له وقف بين يديه وقال . يا أمير المؤمنين ! لم أزل أهرُّ ذوائب (٤) الرجال إليك ، إذ لم أجد معولا إلا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسم (٥) المجاهل بالآثار ، يقودني إليك أمل ، وتسوقني بلوى ، والمجتهد يُعَذَّر . وإذ قد بلغتُك فظنني (٦) . فقال معاوية ، احطُطْ عن راحلتك .

...

ولما ولي الخليفة المهتدي سليمان (٧) بن وهب وزارته قام اليه رجلٌ من ذوى حرُمته فقال : - أعزَّ الله الوزير - أنا خادمك المؤمل لدَوْلَتِكَ ، السعيد بأيامك المنطوي القلب على ودِّكَ ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك . وقد قال الشاعر .

وفيتُ كلَّ صديقٍ ودَّني ثَمَنًا
إلا مؤمِّلَ دولاتي وأيامي

(١) القرم الفحل والسيد والثناء الشرف ، والسنا : الضوء (٢) أجحده : الجأء (٣) يقول : أنك لا تجشم المحتاج مؤنة السؤال لأنك تستغني بثناؤه عن استجدائه (٤) الذوائب : جمع ذؤابة وهي الجلدة المعلقة على آخرة الوحل . (٥) وسم الأرض كوعد : ترك فيها اثرا (٦) ظنني اسم فعل بمعنى يكتنني ومثلها قدنى (٧) سليمان بن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ، وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيده القاسم . توفي سليمان سنة ٢٧٢ هـ

فأنني ضامن أن لا أكافئه إلا بتسويغه فضلى وإنعامي^(١)
 وإنني لكما قال القيسي^(٢) : ما زلت أمتطى النهار اليك ، واستبدلّ بفضلك
 عليك ، حتى إذا اجتنّ الليل فغصّ البصر ، ومحا الأثر ، قام الرجاءُ يدنى سائر أُملى
 والنفس راغبة والاجتهاد عاذر واذا قد بلغتك فقدنى . فقال سليمان : لا عليك فاني
 عارف بوسيلتك محتاج الى اصطناعك وكفايتك ، ولست أؤخر عن يومي هذا
 توليتك ما يحسنُ عليك أثره ، ويطيب لك خبره .
 وكتب رجلٌ من أهل البصرة الى أخ له :

أما بعدُ فانه يُسهّل على طلب الحاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمرٌ من قبل
 الله وبه تمامها ، فأما اللذان فيك فاجتهادك فى النجى ، ومبالاتك فى الاعتذار ، وأما
 اللذان لى فأنى لا أضيق عليك بُعدى ، ولا أصونُ عنك شكرى ، وأما
 الذى من قبل الله عز وجل فإيمانى بأن كل مُقدّر كائن والسلام .

« وكتب المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى . »

أنا إن سألتك حاجتي - أعزك الله - وبسطت اليك يد رجائي فقد طرقتُ
 بابَ المكارم ، واستمطرت غيثَ المراحم ، ورجوتُ واحد الدّهر همةً وحزماً ،
 ونادرة الوجود كرمًا وفضلاً . فان أنجزتها فليست أُولي الممّم ، ولا واحدة النعم
 فلكم سبقت الى منك أيا دِ تخرّس دونها ألسنة الشكر ، وتضيق بها جرائد^(٣) الحصر
 ولقد مثّلت - أيدك الله - بين أن أستشقيع اليك بذوي الجاه عندك ، والزلّني^(٤)

(١) سوغه : أناله (٢) بريد بالقيسي عبد العزيز بن زرارمة المتقدم لأنّه من بنى عامر ثم من
 هوازن ثم من قيس . وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها . (٣) الجرائد : جمع جريدة وهى
 السفة وكانت يكتب فيها ، فالمراد الصحائف (٤) الزلني : القرية والمنزلة

لديك، وبين^(١) أن أكل ذلك الى كرمك وفضلك وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر، فرأيت أن الثانية بك أحرى، وبفضلك أجدر والسلام.

استمناح الصابيء لبعض الرؤساء

وكتب أبو اسحاق^(٢) الصابيء الى بعض الرؤساء :
قد جرت العادة - أطال الله بقاء الامير - بالتمهيد للحاجة قبل مؤزرها وإسلاف^(٣) الظنون الداعية الى نجاحها . وسالك هذه السبيل يسىء الظن بالمستول فهو لا يلبس فصله الاجزاء ، ولا يستدعي طوله الاقضاء . والامير بكرمه الغريب ومدهبه البدع ، يُؤثر أن يكون السالف له ، والابتداء منه ، ويوجب على المهاجم برغبته اليه ، حق الثقة به . فالحمد لله الذي أفرد بالطرائق الشريفة ، ووحد بالخلال المنيفة ، وجعله عين زمانه البصيرة ، ولمعته^(٤) الباقية المنيرة .

...

وكتب محمد بن عباد الى جعفر بن محمد وزير المعز وكان يتقرب اليه ما زلت - أيدك الله تعالى - أذم الدهر بذمك إياه ، وانتظر لنفسي ولك عباد ، واتمني زوال من لا ذنب له ، الى عاقبة محودة تكون بزوال حاله ، وأترك الاعداد^(٥) في الطلب ، على الاختلال^(٦) الشديد ضنا بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحسباً لرجائي إلا عن مستحقه .

(١) كرر الكاتب بين بوكيدا ، وهو حائز مجموع وأما استحسنة اذا طال ما قبل المطوب كما هنا (٢) الصابيء : هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال كاتب ديوان الانشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه وهو معدود من رحلات الكتابة توفى سنة ٣٨٤ هـ (٣) الاسلاف : التقديم . (٤) اللعة : البقعة والقطعة من الحسد تبرى (٥) اعذر : بالغ (٦) الاختلال : الاحتياج

ومن أرق الاستمache (١) ما كتبه عبيد الله بن طاهر الى سليمان بن وهب
أبي دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهيم المقدم
فأعجب سليمان بلطف طلبه في تهنته وقضى حوائجه .

وقال أعرابي لرجل . ما اتهمتُ حسن ظني بك ، منذ توجه رجائي نحوك ، ولا
نعدت بجدّ فائل (٢) باعتمادى عليك ، ولا استدعيتني رغبة عنك الى من سواك ،
لا أراى الاختيار غيرك عوضاً منك .

وكتب البديع الهمداني في بابه الى بعض أصحابه
لك - أعزك الله - عادة فضل ، في كل فصل ، ولنا شبه مقت ، في كل وقت
لعمري ان ذا الحاجة مقيت (٣) الطلعة ، تقيل الوطأة ، ولكن ليسوا سواء .

(الفصل الثالث في رسائل الشكر)

« كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »
الشكر ترجمان النية ، ولسان الطوية ، وشاهد الاخلاص ، وعنوان الاختصاص
ندي من إنعامه ، وخاص برّه وعامه ، ما يستغرق منه الشكر ، ويستنفذ قوّة
نشر . شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه . شكر كافاس الاحباب في
سحر ، أو أنفاس الرياض غب الأقطار .

« وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٧٢ هـ »
من شركك على درجة رفعته اليها ، أو ثروة أقدرته عليها - فان شكري لك

(١) الاستمache : الاستماع (٢) الجد : الحظ . والنائل : المحطىء

(٣) المقيت والمقوت : البغيض المكروه

على مُهِجَةٍ أُحْيِيَتَهَا ، وَحَشَاشَةٍ أَبْقِيَتَهَا ، وَرَمَقَ أَمْسَكَتَ بِهِ ، وَقَمْتَ بَيْنَ التَّلَفِّ
وَبَيْنِهِ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حُدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَمُدَى تَقِفُ عِنْدَهُ ، وَغَايَةٌ
مِنَ الشُّكْرِ لَا يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ ، خِلَافَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي فَاقَتْ الوَاصِفَ ، وَأَطَالَتِ
الشُّكْرَ ، وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ (مِنْ وَرَاءَ كُلِّ غَايَةٍ) رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ
وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ . فَحَنَّا نَلْجَأُ مِنْكَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَكُنْفٍ (١) كَرِيمٍ . فَكَيْفَ
يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ؟ وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ ؟ !

« وَكُتِبَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمَيْكَلِيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤٣٦ هـ »

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِذَاءَهُ ، وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ ، (٢) فِيهِبَاتٍ أَنْ
يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ ! أَوْ يَسِيرَ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ (٣)
وَنَوَالِهِ ! (٤) وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يُحْلِي إِلَّا بِذِكْرِهِ طَرَاذُهُ . وَأَسْمٌ لَهُ حَقِيقَتُهُ ، وَلِسَوَاءٍ
مَجَازُهُ . وَلَوْ أَنَّهُ (حِينَ مَلَكَ رِقِّي بِأَيَادِيهِ . وَأَعْجَزَ وَسُغِي عَنْ حُقُوقِ مَكْلَمِهِ
وَمَسَاعِيهِ) خَلَّى لِي مَذْهَبَ (٥) الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ ، وَلَمْ يَجَادِبْنِي زِمَامُهُ وَعِثَانَهُ .
لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بَعْرُودَ طَمَعٍ ، وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَطَلَعُ . (٦)
وَلَكِنَّهُ يَا أَبِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوِلَى عَلَى أَمَدِ الْفَضَائِلِ ، وَيَتَسَنَّمُ (٧) ذَرَا (٨) الْغَوَارِبِ (٩)
مِنْهَا وَالْكُوَاهِلِ . (١٠) فَلَا يَدْعُ فِي الْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا ، (١١) وَتَخَلَّفَ
سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا (١٢) سَاقِطًا . لَتَكُونَ الْمَعَالَى بِأَسْرَحَا مَجْمُوعَةٍ فِي مَلِكِهِ ، مَنْظُومَةٍ
فِي سُلُوكِهِ ، خَالِصَةٌ لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسَمِ وَشُرْكَهِ . (١٣)

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معروفة (٤) عظامه (٥) الطريق (٦) كلامها الضعيف (٧) يمر
(٨) اعالي (٩) جمع عارب ما بين الطهر والعنق (١٠) جمع كاهل ما بين الكتفين (١١) ريان
(١٢) كليلا (١٣) مشاركته

وكتب أستاذي المرحوم الشيخ محمد عبده (١) يشكر للمرحوم (حافظك ابراهيم تعريه كتاب البؤساء)

لو كان لي أن أشكرك لظنّ بالفتّ في تحسينه ، أو أحمّدك لرأي لك فينا أبعدت في تزيينه - لكان لقلبي مطّمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبُه حقّك ، ويمجّري في الشكر الى الغاية كما يطالبه فضلك . لكنك لم تقف بعُرفك (٢) عندنا ، بل عمّمت به من حولنا ، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا . زفّفت الى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغريبة ، سحّرت قوّمها ، وملكّت فيهم يومها . ولا تزال تذبّه منهم خامداً ومهزّ فيهم جامداً . بل لا تنفك تحيي من قلوبهم ما أماتته القسوة ، وتقوّم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة . (٣) حكمة أفاضها الله على رجلٍ منهم ، فهدى الى التقاطها رجلاً منّا . فجردّها من ثوبها الغريب ، وكساها حلةً من نسج الاديب ، وجلاّها للنّاظر ، وحلاّها للطّالِب . بعد ما أصلح من خالقها وزان من معارفها . حتّى ظهرت مُحبّبة الى القلوب ، شيقة (٤) الى مؤانسة البصائر تهشّ (٥) للفهم وتبشّ ، (٦) للطف الذوق . وتُسابق الفكر الى موطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم ، الا وهي من النفس في مكان الألهام .

حاول قومٌ من قبلك أن يبلّغوا من ترجمة الأعجم مبلّغك فوقّف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطّريق . ووصل منهم فريق الى ما يحبُّ من مقصده ، ولكنه

(١) هو الاستاذ الامام المرحوم مفتي الديار المصرية سابقا ولد سنة ١٢٥٨ هـ وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ وكتب هذا المكتوب شكرا لمرّجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة اثناء مرّجه منها ولست أبالي ان يقال محمد . أبل او اكتظت عليه المآتم ولكن دينا قد اردت صلاحه . احاذر ان تقفي عليه البعائم .

(٢) المعروف (٣) بالكسر والفتح التدو (٤) لطيفه (٥) بفتح التاء تصل اليه بسهولة (٦) بفتح الباء من البشاشة

لَمْ يُعْنَ بِأَنْ يَعِيدَ إِلَى اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَا فَقَدْتَ مِنْ أَسَالِيْبِهَا، وَبَرْدَ إِلَيْهَا مَا سَلَبَهُ الْمُعْتَدُوْر
عَلَيْهَا مِنْ مَتَانَةِ التَّأْلِيفِ، وَحُسْنِ الصِّيَاغَةِ، وَارْتِفَاعِ الْبَيَانِ فِيهَا إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِهِ
أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ وَفَّيْتَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا عَايَةَ لِمَزِيدٍ بَعْدَهُ، وَلَا مَطْمَعٍ لَطَالِبٍ أَزْ
يَبْلُغُ حَدَّهُ. وَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ: لَذَهَبْتُ إِلَى أَنَّ رُوحَ «ابْنِ الْمُنَقَّعِ»
كَانَتْ مِنْ طَيِّبَاتِ الْأَرْوَاحِ، فَظَهَرَتْ لَكَ الْيَوْمَ فِي صُورَةِ ابْدَعٍ، وَمَعْنِي أَنْفَعُ. وَلَعَلَّكَ
قَدْ سَنَنْتَ بِطَرِيقَتِكَ فِي التَّعْرِيبِ سُنَّةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا مَنْ يَحَاوِلُهُ بَعْدَ ظُهُورِ كِتَابِكَ
وَيَحْمِلُهَا الزَّمَانُ إِلَى أَبْنَاءِ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهُ. فَتَكُونُ قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَى الْأَبْنَاءِ كَمَا
أَجَمَلْتَ فِي الصَّنْعِ إِلَى الْأَبَاءِ. وَحَكَمْتَ لِلَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا بَعْدُ مِنَ الْعُجْمَةِ
سِوَى مَا هُوَ فِي الْأَسْمَاءِ (أَسْمَاءِ الْأُمَّاكِنِ وَالْأَشْخَاصِ، لَا أَسْمَاءِ الْمَعَانِي وَالْأَجْنَاسِ)
وَمِثْلِي مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ الْإِحْسَانِ إِذَا عَمَّ، وَيَعْلَى مَكَانَ الْمَعْرُوفِ إِذَا شَمِلَ، وَيَتَمَثَّلُ
فِي رَأْيِهِ بِقَوْلِ الْحَكِيمِ الْعَرَبِيِّ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ.

وَلَوْ أَنِّي حُبَيْتُ الْخُلْدَ فَرْدًا لَمَا أُحْبِيتُ بِالْخُلْدِ انْفِرَادًا
فَلَا حَظَلْتُ عَلَى وَلَا بَارِضِي سَحَابٌ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا
فَمَا أَعْجَزَ قَلَمِي عَنِ الشُّكْرِ لَكَ! وَمَا أَحَقُّكَ بِأَنْ تَرْضَى مِنَ الْوَفَاءِ بِاللِّقَاءِ!
«وَكُتِبَ أَيْضًا فِي الشُّكْرِ مَعَ تَوْثِيقِ الْمُوَدَّةِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ»
لَكَ فِي قُلُوبِنَا مِنَ الْمُوَدَّةِ مَا يَزَكِيهِ سَنَاؤُكَ، وَفِي مَنَاظِقِنَا مِنَ الْحَمْدِ مَا يُوجِبُهُ
كَمَالُكَ، وَفِي صُدُورِنَا مِنَ الْإِجْلَالِ مَا يَرْفَعُهُ بَهَاؤُكَ!

وَمَا بَيْنُنَا مِنَ الْمُوَدَّةِ لَا تَحْدُهُ مُدَّةٌ، وَلَا تَخَاقُ لَهُ جِدَّةٌ. نَعِيْذُهُ مِنْ حَاجَةِ
لِلتَّجْدِيدِ، وَاسْتِدْعَاءِ لِلْمَزِيدِ. فَلَا الْمَوَاصِلَةَ تَرْيِيهِ، وَلَا الْمَجَاهِلَةَ تُؤْهِمُهُ - نَعَمْ إِنْ
مَا يَحْفَظُ لَكَ فِي الْأَنْفُسِ هُوَ يَجْلِي فَضْلَكَ، وَمِثَالُ عِلَاتِكَ وَنَبْلِكَ، وَذَلِكَ الْخُلْدُ

خلود الأرواح ، الباقي في تفاني الأسباح .
وبعدُ - فقد تلقيتُ منك كتاباً يَدُوحُ بسرَّ المحبة ، وينتشرُ طيَّ الصداقة
به تبيان وُجْدانك ممَّا وَجَدْنَا ، وتأثَّرَكَ على ما فقدنا ، فكان نبأ عما نعلم ،
قضاء بما نحكم . ولكن شكرنا لك فضل المراسلة ، وأريحية المجاملة ، والله يتولى
بفائك ، مثوبة تكافئ وفاءك .

« وكتب أيضا في الشكر لآخر »

لو كان في الثناء ، وملازمة الدعاء ، وحفظ الجليل ، والقيام بالخدمة جهد
ستطيع ما يفنى بشكر من يفتتح باب المحبة ، ويبدأ بصنائع المعروف اكنتم
لحمد الله من أقدر الناس عليه . ولكن أني يكون في ذلك وفاء ؟ والمحبة سر نظام
« كَوَان ! والأحسان قَوَام عَالَم الامكان ! والقائم على كنهه جميعه قيوم
مَمَوَات والأَرْض ! والمفتتحون لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه
بس لي إلا أن الجأ الى الله في مكافأة فضيلتكم ، على ما كان منكم أيام الإقامة
بكم ، ثم أسلّي نفسي عن عجزى بما أتخيل أن كرمكم سيروي :

سيكفي الكريم إخاء الكريم ويقنع بالود منه نوالا

وبعد هذا أرجو عفوكم عن التقصير في المبادرة الى المكاتبة ، لأنني شغلت
شغلي عن نفسي . ولكن زالت العوارض (والحمد لله) وفاتني لهذا العذر
تكم بالعيد . (وإنما للمؤمن في كل يوم بر به عيد) فنهشكم برضاء الله عنكم
بله صالح الاعمال منكم . وسلامي على نجلكم ومن ينتمى اليكم .

(النسب الرابع في رسائل النصيح والمشورة)

(كتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

اسمع نصيحة ناصحٍ جمع النصيحة والمِقة (١)

اياك واحذر أن تكون من الثقات على ثقته

صدق الشاعر وأجاد، وللثقات خيانة في بعض الأوقات: هذه العين تُريك

السراب (٢) شراباً. وهذه الأذن تُسمعك الخطأ صواباً. فلست بمعنود، وإن وقتك

بمخدور. وهذه حالة الواثق بعينه، السامع بأذنه:

وأري فلاناً يُكبرُ غتيانك (٣) وهو الدنيء دُخلته (٤) الردي مُجلفاً

السبيء وُصلته، الحبيث كاهته. وقد قاسمته في ذررك، (٥) وجعلته موضع سررك

فأرني موضع غلغلك فيه، حتي أريك موضع تلافيه (٦). أظاهرُ غرك؟ أ

باطنه سررك؟!

يا مولاي: يُورِدُك (٧) ثم لا يُصدِرُك (٨) ويوقعُك ثم لا يعُدُّرك. فاجتد

ولا تقرب به، وإن حضر بابك، فاكفُ جنابك (٩). وإن مَسَّ نوبك، فاعسل نياك

وان لصق بجلدك، فاسلخ إهابك. ثم افتتح الصلاة بِلَعْنِهِ. وإذا استعدت بِ:

من الشيطان فأعنه (١٠)

(وكتب الاسكندر المقدوني الى أستاذه الحكيم أرسطو)

(يستشيرهُ فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم)

عليك أيها الحكيم منا السلام. أما بعدُ فإن الأفلاك الدائرة والسماء

(١) الحجة (٢) ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يصبق بالأرض وهو مثل

المخادع الكذب (٣) اتياك (٤) بتلث الدال نيتك (٥) قوام القلب (٦) تداوكة (٧)

يوصلك الى مكان ورود الماء (٨) لا يرجعك (٩) البناء والناحية (١٠) اقصد

السَّامِيَّةُ ، وَإِنْ كَانَتْ أَسْعَدَتْنَا بِالْأُمُورِ الَّتِي أَصْبَحَ النَّاسُ لَنَا بِهَا دَائِنِينَ - فَأَنَا مُضْطَّرُّونَ إِلَى حِكْمَتِكَ غَيْرُ جَاحِدِينَ لِفَضْلِكَ ، وَالْأَجْتِبَاءُ ^(١) لِرَأْيِكَ ، يَلَا بُلُونَا مِنْ إِجْدَاءٍ ^(٢) ذَلِكَ عَلَيْنَا ، وَذُقْنَا مِنْ جَنِي ^(٣) مَفْعَتِهِ ، حَتَّى صَارَ ذَلِكَ وَبُجُوعَهُ ^(٤) فِينَا ، وَتَرَسُّخُهُ فِي أَذْهَانِنَا ، كَالْعِذَاءِ ^(٥) لَنَا . فَمَا نَنْفَكُ نَعْلُ عَلَيْهِ ، وَنَسْتَمِدُّ مِنْهُ اسْتِمْدَادَ الْجَدَاوِلِ مِنَ الْبَحَارِ . وَقَدْ كَانَ مِمَّا سَبَقَ إِلَيْنَا مِنَ النَّصْرِ ، وَبَلَّغْنَا مِنَ النَّكَايَةِ فِي الْعَدُوِّ مَا يَعْجُزُ الْقَوْلُ عَنْ وَصْفِهِ ، وَالشُّكْرُ عَلَى الْإِنْعَامِ بِهِ . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ جَاوَزْنَا أَرْضَ سُورِيَّةَ وَالْجَزِيرَةَ ، إِلَى أَرْضِ بَابِلَ وَفَارَسَ ، فَلَمَّا نَزَلْنَا بِأَهْلِيهَا ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَيْثًا ^(٦) تَأَقَّانَا نَفَرٌ مِنْهُمْ بِرَأْسِ مَلِكِهِمْ هَدِيَّةً ، وَطَلَبًا لِلْحِظْوَةِ عِنْدَنَا . فَأَمَرْنَا بِصَلْبِ مَنْ جَاءَ بِهِ وَشَهْرَتِهِ ، لِسُوءِ بَلَاءِهِ ، وَقِلَّةِ أَرْغَوَائِهِ وَوَفَائِهِ . ثُمَّ أَمَرْنَا بِجَمْعِ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَوْلَادِ مَلِكِهِمْ وَأَحْرَارِهِمْ ، وَذَوِي الشَّرَفِ مِنْهُمْ . فَرَأَيْنَا رَجَالًا عَظِيمَةً أَجْسَامُهُمْ وَأَحْلَاءَهُمْ ^(٧) حَاضِرَةً أَلْبَابَهُمْ وَأَذْهَانَهُمْ ، رَأَتْهُ ^(٨) مَنَاطِرُهُمْ وَمَنَاقِبُهُمْ ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ مَالِمَ يَكُنْ مَعَهُ سَبِيلٌ إِلَى غَلَبَتِهِمْ . وَلَوْ لَا أَنَّ الْقَضَاءَ أَدَلَّنَا ^(٩) مِنْهُمْ ، وَأَظْهَرْنَا عَلَيْهِمْ وَلَمْ نَرَبْعِدْ مِنَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِمْ أَنْ نَسْتَأْصِلَ ^(١٠) شَأْنَهُمْ ^(١١) وَنَجْتَثَ ^(١٢) أَصْلَهُمْ وَنُلْحِقَهُمْ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِهِمْ ، لَتَسَكَّنَ الْقُلُوبُ بِذَلِكَ إِلَى الْإِثْمِ مِنْ جَرَائِرِهِمْ ^(١٣) وَبَوَاقِهِمْ ^(١٤) فَرَأَيْنَا أَنْ لَا نَعْجَلَ بِبَادِرَةِ ^(١٥) الرَّأْيِ فِي قَتْلِهِمْ ، دُونَ الْاسْتِظْهَارِ بِمَشُورَتِكَ فِيهِمْ .

(١) الاختيار (٢) اعطاء (٣) ما يجني ويؤخذ من الثمر (٤) بتأثيره (٥) بكسر الغين ما يتغذى به (٦) مقدار ما (٧) جمع حلم بكسر الحاء العقل وبضمها المنام ليل (الرؤيا) (٨) زائدة (٩) جعل لنا الكرة عليهم (١٠) تقطع (١١) عداوتهم (١٢) تقتلع (١٣) كناية عن شرورهم (١٤) البواهي (١٥) ما يظهر عند الغضب

فَارْفَعْ إِلَيْنَا رَأْيَكَ فِي مَا اسْتَشَرْنَاكَ فِيهِ بَعْدَ صِحَّتِهِ عِنْدَكَ ، وَتَسَابُحُكَ إِيَّاهُ
بِجَلِّي تَفْظِيرِكَ .

وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ السَّلَامِ . فَلْيُكُنْ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ .

« وَكَتَبَ أَرْسَطُو الْمُتَوَفَّى قَبْلَ الْمِيلَادِ إِلَى الْأَسْكَندَرِ الْمُقَدُونِي »

إِنَّ الْأَكْلَ تَرْبَةً (وَلَا مُحَالَةً) قِسْمًا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ . وَإِنَّ لِفَارَسٍ قِسْمًا مِنْ
النَّجْدَةِ وَالْقُوَّةِ . وَإِنَّكَ إِنْ تَقْتُلَ أَشْءًا أَفْهَمَ ، تُخَلِّفَ الْوُضْعَاءَ مِنْهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ .
وَتُورِثُ سَفَلَتَهُمْ ، ^(١) مَنَازِلَ عَلَيْهِمْ . وَتَغْلِبُ أَدْنِيَاءَهُمْ ، عَلَى مَرَاتِبِ ذَوِي أخطَارِهِمْ .
وَلَمْ تَبْتُلِ الْمُلُوكَ قَطُّ بِبِلَاءٍ هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَلْبَةِ السَّفَلَةِ وَذُلِّ الْوُجُوهِ . وَأَحْذَرِ
الْحَذَرَ كَأَنَّكَ أَنْ تُمْكِنَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ مِنَ الْغَلْبَةِ ، فَانْجِبْهُمْ إِنْ نَجِمَ مِنْهُمْ نَاجِمٌ عَلَى جُنْدِكَ
وَأَهْلِ بِلَادِكَ ، دَهْمُهُمْ مَا لَا رَوِيَّةَ فِيهِ ، وَلَا مَنْفَعَةَ مَعَهُ . فَانْصَرَفَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ
إِلَى الْغَيْرِ . وَاعْتَمَدَ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَحْرَارِ ، فَوَزَّعَ بَيْنَهُمْ مَمْلَكَتَهُمْ .
وَأَلْزَمَ اسْمَ الْمَلِكِ كُلِّ مَنْ وَكَلَّتْهُ مِنْهُمْ نَاحِيَةٌ . وَاعْتَقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَإِنْ صَغُرَ
مَلِكُهُ . فَإِنَّ الْمُسَمَّى بِالْمَلِكِ لَا زِمَ لاسْمِهِ ، وَالْمَعْقُودَ لَهُ التَّاجُ لَا يَخْضَعُ لغيرِهِ
وَلَا يَلْبِثُ ذَلِكَ أَنْ يَوْقَعَ بَيْنَ كُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَصَاحِبِهِ ، تَدَابُرًا وَتَغَالِبًا عَلَى الْمَلِكِ
وَتَفَاخُرًا بِالْمَالِ وَالْجُنْدِ ، حَتَّى يَنْسَوُا بِذَلِكَ أَضْغَانَهُمْ عَلَيْكَ ، وَتَعُودَ بِذَلِكَ حَرَمُهُمْ
لَكَ حَرْبًا بَيْنَهُمْ . ثُمَّ لَا يَزِدَادُونَ بِذَلِكَ بَصِيرَةً إِلَّا أَحَدَتُوا هِنَاكَ اسْتِقَامَةً لَكَ
فَإِنْ دَنَوْتَ مِنْهُمْ كَانُوا لَكَ ، وَإِنْ نَأَيْتَ عَنْهُمْ تَعَزَّزُوا بِكَ . حَتَّى يَثْبُتَ كُلُّ مَنْهُمْ عَلَى
جَارِهِ بِاسْمِكَ ، وَفِي ذَلِكَ شَاغِلٌ لَهُمْ عَنْكَ ، وَأَمَانٌ لِأَحْدَانِهِمْ بَعْدَكَ . (وَإِنْ كَانَ

(١) يَفْتَحُ السِّينَ وَكَسَرَ الْفَاءَ السَّقَاطَ مِنَ النَّاسِ وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَخْفِفُ فِيَقْبَلُ
كَسْرَةَ الْفَاءِ إِلَى السِّينِ

أمان للدَّهر) وقد أدَّيتُ للملك ما رأيتهُ حفظاً ، وعلى حقّاً . والملك أبعدَ ويةً وأعلى عينا في ما استعان بي عليه .

والسلام الذي لا أنقضاء له ولا انتهاء ، ولا غاية ولا فناء ، فليكن على الملك
(ومن رسالة للإمام على المتوفى سنة ٤٠ هـ)

دَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا . واذْكُرْ في اليومِ غدا . وأمسكْ من المال بقدرِ
رُؤوسِكَ . وقدمْ الفضلَ ^(١) ليومِ حاجَتِكَ . اترجّوْ أنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ
تواضعين ، وانتَ عندهُ من المتكسِّرين ؟ . أو تطمعُ وأنتَ مُتَمَرِّغٌ في نعيمِ
الضعيف والأرملَةِ ، أنْ يُوجِبَ ^(٢) لكْ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ ؟ !
وإنما المرءُ مجزي بما أسلف ^(٣) وقادمٌ على ما قدّم : والسلام .

« وكتب أيضاً كَرَّمَ اللهُ وجهه الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما »
أُمًّا بَعْدُ - فَانِ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَيَسُوْهُ فُوتُ مَا لَمْ
يُنْذِرْكَ . فليكنْ سرورُك بما نلتَ من آخرتك . وليكنْ أسفُك على ما فات
١ . وما نلتَ من دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ فِيهِ فِرْحًا . وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَفْ عَلَيْهِ
عَا . وَلِيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

(وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ)

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا (بالله) أَشْتَبِهَ الْمَرَّاقِبَ بِاللَّاهِ ! ^(٤) وَأَسْتَبْدِلَ الْخُلُوفُ
، وَقَدَّمَ الرَّقِيقُ عَلَى الْحُرِّ ! وَبِيعَ الدُّرُّ بِالْخَزَفِ ! وَالْخَزُّ بِالْخَشَفِ ، ^(٥)

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال فتدمه (٢) أن ومدخولها يمرور بحرف جر محذوف
بتطعم (٣) تدمه في سالف أيامه

(٤) بالله الذي يكون ما يهايم - وعابا الشيطان (٥) ينتج الخاء أو بضمها الرديء من الصرف

وأظهر كل لئيم كِبَرَهُ ! إن في ذلك لَعِبْرَةٌ ! سَمِعًا سَمِعًا ، فالوُشَاةُ إن سَعَوْا
لا يعقلوا . ويحبُّون أن يُحمَدُوا بما لم يفعلوا . فكيف تشترون منهم القار (١)
في صنة العنبر ؟ وقد بدت (٢) البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبرا
وكيف تسمعُ الأُحبابُ لمن نهى منهم وزجر ؟ ولقد جاءهم من الأُنباء (٣)
ما فيه من دَجَرٍ ! (٤) عَجِبْتُ لَهُمْ وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرِّضون ! فلما
أحسُّوا بأسنا إذاهم منها يركضون ! فقا بلوهم بنِبال الطَّرد في الأُعناق . حتي إذا
أُثخِنتهموهم ، (٥) فسُدُّوا الوُثاق (٦) أبدخلون بما لا ينفع ، في يَبُوتِ أذن الله أن
ترفع ! سيعلمون مقام المَبُوط والعُرُوج ، (٧) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ « ذلك
يَوْمُ الخُرُوجِ » ويقولون إذا لم يجدوا ملاذًا ، يا ويلنا قد كنا في غفلةٍ من هذا
فأنهم عزُّموا على الإقامة مدَّة . ولو أرادوا الخُرُوجَ لأعدُّوا لهم عدَّة (٨) وأنت
يا عزيز العِلياء ، رَحيِد الدنيا ، قد بيَّنتُ لك فعلهم . فبما (٩) رحمة من الله لنت
لهم ، ولكنهم طَمَعُوا في عميم طَوْلِكَ ، (١٠) ولو كنتَ فظًا (١١) غايظَ القُلُوبَ (١٢)
لا نفَضُوا (١٣) من حولك ، أترآهم يعقلون كلامك أم يفهمون ؟ لعمرك (١٤) إنهم
لنفي سكرتهم يعمهون (١٥) لهم قلوبٌ لا يدرُّون بها للحسد قَرَارًا ، لو اطَّلعت
عليهم لو لمت منهم فِرَارًا ، وإني قد شِئْتُ (١٦) لك بِقَلْبِي حصنًا (١٧) صعبًا (١٨)

- (١) الرفت (٢) طهرت (٣) الأخبار (٤) النهي بشدة (٥) أكثرتم القتل فيهم
(٦) ما يربط به (٧) الطلوع (٨) ما أعدّه الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح
(٩) ذريعة وما للتوكيد وللدلالة على أن لينة ما كان الا برحمة من الله (١٠) احسانك
(١١) سيء الخلق (١٢) قاسيه (١٣) لتفرقوا (١٤) حياتك واللام لتوكيد الابتداء
والحبر محذوف تقديره قسمي (١٥) يتحبرون (١٦) زيت (١٧) موضعاً حصينا
(١٨) لا يقدر أحد أن يدخله والمراد المبالغة في تحصين المحبة

فما استطاعوا أن يظهروه، (١) وما استطاعوا له نقباً (٢) نسيت بالعاذل (٣) جميل الصوت (٤) وأنكره، ما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره (٥) رُميت أيها العاذل بسيف القدر في نحرِك! أجبنا لتخرِجنا من أرضنا بسحرِك! فان لم ترجع عن السحر وفعله، فلنأتينك بسحرٍ مثله، كيف يسعى العاذل بين النديم والفه، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه! فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. واجعلوا سيف تبايتكم للعدال مسلولاً، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً. فانهم إن قالوا كذب النديم أو بطر، سيعلمون خدأ من الكذاب الأشر. (٦) وها قد صار أمر الحزين عندك جلياً، فأى الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسن ندياً (٧) ! أظنُّ عهد العاذل عند غضبك لا يُنكث (٨) مثله كمثل السكلب إن تحمل عليه يلهث، أنه لكم عدوٌ كبير، ففرُّوا إلى الله إني لكم منه نذير، فانه جمع لقنالك الأولاد والأحفاد، (٩) وآخرين مقرَّنين (١٠) في الآصْفاد (١١) تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه. وظني إن وصل إليك كتابي، انهم يطردون ويردعون، وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أيعجبك إذا مشي هذا الله، ثانی عطفه (١٢) ليُضِلَّ عن سبيل (١٣) الله وإنك وإن فرحت بعلم ما يجهلون، قد نعلم انه ليُحزنك الذي يقولون. فان قلت إن اجتماعي بهم لأجل الصدقة أو شيء من هذا القليل، إنما لصدقات للفقراء

(١) لا يقدرُونَ أن يعلوا ظهروه لارتفاعه ونعمته (٢) خرقاً لصلابته وسكبه (٣) اللام (٤) الذكر الجليل ولا يستعمل الصوت بهذا المعنى إلا في الجليل (٥) إنساني ذكره (٦) التكبر (٧) مجلس القوم (٨) لا ينقض (٩) أولاد الانباء (١٠) مشدودين (١١) القيود (١٢) لاوى عنقه تكبرا (١٣) عن دين الله

وَالْمَسَاكِينَ وَالْعَامِلِينَ ^(١) عَلَيْهِمُ آيَاتُ الْكُفْرِ قُلُوبُهُمْ ^(٢) وَفِي الرِّقَابِ ^(٣) وَالْغَارِ مِنْ ^(٤)
 وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٥) وَأَبْنِ السَّبِيلِ ^(٦) عَلَى أَنَّهُ لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِلْأَيْمِ ^(٧) حِمَارِ ^(٨)
 مَشَاءَ بَنِيهِمْ ^(٩) وَطِبَاعُهُمْ كُلٌّ بِمَا كَفَرُوا مِنْكُمْ فَتَقْدَرُ عَلَيْهِمْ ^(١٠)
 مُسْتَنْفَرَةٌ ^(١١) فَارْتَمَتْ مِنْ قُسُورِهِ ^(١٢) ، وَقَدْ قَالَ وَقَائِي : خَاطِبُ عَزِيزِكَ هَذِهِ
 الْمَرْءَةُ ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ فِيكَ فِكْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكِّي ^(١٣) أَوْ يَذْكُرُ
 فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرُ . فَقَالَ لِسَانِي إِنْ الْوُدَّ دَوَّ الرَّسُولِ الْمَأْمُونِ . فَأَرْسَلَهُ مَعِي
 رَدْنًا ^(١٤) يَصْدَقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِ . فَقُلْتُ سِيرُوا مَعَ الْحَبَّةِ ذَاتِ الْفُتُوَّةِ ^(١٥)
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَدْقُوَّةٍ . وَقُولُوا لَهُ عِنْدَ الْغَايَةِ قَدْ جُنَّاكَ
 بَايَةً . وَلَا تَهَابُوا الْجَيْشَ وَإِنْ كَبُرَ ، سِيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ ^(١٦)
 وَلَا تَنْظُرُوا مِنْ ظَاهِرِ الْأَمْرِ حُلُولَ الْبُلُوِي ، إِذَا أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ ^(١٧) الدُّنْيَا ^(١٨)
 وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَى ^(١٩) . بَلْ قَاتِلُوهُمْ قِتَالِ الْمُشْتَبِهِينَ ، وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ
 غِلَظَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ . وَإِذَا أَشْتَبَكَ الْقِتَالُ فَلْيَذْأَبْ كُلُّكُمْ
 عَنْ مَوْلَاهُ . ^(٢٠) وَإِنْ جَنَحُوا ^(٢١) لِلْسَّلَامِ ^(٢٢) فَلْجَنَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ .
 فَسِيرُوا وَادْعُوا الْأَوْلَادَ وَالْجُنَّةَ ، ^(٢٣) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

(١) السعاة الذين يقبضون الصدقات باسم الحاكم (٢) أشرف من العرب كان النبي صلى
 الله عليه وسلم يستألفهم للإسلام (٣) المكتوبون من العبيد (٤) من تحملوا الدين (٥) الفقراء
 في الجهاد (٦) المسافر المنتقط عن ماله (٧) التيسج والمراد قبيح الفعل ذمهم الحاصل (٨) عياب
 يعيب الناس (٩) ساع الذئمة والساد (١٠) جمع حمار (١١) نافرة (١٢) الاسد (١٣) يتطهر من
 الذنوب (١٤) عينا (١٥) الكرم والتسامح (١٦) الظاهر (١٧) بضم العين وكسرهما جانب الوادي
 (١٨) القربى (١٩) البعدى (٢٠) صاحبه (٢١) مالوا (٢٢) الصلح (٢٣) المراد بها هنا
 النساء وأصلها لما تقضي بها المرأة وجهها

وَلَا تَسْأَلُوا عَنِ الْمِيرَةِ ^(١) مِنْ أَصْلِهِ ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ^(٢) فَسَوْفَ يَغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ قَضَائِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثَارَكُمْ ^(٣) لِقِتَالِ الْعَدَالِ الْعَائِبِينَ ، لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ ^(٤) . فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ . وَاحْمِلُوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مَتَى طَعْنُوا فِي جُنُوبِهِمْ رَضُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ^(٥) وَطَبَعَ ^(٦) اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ . وَلَا تُدَبِّرُوا إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قَدَّمَكُمْ . ^(٧) إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ وَإِنْ أَخَذْتُمْ أَسْرَى فَقَاتِلُوا أَنْصَارَهَا ، فَإِمَّا مَنًّا ^(٨) بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ ^(٩) أَوْزَارَهَا ، ^(١٠) فَإِنْ أَطْعَمْتُمْ رُفَعْتُمْ وَأَصْلَحَ اللَّهُ بِالْكُمِ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ .
وَسَأْتَلُو فِي خُطْبَتِكُمْ عِنْدَ قُدُومِكُمْ سَالِمِينَ فَقَطَعَ دَائِرُ ^(١١) الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(وكتب أستاذنا الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ)
عرض لى ما منعنى من قراءة الجرائد نحو أسبوع ، وكنت أسمع فيه بحادثة (ميت غمر) من بعض الافواه ، أظنها من الحوادث المعتاد وقوعها ، حتى تمكنت من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضى ، فاذا لهب ذلك الحريق يأكل قلبى أكلة لجسوم أولئك المساكين : سكان (ميت غمر) . ويصهر ^(١٢) من فؤادى ما يصهره من لحومهم . حتى أرقى ^(١٣) تلك الليلة ، ولم تغمض عيناى إلا قليلا . وكيف ينام من يبيت يتقلب فى نعم الله ، وله هذا العدد الجم من إخوة وأخوات يتقلبون فى شدة البأساء ؟ ^(١٤) فأردت أن أبادر بما أستطيع من المعونة

(١) جلب الطعام (٢) فقرا (٣) نشركم (٤) يصرفهم ويذهبهم (٥) النساء (٦) كناية عن أعمام بصائرهم (٧) سابقيكم (٨) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (٩) أهل الحرب (١٠) أمتالها من سلاح وغيره (١١) اهلكوا عن آخرهم (١٢) يذيب (١٣) سهرت (١٤) الضر والفقر

(وما أسئله قليل لا يغني من الحاجة ولا يكشف البلاء) ثم رأيت أن أجمع
 جمعا من أعيان العاصمة ليشاركوني في أفضل أعمال البر في أقرب وقت، وكان
 ذلك يوم السبت فحضر منهم سابقون، وتأخر آخرون، وكتب بعضهم يعتذرون
 فشكر الله سعي من حضر، وجزى خيرا من اعتذر، وغفر لمن تأخر، على أنه
 ليس الحادث بذی الخطب اليسير. فالمصابون خمسة آلاف وبضع^(١) مئتين
 منهم الأطفال الذين فقدوا عائلتهم،^(٢) والتجار والصناع الذين هلك
 آلتهم ورؤوس أموالهم. ويتعذر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرة أخرى إلا
 بمعونة من إخوانهم، وإلا أصبحوا متلصصين أو سائلين. والذين فقدوا
 بيوتهم ولا يجدون ما يأوون إليه، ولا مال لهم يقيمون ما يؤويهم من مثل بيوتهم
 المتخربة. لهذا رأيت ورأي كل من تفكر في الأمر، أن يجمع مبلغ وأفر
 يتمكن به من تخفيف المصاب عن جميع أولئك المنكوبين
 (وكتب أيضا في الغرض المذكور)

قد بلغكم (ولا ريب) من أخبار الجرائد، ما عليه أهل (ميت غهر) بعد
 الحريق الذي أصاب مدينتهم، فهم بلا قوت ولا ساتر ولا مأوي، فليتصور
 أحدكم أن الأمر نزل بساحته، أفما كان يتمني أن يكون جميع الناس في معونته
 فليطالب الآن كل منا نفسه بما كان يطالب به الناس، لو نزل به ما نزل بهم
 ولينفق مما له ما يدفع الله به عنه مكروه الدهر... فأرجو من هممكم أن
 تدفعوا شيئا من مالكم في مساعدة إخوانكم. وأن تبدلوا ما في وسعكم لحث
 من عندكم على مشاركتكم في هذا العمل المبرور والسلام

(١) بكسر الباء أو بفتحها ما بين الثلاث إلى التسع - وبالفم الفرج (٢) من يفتقون عليهم (٣)

(العصل السابع في رسائل الملازمة والعتاب)

(ا) كتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

لثمن ساء في أن نلتنني بمساء^(١) لقد سررتني أني خطرْتُ ببالك^(٢)

الأمير أطال الله بقاءه^(٣) ، في حالي برّه وجفائه متفضل ، وفي يومي إدائنه وإبعاده متطول ، وهنيئاً له من حمانا ما يحلّه^(٤) ، ومن عرّانا ما يحلّه^(٥) ومن أعراضنا ما يستحلّه .

بلغني أنه (أدام الله عزّه) ، استزاد^(٦) صنيعه^(٧) . فكنت أظنني مجنياً^(٨) عليه مساءً إليه ، فاذا أنا في قرارة الذنب ، ومثارة^(٩) العتب ، ولينت شعري^(١٠) أي محظور^(١١) في العشرة حضرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته^(١٢) ، أو واجب في الزيارة أهملته ، وهل كنت إلا ضيقاً أهداه منزع^(١٣) شاسع^(١٤) ، وأدأه أمل واسع ، وحده^(١٥) فضل وإن قل ، وهده رأي وإن ضل ، ثم لم يلق إلا في آل مكال رحله^(١٦) ، ولم يصل إلا بهم حبله ، ولم ينظم إلا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره .

ثم ما بعدت صحبة إلا دنت مهانة ، ولا زادت حرمة إلا نقصت صيانة ولا تضاعفت منة إلا ترجعت منزلة ، ولم تزل الصفة بناحتي صار وأبل^(١٧) الأعظام قطرة ، وعاد قميص القيام صدره^(١٨) ، ودخلت مجلسه وحوله من الأعداء كتيبة^(١٩) ، فصار ذلك التقريب أزور أراء^(٢٠) ، وذلك السلام اختصاراً

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر المشهور بابن الدمينه من قصيدة والخطاب لمؤت (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاده (٥) معروفه واحسانه (٦) المؤاخذة بجنايته (٧) مكان الثوران (٨) ليتني اشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٩) ممنوع (١٠) أبطلته (١١) مصدر ميمي بمعنى البعد (١٢) بعيد (١٣) ساقه ودفعه (١٤) مأ يأخذ المسافر من الاثاث وحوائج السفر (١٥) المراد به الكثير من الانعام وأصله المطر (١٦) توب يلبس فيغطي الصدر (١٧) جماعة (١٨) انحرفا

وَالْإِحْتِرَازَ إِيمَاءً ، وَالْعِبَارَةَ إِشَارَةً . وَحِينَ عَاتَبْتُهُ آمَلُ اعْتَابِهِ ، ^(١) وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظَرُ جَوَابَهُ ، وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَهُ ، أَجَابَ بِالسَّكُوتِ فَمَا أَرَدْتُ لَهُ إِلَّا وِلَاءَهُ ، وَعَلَيْهِ ثَنَاءٌ . وَلَا جَرَمَ ^(٢) أَنِّي الْيَوْمَ أَيْضُ وَجْهَ الْعَهْدِ ، وَأَضَحُّ حُجَّةِ الْوُدِّ ، طَوِيلُ لِسَانِ الْقَوْلِ رَفِيعُ حَكْمِ الْعُذْرِ . وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَانَى الْقَلَمُ عَنْهُ ، وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ (أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ) يُنْعَمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُوْرِدُهُ ، مُوَافَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

« وَكُتِبَ أَيْضًا إِلَى الْقَاسِمِ الْكَرْجِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤٠٠ هـ »

أَنَا (وَأَنْ لَمْ أَلْقَ تَطَاوُلَ الْإِخْوَانِ إِلَّا بِالتَّطَوُّلِ ، وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ إِلَّا بِالتَّحَمُّلِ) أَحْسَبُ مَوْلَايَ (أَيْدَهُ اللَّهُ) عَلَى أَخْلَاقِهِ ، ضَنًّا ^(٣) بِمَا عَقَدْتُ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ الظَّنِّ بِهِ ، وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ . وَلَوْلَا ذَلِكَ ، لَقَلْتُ فِي الْأَرْضِ مِجَالًا ، أَنْ ضَاقتْ ظِلَالُكَ ^(٤) . وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ ، أَنْ رَأَيْتُ ^(٥) حَبَالِكَ . وَأَخَذَهُ بِأَفْعَالِهِ .

فَأَنْ أَعَارَنِي أَذْنًا وَاعِيَةً ، وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً ، وَقَلْبًا مُتَعَطِّيًا ، وَرَجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا ^(٦) عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَقْرَعُهُ ، ^(٧) وَنُزُولًا عَنِ الصُّعُودِ الَّذِي يَقْرَعُهُ ، ^(٨) فَرَشْتُ لِمُودَّتِهِ خُخَانًا ^(٩) صَدْرِي ، وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي ، وَجَمَاعَ عَمْرِي ^(١٠) وَأَنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالَى غَيْرَ مَرْكَبِهِ ^(١١) وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالَى فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ ، ^(١٢) أَقْطَعْتُهُ خُطَّةَ ^(١٣) أَخْلَاقِهِ ، وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ اعْرَاضِهِ .

(١) إزالة عتبه وملامته (٢) كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا (٣) بكسر الضاء وفتحها حرصا (٤) أماكن الظل (٥) بليت وذابت (٦) انتها ، وتركها (٧) يده يده ليتهج له (٨) يصعد ويعلوه (٩) بضم الحاء أو بكسرهما ما يؤكل دليه الطعام ومزاده تمدين مودته من صدره (١٠) مراده التمسك بمودته مدة حياته (١١) مراده وان تكبر (١٢) طريقه (١٣) بضم الحاء الطريقة: مراده أنه يتركه وان أخذ في غير طريق طباعه

لا أذودُ^(١) الطَّيرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المرُّ من ثمره
فاني وَأَن كُنْتُ فِي مُقْتَبِلِ السَّنِّ وَالْعُمُرِ ، قَدْ حَابَتُ شَطْرِي الدَّهْرُ ،^(٢)
وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ ،^(٣) وَلَقِيتُ وَفْدِي^(٤) الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، وَصَافَحْتُ
يَدِي النَّعْمَ وَالضَّرَّ ، وَضَرَبْتُ إِنْطِي الْأَمْسِ وَالْيُسْرِ ، وَبَلَوْتُ طَعْمِي الْحُلُوَّ وَالْمُرَّ
وَرَضَعْتُ ضَرْعِي الْعُرْفَ وَالنُّسْكَرَ ،^(٥) فَمَا تَسْكَادُ إِلَّا يَوْمَ تَرِينِي مِنْ أَفْعَالِهَا غَرِيبًا
وَتَسْمَعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيبًا ، وَلَقِيتُ الْإِفْرَادَ ، وَطَرَحْتُ الْإِلْحَادَ ،^(٦) فَمَا رَأَيْتُ
أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي^(٧) سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، وَشَغَلْتُ حِيزِي^(٨) فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ
وَأَنْقَلْتُ كَتِفَهُ فِي الْحُزْنِ ، وَكَفَّتَهُ فِي الْوَزْنِ ، وَوَدَدْتُ لَوْ بَادَرَ الْقِرْنَ^(٩)
صَحِيفَتِي ،^(١٠) أَوْ لَقِيَ صَفِيحَتِي^(١١) . فَمَا لِي صَغُرْتُ هَذَا الصَّغَرُ فِي عَيْنِهِ ، وَمَا
الَّذِي أُرْزِيَ^(١٢) بِي عِنْدَهُ حَتَّى أَحْتَجِبَ . وَقَدْ قَصَدْتَهُ ، وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ حَضَرْتَهُ .
وَأَنَا أَحَاشِيهِ^(١٣) أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ ، أَوْ يَجْحَدَ فَضْلَ الْعِلْمِ ، أَوْ يَمْتَطِي^(١٤)
ظَهْرَ التَّيِّهِ^(١٥) عَلَى أَهْلِيهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَخْتَصِنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِ ، إِنْ زَلَّتْ
بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي قَصْدِهِ . وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ الْمُجْجَفَةِ ،^(١٦) وَالرُّتْبَةِ
الْمُتَّحِفَةِ^(١٧) وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرُ ، فَانْ أَقْلَعُ^(١٨) عَنْ عَادَتِهِ وَنَزَعَ عَنْ
شِمِيمَتِهِ^(١٩) فِي الْجَفَاءِ ، فَأُطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَسْتَاذِ الْفَاضِلِ ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ .

(وكتب أبو عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)
 والله يا قليوب : لو لا أن كبدي في حوأك مقروحة^(١) ، ورؤحي مجروحة
 لساجلتلك^(٢) هذه القطيعة . وما ددتك جبل المصارمة^(٣) . وأرجو أن الله
 تعالى يدل^(٤) صبري من جفائك ، فيردك إلى مودتي وأنف القلي^(٥) راغم
 فقد طال العهد بالاجتماع حتي كدنا تنما كر عند اللقاء والسلام
 » وكتب أبو بكر الحواري المتوفى سنة ٣٨٣ هـ الى تلميذه «

كتابي وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء^(٦) ، وبروز البدر
 من الظلماء وقد فارقتني المحنة^(٧) ، وهي مفارق لا يشتاق اليه ، وودعتني
 وهي مودع لا يبكي عليه ، والحمد لله تعالى على محنة مجليها ، ونعمة ينيلها ويوليها
 كنت أتوقع أمس كتاب مولاي بالتسليية ، واليوم بالتهنية فلم يكاتبني في أيام
 البرحاء^(٨) بأنها غمته ، ولا في أيام الرخاء بأنها سرته ! وقد اعتذرت عنه إلى نفسي
 وجادلت عنه قلبي . فقلت أما إخلاله بالأولي ، فلا نه شغله الاهتمام بها عن
 الكلام فيها وأما تغافله عن الاخرى ، فلا نه أحب أن يوقر على مرتبة السابق
 إلى الابتداء ، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء ، لتكون نعم الله سبحانه على
 موفورة من كل جهة ، ومحفوظة بي من كل رتبة ، فان كنت أحسن الاعتذار
 عن سيدي ، فليعرف لي حق الاحسان ، وليكتب إلي بالاستيخسان وإن كنت
 أسأت ، فليخبرني بعذره ، فانه أعرف مني بسرّه . وليرض مني بأني حاربت عنه

(١) مجروحة (٢) معناه لنا بلتلك (٣) المقاطعة (٤) الغلبة والنصر (٥) صاحب البفض
 (٦) صفه بازالة ما عليه حتى يري له امان (٧) البلية (٨) شدة الاذي

قلبي، واعتذرت عن ذنبي، حتى كأنه ذنبي، وقلت يا نفس اعذري أخاك وخدي منه ما أعطاك، فمع اليوم غد - والعود أحمد .

(وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ)
أما بعد : فقد عاقني الشك في أمرك ، عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاء من غير ذنب . فأطمعني أولك في إخالك ، وأيا سني آخرك من وفائك . فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيه ، فاجتمعنا على ائتلاف . وافترقنا على اختلاف والسلام .

(وكتب صديقي زعيم الوطنية المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويز)
سيدي - مالي أراك كمن نسي الحائط ، ^(١) وتجرّد في الصّحبة عن المحيط والمحيط . فإذا ما ضادفتك ^(٢) صدفت ، ^(٣) أو أنصفتك ما نصفت ، ^(٤) أنظن أني قعيدة بيتك ، ^(٥) أو رهين كيّتك وذيتك ، ^(٦) فوحقك إذا آنت ^(٧) من يدي مللاً ، أو من قدمي كلالاً ، ^(٨) لنجزّتها ^(٩) البتات ، ^(١٠) وكلت بنقصها الذات . ولو أني آنت من الزّاد فقرة ، ^(١١) أو من الشرّاب عسرة ، لطمعت الطّوي ، ^(١٢) وآستقيت الجوّي ^(١٣) . فكيف أدأعب ، ^(١٤) وتضاعب ؟ وأحالف وتخالف ؟ وأوصل ، وتفاصل ؟ وأجالب ، وتجانب ! لبست مطيتك التي اقتدعت ، ^(١٥) وشرعتك ^(١٦) التي شرعت ^(١٧) . فوالله لو لا أنّ الحبّ حادث لا يتقى بالترؤس ، ومعني لا يدب إلا في النفوس ، وسهام لا ترمي إلا من قسي

الحواسب ، ونحو أوله المعية وأخره الجوازيم ، لما افترست الظباء الأسود
الصيد ، (١) وَلَا مَلَكَتِ الْأَحْرَارَ الْعَبِيدَ . وَلَوْلَا أَنِّي كَرَعْتُ (٢) مِنْ صَابِهِ (٣)
وَالْتَحَفْتُ بِبُرْدَةِ أَوْصَابِهِ ، (٤) لَتَعَوَّذْتُ مِنْكَ بِسُورَةِ الْفُلُقِ ، وَبَذَنَتِكَ (٥) بَذَنَ
الرَّدَاءِ الْخَلِيقِ (٦) وَلَهَانَ عَلَيَّ أَنْ أَدْعَكَ أَوْ أَسْمِعَكَ

تَمْرُوثُونَ الدَّيَّارَ وَلَنْ تَعُوجُوا (٧) كَلَامَكُمْ عَلَى إِذَا حَرَامٌ

غَيْرَ أَنْ لِي نَفْسًا شَبَّتْ عَلَى الْحَبِّ فَلَمْ أَطْمِئِهَا ، وَتَمَادَعَتْ (٨) عَلَى نَارِهِ فَلَمْ
أَعْصِمِهَا . حَتَّى بَلَغَ السَّيْلُ الزَّبِي ، (٩) وَتَبَدَّدَتْ (١٠) النَّفْسُ أَيْدِي سَبَا (١١) إِلَّا
حُشَاةً غَضَلَتْ عَنْهَا الْوَجْدُ ، وَبَقِيَّةَ رَمَقٍ أَلْفَيْتَهَا (١٢) مِنْ بَعْدِ . وَكَلَّمَا رَأَيْتَ مِنْكَ
الشُّطْطَ ، (١٣) وَاعْتَسَافَ (١٤) الْخَطْطَ (١٥) عَمَدْتُ إِلَى أَنْ أَتَيْتِي (١٦) مِنْ رَسَنِهَا (١٧)
وَأَذُودَ (١٨) عَنْ عَظْمِهَا ، (١٩) وَشَخَصْتُ إِلَى الْمَكْفُحَةِ وَالْمَكْفَأَةِ ، وَأَنْ لَا أَكِيلَكَ
إِلَّا مِثْلًا ، وَلَا أَسْقِيكَ إِلَّا وَشَلًّا ، (٢٠) وَلَا أُرِيدُكَ إِلَّا فَشَلًا .

وَلَسْتُ أَجْزِيكَ الْجِزَاءَ الَّذِي عَلَى وَفَاءِ الصَّنْعِ لَا بَخْشِهِ
وَلَيْسَ يَبْكِي صَاحِبًا مَنْ إِذَا أَدِينُ لَا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ

عَلَى أَنِّي بِالرَّغْمِ أَصْبِيحُ فِي نَهَارٍ أَحْلَاكَ (٢١) مِنْ لَيْلٍ ، وَأُمْسِي فِي لَيْلٍ أَشَقَّ
عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَيْلٍ .

(١) دَفَعْتُ (٢) نَكَرَ الرَاءَ وَتَحَصَّهَا شَرِبْتُ بِفَعْيِ (٣) مَائِهِ الْمَرَّ وَأَصْلُهُ عَصَاةُ شَجَرٍ مَرَّ
(٤) أَمْرَاضِهِ (٥) رَمَيْتُكَ (٦) التَّدِيمُ الْبَالِي (٧) لَنْ تَقِيمُوا (٨) تَسَابَقْتُ (٩) مِثْلُ يَضْرِبُ
لَا جَاوَزَ الْحَدَّ (١٠) ذَهَبَتْ وَهُوَ مِثْلُ يَتَالٍ تَبَدَّدُوا أَيْ سَبَا وَأَيْدِي سَبَا مَعْنَاهُ ذَهَبُوا مُتَفَرِّقِينَ
(١١) هُمُ الدِّينُ ذَهَبَتْ جَنَاتُهُمْ وَغَرِقَ مَكَانُهُمْ وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قُلْ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ لُتْلُ الْآخِرِ
الْآيَاتِ (١٢) وَجَبَتْهَا (١٣) تَجَاوَزَ الْحَدَّ (١٤) لَيْلٍ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ (١٥) الْأُمُورِ
(١٦) أَرَدَ (١٧) زَادَهَا (١٨) أَمْنَعُ (١٩) مَكَانَهَا (٢٠) الْمَاءُ الْقَلِيلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْمَاءُ
الْكَثِيرُ فِي غَيْرِهِ (٢١) أَشَدُّ سَوَادًا

وَلَيْلُ كَمْوُجِ الْبَحْرِ أَرْخِي سُدُولَهُ ^(١) عَلَى بَأَنَوَاعِ الْمَعْمُومِ لِيَبْنِي ^(٢)
فَإِنْ تَحْلَصْتُ مِنْ لِقَائِكَ ، فَالْيَ الشَّقَاءُ . وَإِذَا جَلَأْتُ مِنْ عَسْنِكَ ، فَالْيَ الْعَنَاءُ . وَإِذَا
اسْتَجَرْتُ بِفِرَاقِكَ ، فَقَدْ اسْتَجَرْتُ مِنَ الرَّمْضَاءِ ^(٣) وَكَأَنَّكَ لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَوْلَةَ
الْحُسْنِ سَرِيعَةُ الْتَقْوِيضِ ، ^(٤) وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ هُبُوطِ الْقَمَرِ إِلَى الْخَضِيضِ
وَلَسَوْفَ تَبْلِي بِعَارِضِ ^(٥) يَيْدٍ ^(٦) أَنَّهُ غَيْرُ مُمَطَّرٍ ، وَبَسَاعَةِ مَقْبَلِكَ فِيهَا مُدَبِّرُ
وَسْتَصْبِحُ عَمَّا قَرِيبٍ قَدْ عَفَتْ ^(٧) رُسُومُكَ ، ^(٨) وَلَمْ تَجِدْ فِي سُوقِ الصُّحْبَةِ مَنْ
يَسُومُكَ . وَالْعَاقِلُ مَنْ لَا يَحْتَمِلُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَبْنِي عَلَى غَيْرِ أَسَهِ ^(٩) فَإِنَّكَ
مَانَضْتُ ^(١٠) أَوَّلُؤُهُ مَبْسَمِكَ ، وَلَا نَضَرْتُ ^(١١) صُورَةَ مِعْصَمِكَ ^(١٢) وَلَا
شَتَّ فَخْائِقَتَ كَمَا تَشَاءُ ، وَلَا اتَّخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا وَهَذَا الْوَفَاءُ . وَلَكِنْ
مِثْلَكَ مِنْ أَرْغَةِ اللَّهِ فِي الْقَالِبِ الَّذِي اخْتَارَ ، وَجَعَلَهُ مَرْتَعَ النَّفُوسِ وَمَسْرَحَ الْأَبْصَارِ
وَإِنِّي أَيُّهَا الْعَزِيزُ قَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ

وَلِي أَمَلٌ قَطَعْتُ بِهِ الْإِلَهِي أَرَانِي قَدْ فَنَيْتُ بِهِ وَدَامَا
فَلَا تَحْرَمْنِي مِنْ سَائِغِ الْعَفْوِ وَسَابِغِهِ ، وَلَا تَجْعَلْنِي كَبَاسِطٍ كَفَّمْنِيهِ إِلَى آلَاءِ لِيَبْلُغَ
فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ
فَإَشْدُ مَا لَقِيتُ مِنْ أَلَمِ الْجَوِّي ^(١٣) قُرْبُ الْحَبِيبِ وَمَا إِلَيْهِ وَصُولُ
كَالْعِيسِ ^(١٤) فِي الْبِيدَاءِ يَقْتُلُهَا النِّظْمَا ^(١٥) وَالْمَاءُ فَوْقَ ظَهْرِهَا مَحْمُولُ
فَاعْمَلْ فِي يَوْمِكَ لَعْدِكَ ، وَاسْتَجِرْ غَيْرَكَ بِبَسْطِ يَدِكَ ، وَلَا تَأْخُذْنِي بِحُجْمِ الْجَانِي

المتلبس ، وَلَا تَبْتَغَ مِنِّي صَحِيحَةَ الْمَلَمَسِ ^(١) يَدَّ أُنَى أَنْشُدْكَ الَّذِي تَلِي الْعَاشِقَ
بِالْمَعشُوقِ ، وَكَلَّمَهُ فِي الْحَبِّ بَيْضَ الْأُنُوقِ ، ^(٢) وَسَهَّدَ ^(٣) طَرْفَهُ بِنَوَاعِيسِ الْعُيُونِ ،
وَحَوَّلَ ^(٤) لِحُسْنِ إِذَا أَرَادَ تَيْتًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . كَمَا قَرَنَ الْهُوَى
بِالنَّوَى ، ^(٥) وَالْقَلْبَ بِالْجَوَى ، ^(٦) وَقَضَى عَلَى الْمَحَبِّ ، وَنَسَرَ الْعَشَقَ فَلَمْ يَحْتَجِبْ
مَا الَّذِي أَغْرَى بِكَ إِلَى الْاِعْتِسَافِ ، وَعَدِمَ الْاِنْصَافَ ؟

أَلَيْنَ الْأَعْطَافِ ! أَمْ فُتُورُ ^(٧) الْأَجْنَانِ ؟ أَمْ تَكْسُرُ الْكَلَامَ ؟ أَمْ هَيْفُ الْقَوَامِ !
لَقَدْ شَدَدْتَ أَرْزَاكَ ^(٨) (وَاللَّهِ) بَضِيعًا ، وَاسْتَسَمَنْتَ تِلْكَ الْعِجَافَ . وَهَلْ حُدَا ^(٩)
إِلَى قَطِيعَتِي بِكَ ! آتَنِي حَسَنَ الْمَلَمَسِ ؟ رَثُ الْمَلْبَسِ ؟ وَلَمْ أَمْنَحْ ^(١٠) كَمَا مُنِجَتْ
نَضْرَةً ^(١١) وَلَمْ أَلْبَسْ بِرُقْعِ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ نَظَرْتَنِي بَعَيْنَ الرِّضَا
وَرَحِمْتَ فَوَإِدًا يَتَقَلَّبُ مِنْكَ عَلَى جَمَرِ الْغَضَا ، ^(١٢) فَسَتَجِدُنِي صَدِيقَكَ الَّذِي لَا يَبْطِرُهُ
الْوَفَاءُ ، وَلَا يَنْتِيهِ الْجَنَدُ . مَدَّكَ لَكَ مِنْ لِسَانٍ ، وَأَطْوَعُ لَا مَرْكَ مِنْ بَنَانٍ .

أَكْتُبُ ، فَأَيْنَ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ قَلَمِي ؟ وَأَشْعُرُ ، فَأَيْنَ الشُّعْرَاءِ إِلَّا تَحْتَ
عَلَمِي ؟ وَأَبْذُلُ ، فَأَيْنَ حَاتِمٍ ^(١٣) مِنْ كَرَمِي ؟ وَأَحْلُمُ ، فَأَيْنَ ، أَحْنَفُ ^(١٤) مِنْ حَلَمِي
وَحَسْبُكَ فَعْرًا أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَعَبٍ مِنْ لَيْسَ يَأْمَلُ فِي الشُّكْرِ
وَمَنْ يَحْتَمِلُ فِي الْحُبِّ مَا فَوْقَ كَاهِلِي ^(١٥) فَحَسْبُكَ حَلَمًا أَنْ يَقِيمَ عَلَى الْمَجَرِ
فَإِنْ أَصْحَتَ ^(١٦) إِلَى الدَّاعِيَةِ ، ^(١٧) وَوَعَيْتَ كَلِمَاتٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَأَغِيَةَ ^(١٨)

(١) الطالب مرة بعد أخرى (٢) الانوق العتاب ولنظ المثل هو أعز من يبيض الانوق
مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل إليه (٣) أسهره (٤) ملكه (٥) البعد (٦) الحرة (٧)
ذبولها (٨) ظهره (٩) ساق إلى (١٠) أعطى (١١) حسنا (١٢) شجر خشبه فيه صلابه
(١٣) أبو عدى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وبه يضرب المثل في الكرم من شعراء الجاهلية
(١٤) لقد تم تاريخه (١٥) ما بين الكتفين (١٦) استمعت (١٧) مراده الوائى العاذل (١٨)
للعوا من الكلام

فإليك الجزاء ، وعلى الوفاء . والآن فالفرار الى الموت أمر يسير ، والقبر للعشاق قليل من كثير .

(وكتب معاوية الى ابنه يزيد يُؤنبه ويعاتبه)

أما بعد : فقد أدت السنة التصريح الى اذن العناية بك ، ما فجع الأمل فيك ، وبعاد الرجاء منك ، اذ ملأت العيون بهجة . والقلوب هيبة ، وترامت اليك آمال الراغبين ، وهم المنافسين . فسخت بك فتیان قريش ، وكمول أهلك ، فإيسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة الموهوة ، ^(١) والكظ الجش ^(٢) . اقتهمت البوائق ، ^(٣) وانقذت الى المعابر ، واعتصمتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر . فليتك - يزيد - اذ كنت لم تكن ، سررت يافعا ناشئا ، وانقانت كهلا ضائعا ^(٤) . فواحرناه عليك يزيد ! ويا حراً صدر المشكل بك ! ما أشمت فتیان بنى هاشم ! وأذل فتیان بنى عبد شمس : عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فمن لصالح ما أفسدت ورتق ما فتقت ؟ هيهات ، خمت ^(٥) الدربة ^(٦) وجه التبر بك . وأبت الجناية إلا تحدثرا على الألسن ، وحلاوة على المناطق . ما أريج فائدة نالوها ، وفرصة انتهزوها ! انتبه « يزيد » للغة ، وشاور الفكرة . ولا تكن الى سمعك أسرع من معناها الى عقلك . واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرقة السلطان مما حسن قبجه ، واحلولى عندك مره ، أمر شر كك فيه السواد ^(٧) ، وناقسه الأبد . فأضعت به من قدرك ، وأمكنك به من نفسك . فمن لهذا كله ؟

واعلم يا يزيد، أنك طريد الموت، وأسير الحياة. بلغني أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى: (أَتَبْنُون بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ^(١)) وأجهزت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرًا. اعلم يا يزيد أن أول ما سلبكهُ الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ مواطن الشُّكْرِ لله تعالى على نعمه المتظاهرة والآلئه المتواترة، وهي الجرحة العظمى. والفجعة الكبرى تركُّ الصَّلوات المفروضة في أوقاتها، وهي من أعظم ما يحدث من آفاتهما، ثم استعسان العيوب، وركوب الذنوب، وإظهار العورة، وإباحة الله. فلا تأمن نفسك على سرِّك، ولا تعُد^(٢) على فعلك. فما خير لذة تعقُب الندم، ووَثِي^(٣) الكرم؟ وقد تَوَقَّفَ أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة. فكان الحاكم على نفسك، واجعل المحكوم عليه ذمُّك. ترشد إن شاء الله تعالى. وليبلغ أمير المؤمنين ما يرُدُّ شاردًا من نومه: فقد أصبح نُصَب^(٤) الاعتزال من كل مؤانس، ودَرِيَّة^(٥) الألسُن الشامتة. وفقك الله فأحسن.

(وكتب أعرابي لابنه وسمعه يكذب).

يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه. وإنما يدُلُّ على عيبه، ويتعرَّض للعقاب من ربِّه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقا لم يُصدِّق، وإن أراد خيرا لم يوقِّق. فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحتة بمقاله. فما صحَّ من صدقه نسب إلى غيره، وما صحَّ من كذبه غيره نسب إليه فهو كما قال الشاعر:

(١) تقدم شرح غريب الآية في خطبة تطرى (٢) يقول: تنفد بالشراب الإرادة والعزيمة
(٣) تعني: تذهب (٤) اللصب هنا: الغرض والمهدف (٥) الدريئة: الحلقة التي يعلم الرامي الطعن والرمي عليها

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَا نة بعض ما يُحْكِي عَلَيْهِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نَسِبْتَ إِلَيْهِ

(وكتب المرحوم حفي بك ناصف الى سماحة السيد توفيق البكري)
كتابي إلى السيد السند ، ولا أَجْشَمُهُ^(١) الجواب عنه ، فذلك ما لا أنتظره
منه . وإنما أسأله أن يَنْشِطَ إلى قراءته ، وَيَنْزِلَ إلى مطالعته ، وله الرأْيُ بعد
ذلك أن يحاسب نفسه أو يُزَكِّيها ، ويحكم عليها أو لها

فقد تنفع الذكرى إذا كان هجرهم دَلَالاً فَأَمَّا إِنَّ مَلَالاً فَلَا نَفْعَا
زُرْتُ (السيد) ويعلم الله أن شوقى إلى لقائه ، كحرصى على بقاءه ، وكلفى
بشهوده ، كشففى بوجوده فقد بعد (والله) عهد هذا التلاق ، وطال أمدُ الفراق
واتصرم الزمان ، وأنا من رؤيته فى حرمان . فسألت عنه فقيل لى إنه خرج
لتشييع^(٢) زائر ، وهو عما قليل حاضر . فانتظرت رجوعه ، وترقبت طُلوّعه
ولم أزل أعدُّ اللحظات وأستطيلُ الأوقات ، حتى بزغت الأَنوار ، وارتجَّ
صحنُ الدَّار ، وظهر الاستبشارُ على وجوه الزوّار . وجاء السيد فى موكبه ،
وجلالة محمّده^(٣) ومنصبه ، فقمنا لاستقباله ، وهينمنا^(٤) بكمال . فمرّ يتعرّف
وجوه القوم حتى حازانى ، وكبر على عينه أن يرانى . فغادرنى^(٥) ومن على
يسارى ، وأخذ فى السلام على جارى ، وجرّ السلام الكلام ، وتكرر القعود
والقيام . وأنا فى هذه الحال أوهم جارى ، أنى فى دارى وأظهر للناس أن سدة
الألفة ، تسقط الكلفة . ومرّ السيد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرّات ، ومن
الغريب أنه لم يَسْتَدْرِكْ ما فات .

(١) لا أكلفه (٢) لتوديع (٣) أصله من جهة النسب (٤) تكلمنا بصوت خفى (د) تركنى

تَمْرُونِ الدِّيَارَ وَلَنْ تَعُوجُوا كَلَّا مَكُمُ عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ
وَكَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ لَا يَنْخَفُ (١)
فَإِنَّ أَنَا لَسْتُ فِي الْعِيرِ ، (٢) وَلَا فِي التَّغِيرِ . (٣) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ ، وَذَهَابُ
صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ

وَمَنْ مَدَّتِ الْعُلَيَّا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ صَغِيرٌ
وَلَا أَدْعِي أَنِّي أَوَازِي السَّيِّدَ (صَانَهُ اللَّهُ) فِي عُلُوِّ حَسْبِهِ ، أَوْ أَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ
وَأَدْبِهِ ، أَوْ أَقَارِبِهِ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ ، أَوْ أَكْثَرِهِ فِي فَضْلِهِ وَذَهَبِهِ ، وَإِنَّمَا أَقُولُ
يَنْبَغِي لِلْسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْإِغَانِي وَالْأَذْكَارِ ، وَشُهُودِ الْأَوَانِي
عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ الْإِسْلَامِ . وَأَنَّ
يُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخِلَاصِ ، وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ
الْإِخْلَاصِ . وَأَنْ لَا يَسْتَبْدِيَ عَلَيْهِ مُطْلَبُ الْفَوَائِدِ ، بِطُلَّابِ الْعَوَائِدِ . وَقِنَاصِ (٤)
السُّوَارِدِ (٥) ، بِقُبَاءِ الْمَوَالِدِ ، وَرُودِ الطَّرْفِ ، (٦) بِأَرْبَابِ الْحَرْفِ .

فَمَا كُلُّ مَنْ لُقِيَ صَاحِبُ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلَتْ سَائِلُكَ الْعُرْفَا (٧)
فَإِنْ حَسَنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْفِرَ عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُغْفَرَ
عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ ، وَالْأَفْلَاحُ إِذَا يَطُوفُ عَلَى بَعْضِ الضُّيُوفِ ، وَيَحْيِيهِمْ بِصُنُوفٍ مِنْ
الْمَعْرُوفِ ، وَيَتَخَطَّى (٨) الرَّقَابَ « لَصُرُوفٍ » ؟ (٩) وَيَخْتَرِقُ لِأَجْلِ الصُّفُوفِ ؟
فَإِنْ زَعَمَ السَّيِّدُ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِتَصْرِيفِ الْأَقْلَامِ ، فَلَيْسَ بِأَقْدَمَ هَجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ . وَإِنْ
رَأَى أَنَّهُ أَقْدَرُ مَنِّي عَلَى إِطْرَاقِهِ ، (١٠) فَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَنْ يَتَّخِذَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ .

(١) لَا يَنْقُضُ (٢) الْجَمَاعَةُ (٣) الْجَمَاعَةُ أَيْضًا (٤) جَمْعُ قَانِصٍ بِفَتْحِ الْقَافِ الصَّائِدِ (٥) التَّفَرُّقَاتُ
وَالْمَرَادُ طَالِبُوا مَتَفَرِّقَاتِ الْعُلُومِ (٦) جَمْعُ طَرَفِهِ وَهِيَ مَا تَرَى مَلِيجَةً وَالْمَرَادُ أَهْلُ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ
(٧) الْمَعْرُوفِ (٨) يَتَجَاوَزُ (٩) هُوَ الْمَرْحُومُ الدَّكْتُورُ يَعْقُوبُ صُرُوفُ التُّونِي فِي آخِرِ يُولْيَةِ
سَنَةِ ١٩٢٧م وَهُوَ الْمَرْحُومُ أَحَدُ أَصْحَابِ مَجَلَّةِ الْمَقْتَدِفِ وَجَرِيدَةِ الْمَقْتَدِمِ الْيَوْمِيَةِ (١٠) التَّنَاءُ عَلَيْهِ

ولا أرومُ بحمد الله منزلةً غيري أحقُّ بها مني إذا رامَا
وانما أصونُ نفسي عن المهانة والضعة ، ولا أعرضها للضييق وفي الدنيا سعة
وأكرمُ نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم علي أحد بعدي
فلا يُصغر ^(١) السيد من خده ، فقد رَضيتُ بما ألزمني من بعده . ولا يُغض ^(٢)
من عينه ، فهذا فراقٌ بيني وبينه . وليتخذني صاحباً من بعيد ، ولا يكلمني الى
يوم الوعيد .

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا
ومنى علي السيد السلام علي الدوام ، ومبارك إذا لبس جديداً . وكل عام وهو
بحير إذا استقبل عيداً ، ومرحى ^(٣) إذا أصاب . وشيعته ^(٤) السلامة إذا غاب
وقدوماً مباركاً إذا آب ^(٥) . وبالرفاء والبنين ^(٦) ، إذا أعرس ، ^(٧) وبالطالع المسعود
إذا أنجب ^(٨) . ورحمه الله إذا عطس ، ونوم العافية إذا نعس ، وصح نومه إذا
استيقظ ، وهنيئاً إذا شرب ، وما شاء الله كان إذا ركب . ونعيم صباحه إذا
انفجر الفجر ، وسعد مساؤه إذا أذن العصر ، وبخٍ وبخٍ ^(٩) إذا ثر ، ولا فض ^(١٠)
قوه إذا شعر ^(١١) وأجاد وأفاد إذا خطب ، وأطرب وأغرب إذا كتب . وإذا
حج البيت فحججاً مبروراً ، وإذا شيع جنازتي فسعيك مشكوراً والسلام

(١) لا يميل خده كبرا وخيلاء (٢) لا يغض (٣) كلمة تقال عند الاصابة في الرمي مدحا
للمصيب (٤) ودعته (٥) رجع (٦) كلمة تقال لمن تزوج ومناها بالالتئام وجمع الشمايل (٧) تزوج
(٨) ولده (٩) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء او عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة
(١٠) لا كسرت أسنانه (١١) قال الشعر

وكتب القاضي الفاضل الى أخيه عبد الكريم يؤنبه على إيدائه علم الدين بن النحاس
« سبب اصدار هذه المكاتبة الى الأخ (أصلحه الله) إعلامه ماصح عندي

من الأحوال التي أخفاها ، والله مبدئها ، في حق الأمير علم الدين
وبالله أقسم لئن لم تداو ما جرحته ، وتستدرك ما فعلت ، وتمح ما أثبت
وتستأنف ضد القبيح الذي كتبت به وشافهت ، وتعتذر بالجميل فيما قاطعت الله
به وبارزت ، ليكون الحديث مني بغير الكتاب ، ولا زيلن السبب الذي قدرت
به على مضرة الأصحاب ، وما أشد معرفتي بأن الطباع لا تتغير ، وبأنك ستحوجني
بعد هذا الكتاب الى ما لا يتأخر . وبالجملة فاستدرك بفعلك لا بأيمانك لي وتوصلك الى
« فالدم في النصل شاهد عجب »

وويل لمن كانت غنيمته من الايام عقد القلوب علي البغضاء ، وإطلاق الألسنة
بالمذام ، ولولا أنني شريكك في كل ما تستوجهه من الناس ، لالقيت حبلك
على غاربك ، وتركتك وما اخترت لنفسك . ولكن - كيف بمن يرمي وليس
برام ؟ !

ولكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير مني . فاذا أنت لا تنفق
إلا من كيسي . فأشفق على نفسك ، ان كنت تنظ في غد . وعلى بيتك ، ان
كنت تنظر في أمس . وعلى مكانك مني ، ان كنت لا تنظر في اليوم . ولا تجاربنى إلا
بلسان الرجل شاكر آلك ، فانه وان كان (والله) ماذمك ، فقد ذممتك به .
وما أظن أنك تذكر أنني كتبت اليك كتاباً ، ولا كنت أؤثره ، ولولا حافظ
غليظ ما كتبت به . ولولا علمي أن الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته
لأضربت عن هذا كما أضربت عن غيره . وستعرفك الأيام ما كنت تجهل
والله يأخذ بناصيتك الى رضاه . ويُعتمد سيف حليمتك عن مقتلك ، والسلام

(الفصل السادس في رسائل الشكوى)

« كتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

انما أشكو اليك زماناً سلب ضعف ما وهب، وفجع بأكثر مما متّع، وأوحش فوق ما آنس، وعنف في نزع ما ألبس، فانه لم يُدقّقنا حلاوة الاجتماع، حتى جرعنا مرارة الفراق . ولم يُمتّعنا بأنس الالتقاء، حتى غادرنا (١) رهن التلهف والاشتياق،

(والحمد لله تعالى على كل حال) يسوء ويسرّ، ويحلو ويمرّ . ولا يأس من روح (٢) الله في باحة صنع (٣) يجعل ربه (٤) مُناخي، (٥) ويقصر مدّة البعاد والتراجيح . فألاحظ الزمان بعين راض، ويقبل إلى حظّي بعد إعراض، وأستأنف (٦) بعزّة عيشاً عذب الموارد (٧) والمناهل، (٨) مأمون الآفات والعوائل (٩).

« وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ هـ الى أهله وهو منهزم مع مروان (١٠) »
أما بعد . فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكُرّه والسرور . فمن ساعد الحظ فيها سكن اليها، ومن عَصَّته (١١) بنابها ذمّها ساخطاً عليها، وشكها مُستزیداً لها . وقد كانت أذاقتنا أفاويق (١٢) استحليناها . ثم جمحت (١٣) بنا نافرة ورَحمتنا (١٤) مؤلّية، فملح عذبتها، وخشن لينها . فأبعدتنا من الاوطان

وفَرَّقْتَنَا عَنِ الْإِخْوَانِ . فَالِدَّارُ نَازِحَةٌ ، ^(١) وَالطَّيْرُ بَارِجَةٌ ^(٢) . وَقَدْ كَتَبْتُ وَالْأَيَّامُ
تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا ، وَالْيَمُّ وَجَدًا . فَإِنْ تَمَّ الْبَلَاءُ إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
بَكُمْ وَبَنَاءً ، وَإِنْ يَلْحَقْنَا ظَفَرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ ، نَرْجِعُ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ
الْإِسَارِ ^(٣) . وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ

نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يُشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ يُشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةَ جَامِعَةٍ
فِي دَارِ أَمْنَةٍ ، تَجْمَعُ سَلَامَةً أَلَا بَدَأَ وَالْأَدْيَانُ ، فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .
(وَكَتَبَ أَسْتَاذُنَا الْحَكِيمُ الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ وَهُوَ مُسَجُونٌ بِسَبَبِ الْحَوَادِثِ الْقَرَّائِيَةِ)

تَقَلَّدَتْنِي اللَّيَالِي وَهِيَ مُدْبِرَةٌ كَأَنِّي صَارِمٌ فِي كَفِّ مُنْهَزِمٍ
عَزِيزِي (هَذِهِ حَالِي) اشْتَدَّ ظِلَامُ الْفِتَنِ حَتَّى نَجَسَمُ بِلِ تَحَجَّرَ ، فَأَخَذْتُ
صُخُورَهُ مِنْ مَرَكَزِ ^(٤) الْأَرْضِ إِلَى الْحَيْطِ ^(٥) الْأَعْلَى ، وَاعْتَرَضْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ ، وَامْتَدَّتْ إِلَى الْقُطْبَيْنِ ، ^(٦) فَاسْتَحْجَرْتُ فِي طَبَقَاتِهَا طِبَاعُ النَّاسِ . إِذَا
تَغَلَّبَتْ طَبِيعَتُهَا عَلَى الْمَوَادِّ الْحَيَوَانِيَّةِ أَوْ الْإِنْسَانِيَّةِ ، فَأَصْبَحَتْ قُلُوبُ الثَّقَلَيْنِ ^(٧)
كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً . فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَقْدَرُ الْخَالِقِينَ . انْتَثَرَتْ نُجُومُ الْهُدَى
وَتَدَهَوْرَتْ ^(٨) الشُّمُوسُ وَالْأَقْمَارُ ، وَتَغَيَّبَتْ الثَّوَابِتُ النَّبِيرَةُ ، وَقَفَرَتْ كُلُّ مَضْيَةٍ
مُنْهَزِمَةً مِنَ عَالَمِ الظَّلَامِ ، وَدَارَتْ الْأَفْلَاكُ دَوْرَةَ الْعَكْسِ ، ذَاهِبَةً بِنِيرَانِهَا
إِلَى عَوَالِمٍ غَيْرِ عَالَمِنَا هَذَا ، فَوَلَّى مَعَهُ إِلَهَةُ الْخَيْرِ أَجْمَعِينَ ، وَتَحَضَّتْ السُّلْطَةُ

(١) بعيدة (٢) البارح من الطير ما يمر من الجبين الى الشمال والعرب تتشاءم به وذلك
أنه كان من عادتهم اذا ارادوا امرأ عمدوا الى الطير فطاروه فان طارت شمالا يتشاءموت
ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يمينا تفاعلوا باليمين ومعاوني اسرهم وتسمى سانحات .
(٣) الاسر وهو القبض على الرجل واخذه اسيرا (٤) وسط دائرتها (٥) الدائرة المحيطة بالكرة
الارضية (٦) الشمال والجنوب وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمي الذي تدور
عليه الارض من المشرق الى المغرب اثنا حركتها (٧) الانس والجن (٨) ادبرت

لأية الشر فقلبوا الطباع، وبدُّوا الخلق، وغيرُوا خلق الله، وكانوا على ذلك قادرين
رَأَيْتُ نَفْسِي الْيَوْمَ فِي مَهْمَةٍ ^(١) لَا يَأْتِي الْبَصَرُ عَلَى أَطْرَافِهِ، فِي لَيْلَةٍ دَاجِيَةٍ ^(٢)
عُظِيَّ فِيهَا وَجْهَ السَّمَاءِ بِغَمَامٍ سُوءٍ، فَتَكَثَّفَ ^(٣) رُكُومًا رُكُومًا ^(٤) لَا أَرَى إِنْسَانًا!
وَلَا أَسْمَعُ نَاطِقًا ! وَلَا أَتَوَهُمُ مُجِيبًا ! أَسْمَعُ ذُنُوبًا تَعْوِي ! وَسَبَاعًا تَزَارُ ^(٥) !
وَكَلَابًا تَنْبَحُ ! ^(٦) كُلُّهَا يَطْلُبُ فَرِيْسَةً وَاحِدَةً، هِيَ (ذَاتُ الْكَاتِبِ) وَالتَّفَّ عَلَيَّ
رَجُلِي تَفِينَانِ ^(٧) عَظِيْمَانِ. وَقَدْ خَوِيَتْ ^(٨) بَطُونُ الْكَلِّ، وَتَحَكَّمْ فِيهَا سُلْطَانُ الْجُوعِ
وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ، فَهُوَ لَا رَيْبَ مِنَ الْمَالِكِينَ

تَقَطَّعَ الْأَمَلُ، وَانْفَصَمَتْ ^(٩) عُرْوَةُ الرَّجَاءِ، وَانْحَلَّتْ الثِّقَّةُ بِالْأَوْلِيَاءِ، وَضَلَّ
الْإِعْتِقَادُ بِالْأَصْفِيَاءِ، وَبَطَلَ الْقَوْلُ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَانْفَطَرَ ^(١٠) مِنْ صَدْمَةِ الْبَاطِلِ
كَبَدُ السَّمَاءِ، وَحَقَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَجَمِيعُ الْعَالَمِينَ
سَقَطَ إِلَهُمُ، وَخَرِبَتِ الذَّمَمُ، وَغَاضَ ^(١١) مَاءُ الْوَفَاءِ، وَطُمَسَتْ مَعَالِمُ الْحَقِّ
وَحُرِّفَتِ الشَّرَائِعُ، وَبُدِّلَتِ الْقَوَانِينُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَوِيٌّ يَتَحَكَّمُ، وَشَهَوَاتٌ تُقْضَى
وَعِظْمٌ يُحْتَدَمُ، ^(١٢) وَخَشُونَةٌ تُنْفَذُ، (تِلْكَ سُنَّةُ الْقَدْرِ) وَاللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ :

ذَهَبَ ذَوُّ وَالِ السُّلْطَةِ فِي بُحُورِ الْحَوَادِثِ الْمَاضِيَةِ، يَغْوِصُونَ لِطَلَبِ أَصْدَافٍ
مِنَ الشُّبَّةِ، وَمَقْدُوفَاتٍ مِنَ التُّهْمِ، وَسَوَاقِطٍ مِنَ اللَّمَمِ ^(١٣) لِيُمُوْهُوْهَا ^(١٤) بِمَيَامِ
السَّفْسَفَةِ، وَيَغْشَوْهَا بِأَغْشِيَةِ مِنْ مَعَادِنِ الْقُوَّةِ، لِيُبْرِزُوْهَا فِي مَعْرِضِ السَّلْطَةِ
وَيَغْشَوْهَا بِهَا أَعْيُنَ النََّاظِرِينَ . لَا يَطْلُبُونَ ذَلِكَ لِغَامِضٍ يُبَيِّنُونَهُ، أَوْ لِمُسْتَوْرٍ

يَكْشِفُونَهُ ، أَوْ لِحَقِّ خَفِيٍّ فَيُظْهِرُونَهُ ، أَوْ خَرَقٍ بَدَا فَيَرْقَعُونَهُ ، أَوْ نَظَامٍ فَاسِدٍ
فَيُصْلِحُونَهُ ! كَلَّا : بَلْ لِيُثَبِّتُوا أَنَّهُمْ فِي حَبْسٍ مِّنْ حَبْسٍ غَيْرِ مُخْطِئِينَ ، وَقَدْ
وَجَدُوا لَذَلِكَ أَعْوَاتًا مِّنْ حُلَفَاءِ الدَّيَّانَةِ ، وَأَعْدَاءِ الْمُرُوءَةِ ، وَفَاسِدِي الْأَخْلَاقِ
وَحُبَّاءِ الْأَعْرَاقِ ^(١) . رَضُوا لَانْفُسِهِمْ قَوْلَ الزُّورِ ، وَاقْرَأَ الْبَهْتَانِ ، وَاخْتَلَقَ
الْإِفْكَ . ^(٢) وَقَدْ تَقَدَّمُوا إِلَى مَجْلِسِ التَّحْقِيقِ بِتَقَارِيرٍ مَحْشُوءَةٍ مِّنَ الْبَاطِلِ
لِيَكُونُوا بِهَا عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ .

كُلُّ ذَلِكَ لَمْ تَأْخُذْنِي فِيهِ دَهْشَةٌ ، وَلَمْ تَحُلْ قَلْبِي وَحْشَةً . بَلْ أَنَا عَلَى أَمٍّ
أَوْصَافِي الَّتِي تَعَلَّمْتُهَا ، غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يَصْدُرُّ بِهِ الْحُكْمُ أَوْ يُبْرَمُهُ الْقَضَاءُ
عَالِمًا بِأَنَّ كُلَّ مَا يَسُوقُهُ الْقَدَرُ ، وَمَا سَاقَهُ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ نَتِيجَةُ ظُلْمٍ لَا شُبْهَةَ
لِلْحَقِّ فِيهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ كَمَا أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِي بَرِيءٌ مِّنْ كُلِّ مَا رَمَوْنِي بِهِ
وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ لَوَلَّيْتَ مِنْهُ رُعْبًا ، وَكُنْتَ مِنَ الضَّاحِكِينَ .

تَعَمَّ حَقْنِي الْغَمَ ، وَأَحْيَى فَوَادِي الْمَهْمِ ، وَفَارَقَنِي النَّوْمَ لَيْلَةً كَامِلَةً عِنْدَ مَا
رَأَيْتُ اسْمَكَ الْكَرِيمَ ، وَأَسْمَ بَقِيَّةِ الْأَنْبَاءِ وَالْأَخْوَانِ الْمَسَاكِينِ ، تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
أَعْمَالٌ لَمْ تَكُنْ ، وَأَقْوَالٌ لَمْ تَصْدُرْ عَنْهُمْ ، لَقَصِدَ زَجْرَهُمْ فِي الْمَسْجُونِينَ .

لَكِنِ اطْمَأَنَّ قَلْبِي ، وَسَكَنَ جَأَشِي ، ^(٣) عِنْدَ مَا رَأَيْتُ تَوَارِيخَ التَّقَارِيرِ مُتَقَادِمَةً
وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَصْلُحْكُمْ شَرُّ الشَّرِّ ، فَجَوْتُ أَنَّ الْحُكُومَةَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تَفْتَحَ بَابًا
لَا يَنْزُرُ ^(٤) الْأَحْيَاءُ وَلَا الْمَيِّتِينَ .

قَدَّمَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ تَقْرِيرَيْنِ ، جَعَلَا فِيهِمَا تَبَعَاتِ الْحَوَادِثِ الْمَاضِيَةِ عَلَى عُنُقِي
وَلَمْ يَتْرَكَا شَيْئًا مِنَ التَّخْرِيفِ إِلَّا قَالَاهُ . وَذَكَرَا أَسْمَاءَ كَمْ فِي أُمُورِ أَنْتُمْ جَمِيعًا أَبْعَدُ
النَّاسِ عَنْهَا . لَكِنِ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فَإِنِّي أَرَاهُمَا مِنَ الْمَجَانِينَ . وَلَمْ أَتَعْجَبْ مِنْ

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لا يدع ولا يترك

هذين الشخصين اذ يَعْلَان مثلَ هذا الذنب القبيح ، وَيَرْتَكِبَان هذا الجرم الشنيع ! ولكن أَخَذَنِي العجبُ (كلُّ العجبُ غاية العجب بالغُ ماشئتَ في عجبِي) إِذْ أَخْبَرَنِي الْمُدَافِعُ عَنِي بِتَقْرِيرٍ قَدَّمَهُ فَلَانُ ، الَّذِي أُرْسَلْتُ إِلَيْهِ السَّلامَ ، وَأَبْلَغْتَهُ مَسْرُورِي عِنْدَ مَا سَمِعْتُ بِاسْتِخْدَامِهِ ، وَأَنَافِي هَذَا الْحَبْسِ رَهِينٍ .

إِلَى هَذَا الْوَقْتِ لَمْ يَصِلْنِي التَّقْرِيرُ . وَلَكِنْ سَيَصِلُ إِلَيَّ . إِنَّمَا فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ شَهَادَةٌ بِأَقْبَحِ شَيْءٍ ، لَا يَشْهَدُ بِهِ إِلَّا عَدُوِّمِينَ .

هَذَا اللَّيْمُ الَّذِي كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَا لَمْ لَا لِمِي ، وَيَأْخُذُهُ الْأَسْفُ لِحَالِي ، وَيَدُلُّ وَسْعُهُ إِنْ أَمَكْنُهُ فِي الْمُدَافَعَةِ عَنِّي ! فَكَمْ قَدَّمْتُ لَهُ نَفْعًا ! وَرَفَعْتُ لَهُ ذِكْرًا ! وَجَعَلْتُ لَهُ مَنْزِلَةً فِي قُلُوبِ الْحَاكِمِينَ ! كَمْ سَمِعَنِي أَقَاوِمُ هِجَاءِ الْجَرَائِدِ ؟ ! وَأَوْسَعُ مُحَرَّرِيهَا لَوْمًا وَتَقْرِيعًا ! وَأَهْزَأُ بِتِلْكَ الْحَرَكَاتِ الْجُنُونِيَّةِ وَكَانَ هُوَ عَلَى فِي بَعْضِ أَفْكَارِي هَذِهِ مِنَ اللَّائِمِينَ ! كَانَ يَنْسَبُ فَلَانًا لِسُوءِ الْقَصْدِ اتِّبَاعًا لِرَأْيِ فَلَانٍ ، وَأَعَارَضَهُ أَشَدَّ الْمَعَارَضَةِ . ثُمَّ لَمْ أَتَقَضَّ لَهُ عَهْدًا وَاسْمُ ابْنِخْسَ لَهُ وَدَّاءٌ ، وَحَقِيقَةُ كُنْتُ مَسْرُورًا لَوْجُودِهِ مُوَظَّفًا ، فَمَا بِهِ أَصْبَحَ مِنَ النَّاكِثِينَ ؟ !

آه - مَا أَطْيَبَ هَذَا الْقَلْبَ الَّذِي يُبْلِي هَذِهِ الْأَحْرُفَ ! مَا أَشَدَّ حَفْظَهُ لِلْوَلَاءِ مَا أُغْيِرَهُ عَلَى حَقُوقِ الْأَوْلِيَاءِ ! مَا أَثْبَتَهُ عَلَى الْوَفَاءِ ! مَا أَرَقَّهُ عَلَى الضَّعْفَاءِ ! مَا أَشَدَّ اهْتِمَامَهُ بِشُؤُونِ الْأَصْدِقَاءِ ! مَا أَعْظَمَ أَسْفَهُ لِمَصَائِبِ مَنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَدْنَى مَوَدَّةٍ ، وَإِنْ كَانُوا فِيهَا غَيْرَ صَادِقِينَ ! مَا أَبْعَدَ هَذَا الْقَلْبَ مِنَ الْإِيذَاءِ وَلَوْ لِلْأَعْدَاءِ ! مَا أَشَدَّهُ رِعَايَةً لِلْوُدِّ ! مَا أَشَدَّهُ مُحَافَظَةً عَلَى الْعَهْدِ ! مَا أَعْظَمَ حَذَرَهُ مِنْ كُلِّ مَا تُؤَيِّجُ عَلَيْهِ الذَّمُّ الطَّاهِرَةَ ! مَا أَقْوَاهُ عَلَى الْعَمَلِ الْحَقِّ ، وَالْقَوْلِ الْحَقِّ لَا يَطْلُبُ عَلَيْهِ جَزَاءً ! وَكَمْ أَهْتَمَّ بِمَصَالِحِ قَوْمٍ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ؟ ! هَذَا الْقَلْبُ

الَّذِي يُؤْلَوْنَهُ بِأَكْذَابِهِمْ، حَوَّ الَّذِي سَرَّ قُلُوبَهُمْ بِالْتَّرِيقَةِ، وَمَلَأَهَا فَرْحًا بِالتَّعْذُمِ
وَلَطَفَ خَوَاطِرَهُمْ بِحُبْنِ الْمُعَامَلَةِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ بِلَطِيفِ الْمُجَابَلَةِ، وَدَافَعَ
عَنْهُمْ أَرْمَانًا « خصوصاً هذا اللثيم !

أَفْتَسْرَحُ الصُّدُورَ وَهُمْ يُمَجْرَجُونَ؟ وَنُشْفِي الْقُلُوبَ وَهُمْ يُؤْلَمُونَ؟ وَنُفْرَحُهَا وَهُمْ
يُمَجْرَنُونَ. ؟ ! تَاللَّهِ قَدْ أَضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. هَذَا الْقَلْبُ ذَابَ مُعْظَمُهُ مِنْ
الْأَسْفِ عَلَى مَا يُلِيمُ بِالْهَيْئَةِ الْعُمُومِيَّةِ مِنْ مَصَائِبِ هَذِهِ التَّقَلُّبَاتِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنْ
فَسَادِ الطَّبَاعِ الَّذِي يَجْعَلُ الْعُمُومَ فِي قَلْقٍ مُسْتَدِيمٍ. وَمَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ فَهُوَ فِي
خَوْفٍ عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُمْ عَلَى عَهْدِ مَوَدَّتِهِ. فَانْ تَسَلَّلُوا جَمِيعًا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ
أَصْبَحُوا مِنْ مَوَدَّتِهِ خَالِينَ. وَاتَّخَذُوهُ وَقَايَةً لَهُمْ مِنَ الْمَضَرَّةِ، وَجَعَلُوهُ تَرْسًا يَعْضُوْنَهُ
لِتَلْقَى سِيَاهُ النَّوَائِبِ الَّتِي يَتَوَهَّمُونَ تَقْوِيْقَهَا إِلَيْهِمْ، كَمَا اتَّخَذُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ سِهْمًا
يَصِيْقُونَ بِهِ أَغْرَاضَهُمْ، فَيَنَالُونَ مِنْهَا حُظُوظَهُمْ - فَقَدْ أَرَّاحُوا تِلْكَ الْبَقِيَّةَ مِنَ الْفِكْرِ
فِيهِمْ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى حِسَابَهُمْ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ.

آه - مَا أَظُنُّ أَنَّ تِلْكَ الْبَقِيَّةَ تَسْتَرِيحُ مِنْ شَاغِلِ الْفِكْرِ فِي شُؤْنِ الْأَحْبَةِ
وَإِنْ جَارُوا فِي تَصَرُّفِهِمْ.

إِنَّ طَبِيعَةَ هَذَا الْقَلْبِ لَطَبِيعَةٌ نَاعِمُ الْخَزِّ، إِذَا أَتَّصَلَ بِذِي الْوَدِّ (وَأِنْ كَانَ خَشَنًا)،
فَصَعْبٌ أَنْ يَنْفَصَلَ وَلَوْ مَزَقَّتْهُ خَشُونَتُهُ. وَإِنَّ هَذَا الْقَلْبَ فِي عِلَاقَةٍ مَعَ الْأَوْدَاءِ
كَالضِّيَاءِ مَعَ الْحَرَارَةِ، أَيْمًا حَادِثٍ يَحْدُثُ، وَأَيْمًا كَيْأَوًى يُدَقِّقُ، لَا يَجِدُ لِلتَّحْلِيلِ
بَيْنَهُمَا سَبِيلًا. وَأَظُنُّكَ فِي الْعِلْمِ بِثُبُوتِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فِيهِ كُنْتَ مِنَ الْمُتَحَقِّقِينَ

« وَكُتِبَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ حَافِظُ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ ^(١) إِلَى الْأَسْتَاذِ الْأَمَامِ الْحَكِيمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ
كِتَابِي إِلَى سَيِّدِي: وَأَنَا مِنْ وَعْدِهِ، بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّبِيلِ، ^(٢) وَمِنْ تَيْهِي ^(٣)»

(١) يشكو إليه حاله وهو ضابط بالسودان (٢) عين في الجنة وهو الشراب السهل في الخلق.

به، فوق النثرة^(١) والاكليل^(٢). وقد تعجلت الشُّرُور، وتسَلَّقتُ الحُبُور^(٣) وقطعتُ ما بيدي وبين النواثب.

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتَهُ^(٤) فَمَا مَحْنَتِي إِلَّا لِيَالٍ قَلَّالَتِ
وَقُلْتُ لَهُمْ لِلشَّيْخِ فِينَا مَشِيئَةٌ^(٥) فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرٍ نَا مَا تُنَازِلُ^(٥)
وَجَعْتُ فِيهِ بَيْنَ ثِقَةِ الزُّبَيْدِيِّ^(٦) بِالصَّمْصَمَةِ^(٧) وَالْحَارِثِ بِالنِّعَامَةِ^(٨)
فَلَمْ أَقُلْ فِيهِ مَا قَالَ الْهَذَلِيُّ^(٩) لِصَاحِبِهِ، حِينَ نَسِيَ وَعْدَهُ^(١٠) وَحَجَبَ رَفْدَهُ^(١١)
« يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَغَزَّلُ^(١٢) » بَلْ أَتَادِيهِ نَدَاءُ الْأَخِيذَةِ^(١٣) فِي عَمُورِيَّةٍ^(١٣)
شَجَاعِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. وَأَمْدُ صَوْنِي بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ، مَدُّ الْمُؤَذِّنِ صَوْنَهُ فِي آذَانِهِ
وَأَعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ، اعْتِمَادُ الْمَلَّاحِ^(١٤) عَلَى نَجْمَةِ الْقُطْبِ^(١٥)
وَقَالَ أَصِيحَابِي وَقَدْ هَالَنِي النَّوَى^(١٦) وَهَالَهُمْ أَمْرِي مَتَى أَنْتَ قَافِلٌ^(١٧)
فَقُلْتُ إِذَا شَاءَ الْإِمَامُ فَأَوْبَتِي^(١٨) قَرِيبٌ وَرَبِّي^(١٩) بِالسَّعَادَةِ أَهْلٌ
وَهَا أَنَا مَتَمَّاسِكٌ حَتَّى تَنْحَسِرَ^(٢٠) هَذِهِ الْعَمْرَةُ^(٢١) وَيَنْطَوِي أَجْلُ تِلْكَ

(١) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطح يياض كأنه قطعة سحاب (٢) من منازل القمر أربعة النجم مصطفة (٣) الفرح ومعنى تسلق تسور أي أتى الفرح من خير بابه وبروي تسلفت بالفاء (٤) محنتي: بليت (٥) نضارب لأن الشيخ كفنا ناصدمات الدهر (٦) أبو ريعة عمرو بن معدي كرب ينتهي نسبة إلى حطان صحابي من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة إلى زيد نعم الزاي قوم من اليمن (٧) اسم سيف عمرو (٨) اسم فرس للحارث بن عباد البكري شيخ من العرب (٩) نديم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي كان لا يكلم الخليفة إلا جواباً (١٠) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلي هذه دار عاتكة التي قال فيها الشاعر - يادار عاتكة فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك في قصيدة الشاعر فوجد فيها (وأراك تفعل ما تقول) فتذكر الخليفة الوعد (١١) عطائه (١٢) الاسيرة يريد بها امرأة من بني هاشم اسرها الروم فنادت وامتصمها تعني المتعصم من خلفاء بني العباس فوصل الخبر إلى المتعصم فحاربهم وخلصها (١٣) بلدة من بلاد الروم (١٤) صاحب السفينة (١٥) كوكب في السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر إليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التي هو قاصدها (١٦) البعد (١٧) راجع (١٨) رجعتي (١٩) دارى (٢٠) تنكشف (٢١) الشدة

الفترة، ^(١) وينظر إلى سيدي نظرة ترفعني من ذات ^(٢) الصنيع، ^(٣) إلى ذات ^(٤) الرجوع ^(٥) وتردني إلى وكري ^(٦) الذي فيه درجت، ^(٧) رد الشمس قطرة المزن ^(٨) إلى أصلها، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها.

فان شاء فالقرب الذي قد رجوته وان شاء فالعز الذي أنا آمِل
والأفاني قاف روبة ^(٩) لم أزل بقاء النوى حتى تقول الغوائل
فلقد حلت السودان حلول الكليم ^(١٠) في التابوت، ^(١١) والمغاضب ^(١٢)
في جوف الحوت. بين الضيق والشدة، والوحشة والوحدة. لا بل حلول الوزير ^(١٣)
في تنور العذاب، والكاف في موقف الحساب، بين نارين: نار القيظ ^(١٤)
ونار الغيظ.

فناديت باسم الشيخ والقيظ بجرة تذيب دماغ الضب والعقل ذاهل
فصيرت كآني بين روض ومنهل تهب الصبا فيه وتشدو البابل
واليوم أكتب اليه وقد قعدت همة النجمين، وقصرت يد الجديدين، ^(١٥)
عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد. فلقد نمي ضب ^(١٦) ضغنه ^(١٧) على،
وبدرت ^(١٨) بوادر ^(١٩) السوء منه إلى. فأصبحت كاسر العدو وساء الحميم ^(٢٠)
والآمي كأنها جلود أهل الجحيم، كلما تضيح منها أديم تجدد أدبهم ^(٢١) وأمسيت

(١) يريد المسدة بينهما (٢) الارض (٣) الشق (٤) السماء (٥) صوت الرعد (٦) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٧) مشيت (٨) المطر (٩) رجل من العرب كان أكثر روى أراجيزه على القاف الساكنة (١٠) سيدنا موسي عليه السلام (١١) الذي وضعته أمه فيه والفته في البحر (١٢) سيدنا يونس بن متي عليه السلام (١٣) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنور الذي اصططنه لتعذيب من يأمر بتعذيبه (١٤) شدة الحر (١٥) الليل والنهار (١٦) بكسر الصاد الغيظ (١٧) حقه (١٨) أسرعت (١٩) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٠) القريب الذي بهم لأمره (٢١) الجلد

وَمَلِكٌ آمَالِي إِلَى الزَّوَالِ ، أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ ، وَدَوْلَةٌ صَبْرِي إِلَى
الاضْمِحْلَالِ ، أَحْتُ^(١) مِنْ حَبَابِ^(٢) الْمَاءِ . فَظَنَرْتُ فِي وَجْهِهِ تِلْكَ الْعِبَادَ ، وَإِنِّي
لِفَارِسِ الْعَيْنِ وَالْفَوَادِ ، فَلَمْ تَقِفْ فِرَاسَتِي عَلَى غَيْرِ بَابِكَ .

وَإِنِّي أَهْدِيكَ سَلَامًا لَوْ آمَتَزَجَ بِالسَّحَابِ ، وَاخْتَلَطَ مِنْهُ بِاللُّغَابِ ، لَا صَبِحتُ
تَهَادِي^(٣) بِقَطْرِهِ إِلَّا كَالسَّيْرِ ، وَأَمْسَتْ تَدَخَّرُ مِنْهُ الرُّهْبَانُ فِي الْأَذْيَارِ
وَلَا غَنِي ذَاتَ الْحِجَابِ ، عَنْ الْغَالِيَةِ^(٥) وَالْمَلَابِ^(٦)

وَلَا بَدَعَ إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بِالرَّدِّ ، فَقَدْ يُرِي وَجْهَ الْمَلِكِ فِي الْمِرَاةِ ، وَخِيَالِ الْقَمَرِ
فِي الْإِضْيَاءِ . وَإِنْ حَالٌ حَائِلٌ ، دُونَ أُمْنِيَّةِ هَذَا السَّائِلِ ، فَهُوَ لَا يَذِمُّ يَوْمَكَ ، وَلَا
يِيَّاسُ مِنْ غَدِكَ ، فَأَنْتَ خَيْرُ مَا تَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا : وَالسَّلَامُ

(الفصل التاسع في رسائل العيادة)

(كَتَبَ ابْنُ الرُّومِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٨٤ هـ إِلَى بَعْضِهِمْ)

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ ، وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ ، وَمَسَحَ يَدَ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ ، وَوَجْهَ
وَقَدْ السَّلَامَةِ إِلَيْكَ ، وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لِدُنُوبِكَ ، مَضَاعِفَةً لِثَوَابِكَ .

(وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٨٣ هـ)

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي ، فَسَرَنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَنِي أَطْلَاعِي عَلَيْهِ ، لَمَّا تَضَمَّنَتْهُ
مِنْ ذِكْرِكَ عِلَّتَكَ ، جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَهَا كَفَارَةً ، وَآخِرَهَا عَافِيَةً ، وَلَا أَعْدَمُكَ عَلَى الْأَوَّلَى
أَجْرًا ، وَعَلَى الْآخِرَى شُكْرًا

وَبُودِي لَوْ قُرْبَ عَلَى مُتَنَاوُلِ عِيَادَتِكَ ، فَأَحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالْتَعَهْدِ وَالْمُسَاعَدَةِ

(١) أَسْرَعُ (٢) مَا يَرَى عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مِنَ الْفَقَائِعِ (٣) تَجْمَلُهُ هَدِيَّةُ (٤) الْمُلُوكِ (٥) الطَّيِّبِ

(٦) الزُّعْفَرَانِ

بعض آباء (١) عثتك ، فلقد خفني من هذه العيلة قسم كقسمك ، ومرض قلبي
فيك لمرض جسمك . وأظن أني لو لقيتك عيلاً ، لا نصرفت عنك ، وأنا
أعلم منك ، فإنني بحمد الله تعالى جلدت (٢) على أوجاع أعضائي ، غير جلد على أوجاع
أصدقائي - شفاك الله وعافاك .

(الفصل العاشر في رسائل التهاني)

(كتب في التهينة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٥٤٢٩ هـ)
أهلاً وسهلاً بعقيلة (٣) النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأضهار ، والأولاد الاطهار
ولو كان النساء كمثلي هذي لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة بموقعها . فالدينا مؤنثة ، والناس
يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والارض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها
كثرت الذرية . والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجوم
الثواب (٤) والنفس مؤنثة ، وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة
ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا تحرك الانام . والجنسة مؤنثة ، وبها وُعِد المتقون
وفيها تنعم المرسلون - فهنيئاً حينئذ ما أوليت ، وأوزعك (٥) الله شكر ما أعطيت
وأطال بقاءك ما عرف النسل وما بقي الابد .

(وكتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى الداوردي بينته بمولود)
حقاً لقد أنجز الاقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، وأن الشأن لفيما بعده
وحبذا الاصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه (٦) وأينع الرّوض وتورّه ، (٧) وحبذا

(١) جمع عبء القتل (٢) شديد (٣) كريمتهن (٤) المضيات (٥) اقدرك (٦) مطره وهم
هنا كناية عن الولد (٧) زهره الشجر وهو كناية عن الولد أيضاً

سماؤه أطلعت فرقدآ ، وغابة^(١) أبرت أسدآ ، وظهر وفاق سندآ ، وذكر يبغي
أبدآ ، ومجد يسمنى ولدآ ، وشرف لحمة وسدى^(٢)

أنجب^(٣) كل من والديه به اذ نجلاه فنعم مانجلا
فألفياه^(٤) شهاب ذكاه ، وبدر علاه .

ووجداه ابن جلا^(٥) أبيض^(٦) يدعي الجفلي^(٧)
لمثله أولى فلا إذا الندي^(٨) احتفلا

« وكتب في التهينة بالقدوم أبو منصور الشعالي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

اهني سيدي ، ونفسي تطيب بما يسر الله من قدمه سالما ، وأشكر الله على ذلك
شكرا دائما . جعل الله قدمك مقرونا بالخيرة التسامة العامة ، والكفاية الشاملة الكاملة
غيمية المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك . فوصل
الله قدمك من الكرامة ، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة ، وهناك
بإيابك ، وبلغك غاية محابك ، ما زلت بالنية معك مسافرا ، وباتصال الذكر
والفكر ملاقيا ، إلي أن جمع شمل سروري بأوبتك وسكن نافر قلبي بعودتك
(وكتب أيضا في التهينة برمضان)

راق الله إليك سعادة إحلاله ، وعرفك بركة كمله ، لقاك الله فيه ما ترجوه
ورقاك إلى ماتحب في ما تملوه ، جعل الله ما يطول من هذا الصوم مقرونا بأفضل

(١) موضع الاسد الذي يألفه والمراد أصوله (٢) كلاهما من لمة الثوب وسداه وهو كتابة عن
الصرف وظاهرا وباطنا (٣) ولده كريم (٤) وجداه (٥) واضح الامر (٦) نقي العرض شريفة
(٧) دعاهم بجماعتهم وعامتهم (٨) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع « أي لمثله نصوغ
التهاني أولى فلا يحسن أن تصاغ لغيره »

بشري فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب الجدي في أفق الدلا صعدا

القبُول ، مؤذناً بدَرَكَ البَغِيَةِ ونَجَحَ المَأْمُول . ولا أَخْلَاكَ من بَرٍّ مَرْفُوع ، ودَعَاءِ مَسْمُوع . قَابِلَ اللَّهِ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وبَعْظِمِ المَثُوبَةِ تَهْجِدَكَ وَقِيَامَكَ . أَعَادَ اللَّهُ إِلَيَّ مَوْلَايَ أَمْثَالَهُ ، وَتَقَبَّلَ فِيهِ أَعْمَالَهُ ، وَأَصْلَحَ فِي الدِّينِ والدُّنْيَا أَحْوَالَهُ ، وَبَلَّغَهُ مِنْهَا أَمَاءَهُ ، أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِهَذَا السَّهْرِ ، وَوَفَّاهُ فِيهِ أَجْزَلَ المَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ .

(وكتب أبو الفرج البيهقي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ تهنة)

سَيِّدِي : أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأَنْبَهُ ذِكْرًا ، وَأَعْظِمُ نُبْلًا ، وَأَشْهَرُ فَضْلًا - مِنْ أَنْ نَهْنَتْهُ بُولَايَةِ ، وَإِنْ جَلَّ خَطَرُهَا ، وَأَعْظَمَ قَدْرُهَا . لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَةُ الْأَعْمَالِ بِنَائِضِ عَدْلِهِ ، وَالرَّعِيَّةَ بِمَحْمُودِ فِعْلِهِ ، وَالْأَقَالِمَ بِكَثَارَةِ رِيَاسَتِهِ . وَالْوَلَايَاتِ بِسِمَاتِ سِيَاسَتِهِ ، فَعَرَفَهُ اللَّهُ يُنَمِّنَا مَا تَوَلَّاهُ ، وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرْعَاهُ . وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ ، وَالتَّسْدِيدِ فِيمَا يُبْرِئُهُ وَيُضَيِّعُهُ .

(وكتب أستاذنا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)

أَيَّ جِهَادَةٍ (١) الْكِفَانَةِ (٢) نَبَالَ الْجُنَانَةِ (٣) مِيَاهِ الْإِجَانَةِ (٤) أَبْنَاءِ تِلْكَ اللَّغْنِ ، صُنَادِيدَ هَذِهِ الْوَغْنِ ، إِلَيْكُمْ يُسَاقُ الْحَدِيثُ ، فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، عَنْ هَذَا الدُّبَّا الْعَظِيمِ ، وَالْمَجْدِ الصَّمِيمِ . مَا لِي أَرَى فِي لَفْتِنَا التَّسْرِيفَةَ « وَيَعْلَمُ أُولُو التَّهْيِ آيَةً مِنَ اللُّغَاتِ أَحَقُّ بِهَذَا النَّبْرِ » (٥) أَنْ يُصَرَّفَ الْبِهَاءُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ « هُبُوبًا عَبَّ خُمُولٌ ، وَتَرَّةٌ » (٦) بَعْدَ نُحُولٍ ، وَنُورًا عُقِيبَ أَقُولٍ ، وَنُورًا أُرْ ذُبُولٍ ، وَصَبًا وَرَاءَ قَبُولٍ ، وَعَدْلًا وَلَا حَيْفَ (٧) وَقُوَّةً وَلَا ضَعْفَ ، وَمَا يَشَاءُ الْمَطْرِي (٨) فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْعَطْفِ

(١) الخداق دوو القند (٢) ما يوضع فيها السهام والمراد اهم يتادون للمسائل (٣) بضم الحيم الترس التي يتقى بها (٤) الاجابة بالكسر اء تغل فيه الثياب وماحول الغراس شبه الاحواض جمع اجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء الجسم بالسم (٧) العلم والخور (٨) المادح

آمنتُ بالقدر المقدور ، والبعث والنشور ، كذلك يحيى الله الموتى
 أليس رجلٌ واحدٌ أسفرت ^(١) عنه عناية التوفيق ، فألقت إليه المقاليد؟ ^(٢)
 ، ولكنه الواحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال ^(٣)
 والناس ألفٌ منهم كواحدٍ وواحدٌ كاللآلئ ان أمرٌ عنا ^(٤)
 إي ^(٥) ورَبّ تلك البنية ، ^(٦) بارئ ^(٧) نَسَم البرية ، إنه لرجلٌ البلاذ
 بل الحزم والسداد . ألم تر جنانه ، ^(٨) وحنانه ، وبنانه ^(٩) وبيانه : عوامل
 لهذه اللغة : لغة الفرقان ، ^(١٠) لغة الاوطان ! لا بل أمضى من العوامل حتى ظلت
 ابها (فرائض) ، وقد كانت وما بالعهد من قديم (نوافل) . ومن حليها أجياد ^(١١)
 هجأت عواطل : اللهم الا بقية ثمد ، قد منيت ^(١٢) صُحفها الاود ، ^(١٣)
 قدت الجلد والجلد ^(١٤) وبعد أن راج سوق الرطانة ^(١٥) ونضب ^(١٦) ماء
 بانه ، وخبث ^(١٧) أنوار البلاغة ، وذوت ^(١٨) أنوار ^(١٩) النبغة ، وكسد
 بيان ، وقوض ^(٢٠) منه البنيان ، وأصبحت العربية لسقى ^(٢١) ملقاه ، وبضاعة
 زجاء ، ^(٢٢) فأيهذا اليراع ^(٢٣) لا أقل من نفثات ، فى صوغ كسليمات ، تقدّر
 له البعثة قدرها ، وتمنحها ^(٢٤) شكرها
 ويحك ! ^(٢٥) هُب ^(٢٦) من سنيتك ، ^(٢٧) فى حلية مقتك ، ^(٢٨) وآنض ^(٢٩)

(١) ظهرت (٢) المتأنيح (٣) حرف جواب تثبت المتفق (٤) أهم الناس وأقلهم (٥) حرف جواب
 مثل نعم (٦) بفتح الباء وزن غنية الكعبة (٧) خالق (٨) قلبه (٩) أنا ملأ أصابعه (١٠) القرآن
 الشريف (١١) الاعتاق (١٢) اختبرت (١٣) الاود الكد والتعب ومراده اعنتى الناس بها لا
 عن بذل جهد (١٤) القوة (١٥) كل لسان يخالف العربية (١٦) غار وذهب (١٧) خفيت
 (١٨) ذبلت (١٩) جمع نور بالفتح الزهر (٢٠) نقض (٢١) بالقصر مطروحة (٢٢) قليلة
 (٢٣) القلم (٢٤) عطيتها (٢٥) كلمة رحمة (٢٦) استيقظ (٢٧) نومك (٢٨) محبتك
 (٢٩) سله من غمده

حُسامك،^(١) وَأَشْعَدُ كِهَامِك،^(٢) وَأَنْثَلَ^(٣) كُنَانَتَكَ^(٤)، وَاعْمَلْ بِنَاتِكَ^(٥) وَصُغْ إِنْ اسْتَطَلَّتْ تَهَانِي غُرًّا، بِلْ عَقُودًا دُرًّا، بِلْ أَنْجُمًا زُهْرًا، مُشْتَارًا^(٦) مِنْ خَلَايَا ذَلِكَ الْأَرَى^(٧) الشَّهَى^(٨) النَّدِي الدَّكِي، مَا جَرَسَتْ^(٩) نَحْلُهُ الشَّيْخَ^(١٠) وَالْحَزَامِي^(١١) وَأَطَايِبَ النَّمَارِ، وَأَزَاهِي الْأَزْهَارِ، تَهْدِيهِنَّ أَوْلَئِكَ الْمَصَافِعُ^(١٢) شُكْرًا أَنَا لِتِلْكَ النِّعَمِ تَجْمِيعًا لَشَوَارِدِهَا، وَتَقْيِيدًا لِأَوَابِدِهَا^(١٣) كَمَا شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، وَاشْفَاقًا عَلَيْهِمَا مِنْ الْجَمَاحِ،^(١٤) بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْارْتِيَاحِ؛

فَالِيَكُمُ بِنِي هَذِهِ اللَّغَةُ «كِتَابِي هَذَا» تَهْنِئَةً بِتِلْكَ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِبْلَانِ (كَاتِعِلُونَ) وَجَهَةِ مَكْفَهَرٍ^(١٥) وَبَدَنِهِ مَقْشَعَرٍ، وَنِثَاءً عَلَى الْعَنَاءَةِ (التَّوْفِيقِيَّةِ) وَالْعَزْمَةِ (الرِّيَاضِيَّةِ) عَلَى أَنْ هَذَا الْمَوْلَى الْوَزِيرَ سَوَى ذَلِكَ، أَيَادِي^(١٦) مَبْرُورَةٍ، وَمَسَاعِي مَشْكُورَةٍ أَكْسَبَتِ الْوَطْنَ وَأَهْلِيهِ نَهْضَاتٍ، وَأَقَالَتْهُ كَثِيرًا مِنَ الْعَثَرَاتِ - لَكِنِّي آثَرْتُ^(١٧) تِلْكَ النَّهْضَةَ الْعَرَبِيَّةَ بِتَهْنِئَتِكُمُ بِهَا. أَيُّ بَنِي جِلْدَتِي^(١٨) وَإِخْوَانِ حِرْفِي لَكُونُهَا فِي إِخْلَالٍ، لَا، بَلْ فِيمَا أَتَقِنُّ وَيَتَقِنُّ أَوْلُو الْحِجَا،^(١٩) أَعْظَمُ النَّهْضَاتِ، وَأَيْمَنُ^(٢٠) مَا اجْتَازَهُ^(٢١) الْوَطْنَ مِنَ الْعَقَبَاتِ. وَلَوْ كَانَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ، زِيَادَةُ الْبَيَانِ، فِي هَذَا الشَّانِ، لَا سَهَيْتُ^(٢٢) وَأَوْسَعْتُ، وَأَطْرَيْتُ^(٢٣) وَأَطْنَبْتُ. وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ

(١) السيف القاطع (٢) أشعده حده والكهائم بفتح الكاف السيف الكليل (٣) استخرج ما فيها من النبال (٤) الجراب الذي توضع فيه النبال والسهام (٥) أصبعك (٦) كتب الشراء (٧) العمل (٨) يشتهي (٩) أكلت واصله حرس النبيء جرسا لحسه بالسانه (١٠) نبت طيب الرائحة (١١) بضم الحاء نبت زهره أطيب الازهار (١٢) جمع مصقع البلوغ (١٣) لغرائبها (١٤) الذهاب بسرعة (١٥) متعبس (١٦) نعمان ذلك الوزير الخطير مصطفي باشا رياض التتوفى سنة ١٣٣١ هـ (١٧) اخترت (١٨) بنى عشيرتي (١٩) العقل (٢٠) أكثر بركة (٢١) سلكه (٢٢) لاكثر الكلام (٢٣) مدحت

التهنئة إلا أن حياة الأمة حياة لغتها فحسب ، لكفالك ، وشفاك ، وأغناك ،
وكان ذلك قصارك (١) وحماداك (٢)

(وكتب المرحوم الاستاذ محمود بك أبو النصر)

إنسان عين الفضائل ، عزيزي فلان المحترم
نور على نور ، وشفاء لما في الصدور ، شفاؤك أيها العزيز من ذلك الرمد . قد
أبجز الأقبال ما وعد ، وابتهجت النفوس ، وتزيّدت الطروس ، واهتزت
الأقلام ، وأعلنت بالسلام

ولاح فجر التهاني بالبشائر اذ حيت فاحيت ربوع الفضل والادب
وكيف لا؟ وأنت واحد الكتاب ، وإنسان عين الآداب ! رمدت فرمدت
وشفيت فاهتزت وربت . وقد كان طرفها كليلا ، وفؤادها عليلا . واليوم
زال العناء ، وحق الهناء ، وآفى الشفاء . فكان بردا وسلاما على القلوب
وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

فلك الهناء بصحة ميمونة أبدأ على مرّ الدهور تدوم
وان الله ما قضي بما قد مضى ، إلا ليعرف سيدي مكانته من القلوب ومنزله
من الفضل . وهذه حلل العافية قد خلعت عليك ، وثياب السلامة سبقت إليك
فوافي السرور ، وعمّ الحبور . والله يُبلغك بالصحة والأعمال ، منتهي الآمال
والسلام

« وكتب الوزير المرحوم عبد الله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ في تهنئة العيد
هذا يوم نشر البشر فيه أعلامه . وأضاءت الدنيا وأزادت الآفاق ، بهجة

هذا العيد السعيد ، وأخذَ الأحبةُ يتهادونَ رسائلَ البشائرِ فيما بينهم ، وكلُّ حزبٍ
فرِحُون بما لديهم ، بما أودعَ فيهم من رَوَابطِ المحبةِ وعوَامِلِ الاتحادِ السَّاريةِ فى
النفوسِ - أما أنا فعيدى ، وبهجةِ نفسى ، وسرُّورِ فؤادى ، دَوَامَ إقبالِ الزَّمانِ
عليك بوجهِ النصرِ وعودُ أعيادِ الشُّرُورِ على جنابك الرِّفيعِ . فمثلك تشرقُ الدُّنيا
بطلعتِهِ ، ونهرَاحِ الأعيادِ برؤيتِهِ .

وَأَرَى الحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ وَأَرَى الوجودَ مُشْرِقًا بِوُجُودِهِ
لَوْ أَنَّنِي خَيْرْتُ مِنْ دَهْرِى الْمُنَى لاختَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
أَعَادَ اللهُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِخُ أَمْثَالَهُ وَأَمْثَالَ أَمْثَالِهِ فى صفاءِ وَهْنِهِ
(الفصل الحادى عشر فى رسائل التعازى والتأبين)

« كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

خبرٌ عزَّ على مُسْتَمِعِهِ ، وأثرٌ فى قلبى موقعُهُ . خبرٌ تَسْتَأْ (١) له المِسامعُ
وترتجُ منه الأَضَالعُ ، خبرٌ يهدُّ الرِّوْاسى ، (٢) ويفلقُ الحجرَ القاسى . كادت له
القلوبُ تطيرُ ، والعقولُ تطيسُ ، والنَّفُوسُ تطيحُ (٣) خبرٌ يُشِيبُ الوليدَ ، ويُذيبُ
الحديدَ ، قد كاد من الحزنِ أنْ تنقبُضَ الألسُنُ عن هذا النِّعَى الفادِحِ ، (٤) وتخرَسَ .
وتَقْصُرُ الأيدي عن التَّعْزِيَةِ بهذا الرِّزْءِ الفادِحِ ، (٥) وتَيْبَسُ .

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ مَصَائِبُهُ أَنَاخَ بِأَخْرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك (٤) الذي يثقل الناس وبهمهم (٥) المصيبة

أحسنُ ما في الدَّهرِ عمومُهُ بالتَّوائبِ ، وخصوصُهُ بالرَّغائبِ ، فهوَ يدعو الجفلى (١) .
إذا ساءَ ، ويخصُّ بالنَّعمة إذا شاءَ ، فيكفر السَّامتُ : فإن كان أَفَلَّتْ (٢) فله أن
يشمت . ولينظر إلا نسلان في الدَّهرِ وصرُوفِهِ ، والموتِ وصرُوفِهِ ، من فاتحة أمرِهِ
إلى خاتمةِ عمرِهِ ، هل يجدُ نَفْسَهُ أثرًا في نفسه ؟ أم لَتَدِيرُهُ عَوْنًا على تصويرِهِ ؟
أم لِعَمَلِهِ تَقْدِيمًا لَمَلِهِ ؟ أم لِحِيلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ ؟ كلا . بل هو العبد لم يَكُنْ
شيئًا مذكورًا ، مُخْلَقٌ مَقْهُورًا ، فهو يَحْيَا جَبْرًا ، وَيَهْلِكُ صَبْرًا ، وَلَيَتَأَمَّلُ الْمَرْءُ
كَيْفَ كَانَ قَبْلًا ؟ إِنْ كَانَ الْعَدَمُ أَصْلًا ، وَالْوُجُودُ فَضْلًا ، فليعلم الموتَ عَدْلًا .
والموتُ (أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مُوَلَّاي) خَطْبٌ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ ، وَأَمْرٌ قَدْ خَشِنَ
حَتَّى لَانَ ، وَلَعَلَّ هَذَا السَّهْمَ قَدْ حَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا ، (٣) وَأَزْكَى (٤) مَا فِي
خِزَانَتِهَا ، وَنَحْنُ مُعَاشِرُ التَّبَعِ ، نَتَعَلَّمُ الْإِدْبَ مِنْ أَقْوَالِهِ ، وَالْجَمِيلَ مِنْ أَعْمَالِهِ ، فَلَا
نَحْتَمُّ عَلَى الْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ وَلَا نَرْغِبُهُ فِي الْجَزِيلِ وَهُوَ الْآجَرُ ، فَلْيُفِيرْ فِيهِمَا رَأْيَهُ .
« وَكُتِبَ أَيْضًا »

ياسيدي — المصابُ لَعَمْرَ اللهِ كَبِيرٌ ، وَأَنْتَ بِالْجَزْعِ جَدِيرٌ . وَلَكِنَّكَ بِالصَّبْرِ
أَجْدَرٌ . وَالْعَزَاءُ عَنِ الْأَعْزَةِ رُشْدٌ كَانَهُ الْغَيِّ ، وَقَدْ مَاتَ الْمَيِّتُ : فَلْيَحْيِ الْحَيَّ

« وَكُتِبَ فَقِيدُ اللُّغَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْيَازْجِي الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٩٠٦ م »
أَشْبَاحُ تَرْوِجٍ وَتَجِي ، وَأَجَالٌ تُمْسِي وَتَغْتَدِي ، وَأَنْفَاسٌ تَتَقَطَّعُ مِنْ دُونِهَا
حَزَنًا وَأَسْفًا ، وَعَبِيرَاتٌ تَتَفَطَّرُ وَجَدًّا وَلَهْفًا . وَمَا عَمَدَتِ الْأَقْدَارُ إِلَى اسْتِنْزَافِ
مُدَّعٍ ، وَلَا أَرَادَتِ الْإَيَّامُ إِيْلَامَ مُوجِعٍ . إِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ الْخَلْقِ : كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ
وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْحِلَالٌ ، وَأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا ، وَأَنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ سَبِيلًا

(١) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم (٢) أطلق ونخلص وسلم من نوائب الدهر .

(٣) الجراب الذي توضع فيه السهام (٤) اظهر وانفس لانه لا يجرز الا ما كان تقيسا

مقدُوراً ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَى كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ ، يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيَصْرُ سَاهِيًا ، وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا ، وَلَا أَنْ يُرَدَّ آتِيًا ، وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِيكَ : لَوْلَا مَا يُغَالِبُنِي عَلَى الْعَزَاءِ مِنْ كِبَرٍ حَرِيٍّ ، وَمَقَلَّةٍ شَكْرَى ، وَزَفَرَةٍ تَبْرَى . ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبْكِيكَ : لَوْلَا أَنِّي بَسَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِي الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ ، وَأُحْيَيْتُ لَيْلِيَّ بِالنُّوحِ حَتَّى مَا بِالنَّجْمِ سُهَادٌ . ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءُ عَلَى سَقَمِ جَسَدِي ، وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحُ عَلَى صَفَرِ يَدِي إِلَّا مِنْ كِبَدِي . وَإِنْ الْأَقْدَارَ سِهَامٌ إِذَا انْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدَّ ، وَإِنْ الْمَتَطَلِّعُ إِلَى الْفَائِثِ لَطَوِيلُ مُشَقَّةِ الْكَمَدِ ، وَإِنْ الْخُطُوبَ لَهِيَ هِيَ وَإِنَّمَا تَفَاوَتْ عِنْدَ الْجَلَدِ .

وَإِنْ الْحَصَى عِنْدَ الْجَزُوعِ ثَقِيلَةٌ وَضَغْمُ الصَّمَا عِنْدَ الصَّبْرِ خَفِيفٌ
وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قَرَّةٌ لِلْعَيُونِ ، وَجَبْرًا لَخَاطِرِ الْمَحْزُونِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ
« تَأْيِينَ الْأَحْنَفِ ^(١) بِنِ قَيْسِ »

مَاتَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ فَمَشَى مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي جَنَازَتِهِ بِغَيْرِ رِءَاءٍ ^(٢) وَقَالَ قَوْمٌ : مَاتَ سِرُّ الْعَرَبِ . فَلَمَّا دُفِنَ تَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ : اللَّهُ دَرَكُ ^(٣) مِنْ مُجَنِّ ^(٤) فِي جَنَنِ ، وَمُدْرَجٍ فِي كَدْنٍ ، فَسَأَلَ الَّذِي فَجَعَلَنَا بِمَوْتِكَ وَابْتَلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ ، وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ ، وَأَنْ يُوسِعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ ، وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَحَافِلِ شَرِيفًا ، وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَيِّ مَسُودًا ، وَإِلَى الْخَالِيفَةِ مُوَفَّدًا . وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ

(١) اسْمُهُ الضَّحَّاكُ وَكَانَ سَيِّدَ نَجِيمٍ فِي عَهْدِهِ مَعْرُوفًا بِالْعَقْلِ وَالِدِهَاءٍ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ إِلَى ثَبَاتِ جَنَانٍ وَحَسَنِ بَيَانٍ ، وَحَيَاتِهِ مَمْلُوءَةٌ بِجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ وَكَرِيمِ النِّعَالِ تَوَفَّى سَنَةَ ٦٧ هـ . (٢) تِلْكَ كَانَتْ عَادَاتُهُمْ فِي جَنَائِزِ الْعِظَمَاءِ (٣) الدَّرُ : اللَّبَنُ وَالْعَمَلُ ، وَلَقَدْ دُرِكَ : كَلِمَةٌ تَعْجَبُ . (٤) أَجْنَةٌ : سِتْرُهُ . وَالْجَنُّ : الْقَبْرِ . وَمِنْ بَدَائِعِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ مَادَّةَ (ج ن ن) تَدُلُّ عَلَى السَّرِّ وَالْجَنُونِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنِّ وَالْجَنَانِ وَالْجَنِينِ .

مستمعين ، ولرأيك متبعين . « ثم أقبلت على الناس فقالت » . ألا إن أولياء الله في بلائه ، شهود عباده . وإنى لقائلة حقاً ، ومثنية صدقاً ، وهو أهل لحسن الثناء ، وطيب البقاء ، أما والذي كنت من أجله في عِدَّة ، ومن الحياة الى مُدَّة ، ومن المقدار إلى غاية ، ومن الآثار الى نهاية ، الذي رفع عملك ، لمأقضي أجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومث سعيداً مفقوداً ^(١) ، ثم انصرفت وهي تقول :

لله دَرُّك يا أبا بحرٍ ماذا تغيب منك في القبر
لله درك أيَّ حشو ثَرَى أصبحت من عُرْف ومن نُكْر
إن كان دهر فيك جدَّ لَنَا حدَّثنا به ووهت قويا الصبر ^(٢)
فلَكم يدٍ أسديتها ويد كانت ترُدُّ جرائر الدهر
ثم انصرفت فسئل عنها فإذا هي امرأته وابنة عمه ^(٣) فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة قط أصدق ولا أبغ منه .

« تأبين الاسكندر »

لما جمل الاسكندر في تابوت من ذهب تقدَّم اليه أحد الحكماء فقال :
كان الملك يحبُّ الذهب وقد صار الآن الذهب يحبُّوه .
وتقدَّم اليه آخر والناس يبكون ويمجزعون فقال : حرَّ كُنَّا بسكونه :
وتقدَّم اليه آخر فقال : كان الملك يعظنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس ^(٤)

(١) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أي غير مكترث لبقائه فتولوا : مفقوداً تريد يحزن الناس فقدك (٢) حدثنا الدهر . نوابه . (٣) ذكر صاحب بلاغات النساء أن اسمها صنية بنت هشام المنقروية . (٤) أخذ أبو الغتاهية هذا المعنى فقال :
وكانت في حياتك لي عظت وأنت اليوم أوعظ منك حيا

واتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الارضين وتملكها ثم جعل منها في أربع أذرع .
ووقف عليه آخر فقال : انظر الى حُثْمِ النائم كيف انقضي ، وإلى ظل النائم
وقد انجلى . . .

ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُقِلُّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقلُّ
مُلك العباد ؟

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب به عن
رُحْب البلاد ؟

(الفصل الثاني عشر في رسائل الاجوبة)

« كتب المرحوم عبدالله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ »

سَيِّدِي سَلَّمَكَ اللهُ وَحَيَّاكَ ، وَأَسْعَدَنِي بِرُؤْيَا مُحِيَّاكَ ، وَزَادَ عَزَّكَ وَعُظْمَاكَ
وَحَرَسَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَجَمَعَنِي عَلَى بَسَاطِ الْمُسْرَةِ وَإِيَّاكَ ، وَلَا حَرَمَنِي دَوَامَ لِقَاكَ
وَلَا بَرَحَ الدَّهْرِ مُبْتَسِمَ الشَّجَرِ بِمَحَاسِنِ مَعَالِيكَ ، مُبَاهِيَاً أَصْصَارَ الْإِوَاتِلِ بِأَيَامِكَ
وَلِيَالِيكَ ، مُحَلِّيًا أَجْيَادَ الْمَفَاخِرِ بِزَوَاهِرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ — وَرَدَّ عَلَيَّ كِتَابُكَ الْكَرِيمِ
مُورِدَ إِعْزَازٍ وَتَكْرِيمٍ ، فَبَلَ بَعْضَ مَا فِي الْجَوَانِحِ مِنَ الصَّدْيِ ، وَأَنْعَشَنِي وَلَا
انْتَعَشَ الزَّهْرُ بِمُبَاكَرَةِ النَّدْيِ ، وَجَلَّ عَلَيَّ مِنَ الْبَلَاغَةِ رَوْضًا غَضًّا ، وَأَدَارَ
لَدَيَّ صَفَوًا مِنْ سُلَافِ الْمَحَبَّةِ مُحَضًّا . وَهَزَنِي هَزَةُ النِّشْوَانِ شَوْقًا وَطَرَبًا
وَأَسْتَعِزُّ بِمُعْجَزَاتِ آيَاتِهِ الْإِسْنَانِ عُجْبًا وَعَجْبًا . وَنَدَّرَ عَلَيَّ مِنْ مَحَاسِنِ لَفْظِكَ الْخَرَّ
وَكَلِمَاتِكَ الْغَرَّ ، مَا يَنْجِلُ الدَّرَارِي وَيَفْضَحُ الدُّرَّ .

كَلَامُ كَسْتُهُ بِهَيْجَةِ الْحُسْنِ رَوْنَقًا هُوَ السَّحَرُ لَا بَلَّ جَلَّ قَدْرًا عَنِ السَّحَرِ

(وكتب أيضا وهو بالاستانة العلية في يوم برد كثير الامطار)
 كتبتُ إليك والامطارُ ساجمة (١) بطاها (٢) ووبها (٣) وعسا كُرَّ البرد
 والبرد هاجمةٌ بخيلها ورجلها ، (٤) والسماءُ مُتلفعةٌ بأذيال السحاب ، وكان الشمس
 خافت من الطل فتوارت بالحجاب . والجوُّ مسكى الرداء ، عنبرى الأرجاء ، كأنه
 وعليه ثوب الغيم مزروء ، قد وجل (٥) من صولة البرد فلبس فروة السمور
 والغمام على الأفق بكلا كاه (٦) ، وهز من البرق بيض مناصله (٧) ونشر في الجو
 طرائق مطارفه (٨) وجاد على الأرض بتليده (٩) وطارفه . وثقل على كاهل
 الهواء ، كالطير بل جناحه بالماء ، وقرب حتى كاد يسك باليدين ، ويعتصر بالراحتين ،
 أو كأنه مرأة مذهبة تبدو وتختفي ، أو جذوة (١٠) ملتبهة توقد وتطفى ،
 والرعذ يهدد بزواجر زماجره السحاب فيبسكيها ، والطير يتلو سطور الندى
 في طروس الثرى (١١) فيملها ، ويطرب بأفنان (١٢) الا لحن أفنان (١٣) البان
 فيعليلها ويثنيها . ويقرأ على رؤوس الأغصان ، أو راده الحسان فيقريها ويرقيها
 وقوس السماء يرعى بسهام وبه (١٤) جنوب الشقائق (١٥) فيصميمها (١٦) ويدميمها
 والربح تمسح أخلاف (١٧) الغائم فتجريها ، (١٨) وترضع بدرها بنات النبات
 في جحور أراضيا فتريها وتريها ، وترضع بدرها تيجان القضبآن ، وتارق
 تجعله عقودا في تراقبها ، (١٩) أو دموعا في أماقها . وكان الجر خاف من بنادق

(١) سائلة (٢) الذي (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على أرطلم (٥) خاف (٦) بمجماعاته
 (٧) سيوفه (٨) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتى غطي السماء (٩) المال القديم والطارف
 ضده والمراد كثرة مطره (١٠) بتثيت الجيم الحمره (١١) الأرض (١٢) جمع من الغصن
 (١٣) الأغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق العمان نبت أحمر (١٦) ليرميمها
 ومراده أنه يرميها بالمطر حتى تزهو فتحصر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع (١٨) مري الناقة
 يمحوها إذا مسحت ضرعها لتدر اللبن (١٩) اعتاقها

البرّد ، ومدافع الرّعد ، ففرّ إلى مصر ونواحيها ، وأصبح نزيل من فيها لكرم أهلها . وكان غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيقاً ، أو غلط الناس في حساب الفصول فظنوا شتاها صيفاً .

(١) وكتب المرحوم حفي بك ناصف الى المرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣هـ) وصل يا مولاي إلى هذا الطرف ، ما خصّصت به العبد من الطرف « قفص » من عنب كاللؤلؤ في الصدف ، تتألق عناقيد كآنها من صناعة « التجف » ولعمري الحق أنها تحفة من أحلى التحف ، لا يُعثر على مثيلها إلا بطريق (الصدف) . فقلبلناه ، لثما بالأفواه ، ورشفاً بالشفاه ، واحتفينا (١) بقدومه كل الاحتفاء ، ولم نفرط في حبه عند اللقاء . بل حللنا له الحبي ، (٢) وقلنا له أحلاً وسهلاً ومرحباً ، وأوسعناه عِضاً ولثماً ، وتناولناه تجميلاً (٣) وضماً . وحفظنا في صدورنا سره المكنون ، وطويناه في خضون (٤) البطون ، فطربت من تعاطيه الارواح ، ولا غرو فهو أصل البرّاح ، (٥) وانتشينا (٦) ولم نخمل وزراً ، وثملنا (٧) ولم نذق طعماً مرّاً . فهو كيان مهديه سحر ولكنّه حلال . ولعب إلا أنه كمال . فان أ كسبت السّمول شاربها قوّة في الجنان ، ونفحت (٨) ذاتها طلاقة في اللسان ، فقد سرت في أجسامنا من حرارته شجاعة « ليثية » ودبت في كلامنا من مذاقته فصاحة « علوية » وخلصت إلينا منه فوائد لا يحيط بها العلم ، ونجمت (٩) عنه منافع ليس يصحبها إنثم — فان زعم الأولون أن في الخمر معني ليس في العنب ، فقد تغير الحال في هذه الهدية

(١) بالفتا في أكرامها وظهرنا الفرح والسرور (٢) الجبال (٣) المغازلة والملاعبة (٤) طيات البطون (٥) الحجرة (٦) سكرنا (٧) سكرنا أيضاً (٨) أعطت (٩) أظهرت

وَأَنْقَلَبَ ، وَاكْشَفَ لِلْمُتَأَخِّرِينَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، أَنَّ فِي الْعِنَبِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْحُمْرِ
وَكَانَ الْأَحْرَبِيُّ بِهَذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ (١) بِالنُّحُورِ ، أَوْ تَزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ . فَمَا
هُوَ إِلَّا الْأَوَّلُ ! لَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبَحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّرُّ ، لَكِنْ لَيْسَ
فِيهِ صَغَارٌ (٢)

(وَمَنْ كُنْتَ بِحَرِّ آلِهِ يَا عَلِيُّ لَا يَلْقُطُ الدَّرُّ إِلَّا كِبَارًا)
وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَقْصُ حَبَّةً مِنَ الْحَصَصِ ، فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُوَدِّعُ فِي
الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَائِيا الصَّلُوعِ خُلَاصٌ . فَلَا يَدْعُ أَنْ تَسْتَقِلَّ فِي
حَبَابَتِهِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلِحَ فِي جَنْبِ حَلَاوَةِ رُضَابِ (٣) الْمَحْبُوبِ . وَكَانَ
الثَّرِيَا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ فَعَرَّ (٤) الْهَلَالُ فَاهُ لَعْنَقُودَهَا ، يُرِيدُ أَكْلَهُ . فَهَوَّ يَطَارِدُهَا
فِي السَّمَاءِ ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاءِ ، وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، مَخَافَةَ الْإِلْتِهَامِ .
هَذَا الْجَرْدُ تَشَابَهُ فِي الشَّكْلِ ، فَكَيْفَ بِالْثَّرِيَا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَاوَةُ وَرِيَا (٥) فَلَهُ تِلْكَ
الْعِنَاقِيدُ : وَمَا أَشَدَّ . تَأَلَّقَهَا ! وَأَصْفَى مَاءَهَا وَأَحْسَنَ رَوْقَهَا ! مِنْ كُلِّ عَنَقُودٍ تَخَالَهُ
عُمُودُ الصُّبْحِ أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَّارِيُّ ، أَوْ غُصْنُ الْبَانِ تَعَاقَتْ بِهِ الْقِمَارِيُّ .

فَسَقَى الْغَيْثُ أَرْضًا أَنْبَتَتْهُ ، وَلَا تَلَّ (٦) الدَّهْرُ عُرُوشًا حَمَّاتَهُ ، وَأَرْضَاعَ فِتْنَتَنَا
بِأَثْمَارِهَا حَلَاوَةَ الْجَنَّةِ ، وَأَبْرَزَتْ لَنَا لَحْمَةً مِنْ مَحَاسِنِهَا الْمُسْتَكْنَةِ . وَأَنَسَانَا عِنَبُهَا
ذِكْرَى دِمَشْقٍ (٧) وَأَزْمِيرٍ ، وَأَنَبَانَا غَارِسُهَا أَنْ مَصْرُخِيرٌ مُسْتَقَرٌّ ، وَلَا يُذْبِثُكَ
مِثْلُ خُبَيْرٍ ، وَعُرُوسًا كَالْعُرُوسِ ، تَنِيهِ (٨) فِي الْحُلِيِّ وَالْمَلْبُوسِ ، تَحْسُدُهَا الْمَجْرَّةُ (٩)

(١) يعلق (٢) بضم الصاد الصغير (٣) ريقه (٤) فتح (٥) منظر أحسن (٦) لا همم

(٧) عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشق بن كنعان (٨) تدبجتر (٩) نجوم كثيرة لا تترك
مجرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيري كأنه بقعة بيضاء

بني السماء وتودُّ أن تكون لما حذو البهجة والرواء (١) لازال مولاي مهدي ومهدي
وصنائمه تعيد في ثنائه وتبدي.

(وأجابه المرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)
وبعد . فقد وصل كتاب القاضي الفاضل . وأرج الرجاء بلطف فواضله
وشريف الفضائل . وما كنت أظن أن يحصل من زبيدة خماره ، حتى رأيت
القاضي الفاضل سبكه في قالب شتى وصاغه ، وأتى بما أدهش ألب من أساليب
البلاغة ، فتارة عتداً على الشحور ، وتارة في ميادين الطلب تطاردد البدور ،
وأونة ذراً مكبراً ، ومرة خجراً معبراً ، وساعة دوالي « نجمة » وساعة غصنا
تعلق به المزار (٢) وإليه .

تسكّرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد
سجناً لك أيها الفاضل ! هذا مع اشتغال ذلك ، وإقبالك على ما لديك من
مراعاة عدلك واستدالك ! فكيف لو فرغت لهذا الامر ؟ ولا راحة النفس ،
اعتصرت من العنقود قدحاً من خمر ، وأمتعت (٣) حراف البراع متعباً
مدامج الخمر ، ودعيت (٤) رياض صفحاته بحاسن حلّ النفس (٥) فله أنت
من يلعب ببلغ ما يريد ، وتلد قوائد آدابه كل جيد ! وأفاد السحر مشوراً في فواضله
وأقام بعوامل أقلامه شتيب عوامله ! وأوجب علينا الشهادته له بالسبق ؟ فأدنا
مسلمين وأحق الحق — هذا ، ولولا أن يقال : فلان جفا ، وما احتقل بكتاب أحد
ولم احتقي (٦) وإن كنت شيعي يُلزم مني ذلك ، كالأشباب (اليك) يسالك به

(١) يتم الرء حسن النظر (٢) يتبع انشاء طائر يقال له العنديل (٣) علوت (٤) تمت

(٥) يكسر نحو الجير (٦) ولا سأل

قوم المسالك ، كَسَرْتُ غِيَّيَّ وما أَشْرْتُ ، ورَأَيْتُ طَيِّبًا خَيْرًا لِي مما نَشَرْتُ
جَعَلْتُ كِتَابَ سَيِّدِي فِي عُنُقِي تَمِيمَةً ^(١) وَرَوَّحْتُ النَّفْسَ تَيْمِنًا ^(٢) بِمِسِّ
يَاثِهِ الْكَرِيمَةِ . وَقُلْتُ : كَهَانِي مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ مِنْ قَلَائِدِهِ ، حَيْثُ الْعَبْدُ لَا يَبْلُغُ
الْفَخَامَةَ كَمَا لِسَيِّدِهِ .

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٍ أَيْعَمِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ
لَا زَالَتْ بُرْدُ التَّرْسُلِ بَيْنَنَا مُسْتَمِرَّةً ، وَمُدَّدُ التَّوَصُّلِ عَلَى جَنَاحِ التَّقَرُّبِ
سُتَقَرَّةً ، وَلَا يَبْحُ الْجَنَابُ فِي كُلِّ بَدَايَةٍ ، يَتَرَقَّى كَمَا يَحِبُّ مِنْ غَايَةٍ إِلَى غَايَةٍ
السَّلَامُ .

(الفصل الثالث عشر في رسائل الوصايا والشفاعات)

(مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي غَزْوَةِ الْفَرَسِ)
إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَشَرَةٍ وَلَا قَلَّةٍ ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ
الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ، وَطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ
وَنَحْنُ عَلَى مُوَعُودٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ - وَمَكَانُ الْآيَمِ
بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخُرْزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ، فَإِذَا انْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ الْخُرْزُ وَذَهَبَ
ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَافِيرِهِ أَبَدًا

وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهَمَّ كَثِيرُونَ بِالسَّلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ
فَكُنْ قُطْبًا - وَاسْتَدِرَّ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلَهُمْ دُونُكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ
شَخِصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى
يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

(١) مَا تَكْتُبُ وَتَعْلُقُ فِي عُنُقِ الصَّيَّانِ لِلْخُرْزِ (٢) تَبْرَكَ

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ . فَاذَا قَطَعْتُمُوهُ
إِسْتَرَحْتُمْ : فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكُمْ وَطَمَعِهِمْ فِيكُمْ ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ
مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكُمْ . وَهُوَ
أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ عَدَدِهِمْ فَأَنَا لَمْ نَكُنْ نَقَاتِلُ فِيمَا
مُضِي بِالْكَثَرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نَقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ .

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَهَا بِصَفَيْنِ)

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ
مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ - فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ
لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ
أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ
عَلَى عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ . وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ
عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةً أَثْنَوَابَ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا
بِمَاهُوَ مِنْ أَلْزِيدِ أَهْلِهِ ، ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَقَّقِهِ حَقُّوفاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى
بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَنَكُّافًا فِي وَجُودِهَا . وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ بَعْضُهَا
إِلَّا بِبَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَقُوقِ ، حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ
وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي . فَرِيضَةُ فَرْضِهَا سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ . فَجَعَلَهَا نِظَامًا
لَا لِفَتْنِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلَحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوِلَاةِ ، وَلَا تَصَاحُ الْوِلَاةُ
إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَذَا آدَتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا ، عَزَّ
الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَادِيجُ الدِّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَّتْ عَلَى إِذْ لَا لَهَا
الْأَسْنَنُ . فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ . وَيُسْتَبْرَأُ الْأَعْدَاءُ ، وَإِذَا غَابَتْ

الرَّعِيَّةَ وَالْيَهَاءَ، وَأَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ ، إِخْتَسَفَتْ هُنَاكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجُورِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجِّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعَظِلَتْ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحِشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُظَلٍ ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فَعُلَ : فَهُنَاكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارَ ، وَتَعَزُّ الْأَشْرَارَ ، وَتَعْظُمُ تَبْعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَاءِ اللَّهِ حَرَضُهُ ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ، بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا لِلَّهِ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ : وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ، النَّصِيحَةِ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزَلَتُهُ ، وَتَهَدَّيْتُمْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ، بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ مِنْ حَقٍّ مِنْ عَظَمِ جَلَالُ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سَوَاهُ ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلُطِفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ، فَانْهَلَمْ تَعْظُمَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنْ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوَلَاةِ نَسَدَ صَالِحِ النَّاسِ ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونُ جَالٍ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْأَطْرَاءِ وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ ، وَلَسْتُ بِعَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْخَطَا طَلَبَ سُبْحَانَهُ مِنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ ، وَرَبِّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ بِلَاءٍ ، فَلَا تَثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِأَخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي

حَقُّوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا يَدُّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تَكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ. وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ. وَلَا تَخَالِطُونِي بِالمَصَانِعَةِ وَلَا تَظُنُّوَانِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي. وَلَا التَّمَسَّ إِعْظَامَ لِنَفْسِي. فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَمَا كَانَ الْعَمَلُ بِهَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُخْطِئَ. وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِي، إِلَّا أَنْ يَذَنْبِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي. فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عِيْدٌ تَمْلِكُونَ لِرَبِّ لَارَبِّ غَيْرِهِ، يَمْلِكُ مِنْ سَامِلًا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَّى بِهَا جَيْشًا بَعَثَهُ إِلَى الْعَدُوِّ)
فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ كُمْ فِي قَبِيلِ الْأَشْرَافِ، وَسَفَاحِ الْجِبَالِ، وَأَوْتَاءِ النَّهَارِ. كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِذَاءٌ، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا. وَلَتَكُنْ مَقَاتِلَتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ. وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ، لَثَلَا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَعَلِمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عِيُونُهُمْ. وَعَيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ — وَابْيَاكُمْ وَالتَّفَرَّقُوا. فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَ كَمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كَفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمُضَةً.

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَكْتُبُهَا لِمَنْ يَسْتَعْمَلُهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ)
إِنْ طَلَّقَ عَلَيَّ تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارَهَا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ

فانزِلْ بِمَا تُهْمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَيْبَانَهُمْ ، ثُمَّ امْضُ إِلَيْهِمْ يَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُخْذِجِ بِالْتَّحِيَّةِ لَهُمْ ، ثُمَّ قُولِ — عِبَادَ اللَّهِ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيَ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، لَا أَخْذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ . فَهَلْ لِلَّهِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقِّ فِتْوَاهُ إِلَى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : لَا . فَلَا تَرَا جَعَهُ . وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ ، فَأَنْطَلِقْ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَفِّفَهُ وَتُوعِدَهُ ، أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهَقَهُ . فَخَذُّ مَا عَطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ ، فَلَا تُدْخِلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ . فَإِنْ أَكْثَرَهَا اللَّهُ . فَإِذَا أُتِيَتْهَا فَلَا تُدْخِلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ ، وَلَا عَنِيْفٍ بِهِ وَلَا تُتَفَرَّنَ بِهِيْمَةً ، وَلَا تُفَرِّغْ عَنْهَا ، وَلَا تُسَوِّأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا ، وَاصْدَعْ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرِهِ ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تُعَرِّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ . ثُمَّ اصْدَعْ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرِهِ . فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تُعَرِّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ . فَلَا تَزَالْ بِذَلِكَ حَتَّى يَبْقِيَ مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ . فَإِنْ اسْتَمَالَكَ فَأَقْلَهُ . ثُمَّ اخْلُطْهُمَا . ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ ، وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرَمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقَ بدينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَوْصَلَ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ . وَلَا تُتَوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيعًا وَأَمِينًا حَفِظًا غَيْرَ مَعْتَفٍ وَلَا مُجَحِّفٍ وَلَا مُغْلِبٍ وَلَا مُتَعَبٍ . ثُمَّ أَحْذَرِ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصِيرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ ، فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحْوِلَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا ، وَلَا يَمْصُرُ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلَهَا ، وَلَا يَجْهَدُ نَهْأَ رُكُوبًا . وَلْيُعْدِلْ بَيْنَ صَوَابِحَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا : وَلْيُرَفِّقْ عَلَى اللَّأْغِبِ ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِمِ وَلْيُورِدْهَا مَا تَمَرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ . وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جِوَادِ الطَّرِيقِ وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ ، وَلْيُيَمِّهَاطِهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالْأَعْشَابِ ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ

بذنا مُتْنِيَات، غير مُتَعَبَات ولا مَجْهُودَات، اِنْتَمَسَمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَانْ ذَلِكَ أَعْظَمُ لَأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُ الدُّنْيَا - أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمُخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا، أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُهَا؟! أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟! مَتَى اسْتَهْوَتْكَ؟! أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟! أَمْ صَارَ آبَاؤُكَ مِنَ الْبِئْسَى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَمَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟! كَمْ عَلَّتْ بِكَفِّكَ؟! وَكَمْ مَرَضَتْ بِيَدَيْكَ؟! تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْيَاءَ، لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِنْشَافُكَ، وَلَمْ تَسْعِفْ بِطِبِّكَ، وَأَمَّا تَدْفَعُ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ. وَقَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا. وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا؟ وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا. وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبَّحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ فَمَنْ ذَا يَذُمُهَا وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنَهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِبِلَاءِهَا الْبَلَاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ، رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا، وَتَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا. فَذَمُّهَا رَجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ، وَحَدِّهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ذَكَرَ تَهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَقُوا، وَوَعَّظَتْهُمْ فَاتَّقَوْا

« عَهْدُ الْإِمَامِ عَلَى الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ لِلْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَشْرَثِ النَّخَعِيِّ »

(حِينَ وَلَاهُ مَصْرَ جَبَايَةَ خَرَجَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)

اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُولٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرِ. وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ. وَيَقُولُونَ فِيكَ كَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ. وَأَنَا يَسْتَدِلُّ عَلَى

الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عباده - فليكن أحب الدخائر اليك ذخيرة العمل الصالح . فإمالك هواءك ، وشح نفسك عمالاً يجل لك . فإن الشح بالنفس الإيصال منها فيما أحببت أو كرهت - وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم واللفظ بهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلمهم . فانهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق . يفرط منهم الزلّ ، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ . فأعطيهم من عفوك وصفحك ، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه . فإنك فوقهم ، وإلى الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولأك ، وقد استكفأك أمرهم وابتلاكهم . ولا تصب نفسك لحرب الله . فإنه لا يدي لك بنقمة ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته . ولا تتدمن على عفو ، ولا تهبجن بمقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن إني مؤمر أمر فاطاع ، فإن ذلك ادغال في القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير . وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن اليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويوفي اليك بما عزب عنك من عقلك . وإياك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته . فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال . أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلاك ، ومن لك فيه هوي من رعيته . فإنك إن لم تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خصمه الله أدحض حجته ، وكان الله حرباً حتى ينزع ويتوب ، وليس شيء أذى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المظلومين ، وهو للظالمين بالمرصاد

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمَقُهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَاءِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَّةِ يَجْجِفُ بِرِضَاءِ الْخَاصَّةِ . وَأَنْ سَخَطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَقَرُ مَعَ رِضَاءِ الْعَامَّةِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْثُونَةً فِي الرَّجَاءِ ، وَأَقْلَ مَوْثُونَةً فِي الْبُلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْخَافِ ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَيْطَأُ عِندَ الْمَنَعِ ، وَأَخْفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ . وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ . فَلْيَكُنْ صَفْوَكُ لِهَمِّ وَمِثْلِكَ مَعَهُمْ . وَلْيَكُنْ أَبْدَرُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلِبَهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا ، الْوَالِي أَحَقُّ مِنْ سِتْرِهَا ، فَلَا تَكْشِفِنْ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يُحْكِمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ . فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ . يَسْتُرُ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَجِبُ سِتْرُهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ . أَطْلُقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةً كُلِّ حَقْدٍ ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَالٍ يَسْحُ لَكَ . وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٍ . وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ - وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَلَا يُعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ . وَلَا جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ . وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ . فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَرٍّ ، يَجْمَعُهَا سَوْدُ الظَّنِّ بِاللَّهِ . إِنْ بَشَّرَ وَزَرَّاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِيرًا . وَمَنْ شَرَّ كَهْمٍ فِي الْأَسْأَمِ ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةٌ . فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مَنْ هُوَ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَازِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ . مَنْ لَا يُعَاوِنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ ، وَلَا يَأْتِمُرُ عَلَى إِثْمِهِ . أُولَئِكَ أَخْفَى عَلَيْكَ مَوْثُونَةٌ ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَوْثُونَةٌ ، وَأَحْسَنُ عَلَيْكَ عِظْفًا ، وَأَقْلَى لِعَيْرِكَ إِفْئًا . فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً كَلُوفَاتِكَ وَحِفْلَاتِكَ . ثُمَّ لْيَكُنْ أَكْرَهَهُمْ عِنْدَكَ أَفْوَلَهُمْ . لَكَ بِمَرِّ الْحَقِّ ، وَأَقْلَبِهِمْ مُبَاعِدَةً

فَمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لَا وَلِيَّائِهِ، وَاقْعَا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ
 . . . وَالضُّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ . ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُقُوا ، وَلَا يُبْجَحُوا بِبَيِّنَاتٍ
 لَمْ تَفْعَلْهُ . فَإِنْ كَثُرَ الْإِطْرَاءُ تُحْدِثُ الزُّهْوَ ، وَتُدْخِلُ مِنَ الْعِزَّةِ . وَلَا يَكُونُ نَأْيُ الْحَسَنِ وَالْمُسَىءِ
 عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ . فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ ، فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيبًا
 لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ . وَالزُّيْمُ كَلَامٌ مِنْهُمْ مَا أُلْزِمَ نَفْسُهُ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ
 شَيْءٌ بِأَذْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ آلٍ بِرَعِيَّتِهِ ، مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَوَاقِفَ
 عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاحِهِ إِيَّاهُمْ ، عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ . فَيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْمَعُ
 لَكَ حَسَنَ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ . فَإِنْ حَسَنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا . وَإِنْ أَحَقَّ
 مِنْ حَسَنَ ظَنِّكَ بِهِ ، لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ . وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ سَاءَ ظَنِّكَ بِهِ ، لَمَنْ
 سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ . وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا
 الْأَلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ . وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِمَّا مَضَى مِنْ تِلْكَ
 الْبَنِينَ ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَبَّهَا ، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا . وَأَكْثَرُ مَدَارَسَةِ
 الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ
 بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلَحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غَيْرُ
 بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ ، وَمِنْهَا كِتَابُ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَمِنْهَا قَضَاةُ الْعَدْلِ
 وَمِنْهَا عُمَالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجُزْيَةِ وَالْحَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةُ
 النَّاسِ ، وَمِنْهَا التَّجَارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ
 وَكُلًّا قَدْ سَمَّى اللَّهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حِدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ ، أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَ نَاحِفٍ وَحَفَظًا . فَالْجُودُ بِأَذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ ، وَرَيْنُ الْوَلَاةِ ، وَعِزُّ
 الدِّينِ ، وَسُبُلُ الْإِيمَانِ ، وَلَيْسَ يَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ . ثُمَّ لَا قِيَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يَخْرُجُ اللَّهُ

تعالى لهم من الخراج ، الذي يَقَوِّنُ به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم - ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة ، والعمال ، والكتاب ، لما يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ، وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مزايقهم ، وبقيمونهم من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ، مالا يبلغ رفق غيرهم . ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفقهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة . ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه . وإيس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك ، إلا بالاحتمام والاستعانة بالله ، وتوطئ نفسه على لزومه الحق ، والصبر عليه ، فيما خفَّ عليه أو ثقل . فوال من جنودك ، أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولا ممالك - وأطهرهم جيباً وأفضلهم حملاً ممن يبطن عن الغضب ، ويستريح الى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبئ على الأقوياء ، ممن لا يثيره العنف . ولا يقعد به الضعف . ثم ألصق بذوى المروآت والأحساب . وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ، ثم أهل التجارة والشجاعة ، والسخاء والسماحة . فانهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف - ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما . ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به - ولا تحقرن لطفاً تتعاهدهم به وإن قل . فانه داعية الى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف أمورهم انكلاً على جسيمها . فان ليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقفاً لا يستغنون عنه - وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من وآسأهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتي يكون همهم همّاً واحداً في جهاد

العدو ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وإن أفضل قرّة عين الولاة
استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية . وإنه لا تظهر مودتهم إلا بإسلامة
صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحببتهم على ولادة أمورهم ، وقلة استئصال
دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم . فأفصح في آمالهم . وواصل في حسن الثناء
عليهم ، وتعديل ما أبلى ذؤو البلاء منهم . فان كثرة الذكركر لحسن فعالهم هز الشجاع
وتحرّض الناكل إن شاء الله تعالى - ثم اعرّف لكل امرئ منهم ما أبلى ، ولا
تضيف بلاء امرئ الى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك
شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امرئ أن تستصغر
من بلائه ما كان عظيماً . وازدّد إلى الله ورسوله ما يصلحك من الخطوب . ويشتهبه
عليك من الامور ، فقد قال سبحانه لقوم أحب إرشادهم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ . فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » فالرّد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرّد إلى الرسول
الاخذ بسنّته الجامعة غير المفرقة - ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك
من لا تضيق به الامور ولا تمحّكه الخصوم ، ولا يبادى في الزلة ، ولا يحصر
عن الفىء الى الحق إذا جرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأذن فهم
ذون أقصاه ، أوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرّماً بما يجر اجمعة الخصم .
وأصبرهم على تكشيف الامور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه
إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل - ثم أكثر تماهد قضائه ، وافصح له
فى البذل ما يزيح غلته . وقلّ معه حاجته إلى الناس . وأعطه من المنزلة لديك ما لا
يطمع فيه غيره من خاصتك ، لتأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك . فانظر في ذلك

نظراً بليغاً ، فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوى
وطلب به الدنيا - ثم انظر في أمور عمالك ، فاستعلمهم اختباراً ، ولا تؤلمهم
محاباةً وأثرةً ، فانهم يُجمعون من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة
والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام ، فانهم أكرم أخلاقاً وأصح
أعراضاً ، وأقل في المطامع إشراقاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً . ثم أسبغ عليهم
الأرزاق ، فان ذلك قوة لهم علي استصلاح أنفسهم ، وغني لهم عن تناوُل ما تحت
أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو خانوا أمانتك - ثم تفقد أعمالهم
وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فان تعاهدك في السر لا مورهم
حدوة لهم علي استعمال الأمانة والرفق بالرعية . وتحفظ من الأعوان ، فان أحد
منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت
بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبتة
بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة - وتفقد أمر الخراج بما يصلح
أهله ، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم .
لأن الناس كلهم عيال علي الخراج وأهله - وليكن نظرك عمارة الأرض ، أبلغ
من نظرك في استجلاب الخراج ، لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب
الخراج بغير عمارة أخرج البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فان
شكوا ثقلأ أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اعتمرها غرق ، أو
أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم . ولا تثقلن
عليك شيء خففت به المؤونة عنهم . فانه ذخير يعودون به عليك في عمارة بلدك
وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم .

مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرَتْ عَنْدهُمْ مِنْ أَجْزَائِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدَهُمْ
 مِنْ غَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رَفَقِكَ بِهِمْ، قَرِيبًا حَلَّتْ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلَ فِيهِ عَلَيْهِمْ
 مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسَهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَيْرَانَ يَحْتَمِلُ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يَأْتِي خَرَابُ
 الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يَعُوزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَسُوءِ
 ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ - ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ
 خَيْرَهُمْ، وَأَخْصِ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوُجُوهِ
 صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مَنْ لَا تَبْطُرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِيءُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِكَ يَحْضُرُ
 مَلَأٌ، وَلَا تُقْصِرْ بِهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عَمَّا لَكَ عَلَيْكَ، وَأَوْصِدْ أَرْجَوَاتِهَا عَلَى
 الصُّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يَضْعِفُ عِقْدَ اعْتِقَادِكَ، وَلَا يَعْجِزُ
 عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ. فَإِنَّ الْجَاهِلَ يَقْدِرُ
 نَفْسَهُ، يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجَلًا، ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ
 وَحَسَنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَحَسَنِ
 خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْإِمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوْا
 لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمَدْ لِحَسَنِهِمْ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا. وَأَعْرِفْهُمْ بِالْإِمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ
 دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وَهَبْتَ أَمْرَهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا
 مِنْهُمْ لَا يَقْرَهُ كَبِيرُهُا، وَلَا يَنْتَسِلُطُ عَلَيْهِ صَغِيرُهُا. وَمِنْهَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبِ
 فِتْنَايَتِ عَنْهُ الرِّمَّةَ. ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرَ
 الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ، وَالمُتَرَفِّقِ بِيَدِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ
 وَجَلَابِهَا مِنَ الْمُبَاعَدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِمْ
 النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سَلْمٌ لَا تُخَافُ بَاتِقَتَهُ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى

غائله. وتفقّد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة، وعيب على الولاية. فامنع من الاحتكار، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه. وليكن البيع بيعاً سَمَحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تُجحف بالفرقة بين من البائع والمُبتاع. فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فكُل به وعاقب في غير إسراف. ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين، والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمني. فان في هذه الطبقة قانعاً ومغترّاً واحفظ الله ما استحقّك من حقه فيهم. واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من ثلاث صوافي الاسلام في كل بلد، فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فانك لا تعذر بتضييعك التساه لاحكامك الكثير المهم. فلا تُشخص همك عنهم، ولا تُصعّر خدك لهم، وتفقّد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقهّمه العيون، وتحتقره الرجال، ففرغ لا ولتلك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع اليك أمورهم. ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه. فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه اليه، وتعبّد أهل اليُسّم وذوى الرقة في السن من لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعد الله لهم. واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتعد عنهم جندك وأعوانك من أحرّاسك وشرطك، حتى يكلّمك متكلمهم غير مُمتنع. فاني

سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطنٍ : « لن تقدس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حمة من القوى غير مُتَتَعَتِع »

ثم احتمل الخرق منهم والعِي ، وسنح عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطيتَ حينئذٍ وأمنع في إجمال وإعذار

ثم أمورٌ من أموركَ لا بدَّ لك من مباشرتها ، منها إجابةُ عمَّا لك بها يعينا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يومَ ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك . وأمض لكل يومٍ عمله . فإنَّ لكل يومٍ ما فيه . واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت ، وأجزَل تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت النية وسلمت منها الرعية . وليكن في خاصة ما تُخلصُ الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة . فأعط الله من بدئك ، في إيلك ونهارك . ووفَّ ما تقرَّبَ به إلى الله سُبْحانه من ذلك كاملاً غيرَ مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدئك ما بالغ . وإذا قمتَ في صلاتك للناس فلا تكوننَّ مُنفراً ولا مُضيعاً ، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم ؟ فقال : « صلَّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمومنين رحماً »

أمَّا بعدُ - فلا تطوِّلنَّ احتجابك عن رعيته ، فإن إحتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحقُّ بالباطل . وإنما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس

به من الأمور، وليست على الحق سيايت تعرف بها ضرر، وب الصدق من الكذب وإنما أنت أحدر جليلين: إمّا أمرؤ سيخت تفيك بالبذل في الحق، ففهم احتجباك من واجب حق تعطيه! أو فعل كريم تسديه؟! أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسؤا منك بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك، مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلّمة، أو طلب إنصاف في معاملة!

تمّ انّ لو إلى خاصة بطانة - فيهم استئثار وتناول، وقلة انصاف في معاملة. فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من خاشيتك وخاصةك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب، أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم فيكون بمنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، وأقفاً ذلك من قرابتك وخاصةك حيث وقع، وابتغ عاقبة بما يشغل عليك منه، فان مغبة ذلك محمودة، وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصغر لهم بمذرك، وأعدل عنك ظنونهم باصحارك. فان في ذلك رياضة منك لنفسك، ورقيقاً برعيّتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويم على الحق. ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك، والله فيه رضا. فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فان العدو ربما قارب ليعتغل. فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وأرع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت. فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم. وتشتت

آرآئهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دُونَ
المُسلمين ، لما استَوْبَوْا من عَوَاقِبِ الغَدَر . فلا تَغْدِرَنَّ بِدِمَّتِكَ ، ولا تَخْسَنَ بعهدك
ولا تَخْتَلِنَ عِدْوَك ، فانه لا يجترىء عَلَى اللَّهِ إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده
وذمته أَمْنًا أَفْضَاهُ بين العبادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيْمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ ، وَبَسْتَفِيضُونَ
إِلَى جِوَارِهِ ، فلا إِدْغَالَ ولا مَدَالِسَةَ ولا خِدَاعَ فِيهِ ، ولا تَعَقُّدَ عَقْدًا تَجُوزُ فِيهِ الْعُلَلُ
ولا تَعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّائِبِ كَيْدَ وَالتَّوَهُُّقَةِ . ولا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ
فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . فان صَبَرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُوا انْفِرَاجَهُ
وَفَضَلَ عَاقِبَتَهُ ، خَيْرٌ مِنْ غَدَرٍ تَخَافُ تَبَعْتَهُ ، وَأَنْ تَحِيطَ بِكَ فِيهِ مِنْ اللَّهِ طَلِبَةٌ ، فلا
تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ

إِيَّاكَ وَالْدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حَالِهَا ، فانه ليس شيءٌ أَدْعَى لِنِعْمَةٍ ، ولا أَعْظَمَ
لِتَبَعَةٍ ، ولا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَأَنْتَ قَطَاعُ مَدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَوَلَّى الْحُكَمَاءَ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فلا
تَقْوِينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دِمِّ حَرَامٍ ، فانَّ ذَلِكَ مِمَّا يَضَعِفُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يَزِيلُهُ
وَيَثْقِلُهُ ، وَلَا عَذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ . لَأنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ
وَإِنْ ابْتُلِيتَ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ ، فانَّ فِي الْوَكْزَةِ
فِيهَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ . فلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ ، عَنْ أَنْ تَوْدِيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ
حَقَّهُمْ . وَإِيَّاكَ وَالْأَعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَّةَ بِمَا يَعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ . فانَّ
ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ ، لِيَمَحُقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْحَسَنِينَ .
وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّزْيِيدِ فِيهَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ
فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فانَّ الْمَنْ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالتَّزْيِيدُ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ

رَبِّهِ . الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ امْكِانِهَا ، أَوْ
اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ ، أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحْتَ ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ
وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ . وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَأُ ، وَالنَّغْيَابَ
عَمَّا يَغْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ الْعُيُونُ ، فَانْهَ مَأْخُودُكَ مِنْكَ لَغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ
عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ . أَمَّا حِمِيَّةُ أَنْفِكَ ، وَسُورَةُ حَدِّكَ
وَسَطْوَةُ يَدِكَ ، وَغَرَبَ لِسَانِكَ ، وَاحْتِرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ
السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى
تَكْثُرَ هُمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ وَالْوَاجِبِ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ
تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مَعَامِلَنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي
اتِّبَاعِ مَا عَهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْفَقْتُ بِهِ مِنَ الْحِجَةِ لِنَفْسِي دَلِيلَكَ
لِكَيْلَا يَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ
وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَا مِنْ الْإِقَامَةِ
عَلَى الْعِزِّ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ مِنْ حَسَنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَجَمِيلِ الْإِثْرِ فِي
الْبِلَادِ ، تَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
(وَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الْمَتَوَفَى فِي ٧ جُمَادِ الثَّانِيَةِ سَنَةِ ١٣ هـ إِلَى بَعْضِ قُرَّادِهِ)
إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْنَفْ أَصْحَابُكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبِهِمْ ، وَشَاوِرْ ذَوِي

الآراء منهم واستعمل العدل، وباعد عنك الجور، فانه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصرُوا على عدوهم (وإذا لقيتم الذين كفروا زُحفاً ^(١) فلا تولوهم الأذبار ^(٢)) ومن يولّهم يومئذ بُره، إلا مُتَحَرِّفاً ^(٣) لقتال، أو مُتَحِيزاً ^(٤) إلى فئة، فقد بَاءَ بَغَضٍ من الله) وإذا نصرْتُم عليهم، فلا تسلوا شيخاً، ولا امرأة، ولا طفلاً، ولا تحرقوا زرعاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تدبجوا بهيمة، إلا ما يُلْزِمُكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم ^(٥) ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون على أقوام في الصوامع، رُهبان ترهبوا الله، فدعوهم، وما انفردوا إليه وارتضوه لآفسهم، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم - والسلام

« وكتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٢ هـ الى بعض قواديه »
 أمّا بعد : فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك، أشدّ احتراًساً من المعاصي منكم من عدوكم، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لان عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم. فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة (وإلا ننصر عليهم بطاعتنا، لم تغلبهم بقوتنا) واعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظَةُ من الله، يعلمون ما يفعلون. فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم

وأقيم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة، حتي تكون لهم راحة يُخَيُّون

(١) مجتمعين استكثرهم يزحفون (٢) الالهزام

(٣) ومتعظاً (٤) منفيها الى جماعة يستنجد بهم (٥) صالحتهم

فيهما أنفسهم، ويرمُون أسلحتهم وأمتعتهم . ونَحَّ منازلهم عن قَرَيِ أَهْلِ الصُّلْحِ والذِّمَّةِ ، فلا يدْخُلُها من أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِهِ - وليكن منك عند دُنُوكَ من أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَايعُ ، وَتُبْثَ السَّرَايَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ، وَتَقِظَ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلَّى النَّصْرَ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ،

(وكتب أبو الفضل بديع الزَّمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ إلى ابن أخته)
أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ : وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ ، وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ ، وَالْمُخْبَرَةُ حَافِيكَ
وَالدَفْتُرُ أَلْفِكَ . فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلَا إِخَالَكَ ، فَعِزِّي خَالَكَ - وَالسَّلَامُ

« وَمَنْ وَصِيَّةُ ابْنِ سَعِيدِ الْمَغْرِبِيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٩٦٧ هـ لِابْنِهِ وَقَدْ أَرَادَ السَّفَرَ »

أَوْدِعْكَ الرَّحْمَنُ فِي غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطْلُ حَبْلَ النَّوْيِ إِنِّي	وَاللَّهُ أَشْتَقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَاخْتَصِرِ التَّوْدِيحَ أَخْذًا فَمَا	لِي نَاطِرٌ يَقْوِي عَلَى فَرْقَتِكَ
وَأَجْعَلْ لَوْصَانِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا	تَبْرَحْ مَدْيَ الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةَ الْعُمُرِ الَّتِي حَنَكْتَ	فِي سَاعَةٍ زُفَّتْ إِلَى فِطْنَتِكَ
فَلَا تَجَارِبِ أُمُورًا إِذَا	طَالَعَتْهَا تَشْحُدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً	فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ
وَكُلْ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوْيِ	إِيَّاكَ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرِي أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ	وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ تَشْيِيمَتِكَ
وَأَمْشِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عِفَّةً	وَابْعِزْ ضَالِّ الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْئَتِكَ
وَانْطِقْ بِحَيْثُ الْعِيِّ مُسْتَقْبَحُ	وَاصْمُتْ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكْتِكَ

وَلِيَجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ
وَوَفَّ كُلاًّ حَقَّهُ وَلِتَسْكُنَ
وَحَيْثُمَا خِيَمْتَ فَاقْصِدْ إِلَى
وَالرِّزَايَا وَثَبَّةٌ مَا لَهَا
وَلَا تُلْ أَسْلَمَ لِي وَحَدَّثِي
وَلِتَجْعَلَ الْعَقْلَ مُحْكَمًا وَخُذْ
بِوَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَظَاهِمِ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصِيحِهِ
إِيَّاكَ أَنْ تُقَرِّبَهُ إِنَّهُ
وَأَنْهُمْ مُؤَمَّنُونَ النَّبَتْ قَدْ زَارَهُ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَانًا مُمَكَّنًا
وَالشَّرَّ مَهْمَا اسْطَعْتَ لَا تَأْتِرْ
وَاقْصِدْ لَهُ مَا عَشْتُ فِي بَكْرَتِكَ
تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
صُحْبَةٌ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نَصْرَتِكَ
إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
فَقَدْ تَقَاسَى الذِّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
كُلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَاصْبِرْ أَخِيرَ غَيْبٍ فِي صَحْبَتِكَ
وَفِكْرُهُ وَقِفْ عَلَى عَثْرَتِكَ
عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كَرْبَتِكَ
غَيْبَ النَّاسِ وَاسْمُ إِلَى قَدْرَتِكَ
تَذَكَّرُهُ يَذْكُرُ لِي حَسْرَتِكَ
فَانَهُ جَوْرٌ عَلَى مَهْجَتِكَ

يَا بُنَيَّ: الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي ، وَلَا مَنصُوحَ لِي مِثْلِهِ - قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ فِي
هَذَا النِّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرَهُ بِطَارِكٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ (إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ ، وَأَعْلَقَ بِالْفِكْرِ ، وَأَحَقَّ بِالتَّقْدِيمِ
قَوْلُ الْأَوَّلِ

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ فَمِنْهُمْ حَسَنُ الْإِدْبِ
وَنَائِبَةُ حُسْنِ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ

وَاصْغِ يَا بُنَيَّ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ، وَسَلِّمْ الْكَرَمَ وَالصَّبْرَ
وَكُلَّ أَنْ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكُنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْأَدَابَ

إِذْ حُسِنَ الْخَلْقُ أ كَرَّمَ نُزِيلٌ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٌ . وَلِتَسْكُنَ كَمَا قَالَتْ
بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كَأَمَّا طَرَأَ عَلَى مَلَكٍ فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصْدٌ
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ

وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ ، فَاجْمَلِ التَّكْلِفَ لَهُ
سُلَامًا ، وَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ ، وَحُلَّ بِطَرْفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ
وَانْزِلْ بِقَلْبِهِ نَزُولَ الْمَسْرَةِ ، حَتَّى يَتِمَّ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فِيكَ اعْتِقَادُهُ
وَيُطَهِّرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ ، وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ
لَكَ مِنْهُ ، يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَةٍ ، أَوْ حُسُودَ لَهُ يُغَارُ لَتَجَمُّلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ
هَذَا : فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صُحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدَ بِدَوَامِ رِقْدَتِهِ ، فَقَدْ يُدَبِّهُ الزَّمَانُ ، وَيَتَغَيَّرُ
مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ ، وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِيعَارًا ، وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ
وَجْهِ بِمِثَالِهِ — وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَةِ : « مِنْ سَبَقَكَ يَوْمٌ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلِ » . فَاحْتَذِ
بِأَمْثَالِهِ مَنْ جَرَّبَ ، وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جَهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنَ الْأَقْوَالِ
فَانْهَا خُلَاصَةَ عُمْرِهِمْ ، وَزُبْدَةَ تِجَارَتِهِمْ . وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عَنَّاكَ ، فَإِنَّ النَّظَرَ فِيمَا
تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولَ أَعْيَارِهِمْ ، وَابْتِغَاؤُهُ عَالِيًا بِتِجَارَتِهِمْ ، يُرَبِّحُكَ ، وَيَقِمُ
عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ وَتَجَرِبَةٌ ، فَاسْتَفِدْ مِنْهُ ، وَلَا تَضَيِّعْ
قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ ، فَإِنْ فِيمَا تَلَقَّاهُ تَلْقِيحًا لِعَقْلِكَ ، وَحَثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً

وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يُحْسِنُ بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ ، حَتَّى اتَّبِعْ بَرِّهَ
فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ ، مُصْلِحًا لِحَالِكَ ، فَرَاعَ ذَلِكَ عِنْدَكَ ، وَإِلَّا فَانْبِذْهُ نَبَذَ النَّوَاةِ
فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يُتَّبَعُ ، وَلَا كُلُّ تَخَصُّصٍ يُكَلِّمُ ، وَلَا الْجُودُ مِمَّا يَعْمُ بِهِ ، وَلَا
حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ — وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَالَى لَا أَوْفَى الْبَرِيَّةِ قِسْطًا عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطَى وَعَقْلَى مِيزَانٍ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْطِي مَنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمَعَامِلَةِ الْكُفِّ .
وَلَا الْكُفَّ بِمَعَامِلَةِ الْأَعْلَى ، وَلَا تُضَيِّعْ عَمْرَكَ فِيمَنْ يُعَامِلُكَ بِالْمَطَامِعِ ، وَيُثَبِّتُكَ
عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ ، بِغَائِبَةِ آجَلَةٍ ، وَلَا تُجْهِدِ النَّاسَ بِالْجَلَّةِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ
ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقَ مِنْهُ مَالٌ ، وَلَا ضَجَرٌ ، وَلَا جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا ، فَعَلَى
حُسْنَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ . فَإِنَّكَ لَا تَذَرَى هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ ! فَلِذَلِكَ قَالَ
الْأَوَّلُ : « وَلَمَّا مَضَى سِلْمٌ بَكَيتُ عَلَى سِلْمٍ » - وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ .

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَاحْرَصْ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ « ثَلَاثَةٌ تَبْقَى لَكَ الْوُدُّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ
أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ الْمَجْلِسَ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، وَاحْذَرِ
كُلَّ مَا يَبْنِيهِ لَكَ الْقَائِلُ : « كُلُّ مَا تَعْرِسُهُ تَجْنِيهِ ، إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِذَا غَرَسْتَهُ
يَقْلَعُكَ » . وَقَوْلُ الْآخَرِ : « إِنْ ابْنَ آدَمَ ذُتِبَ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسْدُ مَعَ الْقُوَّةِ »
وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . وَيَحْكِي أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ
خَطَبَ مِنَ الْخَلِيلِ صُحْبَتَهُ ، فِجَاوَبَهُ : « إِنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رَقًى فِي يَدَيْكَ
حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتْكَ » . وَاسْتَمَلَ مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَفَقَّدَ فِي
فَلَتَاتِ الْإِلْسَانِ ، وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ
أَنْ لَا تُبَيِّنَهُ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحَ السَّلَامِ ، وَبِالْأَنْبِيَاءِ يُعْرَفُ أَلَمُ الْجُرْحِ . وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ خَايَةً ، تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ

وَحِذْرٍ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَعَ عَيْنًا بِعَمِيشِهِ نَفْعَهُ
إِذَا الْفِكَارُ تَجَلَّبَبَ الْمَهْمُومَ ، وَتَخَافُ الْغُومَ . وَمَلَا زِمَةَ انْقِطُوبِ ، عُنَاوَانِ

المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو والمُجانب ، ولا تنصر
بالوَسَاسِ إِلَّا نَفْسَكَ ، لَا نَكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ — وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ
إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّيْمَانِ فَمَنْ تُلُومٌ ؟ !
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبُ الْحُزْنَ ، وَلَا يَرْغَى بِطُولِ عَيْبِكَ الزَّيْمَانُ
وَلَقَدْ شَاهَدْتُ (بِفِرَاطَةِ) شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ . وَعَشَقَتْهُ الْغُومُ ، وَمِنْ صَغَرِهِ
إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ ، حَتَّى لُقِّبَ « بِصَدْرِ الْهَمِّ »
وَمَنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُتَنَكَّدُ فِي الشَّدَّةِ ، وَلَا يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ
بَعْدَهَا فَرَجٌ ، وَيَتَنَكَّدُ فِي الرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ — وَيَنْشُدُ :
« تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ » وَيَنْشُدُ : « وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَوِّلُ » .
وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّأْنِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عُمُرُهُ مُحْسُورٌ
يَمُرُّ ضِيَاعًا

وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّيْمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا
لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ ، وَتَرْهِيْدًا لَكَ فِيهِ ، فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي
عِلْمِكَ ، وَتَرْكُنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي مَدَحُوهُ ، فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ
مَشْيُ الْحَجَلَةِ ، فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ فَضَعَبَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَفَسَدَ
فَبَقِيَ مَحْبَلُ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :

إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً	فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
حَسَدَ الْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مِشْيَهَا	فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
فَأُضِلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مِشْيَهَا	فَلِذَاكَ كَفُوهُ (أَبَا مِرْقَال)

وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرَكَ مِنْ جَعَلِ يَذْمُ الزَّيْمَانُ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا

كريم ولا فاضل، ولا مكان يُرتاح فيه ، فإن الذين تراحم على هذه الصّنة أكثر ما يكونون من أصحابهم الحرمان ، واستحقت طاعتهم للهوان ، وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوها ، فاستراحوا إلى الوقوع في الناس ، وأقاموا الاعتذار لأنفسهم بقطع أسبابهم . ولا تُزل هذين البيتين من فكرك

لن إذا ما نلت عزاً فأخو العزّ يلينُ
فاذا نابك دهرٌ فكما كنت تكون

والامثال تضربُ لذى اللب الحكيم ، وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم . والفتن يُقعن بالقليل ، ويستدلّ باليسير . والله سبحانه خليفتي عليك لا ربّ سواه

(وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين)

يا أحمراً - إن أمير المؤمنين قد دفع اليك مُهجة نفسه ، وثمرّة قلبه . فصير يدك عليه مبسوطةً ، وطاعته لك واجبةً . فكُن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّاه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضر واجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مُعتمٍ فائدة تفيد إياها من غير أن تحزنه فتُميت ذمته ، ولا تمنع في مُساحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدّة والغلظة

(وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر)

قال أبان بن تغلب، وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة : شهدت أعرابيةٌ
وهي توصي ولداً لها يريد سفرًا، وهي تقول لهُ:
أي بُني : اجلس أمنيحك وصيتي وبالله توفيقك ، فإنّ الوصيّة أجدي^(١)
عليك من كثير عقلك . قال أبان : فوقفتُ مُستمعاً لكلامها ، مستحسناً لوصيتها
فاذا هي تقول : أي بُني - إياك والنّيمة ، فانها تزرعُ الضّغينة ، وتُفِرّقُ بين
المحبّين ، وإياك والتعرّضَ للعيوب فتتخذُ غرراً^(٢) وتُخلِقُ ألاّ يثبت الغرضُ على
كثرة السّهام . وقلمًا اعتوّرت^(٣) السّهامَ غرضاً إلاّ كلمته^(٤) حتي يهي^(٥)
ما اشتدّ من قوّته .

وإياك والجودَ بدّينك ، والبخلَ بمالك . وإذا هزّرتَ فاهزّزْ كريماً يلينُ
لهزّزُك ، ولا تهزّزْ اللّئيمَ فانه صخرة لا ينجر ماؤها
ومثّلُ لنفسك مثال ما استحسننت من غيرك : فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك
فاجتنبه ، فان المرء لا يري عيب نفسه
ومن كانت مودّته بِشره ، وخالف ذلك منه فعله ، كان صديقه منه على مثل
الريّح في تصرّفها . والغدر أقبح ما تعامَل به الناس بينهم . ومن جمع الحِلْمَ
والسخاء ، فقد أجاد الحِلْمَ ريطها وسرّبها

(نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك)

خَرَجَ الزُّهْرَى يَوْمًا مِنْ عِنْدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ
وَلَا سَمِعْتُ كَارِيعَ كَلِمَاتٍ تَكْلِمُ بَيْنَ رَجُلٍ عِنْدَ هِشَامٍ . دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ

المؤمنين : احفظ عني أربع كلمات، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك . قال ما هنّ ؟ قال : لا تعدّ عِدّة ولا تنق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنّك المُرْتَقى . وإن كان سهلاً إذا كان المُنْهَدَرُ وعِراً ، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتق العواقب . وأن للأمور بَغَتَاتٍ ^(١) فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : فحدثت بهذا الحديث (المهدى) وفي يده لُقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها وقال ويحك ! أعد على فقلت يا أمير المؤمنين : أسغ ^(٢) لقمتك . فقال : حديثك أعجب إلىّ

(نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك)

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك : « إني أكلامك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله: فإن وراءه إن قبلته ما تحبّه » . قال : هاته يا أعرابي : فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيباً، الناصح جيباً ^(٣) . قال : « فاني سأطلق لساني بما خسرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا ^(٤) دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنت الله عليه ، فإنهم لم يألوا ^(٥) الأمانة تضيقاً ، والأمة كسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك . فإن أعظم الناس عند الله غبناً من باع آخرته بدنيا غيره » : فقال سليمان : أمّا أنت يا أعرابي فقد سلّلت لسانك

(١) البغّات : جمع بَغْتَة وهي الفجأة . (٢) أساغ اللقمة : ابتلعها . (٣) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أي أمين ، قال الشاعر : « وحدثت صدراً حبيبك ناصح » . (٤) ابتاع : اشترى . (٥) ألا يألوا : قصر . يقال اني لا آلوك نصحاً أي لا أقصره . وقال تعالى : « لا يألونكم خبالاً » أي لا يقصرون في خبالكم وفسادكم .

وهو سيفك . قال : « أجل : يا أمير المؤمنين لك لا عليك »^(١)

(نصيحة فتاة لأبيها)

قالت أعرابية : تنصحن أباها بمجانبة السرف : حبس المال ، أنفع لليال ، من بذل الوجه في السؤال ، فقد قلّ النوال ، وكثّر النجال^(١) . وقد أثلقت الطارف والتلاد^(٢) ، وبقيت تطلب ما في أيدي العباد . ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أو شك أن يسعى فيما يضره

(نصيحة البديع الهمدان لوارث مال)

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزیه وينصح له :

وصلت رُقعتك (ياسيدي) والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالصبر أجدر . والعزاء عن الأجة رُشد كانه الغي ، وقد مات الميت فليحى الحى ، فاشدد على مالك بالخمس^(٣) ، فأت اليوم غيرك بالأمس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وَكِيلك ، تضحك ويبكى لك . وقد مَوَّلَكَ^(٤) مما ألف بين سراه^(٥) وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره . وسيعجم^(٦) الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقوم يقولون : خير المال ما تسلفه بين الشراب والشباب ، وتمنقه بين الحباب^(٧) والأحباب ، والعيش بين القداح والاقداح^(٨)

(١) النجال : جمع نجلى وهو الولد (٢) الطارف : المستحدث من المال وغيره . والتلاد :

جمع تلبد وهو عكس الطارف . (٣) يريد بالخمس الاصابع وهى مؤنثة فى الاكثر .

(٤) موله : اتخذ له مالا . (٥) السرى : سبر الليل . (٦) عجم العود : عضه

ليعرف مبلغ صلابته . (٧) حباب الماء والشراب : فقايعه التى تطفو كأنها القوارير

(٨) القداح : سهام الميسر واحدها قدح كقرد . والاقداح : جمع قدح كجبل وهو وعاء

الشراب

ولولا الاستعمال ، لما أريد المال . فإن أطعمهم فالיום في الشراب ، وغداً في الخراب . واليوم وأطرباً للكس ، وغداً وأحرباً ^(١) من الإفلاس . يامولاي : ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقراً ، والعافل فقراً ، وذلك المسموع من الناي ^(٢) هو في الأذان زمر ، وفي الألباب سمر . وإن لم يجد الشيطان مغزاً في عودك من هذا الوجه ، رماك بأخرين يمشلون الفقر حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرسك ^(٣) ، وتمنع نفسك ، وتبوء في دنياك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك . لا - ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين . لا منع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وصبر عاجل ، وإنما يدخل المرء خيفة ما هو فيه

ومن يُنْفِقِ الساعاتِ في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر فليكن لله في مالك قسم ، وللمرؤة قسم ، فصل الرحم ما استطعت ، وقدر ^(٤) . إذا قطعت ، فلان تكون في جانب التقدير ، خير من أن تكون في جانب التبذير (وصية الرياحي لقومه)

قال الرياحي في خطبته بالمربد ^(٥) :

بابني رياح - لا تحقرُوا صغيراً تأخذون عنه . فإنني أخذت من الليث بسالة ومن الحمار صبره ، ومن الخنزير حرصه ، ومن الغراب بكوره ، ومن الثعلب

(١) الحرب : أن يسلب الرجل ماله وقد حرب ماله أي سلب ومن هذا قولهم : واحربا

(٢) الناي : آلة لازمر (فارسي . عرب) وقد تهز يائه ، وقد جمعه على آيات

(٣) العرس : الزوجة . (٤) التقدير : التروية والتفكير في تسوية أمر :

(٥) المربد : الجرين ثم صار علماً على موضع بالبصرة

روغانه (١) ومن السنور ضرعه (٢) ، ومن القرد حكايته ، ومن السكاب نصرته .
ومن ابن آوى حذرره . ولقد تعلمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور
الحين بعد الحين

(وصية ذى (٣) الأصبع لابنه)

لما احتضر ذو الأصبع العدواني دعا ابنه (أسيداً) فقال له :

يا بُنى : إن أباك قد فني وهو حيّ ، وعاش حتى سئم العيش . وإنى موصيك
بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغته . ألن جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم
يرفعوك . وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم شئ يسودوك . وأكرم
صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم
واسمح بمالك ، وأعزّ زجارك (٤) ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك
وأسرع النهضة فى الصريح (٥) فان لك أجلا لا يعدوك . وصن وجهك عن مسألة
أحد شيئاً ، فبذلك يتم سرودك .

(وصية عبد الله (٦) بن شدّاد لابنه)

قال الكلبي : لما حضرت عبد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابناً له يقال له (محمد)
فقال : يا بُنى ، إنى أرى داعي الموت لا يُقْلِع ، وأرى من مضى لا يرجع ، ومن

(١) الروغان : الملل عن الشيء لتجنب الضرر . (٢) الضرع : الخضوع . (٣) هو
حرثان بن الحارث ، خطيب حاكم ، شاعر فارس ، وهو أحد المعربين فى الجاهلية .
(٤) الجار : المجاور الذى أجرتة من أن يظلم . (٥) الصريح : صوت المستغيث وهو
أيضاً المغيث واحداً أو أكثر . (٦) هو عبد الله بن شداد بن اإلادي اللبثى كان من رجال
الراق ، ومن ذوي المسكنة عند الحجاج ، ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ، ويقال انه قتل
سنة ٨٣ هـ .

بقى فالله يَنْزِعُ^(١) . وإنى موصيك بوصية فاحفظها:
 عليك بتقوى الله العظيم ، وإيكن أولى الأمور بك شكرُ الله ، وحسنُ النيةِ-
 فى السرِّ والعَلَانِيَةِ ، فإن الشُّكُورَ يزدد ، والتقوى خير زاد . وكن كما قال الحُطَيْيَةُ:
 ولست أرى السعادة جمع مال ولكنَّ التَّقِيَّ هو السعيدُ
 وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقي مزيد
 وما لا بُدَّ أن يأتى قريبٌ ولكنَّ الذي يمضي بعيد
 أيُّ بُنَيَّ : لا تَزْهَدَنَّ فى معروف ، فإن الدهر ذو صُرُوف ، والأيام ذاتُ
 نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح
 مطلوباً ما لديه . واعلم أنَّ الزَّمانَ ذو ألوان . ومن يصحب الزَّمانَ يَرِ المَوَانَ . وكن
 أيُّ (بُنَيَّ) كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وعدَّ من الرحمن فضلا ونعمة عليك إذا ما جاء للعُرْف^(٢) طالبُ
 وإن امرأ لا يُرْتَجَى الخير عنده يكن هيناً تَقْلاً على من يصاحب
 فلا تمنعن إذا حاجة جاء طالباً فانك لا تدري متى أنت راغب
 رأيت التَّوَا^(٣) هذا الزمان بأهله وبينهم فيه تكون النوائب
 أيُّ بُنَيَّ : كن جواداً بالمال فى موضع الحق ، بخيلاً بالأُسْرار عن جميع الخلق
 فإنَّ أحمَد جود المرء إلا نفاق فى وجه البرِّ ، وإنَّ أحمَد بخل الحر الضَّنِّ بمكتوم السرِّ
 وكن كما قال قيس^(٤) بن الحُطيم الأَنْصاري :

(١) نزع إليه كبلىس : اشتاق (٢) العرف : المعروف . (٣) التوا مصدر التوى
 وقصره للضرورة ، والتوى به الرمان : اعوج . وآلوي به : أهلكه . (٤) شاعر من أهل
 يثرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناظرة .

أجود بمكنون التلاد وإننى بسرِّك عمّن سألنى لضنين (١)

إذا جاوز الاثنين سرّ فانه بنث وتكثير الحديث قمين (٢)

وعندي له يوماً إذا ما أئتمنتني مكان بسوداء الفؤاد مكين (٣)

أي بُنيّ: وإن غلبت يوماً على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإنّ الكريم يحتال، والدنيّ عيال. وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالاً، أقلّ ما تكون فى الباطن مالا، فإنّ الكريم من كرم طبيعته، وظهرت عنداً (٤) زاد نعمته. وكن كما قال ابن خذّاق (٥) العبدى:

وجدتُ أبى قد آوَرته أبوه خلّالاً قد تُعدّ من المعالى (٦)

فأكرم ما تكون على نفسى إذا ما قلّ فى الارزّامات مالى

فتخسّن سيرتى وأصون عرضى ويَجْمَل عند أهل الرأى حالى

وإن نلتُ الغنى لم أغلُ فيه ولم أخصّ بجفوتى الموالى (٧)

أي بُنيّ: وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإِنَّ أَمْضِيَتَهَا حِيَالُهَا (٨) رجع العيب على من قالها. وكان يقال: الأريب العاقل هو الفطن المتعافل (٩). وكن كما قال حاتم الطائي:

وما من شيمتى شتمّ ابن عمّى وما أنا مُخْلِيف من يرتجيني

(١) سهل الشاعر همزة سأل للوزن. (٢) قطع همزة اثنين للضرورة. ونث الحديث: آفشاء. (٣) سوداء الفؤاد أو القلب وسويداء وسواده وأسوده: جبهته. (٤) الاقتاد: الفقر. (٥) اسمه يزيد وهو شاعر قديم. (٦) نقلت حركة الهمزة من أورث الى الذال وحذفت هي للوزن. والخلال: جمع خلة وهى الحصلة. (٧) غلا فى الأمر غلوا: جاوز الحد. والموالى: الأقارب. يقول ان كتر مالى لم أجف أقاربنى. (٨) حيال ظرف فى معنى ازاء أي ان تركتها تذهب فى طريقها الخ. (٩) فى معنى هذا قول الشاعر:

ليس الغنى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتعافى

وكلمة حاسد في غير جرم سمعت فقلت مرمى فانفذني (١)
فعاوبها على ولم تسؤني ولم يعرق لها يوماً جبيني
وذو اللونين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب يأتيني (٢)
سمعت بعينه فصفت عنه محافظة على حسبي وديني

أي بني: لا تؤاخ امرأ حتى تعاشره، وتتمدد مواعده ومصادره، فاذا
استطعت العشرة، ورضيت الخبرة (٣)، فواخه على إقالة العشرة، والمواصاة في العشرة
وكن كما قال المقتنع الكندي (٤):

أبل الرجال إذا أردت إخوانهم أو توسمن فعالمهم وتفقّد
فاذا ظفرت بذئ اللبابة والتقي فيه اليدنين قرير عين فاشدد (٥)
وإذا رأيت ولا محالة زلة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

أي بني: إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط (٦)، فانه قد كان
يقال: أحببت حبيبك هوئاماً (٧) عسي أن يكون بغيضك يومئداً، وأبغضت
بغيضك هوئاماً عسي أن يكون حبيبك يومئداً. وكن كما قال هذبة (٨) بن

(١) نقذه: جازه. (٢) ائتلى كالأى قصر. يقول: اذا غاب عني فلن يقصر في
نكايي (٣) الخبرة وبغيرها: العلم بالشيء كالإختبار. (٤) هو محمد بن عميرة
والمقتنع لقبه شاعر رصين المباني حكيم المعاني من شعراء الدولة الأموية. (٥) اللبابة مصدر
لب أى صار ذا لب وهو العقل، وكل ما قبل فاشدد من الشطر الثاني معمول له وتكررت الناء
لربط. وكذا في البيت التالي.

(٦) شط وأشط: جاوز الحد. (٧) الهون: الرفق، وما - اما زائدة، واما صفة ذوات
مثلها في قوله تعالى: «ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما» (٨) هو شاعر من شعراء
الدولة الأموية جيد البديهة. وهو القائل

ولست بمفراح اذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا آثمى النمر والنمر تاركى ولكن متى أحل على الشر أركب

الْحَشْرَمَ الْعُذْرِي !

وكن مَعْقِلًا لِلْحِمِّ واصْفَح عن الحُفَا
فأنك راء ما حَيِّيتَ وسمع
وأُحِبُّ إذا أُحِبِّيتَ حُبًّا مَقَارِبًا
فأنك لا تدري متى أنت نَارِعٌ (١)
وَأَبْغِضُ إذا أَبْغِضْتَ بَغْضًا مَقَارِبًا
فأنك لا تدري متى أنت راجع

(الفصل الثاني عشر في رسائل التنصل والتبرؤ)

(كتب أبو الحسن علي بن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ)

(إلى القاسم بن عُبيد الله)

تَرَفَّعَ عَنْ مُظْلَمِي إِنْ كُنْتُ بُرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا . فوالله إني
لَأُطَلِّبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْزِهِ ، وَأَلْتَمِسُ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ ، لِيَزْدَادَ تَطَوُّلاً ، وَأَزْدَادَ
تَذَلُّلاً . وَأَنَا أَعِذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأَحْرَسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ
بَاغٍ يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حِظِّي مِنْكَ ، بِقَدَرِ وَدِّي لَكَ ، وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ
بِمِثْرِ اسْتِحْقَاقِكَ مِنْكَ . والسلام .

(وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون الأندلسي)

(المتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ)

يَا مَوْلَايَ (٢) وَسَيِّدِي (٣) الَّذِي وَدَادِي لَهُ (٤) ، وَاعْتِمَادِي (٥) عَالِيهِ

(١) نزع عن الامر نزوعاً : انصرف وانتهى عنه . (٢) المولى له معان كثيرة والاولى
منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضاً - قال أبو تمام

مولاك يا مولاى صاحب لوعة فى يومه وصباية فى أمسه

دنق يجرود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفا أن يجرود بنفسه

(٣) السيد من ساد على قومه ارتفع - وهو اخص مما قبله وذكر ليزيد الاستعطاف (٤) محبتي
(٥) اتكالى

واعتدادي^(١) به ، وامتدادي^(٢) منه ، ومن أبقاه الله ماضي^(٣) حَدَّ العزم^(٤) واري^(٥) زَنْد^(٦) الأمل^(٧) ، ثابت^(٨) عهد^(٩) النعمة ، إن سَلَبْتَنِي^(١٠) أعزَّكَ^(١١) الله لباس^(١٢) نعمائك ، وعظمتي^(١٣) من تُحلي^(١٤) إيناسك^(١٥) وأظمأتني^(١٦) إلى بُرود^(١٧) إسعافك^(١٨) وَنَفَضْتَ^(١٩) بي كفَّ حياطتك^(٢٠) وغلضت^(٢١) غني طرف^(٢٢) حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي^(٢٣) لك ، وسمع الأصم ثنائي^(٢٤) عليك ، وأحسن الجادُ باستِحْمدادي^(٢٥) اليك .

(١) عدت ليوم حاجتي (٢) مزيد خيري (٢) قطع (٤) قوة الارادة: أي لا يعزم على أمر الا أمضاء (٥) الوري خروج النار من الزند وقت الاقتداح (٦) مقدمة (٧) الرجاء (٨) متمكن ومتوثق (٩) ميثاق أي ان نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبداً وان محبته مقصورة عليه، وانه هو المتجأ اليه، وانه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره نيت متتابع وانه لحس افتتاح وبراعة استهلال (١٠) انتزعت مني (١١) أعزك الله جملة اعتراضية لغرض منها الدعاء لسيد العزة والاشارة الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبهها له على لك (١٢) ما يوارى الجسم أي جردتني من نعمك المحيطة بي (١٣) العطل في الأصل خلو جيد لرأة من القلائد (١٤) ما يتحلي به (١٥) انسك — اي احرم مني من لذت أنسك (١٦) اعطشتني (١٧) بارد (١٨) انجادك (١٩) طرحت (٢٠) احاطتك اي طرحتني من كف حوزك لي (٢١) خففت (٢٢) نظر — اي خففت طرف وقايتك عني فتركتني غرضاً سائبات الحوادث (٢٣) التأمل امر معنوي لا يشاهد وانما ذلك مبالغة في شدة التلبس والانصاف (٢٤) مدحي — مبالغة في انتشار مدحه (٢٥) استحمدادي مبالغة في تأميره مدح يشير الى تعداد حل به من المصائب وأحدق به من كل جانب الا وهو تجریده من نعم الاُمير المحيطة به احاطة ياب وحرمانه من الأُنس بذلك الجَناب واعطاشه الى سريع غائته واخراجه من محيط دائرته سرفه عنه نظر ملاحظته خصوصاً بعد ان صبر تأمله فيه جسماً مخترعاً ولذا رآه الأعمى وجلامدحه جذب اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمعه الأصم .

وبذل قصارى جهده في حمده حتى كان مؤثراً في كل الكائنات ولذا ادركه الجاد : وفيه من الغلة ما في قول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي واسمعت كلاني من به صمم
وانما اكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك ادل على توحه وتأمله واسرع لتلبية نداءه وامكن
ب الصفاء وازالة الجناء

فَلَا غَرَوَ (١) قَدْ يَغْصُ (٢) بِالْمَاءِ شَارِبُهُ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاءُ الْمُسْتَشْفَى بِهِ، وَيُوَثِّقِي
الْحَدِيرُ (٣) مِنْ مَأْمَنِهِ (٤) وَتَكُونُ مَنِيَّةُ (٥) الْمُتَمَنِّي فِي أَمْنِيَّتِهِ (٦)، وَالْحَيْنُ (٧)
قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ (٨) الْحَرِيصِ

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوَنُ غَيْرَ شِمَاتِهِ (٩) الْحَسَادُ
وَابْنِي لَا تَجْلَدُ (١٠) وَأُرِي لِلشَّامِتِينَ «أَنْ لَرَيْبٍ» (١١) الدَّهْرُ لَا أَتَضَعُّعُ (١٢)
فَأَقُولُ: حُلْ أَنَا إِلَّا يَدُ أَذْمَاها (١٣) سُورَا رُحَا (١٤)، وَجَبِينَ عَضَّ بِهِ إِكْلِيلَهُ (١٥)
وَمُشْرِفِي (١٦) أَلْصَقُهُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ (١٧)، وَسَمْهَرِي (١٨) عَرْضُهُ عَلَى النَّارِ
مُثَقَّفُهُ (١٩)، وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ

(١) فلا عجب - والنساء واقعة في جواب ابن من قوله ان سلبتني (٢) غصصت بالماء أغصصا اذا
شرقت به وأغصصته انا (٣) المتيقظ (٤) محل امنه (٥) موت (٦) ما يتمناه (٧) الهلاك
(٨) طاقة (٩) الفرح في بلية الغير يقول ان انتزعت مني ما أعطيت وأحلت لي من المصائب ما أحلت
بعد غلوي في الثناء عليك والتجاني في كل الأمور اليك فليس ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر
الغريب بل كثير النظائر والأمثال فالماء الذي به زوال الغصص قد يكون هو الغصص وان الأمنية
قد تكون فيها المنية وأنه يشير في عبارته الى قول بعضهم

قد كنت عدتي التي أسطو بها وبدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغصير ما أملتة والمرء يشرق بالزلزال البارد
والى قول الآخر:

تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَيَّ وَفَقَّ الْقَضَاءُ وَفِي طَيِّ الْحَوَادِثِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ
فَرُبَّمَا سَرَنِي مَا بَتَ أَحْسَنَرُهُ وَرُبَّمَا سَاءَنِي مَا بَتَ أَرْجُوهُ
وَالْبَيْتَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَابْنُ أَبِي عَيْنَةَ (١٠) أَتَكَلَّبُ الصَّبْرَ وَالْقُوَّةَ (١١) رَيْبُ الدَّهْرِ نَوَائِهُ
(١٢) أَتَزَلُّزَلُ: هَذَا حُلُّ يَتِ لَابْنِ ذُوَيْبِ الْهَنْدَلِيِّ وَهُوَ
وَتَجْلِدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْجَمُ أَنَّى لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ
(١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلي بلبس في الساعد (١٥) تاج
(١٦) سيف (١٧) جاليه (١٨) رمح (١٩) مقومه

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا^(١) وَمَنْ يَكْ حَازِمًا فَلَيْقَسْ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ
 هَذَا الْعَتَبُ^(٢) مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ^(٣) غَمَرَةٌ^(٤) ثُمَّ تَنْجَلِي^(٥)
 وَهَذِهِ النَّسَكَةُ^(٦) سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ^(٧) ، وَلَنْ يُرَبَّنِي^(٨) مِنْ
 سَيِّدِي إِنْ أَبْطَأَ سَيِّدِي^(٩) ، أَوْ تَأَخَّرَ غَيْرُ^(١٠) ضَمِينِ غَنَاوُهُ^(١١) . فَأَبْطَأَ الدَّلَاءُ
 فَيَضَا^(١٢) أَمْلُوْهَا ، وَاتَّقِ السَّحَابَ مَشِيًّا أَحْفَلَهَا^(١٣) ، وَأَنْفَعُ الْحَيَا^(١٤)
 حَاصِدًا جَدْبًا^(١٥) ، وَالَّذُ الشَّرَابُ مَا أَصَابَ غَلِيلاً^(١٦) ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ
 وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ .

(١) يمتنعوا : يحاطب نفسه ويسايبها ويضرب لها الأمثال ويمعيها ويسهل عليها ما تعاناه من تعبها .
 ما تعاناه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستعجن فعله وعمله معه .
 نزل نفسه منزلة يد الخساء التي أخرى دمها السوار ، والجيب الذي أثر فيه تاج الاختصار ،
 والسيف الذي وضعه على التراب صافله لصقله لا لنوايه ، والمرح الذي وضعه على النار متفقه لتعديله
 لا لاحتراقه ، والعد الذي قسى سيده رحمة به واحساناً لاستخفافه به وهو أماناً - والبيت لأبني تمام
 (٢) اليوم (٣) الحومة (٤) شدة (٥) تنكشف (٦) المصيبة (٧) تنلق - يقول أرحو أن
 يكون هذا اليوم حاتمة الحناء فاتحة الألفة والصفاء ، وإن هذه الجفوة شدة تحول وسحابة لا تلبث
 أن تزول - يشير الى قول المتن

لعمل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأحكام بالمال

والي المثلي العربي « عمرات ثم تنجلي » و « سحابة صيف عن قليل تنشق » والا ول يفر به
 في حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير (٨) يجملني شاكا (٩) غطاؤه (١٠) غير ضنين
 احتراس يريد به حل سيده على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير لا ينافي به (١١) نفعه
 (١٢) الفيض صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أي أبطأ الدلاء صعوداً أكثره
 امتلاء (١٣) أملؤها (١٤) المطر (١٥) الأرض التي لا نبات بها (١٦) العطش بجرارة - لما
 ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وإن ما حل به عن قريب يزول ورأى أن تأخير الرحمة به وعدم
 انقائه من ورطته ربما يوهم الرينة في محبة العاقبة دفع ذلك منذراً عن سيده في هذا التأخير مطلقاً
 بقوله فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها وأمثل السحاب مشياً أحفلها وغير ذلك مما يدل على أن في التأخير
 ما ينعم البال ويقر الأعين ثم ختم عبارته بما هو أتمل في التسلية وأدعى للتصبر من حيث يتولد
 ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

له الحمد على احتباله (١) ولا عتب عليه في اغتفاله (٢)

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله الثلاث سررن ألوف
وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه تنوك ، والجبل الذي لم
يأت من ورأته حلمك ، والتطاؤل (٣) الذي لم يستغفره تطوئك (٤)
والتحامل (٥) الذي لم يف به احتمالك (٦) ؟ ! ولا أخلو من أن أكون بريئاً
فأين عدلك ؟

أو مسيئاً ، فأين فضلك ؟

إلا يكن ذنب فعلك واسع أو كان لي ذنب فضلك أوسع
فهبني مسيئاً كالذي قلت طالباً قصاصاً (٧) فأين الأخذ يا عز (٨) بالفضل
حنانيك (٩) قد بلغ السيل الزبى (١٠) ، ونالي ما حسبي به وكفى .

(١) اغتنامه (٢) تعامله وهو تركه على ذكره بعد ان اعتذر عن سبده بما اعتذر أخذ
يمدحه على إيقاعه به وتعامله معه أنه أن برآف به ومطاف عليه والبيت المتنبي (٣) الكبر
(٤) فضلك (٥) التكيف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل إلا أنه في الأمور العظيمة قال
الناطقة لذياني * غمت برأ واحتملت فخاراً * (٧) عقاباً (٨) اسم امرأة - رجع بعد
أن عود نفسه في مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التفت منه الي ما في ضميره من بقايا العتب فقال
يستفهم سريراً بذلك الرامه بالصنح عنه بتصغير دبه وتكبير غنوه سيده فكأنه يقول اهذه الحركة
التي زلزلت طودك وما هذه الحمية التي عكرت بحرك ولم لا يشملني كرمك وجودك مع أن فضلك
وتدك أكبر شنيع للعاصي والطبيع - وذكر البيهقي تأييد لما قاله في نثره والأول للبحرئ
والثاني مأخوذ من قول الحماني

هبنى ظلوماً لئله بساء قصاصاً فأين الأخذ يا عز بالفضل

(٩) تنية حنان وهو الرحمة (١٠) جم زية وهي حفرة تحفر لصيد الاسد في مكان مرتفع
لا يعلوه الماء فإذا وصل اليه السيل كان يجفها - يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول
له : حنانك أي رحمة بعد رحمة أطلبها منك فن الدل والهوان قد وصلا الى النهاية . والصقار
والاحتقار قد بلغ الغاية - وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربي يضرب في بلوغ الشيء غاية

وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فأيت^(١) واستكبرت^{*}.
 وقال لي نوح^{*} إركب معنا فقلت سآوي^(٢) إلى جبل يعصمني^(٣) من الماء
 وأمرت ببناء صرح^(٤) لعلّي أطلع إلى إله موسى ، وعكفت^(٥) على العجل
 واعتديت^(٦) في السبت وتعاطيت^(٧) ففقرت^(٨) وشربت من النهر الذي

(١) امتعت : ولقد احسن كل الاحسان وتلطف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمة . بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدعاً في وصف ما لاقاه من العقاب والنكال وأنه لو قسم على ذوى الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافياً لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقاً ، ملمحاً الى ذوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة . فقال : وما أراني الخ . يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث امره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال اما خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين (٢) سألجأ

(٣) يحفظني : يشير الى ذنب ابن نوح ، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه : « يا بني اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين » فخالف أياه وقال : سآوي الخ (٤) قصر : يشير الى ذنب فرعون وهو اسكاره الآله وادعاؤه أنه هو الآله الحقيقي ، وذلك حينما أناد موسى عليه السلام بالإيمان بالله ، فقال فرعون : « يا أيها الملاء ما علمت لكم من الله غيري ، فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً » الآية (٥) واطبقت : يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ، قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقرة وقال لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فدفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأييه فيه ففعلوا فأخذوه وصاغوه عجلاً ووضع فيه القبضة التي اخذها من اثر حافر فرس الحياة ، فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمتني وكأنه يبحر فقال لبني اسرائيل هذا آلهكم والله موسى نسيه وذهب لطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه (٦) جاوزت : يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك انهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطى الماء ولا تأتي في غيره فتحتلوا بعمل حيضات متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية اجتمعوا فتحو الاتصال فتدخل الحيتان في الحيطان فيأخذونها يوم الأحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب (٧) تماطى : قام على أطراف اصابع رجله ثم رفع يديه وضرب (٨) عقر البعير بالسيف فانعز اي ضرب به قوائمه : يشير الى ذنبه قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام وذلك ان امرأة يقال لها عنبرة لدامال وبنت حسان

أَبَتِي ^(١) بِهِ جُيُوش طَالُوتَ ، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ ^(٢) ، وَعَاهَدْتُ ^(٣) قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ ، وَتَأَوَّلْتُ ^(٤) فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ ^(٥) وَاسْتَنْفَرْتُ إِلَى الْيَمِ ^(٦)

وآخِرِي يُقَالُ لَهَا صَدُوقُ بِنْتِ الْحَيَا سَابِغُ أَوْ ثَانِيهِمْ كَانَ زَوْجَهَا أَسْلَمَ وَأَتَقَى مَالَهُ عَلَى صَالِحٍ وَأَتْبَاعَهُ وَكَاتَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِصَالِحٍ فَدَعَتْ صَدُوقُ مَصْدَقًا لِنَفْسِهَا عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ وَدَعَتْ عَثْبَرَةَ قَدَارًا عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا فَذَهَبَا وَتَبِعَهُمَا أَشْقِيَاءُ تَمُودَ وَكُنْ كُلُّ مَنِمَهَا فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ وَلَمَّا مَرَّتْ ضَرْبَهَا مَصْدَعٌ فَأَصَابَ سَاقَهَا فَشَدَّ عَلَيْهَا قَدَارٌ بِسَيْفِهِ فَأَبَانَ عُرُوقَهَا ثُمَّ نَحَرَهَا

(١) اخْتَبَرُ - يُشِيرُ إِلَى ذَنْبِ مَعْظَمِ جُيُوشِ طَالُوتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مَخَالَفَتُهُمْ لَهُ حِينَ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ قَلَّةَ الْمَاءِ فَقَالَ لَهُمْ : « إِنْ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٌ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ » نَفَّاهُوا وَشَرَبُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ (٢) كَانَ عَامِلَ الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِ النَّجَاشِيِّ يُشِيرُ إِلَى ذَنْبِ أَبْرَهَةَ وَهُوَ ذَهَابُهُ لِدَمِ السَّكْبَةِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ بَنَى كَنِيسَةً فِي صَنْعَاءَ لِيَصْرِفَ النَّاسَ عَنِ السَّكْبَةِ فَأَتَى رَجُلٌ كِنَانِيٌّ وَلَوْثِيهَا بِالْعَذْرَةِ وَأَتَى أَقْوَامٌ مِنْ تِجَارِ قُرَيْشٍ وَأَضْرَمُوا نَارًا بِجَانِبِهَا فَهَبَتِ الرِّيحُ فَأَحْرَقَتْهَا فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ لِذَلِكَ وَقَامَ أَبْرَهَةَ وَأَخَذَ الْقِيلَةَ وَقِيَّ مَقْدَمَتَهَا فِيلَ النَّجَاشِيِّ الْمُسَمَّى مَحْمُودًا لِيَهْدِمَ السَّكْبَةَ أَرْضَاءً لَهُ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَجَّهَ الْفِيلَ نَحْوَهَا فَأَبَى فُوجِيهِ إِلَى الْيَمِينِ فَقَامَ مَهْرُولا وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ

(٣) أَعْطَيْتُهُمْ عَهْدًا وَمِيثَاقًا - يُشِيرُ إِلَى ذَنْبِ قُرَيْشٍ وَهُوَ اتِّحَادُهُمْ عَلَى عَدَمِ نَصْرِ الدِّينِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الدِّينَ أَخَذَ فِي النُّحُوقِ وَأَنَّ حِزْمَةَ : وَعَمَرَ أَسْلَمًا تَعَاقدُوا عَلَى مَهَاجَرَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلَى قَطْعِ الْعِلَاقِ بَيْنَهُمْ تَمَامًا وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً وَعَلَقُوهَا فِي جُوفِ السَّكْبَةِ تَأْكِيدًا لِذَلِكَ (٤) حَالَفْتُ (٥) طَرِيقَ وَعَرَفْتُ الْجَبَلَ - يُشِيرُ إِلَى ذَنْبِ مَنْ تَقَضَّى بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ وَيَمَاتُ الْعَقَبَةُ ثَلَاثَ وَلَمْ يَأْتَلِ فِيهَا أَحَدٌ فَذَكَرَهُ لَهَا عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ أَيْ هَبَ أَتَى خَالَفْتُ الْإِجْمَاعَ وَتَعَدَّيْتُ الْحُدُودَ وَفَعَلْتُ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ (٦) الْعَبْرُ بِالْكَسْرِ الْإِبْلُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمِيرَةَ : يُشِيرُ إِلَى ذَنْبِ ضَمْنِ الْغَفَارِيِّ وَهُوَ اسْتِنْهَاضُ قُرَيْشٍ لِأَبْنَى سَفِيَّاتٍ ، وَذَلِكَ : أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ كَانَ آتِيًا مِنْ لِسَامٍ فِي عِيرٍ ، فَذَهَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَاتِهِ ، فَشَعَرَ بِذَلِكَ أَبُو سَفْيَانَ ، فَاسْتَأْجَرَ ضَمْنًا الْمَذْكُورَ لِيُخْبِرَ قُرَيْشًا ، فَذَهَبَ وَصَرَخَ بِيَطْنَ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى جَبَلٍ قَدْ جَدَعَهُ ، وَحَوْلَ رَحْلِهِ وَشَقَّ قَيْصَهُ قَائِلًا يَامَعْشَرَ قُرَيْشِ اللَّطِيمَةِ اللَّطِيمَةِ : أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ قَدْ عَرِضَ لَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ لَا أَرَى أَنَّ تَدْرِكُوهَا ، الْغَوْتُ الْغَوْتُ ، فَتَجَهَّزُوا جَمِيعًا وَذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَحَصَلَتِ الْوَقْعَةُ الشَّهِيرَةُ الْمُسَمَّاةُ بِغَزْوَةِ بَدْرِ الْكَبَرَى ، أَوْفِيهَا تَصَرَّرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِصْرَارًا بِأَهْرَ

يبدّر ، وانخذلت (١) بثأت الناس يوم أحد (٢) ، وتخلّفت (٣) عن صلاة العصر في بني قريظة (٤) ، وجئت بالأفك (٥) على عائشة الصديقية ، وأنفت (٦) عن إمارة أسامة ، وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة (٧) ، ورويت رُمحي

(١) خذله ترك عونه ونصرته (٢) أحد جبل بالمدينة يشير الى ذنب أبي بن سلول رأس المنافقين ، وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين ، وذلك : أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه ، كان من رأى أبي بن سلول أن يمكث النبي في المدينة ، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه ، موافقاً لمعظم الصحابة ، فرجع هو ومن معه من المنافقين ، وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت

(٤) طائفة من اليهود : يشير الى حادثة بني قريظة ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من غزوة الخندق ، قال : من كان سمياً مطيعاً ، فليصل العصر في بني قريظة ، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس ، والبعض الآخر رأى أن المقصود الاسراع فصلى في الطريق ، ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ، ترافعا اليه عليه الصلاة والسلام فحكم باصا بهما واذا تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب

(٥) الكذب : يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما ، في مجاهرتهم بالسوء لزوجيه عليه الصلاة والسلام . وذلك : أنه لما ذهب عليه الصلاة والسلام الى غزوة بني المصطلق ، كانت معه السيدة عائشة ، حيث كانت قرعتها . في العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها فأتاها الركب ولم ينظر في هودجها ، فر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما ، فأركبها بعيره وقاده فأشاعوا هؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات اليبينات (٦) استكبرت : يشير الى بعض الصحابة ، من حيث استكبروا على أسامة . وذلك : أن النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشاً ليذهب به الى الشام وقال له سر الى مقتل أيك فتكلم قوم وقالوا : أيا أمر هذا الغلام على المهاجرين الا ولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج في مرضه عاصباً رأسه وصعد المنبر وحده الله وأثنى عليه وقال ما معناه : لئن طعنتم في أسامة فقد طعنتم في أبيه من قبل وانه لأهل لها فاستوصوا به خيراً

(٧) أى من غير احكام ولا روية : يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن علياً هو الأحق بالخلافة ، ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم . وفي حديث عمر : « أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وفي الله شرها » قليل : المراد بالفتنة الخلسة أى أن الامامة يوم السقيفة مالت لأنفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعتها واختلسها أبو بكر اختلاسا ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووق

من كتيبة (١) خالد ، ومزقت (٢) الأديم (٣) الذي باركت يد الله عليه
وضحيّت بأشمت (٤) عنوان السجود به ، وبذلت لقطام (٥)
ثلاثة آلاف وعبدته وقينة (٦) وضرب على بالحسام المسمم
وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جعجع (٧) بالحسين ، وتمثالت عند ما بلغني

(١) جيش : يشير الى ذنب أبي شجرة السامي وهو تكة بجيش خالد في حرب الردة .
ويشير الى قوله في ذلك :

ورويت رحي من كتيبة خالد واني لأرجو بعدها أن أعمر

(٢) قطعت (٣) الجلد : يشير الى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك
أن أبا لؤلؤة طالب منه أن يخفف عنه حمل سيده فقال له : انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد
وأريد أن تصنع لي رحي . فقال : سأصنع لك رحي يسمع دويها أهل المشرق والمغرب ولكن له
حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب ذلك . ويشير الى ذلك ما قاله بعضهم في رثاء
حزى الله خيراً من امام وباركت يد الله في ذاك الأديم المنزق

(٤) مختلط شعر الرأس : يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد
عليه كثير من الجهات يشكون عماله فأرسلهم وأرسل محمد بن أبي بكر ليكون والياً على مصر
فبينما هو ذاهب اذ رأى عبداً على هجين يستحته فأحضره وقتله فوجد معه كتاباً من الخليفة الى
عامل مصر يقول فيه : اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل في قتلهم ، فرجع محمد وأعطى الجواب
الخليفة فأقر بأنه خطا كاتبه وهذا ختمه وعبدته وهجته وأنه لم يرسله ، فطلب منه أحد أسرى :
الاعتزال أو اعطاء كاتبه الحكم فأبى فخلعت الفتنة وحاصروه الي أن قتل . ويشير الى ما قاله
بعض أئمناته :

ضحوا بأشمت عنوان السجود به يقطع الليل تسليحاً وقرآناً
(٥) اسم امرأة (٦) جارية : يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل علي كرم الله
وجهه . وذلك ان هذه المرأة أعجبه لتضارها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما في البيت فقال لها :
لك ما طلبت وقال البيت وبعدة :

فلا مهر أغلى من علي وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم
(٧) ضيق : يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين . وذلك أنه
أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك
عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لتتاه عمر بن سعد ولما أبطأ جوز له (شراً) وكتب عبيد الله له
ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله رضي الله عنه

من وقعة الحرّة (١)

ليت أشياخي بيدٍ شَهِدُوا جَزَعَ الحَزْجِ من وَقعِ الأَسْلِ
ورَجَمَتْ (٢) الكعبة ، وصلبت العائذ (٣) على الشَّيْثَةِ (٤) لكان فيما جرى
على (٥) ما يحتمل أن يكون نَكْالاً (٦) ، ويُذعى ولو على الحجاز عقاباً .

وحسبك من حادث بامريء ترى حاسديه له راحمين
فكيف ولا ذنب إلا نِمْمةٌ (٧) أهداها كاشحٌ (٨) ! ونبأ (٩) جاء به فاسق
. وهم الهمَّازون (١٠) المشَّائون (١١) بنميم ، والواشون (١٢) الذين لا يلبثون (١٣)
أن يصدعوا (١٤) العصا ، والغواة (١٥) الذين لا يتركون أديماً (١٦) صحيحاً

(١) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بن عقبة بن مسلم وأهل المدينة: يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك انه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة وباحثها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح ، فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبير المذكور مظهراً للضمير المستتر وهو كراهة الأتصار والمهاجرين

(٢) رميت بالحجارة (٣) المتجبيء (٤) طريق العقبة: يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن الربيع وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لا ينزله الا اذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعاً وأنزله . ومن قولها لا ينها يوم مقتله : يابني لا تقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك ، الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بالسيف في عز ، خير من ضربة بالسوط في مذلة . فقال لها : انما أخاف المثلة . قالت يابني : ان الشاة لا يضرها ساجنها بعد ذبحها

(٥) حصل لي (٦) عذاباً : يريد اني لو اتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لي من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافياً لتحميص هذه الذنوب . : كيف لا وقد صرت في حالة يرئى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب ، وذلك ادل على طلب الرحمة واحكم في الاستعطاف ، والبيت الذي ذكره للعتي (٧) نقل الكلام لافساد (٨) مضمير العداوة « اهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النيمة وانه تمت بها كما يعتنى بالهدية للأمر (٩) خير (١٠) المتابون (١١) النمامون (١٢) الذين يزنيون الحديث للافساد (١٣) لبث بالمكان : قام به (١٤) يشقوا (١٥) المضلون (١٦) جلدأ

والسعاة^(١) الذين ذكرهم الأحنف بن قيس فقال : « ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم ؟ »

حلفت فلم أترك لنفسك رية^(٢) وليس وراء الله للمرء مذهب
والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت^(٣) عنك بعد الصاغية^(٤)
إليك ، ولا نصبت^(٥) لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت^(٦) ياساً منك ، مع
ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك . فقيم عيبت^(٧)
الجناء بأذمتي^(٨) ، وعاث^(٩) العقوق^(١٠) في موآتي^(١١) ، وتمكن الضياع^(١٢)
من وسائل^(١٣) ؟ ولم ضاقت مذاهي^(١٤) ، وأكدت^(١٥) مطالبي ؟ وعلام رضيت
من المركب^(١٦) بالتعليق^(١٧) ؟ بل من الغنيمة بالأياب^(١٨) ؟ وأني غلبني

المغلب^(١) ، وفجر^(٢) على العاجز الضعيف ، ولطمتني^(٣) غير ذات سوار ؟ !
ومالك لم تمنع من قبل أن أفترس ؟ وتدركني ولما أمزق^(٤) ؟ !

أم كيف لا تضطرم^(٥) جوآنح^(٦) الأ كفاء^(٧) حسداً لي على الخصوص
لك ؟ وتنقطع أنفاس^(٨) النظراء^(٩) مُنافسةً^(١٠) لي على السكرامة فيك ، وقد
زانتني اسمُ خدمتك ، وزهاني^(١١) وسم^(١٢) نعتك ، وأبليت^(١٣) البلاء الجميل
في سباطك^(١٤) ، وقمت المقامَ المحمود على يساطك ؟ !

ألستُ الموالى^(١٥) فيك غرَّ قصائد هي الأنجمُ اقتادت مع الليل أنجماً

(١) المغلوب مراراً (٢) اجتراً (٣) ضربتني على وجهي براحتها
(٤) أقطع : يستفهم عن سبب انفساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل الرضا حتى ضاقت
عليه المذاهب وامتعت عليه المطالب وحتى رضى من عظيم الامر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع
سالماً واجترأ عليه كل ضعيف . وغلبه من كان له غلاباً وظالمه من لم يكن له كفواً وقد ضمن
عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال « أولها » أرض من المركب بالتعليق يضرب في
القناعة بادراك بعض الحاجة « وثانيها » رضيت من الغنيمة بالاياب يضرب في القناعة بالسلامة
وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

لقد طوقت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله :

فانك لم تفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغالب

وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها « لو ذات سوار لطمتني » قاله حاتم
حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة - والثلاثة تضرب عند العجز والنذلة - ويشير
الى قول المثقب العبدى

فان كنت مأكولاً فكُنْ خير آكل والا فادركني ولما أمزق

وفي هذا الاستفهام تخفيض له على انجاده وسرعة انقاده

(٥) تتقد (٦) أضلاع (٧) الامثال (٨) جمع نفس (٩) جمع نظير (١٠) رغبة شديدة
(١١) الزهو : الكبر (١٢) علامة (١٣) جربت (١٤) السط : الصف من الناس
(١٥) المتابع

تَنَاءُ يَظَلُّ الرَّوْضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضُحًى وَيُخَالِ الوَشْيُ ^(١) فِيهِ مِنْمَجًا ^(٢) ؟
 وحل لبس الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا ^(٣) حُرِّزَتْهُ ^(٤) بِفَضَائِلِكَ ، وَتَقَلَّدَتْ ^(٥)
 الْجُوزَاءُ ^(٦) إِلَّا عَتِدَا فَصَلَّتُهُ ^(٧) بِمَا ثَرَك ، وَاسْتَمَلَى ^(٨) الرِّبْعُ إِلَّا تَنَاءُ
 أُمْلَأَتْهُ فِي مَحَاسِنِكَ ، وَبَثَّ ^(٩) الْمِسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَذَعَتْهُ ^(١٠) فِي مَحَامِدِكَ ؟ (ما يوم
 حَلِيمَةٍ بَسْرٍ) وَإِنْ كُنْتَ لَمْ أَكُكْ سَلِيمًا ^(١١) ! وَلَا حَلِيمَتِكَ مُعْطَلًا وَلَا
 وَسْمَتِكَ غَفَلًا ^(١٢) بَلْ وَجَدْتَ أَجْرًا ^(١٣) وَجِصًّا ^(١٤) فَبَنَيْتَ . وَمَكَانُ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ
 فَقُلْتُ : حَاشَا ^(١٥) لَكَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ^(١٦) ، وَأَكُونَ كَالَّذِ بَالَةً ^(١٧)
 الْمَنْصُوبَةِ ، تَضِيُّ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ . فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ^(١٨) ، وَهُوَ بَكَ وَبَنِي فَيْكَ

(١) ضرب من الحرير ذو ألوان (٢) ثوب موشى بألوان فيها البياض - لقد أتى ابن زيدون
 من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ - وذلك من الاعتراف لسيدته بأنه قد
 أوقد النار في قلوب الحساد والنظرء بعمده له بالانعام وصلته بالصلوات حتى أنطق لسانه فيه
 بالمدايح التي طلعت من الليل أنجما والثناء الذي زهرت به الرياض ووشيت به حل الفضل .
 والبيتان من قصيدة للبحرئ يعاتب بها الفتى بن خاقان (٣) رداء (٤) علمته (٥) لبست
 (٦) برج (٧) تنصيل العقد : جعل خرزة بين كل لؤلؤتين (٨) طلب الاملاء (٩) نشر
 (١٠) أشعته : والمعنى ان فضائلك التي نشرتها في مدائحي ظهرت للعين ظهور الصباح حتى أنه
 لا يضيء الا بسببها ، وأن عقد الجوزاء لم يحسن في مرآي العين الا لكونه فضله في محامدك
 وكذلك الربيع لم تنفوع الأزهار بنشرها فيه الا لكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك
 ثم أثبت أن ما تقدم حقائق ثابتة بقوله ما يوم حليلة بسر وهو مثل عربى يضرب في فشوا الامر
 وانتشاره (١١) مسلوباً (١٢) عادم الاملامة (١٣) الطين المحروق (١٤) الجير : أراد دفع
 ما يتوهم من أنه يتفضل عليه باذاعة المحاسن ونشر المدايح وأنه اخترع له هذه السجاياء
 والحلال حيث يقول له : أتى لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الحصال وجيل الحلال وأما
 أنا صغتها في القالب الذي يلتفت الأنظار وبجلى صدا الأفكار (١٥) تنزيهاً لك (١٦) من
 النصب : وهو التعب (١٧) النتيجة (١٨) الصفة العليا - بعد أن عمل جهد المستطيع في الثناء
 عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فزعه عن أن يجعل مثله معه كمثل
 الكفار حيث عملوا واتبوا في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى . ويشير الى قوله
 تعالى : « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلي نارا حامية » الآية : والى قول العباس
 ابن الأحنف :

أولى . ولعمرك^(١) ما جهلت أن^(٢) (صريح الرأي^(٣)) أن أتحول إذا بلغتني
الشمس و (نبأ المنزل^(٤)) وأصفح^(٥) عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال
فلا (أستوطي العجز^(٦)) ولا أطمئن^(٧) إلى الغرر^(٨) . ومن الأمثال
المضروبة : خامري^(٩) أم عامر^(١٠)

وإن مع المعرفة ان الجلاء^(١١) سبأ^(١٢) والنقلة^(١٣) مثالة^(١٤)
ومن يعترب عن قومه لم يزل يري مصارع مظلوم مجرا ومحسبا
وتدفن منه الصالحات وإن يُسى^(١٥) يكن ما أساء النار في رأس ككبكا^(١٦)
عارف أن الأدب الوطن لا يُخشى فراقه ، والحليط^(١٧) لا يتوقع زياله^(١٨)

صرت كائن ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
وبالغ في التلطف بقوله : فلك المثل الأعلى والصفة العليا من تجاوز والصفح وأنت أولى
من صفح عن زلة السيء ، وأما أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه ، وما أحسن قوله وهو
بك الخ . كأنه يقول هو بك أولى وهو بي كذلك إذا كان فيك مكلا خالين مخصوص بك
وما ألطف ما ينسب إلى الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في الامام أحمد بن حنبل :
قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفصائل لا تفارق منزله
ان زرته فلفصله أو زارني فلفضله فالفضل في الخالين له
(١) حياتك (٢) شديده (٣) نبأ المنزل لم يوافقني (٤) أعرض (٥) أستوطي
العجز : أجده ليا سبلا (٦) أميل (٧) ما يعترب به من متاع الدنيا (٨) استرى (٩) كنية
الضبع يقسم بجماعة سيده أنه ما حمل أن سيد الرأي وجوب التحول عن مقام الالهة متى شعر
بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وأنه كان
عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل إلى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله
فكان الغرور نصيبه والامل فائده فاغتر كما اغتر الضبع بقول القائل : خامري أم عامر . يشير
إلى قول أبي تمام :

وان صريح الرأي والحزم بامرئ اذا باقتسه الشمس ان يتحول
والى المثل العربي «العجز وطىء» يضرب لمن استلان فراشا العجز وقعد عن طاب المكاسب
وقوله خامري الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلبها ثم يميل اليها ويعترب بها
(١٠) الخروج عن الوطن (١١) أسر (١٢) الانتقال (١٣) تنكيل (١٤) جيل
(١٥) الخالط (١٦) مفارقتة

والنسيب ^(١) لا يخنئ ، والجمال لا يخبئ ^(٢)

ثم ما قران ^(٣) السعد بالكواكب أبهى أثراً ، ولا أثنى خطراً ^(٤)
من اقتران غنى النفس به ، وانتظامها نسقاً ^(٥) معه ، فإن الجائز ^(٦) لها
الضارب بسهم فيهما ، « وقليل ما هم » ^(٧) أينما توجه ، ورد منهل ^(٨) بر
وحط فى حناب ^(٩) قبول ، وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطى حكم الصبر على أهله

(١) ذو النسب (٢) لا يهجر : بعد ان بين لسيدته أنه لا يجهل أن الصواب التحول أراد أن
يبين له أنه يعرف أيضاً أن الانتقال فيه التمثيل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وأن
حسنت الغريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال انى مع معرفتى بأن خروجى من وطنى أسرى ودفن
لحاسنى وانتقالى منه الى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما أنا متحل به من العلوم والآداب
والكمالات تنكيل بمحاسنى وتخفيف لبيجة كلالانى فيجهل قدرى وتهضم حقوقى ودفن منى الصالحات
وتشاع على قلبها السيئات غير أنى لا أعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقى بل وطنى الذى أعول عليه
انما هو الخلق وهو ملازم لى أينما حللت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سبى الملازم لى فلا أتوقع
غيابه وان النسيب أينما حل فيه معروف واحتمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخبئ
من الانتقال بأساً ولا من التحول ضماً - والبيتان للأعشى . والنقلة مثله - مثل مولد

(٣) مصاحبة (٤) قرأ (٥) السق من الكلام وغيره ما جاء على نظام واحد (٦) الجامع
(٧) قليل ما هم : يريد بذلك التعريف لسيدته بأنه لا نظير له فى أخلاقه وآدابه (٨) عين
(٩) ناحية بعد ان بين أن الأدب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطناً فى الغربة وفرجة عند
الكربة بين أنه يكون أكثر نفعاً وأعظم جدوى اذا صاحبه غنى النفس فان المتحل بجلالها القابض
على زمامهم أينما هم فاسعد قربه والناس أهله يقولون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم
الاول وهلة أو مجرد نظرة ويعطونه حكم الصبي على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبيد ويقولون
له ليت أهله وزلت مكانة سهلاً واسماً رجباً فانس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فأنت رب
لدار . وقوله ما قران السعد الخ أخذه من قول البسى :

وأتم الاشياء نوراً وحسناً بكر شكر زفت الى صهر بر

ما قران السعد بالحوث أبهى منظراً من قران بر وشكر

وقوله أعطى حكم الصبي الخ : عبارة كانت تقولها العرب فى مدح من نزلوا عنده وأكرمهم وأصل
البيت المذكور - فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً - فهذا ميت صالح وصديق

وقيل له أهلًا وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ ومقبلٌ
غير أن الوطنَ محبوبٌ، والمنشأ مألوفٌ، واللبابُ يُحنُّ إلى وطنه، حنين
النجيب^(١) إلى عطائه^(٢). والكريمُ لا يحنو أرضاً بها قوايله^(٣)، ولا ينسي
بلداً فيها مراضه — قال الأول :

أحبُّ بلادَ الله ما بين منعج^(٤) إلىَّ وسلمي أن يصوبَ سحابها
بلادها حل الشُّبابِ تَمائمي^(٥) وأول أرض مسَّ جلدي تراثها
هذا إلى مغالاتي^(٦) بعقد جوارك، ومُنافستي^(٧) بلحظةٍ من قربك
واعتقادي أن الطمع في غيرك طمعٌ^(٨)، والغنى ممن سواك عناءٌ، والبدل منك
أعور، والعوض لغاءٌ^(٩) وكلُّ الصَّيد في جوفِ الفراءِ^(١٠)
وإذا نظرتُ إلى أميرى زَادَنِي ضنا به نظري إلى الأمراءِ

(١) النجيب من الابل الحل الكريم (٢) مبرك الابل حول الماء (٣) جمع قابله وهي
من تتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تيممة وهو ما يعلق للطفل حفظاً له — بعد
أن ين له أن سيد الرأى الا تتقال وأه لا يحاف عاقبة ذلك لأدبه وغى نفسه أراد أن يبين له
السبب الحامل عل المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف

ما من غريب وان أبدى تجلده ألا سيدكر عند الغربة الوطن

ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ بها جسده وأول بقعة نما فيها فكره وأول
جهة قضي فيها الشباب ما ربه مع اخوان وأحاب وعلان وأتراب — فاذا تذكر هذه الجهات تخيل
له رغد العيش وحسن الحال ورأى أغصان شبا به تمد على تلك الاوطان وتمايل مع النسيم تمايل
البان فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وأنه ليس من كرم الاصل وشرف المحدث أن يهجر الانسان
قوايله ومراضه لما هن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم أثناء الصغر فالواجب عليه أن يصلحن
في ابان الكبر حتى يحنين ثمرات أتعابهن ويسررن بحسن معاملتهن — والبيتان لبعض الاعراب
(٦) مجاوزتى الحد (٧) رغبتى فيك على وجه المباراة (٨) دنس

(٩) خيس (١٠) حمار الوحش

وفي كل شجر نار ، وأستمجد (المرنخ والعفار)^(١) ، فإهذه البراءة من
تَوَلَّاكَ^(٢) ؟ والميلُ عَمَّنْ لا يميلُ عنك ؟ ! — وهَلَا^(٣) كان هواك^(٤) فيمن
هواه فيك ؟ ورضاك فيمن رضاه لك ؟ !

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وِجْدَانًا كلَّ شيء بعدكم عدم
أعيدك ونفسي من أن أشيم^(٥) - خَلْبًا^(٦) ، وأستمطرَ جَهَامًا^(٧) ، وأكديم^(٨)

(١) نوحان من الشجر سريعا الوري . وأستمجد : أسنضل ، وقيل أقتدح على الهويثا — بعد
ان بين محبة الوطن وألفة المنشأ . وسب ذلك الطيعي : أراد أن بين للأمبر ان ذلك ليس هو
السبب الوحيد الحامل لى علي المكث بل انضم اليه ما هو أشد منه تأثيراً وأعظم خطراً ألا وهو
شدة محبة لجوارك وحطوتى بتركك ، وأنت أكرم من حط للجوار حرمة ، وأوضح محبته ،
واعتقادي بأن الطأينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائي بسواك بدلا ولا
بغيرك عوضاً ، وكيف أستبدل السمين بافت ، والراحة بالتم ، أم كيف أنظر الى غيرك من
الأمراء ، وغيرك فيك

وليس علي الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
نعم وان اشتركوا معك في القلب الا أنهم لم يشتركوا معك في كمال الادب وفي كل شجر نار
وأستمجد المرنخ والعنار في ذلك من استماله القلب ما يدهش الالب وقد جمعت هذه العبارة من
الامثال ما يذري باللاكل — فأولها « رب طمع يجر الى طبع » وثانيها « كل الصيد في جوف
الفرا » وهو يضرب لمن يفضل نفسه علي أقرانه وثالثها « البديل منك أعور » يضرب لكل
ما لا يرتضى به من الزاهب وأصله أن يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتية بن مسلم
الباهلي وكان شجاعاً أعور قال الناس هذا بدل أعور — ورابعها « رضي من الوفاء باللقاء »
يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير — وخامسها « وفي كل شجر نار وأستمجد المرنخ والعنار »
يضرب في تفضيل بعض المشتركين في صفة علي بعض

(٢) مضارع تولاه صار وليه (٣) كلمة تحضيض (٤) ميل النفس : بعد ان بين له أنه
لا يرضي بما سواه وأنه يفضل جواره علي ما عداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل اليه رجع
ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الادب من حيث يقول كيف تتبرأ مني وأنا أواليك
وتيسل عني وتهجرني وأنا لا أميل الا اليك وهلا هويت من هواك ورضيت من رضاك والبيت
للمتاني (٥) شام البرق : نظر الى سحابته أين تمطر (٦) البرق الذي لا يعقبه مطر
(٧) السحاب الذي لا ماء فيه (٨) أعصف

كفى غير مكدم ، وأشكو شكوى الجريح الى الغربان والرخم ^(١) فما أبستت ^(٢)
لك إلا لتدّر ، ولا حرّكت لك الحوار ^(٣) إلا لتحنّ ، ولا نبهتك إلا لأنام ، ولا
بريتُ اليك إلا لأحمد الشرى ^(٤) لديك

وإنك إن سنيت ^(٥) عقد أمرى تيسر ، ومتى أعذرت ^(٦) فى فك أسرى
لم يتعدّر . وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة
وفضل الجاه ^(٧) يعوذ به صدقة

وإذا امرؤ أهدى اليك صنعةً من جاهه فكأنها من ماله

(١) طائر ضعيف (٢) الالباس الرفق (٣) ولد الناقة (٤) السير ليلا — يطلب منه أن
يجعل لعماله نتيجة يجنى ثمرتها وأن يكون سيده غارس دوحها وأن لا يجعله كالسبيح الما من
لصخر ، والمستجير عند كرفته بعمره ، والمستطر الجاهم والناظر الى البرق الخلب بل يرسل عليه
طفه مدرارا ، وان يصل رحم الجوار بعد القطعية ويقر عينا أضرها سهاد الجفوة وأن يحمّد
يه سراه ويحسن عقابه ، ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها فى قالب غريب المثل
شير فيها إلى قول ابن معديكر

لأنهنى بعد اكرامك لى فشديد عادة منتزعه

لايكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق مالغيث معه

والى المثل العربى « كدمت فى غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئاً من غير أهله ، وإلى قول المتنبي
ولا تشكو إلى خلق قدشتم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

وإلى الامثال العربية « الالباس قبل الالباس » وهو يضرب فى الرفق « حرك لها حوارها
من » وهو يضرب فى استهزاء المهمة و « نه لها عمراً ثم نم » يضرب فيمن يعتمد على غيره
« عند الصباح يحمّد القوم السرى » وهو يضرب عند حمد العاقبة (٥) سهلت (٦) بالغت فى
لب العذر (٧) المنزل — يقول لسيده إني ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الاحوال ولا
بمعاناة الاحوال ولا بعد نجوم السماء ولا رمال الدهناء وإنما هو أمر يكبر فى عين سائله ويصغر
بأذله وهو فى يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وإن سهلت عسيره سهل وإن التمسيت لى المعذرة
نفت الصعوبة ، وأنت تعلم زادك الله علماً أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال زكاتها
شفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه وفد المستعين — وأيد ذلك بالبيت بعده
وله ان سنيت مأخوذاً من قول بشار

فبالله ثق إن عزما تبتغى وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

لعلّي ألتقي العصا بذراك^(١) وتستقرّ بي النوى^(٢) في ظلك ، وأستأنف^(٣)
التأدّب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك . فلا أوجد للحاسد مجال^(٤) لحظه^(٥)
ولا أدع للقادح^(٦) مساغ^(٧) لفظه

والله مُيسّر من إطلابي^(٨) بهذه الطلبة^(٩) ، وإشكائي^(١٠) من هذه
الشكوى ، بصنيعة تُصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مُستودع
حسباً أنت خالق^(١١) له ، وأنا منك حرّى^(١٢) به ، وذلك بيده وهين عليه

﴿ مكاتبات متفرقة ﴾

(كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدُول الأوروبية)

أيها الوزير الأفهم — إن لفظة تقسيم (تركيا) إفك لا يفوه به عاقل ، ولا
يتصوره إنسان . تكاد تنفطر له السماء دهشة ، وترجّ له الأرض وحشة . بل
تخرّ دونه الجبال . وتنفكّ عنده الآمال ، كأنّ أوروبا تستطيعه ، ولكنها لم تفعله
ولن تفعله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، قتل : « اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ

(١) كل ما استترت به (٢) ما ينويه المسافر من قرب أو بعد (٣) أبتدىء (٤) جال طاف (٥) نظره
(٦) الطاعن (٧) ساغ الشراب سهل مدخله في الخلق — يتول أرجو من سيدي أن يفهم
عن ذنبي وتقصيري ويلبي ندائي ، هذا كي أسكن في ظلك وكنفك ولا أذهب إلى غيرك وتكون
غاية آمالي ومتنهي أسفاري وأنوب عما كنت مرتكبه ومتمسكاً به مما لا يرضيك وأتخلّق باخلاقتك
وأتمسك بطريقتك وأخذو حدوك وأتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوى في مدار لحظه ولا الطاعن
ما يسوغ من لفظه . وقوله لعلّي ألتقي الخ حل بيت للمعز بن أوس وهو

وألقت عصاها واستقرها النوى كما قر عيناً بالأياب المسافر

(٨) اسعاف (٩) ما أطلبه (١٠) إزالة ما أشكوه (١١) جدير (١٢) حقيق : يقول لسيدوه والحمد
لله الذي سهل لك مطلبه وإسعاف وإزالة ما أشكوه من آلام السجن بمعروف تبذله لاهله وتحفظه
عند أمين لوقته حسباً يقتضيه كرم أخلاقك وجيل صفاتك وأنا أحق الناس به لمودتي لك وإخلاصي
في ولائك وما ذلك عليك بمنز

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع

من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير.

تقسيم تركيا ، كلمة ليست أكبر من أوروبا فقط ، بل هي أكبر من منظومة هذا العالم الشمسي ، الذي تراه أو تسمع به ، إن كنت لا تراه ، فلا يليق أن يفوه به إلا فم القدرة الإلهية « القائم على كل نفس بما كسبت والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

تقسيم تركيا : ربما يكون ، ولكن متى يكون ؟ حينما يتحلّى وجه البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية . يوم ترى الأرض لابسة تلك الحلة الأرجوانية الثمينة ، حيث تمشي الدماء ، على فيروزج الفضاء ، محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق : لا أرض لمن تطل ، ولا سماء لمن تظل ، ولا قائم موجود ، ولا دائم مقصود — هنالك تحدث شياطين الخيال في أندية المحال ، بمحدث ذلك التقسيم المشثوم ، ولا من سميع ولا من مجيب . فالويل ثم الويل يوم ذلك التقسيم الموهوم ، والشبور ثم الشبور إذا تنزلت السماء بقضاء ذلك الهول المقسوم . إن في ذلك لبالاغا ليقوم يفكرون .

« وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في شكر صديق له على مراسلته إياه »
وصل ما وصلتني به ^(١) (جعلني الله فداك) ^(٢) من كتابك ، بل نعمتك التامة ، ومننتك العامة ^(٣) ، فقررت عيني بؤروده ^(٤) وشفيت نفسي بؤفوده ^(٥) .

(١) ورد الي كتابك الذي ربطتني به معك (٢) أي وضعني الله مكانك في كل مكروه حتى تخلص منه (٣) أي الذي ورد إلى هو خطابك الذي أعدته بمنزلة نعمتك العمومية وجهيك الشامل (٤) فاطمان قلبي بوصوله الي (٥) وطابت نفسي بمجيئه الي

ونشرته فحكي نسيم الرياض غيب المطر^(١)، وتنفس الأنوار في السحر^(٢)، وتأملت مفتحه وما اشتمل عليه من لطائف كلمك، وبدائع حكمك^(٣) فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك^(٤)، وضروب الفضل منك^(٥)، جداً وهزلاً^(٦) ماملاً عيني وغمر قلبي^(٧)، وغلب فكري، وبهر لبّي^(٨). فبقيت لا أدري! أستموط دُرّ خصصتني بها^(٩)؟ أم عقود جوهر منحنتها^(١٠)؟ ولا أدري: أجذك أبلغ وألطف؟ أم هزلك أرفع وأظرف؟ وأنا أوكّل بتتبّع ما انطوى عليه نفساً لا ترى الخطّ إلا ما اقتنته منه^(١١)، ولا تعدّ الفضل إلا فيما أخذته عنه. وأمتع بتأمّله عيناً لا تقرّ إلا بمثله، ممّا يصدر عن يدك، ويردّ من عندك. وأعطيه نظراً لا يملّه، وطرّاً لا يطرّف دونه^(١٢). وأجعل مثلاً أرتسمه وأحتذيه^(١٣)، وأمتع خلقي بروفته، وأعذّي نفسي بهجته، وأمزج قريحتي برقته، وأشرح صدرى بقراءته، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً، وفي تعديد ما ذكرته متخلّفاً، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السحر الحلال.

(ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكرى في سفرته إلى الاستانة العلية)
كتابي إلى السيد الأجل، وأنا أحمد الله إليه، وأدعوه أن يُديم النعمة والسلامة

(١) ونشرته أى فتحته فحكي نسيم الرياض غيب المطر أى لشبه الريح التى تهب من البساتين بعد ما نزل المطر عليها . (٢) وأشبه تنفتح الازهار فى أواخر الليل (٣) أى وتدبرت فى صدره وفى الكلمات اللطيفة التى أودعها فيه والحكم البديعة التى نثرها فيه (٤) أى شاهدت منه أنواعاً من الاكرام أثبتتها فيه (٥) وأصنافاً من الافضال دوتها فيه (٦) من الامور الهامة الجدية والامور المفرحة المازحة (٧) ملاً عيني يعنى صرفها عن النظر الى غير احسانك - وغمر قلبي أى لم يدع له منصرفاً إلى غير افضالك (٨) وغلب فكري أى استحوذ على عقلى، وبهر لبى أى راع عقلى وسباه (٩) أى عقود در قصرها على (١٠) منحنتها أى اعطيتها (١١) اكتسبته (١٢) الطرف العين، ويطرف يطبق جفنا على الآخر (١٣) أرسمه فى فكري واقتردى به

عليه : وبعدُ — فلما اعتزمتُ على الرحلة هذا العام ، الى قبة السلام ، ودار خلافة
 الأسلام ، وفارقت مصر وساكنها ، وأرباضها ^(١) ومواطنها ، ركبْتُ سفينة
 عدوئية ^(٢) ، إلى الثغور الفرنجية ، فجرتُ في خضم ^(٣) عجاج ، مُلتطم الأمواج
 له دوىٌّ من جرجرة ^(٤) الآذَى ^(٥) ، أخضر الجلد ، كأنه إفِرْنَد ^(٦) تصطخب ^(٧)
 فيه النينان ^(٨) ، وتجرى في جوفه الدعاميص ^(٩) والحيتان ، اذا مازجه الأصيل ^(١٠)
 بالعشي ، خلتُه كسرت ^(١١) عليه الحلى ، أو مزج بالرحيق ^(١٢) القطر بلى ^(١٣) .
 وإن لاحت به نجومُ السماء ، خلتُه صفائح من فضة بيضاء ، سُمرت بمسامير صغار
 من نُضار ^(١٤) . وأخذت السفينة تشقُّ عبابه ^(١٥) ، وتفلق حبابه ^(١٦) ، بين ريح
 رُخاء ^(١٧) ، أو زعزع ^(١٨) هوجاء ^(١٩) . فهي تارة في طريق مُعبَد ^(٢٠) ، ورَمِيث ^(٢١)
 مُسرَد ^(٢٢) ، وطوراً فوق حزن ^(٢٣) وقرَدَد ^(٢٤) ، أو على صرح ^(٢٥) ممرَد ^(٢٦)
 وكان معنا في الفلك ، رهط من العرب والتُّرك ، فكنا نتواردُ معهم في جواب ^(٢٧)
 الأخبار ، وطُرف ^(٢٨) الأحاديث والأسمار ^(٢٩) ، ما يُزرى ^(٣٠) بالمنهل العذب ،
 واللؤلؤ الرطب ، الى أن يميل ميزان النهار ، وتغرق ذكاه ^(٣١) في البحار ، ويُسمى

(١) مساكنها (٢) نسبة الى قرية عدوى بالبحرين او نسبة الى صانها ، والمقصود أنها أضخم
 سفينة (٣) البحر (٤) الصوت (٥) الموج (٦) جوهر السيف (٧) تختلط أصواتها (٨) جمع
 نون الحوت (٩) جمع دمعوس دودة لها رأسان ترى في الماء إذا قل (١٠) الوقت بعد العصر
 حتى تقرب الشمس (١١) ردت ووضعت (١٢) الحمر (١٣) بضم القاف وتسكين الطاء وضم الراء
 وتشديد الباء الحمر المنسوب الى قطر بل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالتمر (١٤) الذهب
 (١٥) بضم العين الموج (١٦) بفتح الحاء ما يملو الماء (١٧) بضم الراء الريح اللينة (١٨) بفتح
 الزاين الريح الشديدة (١٩) بفتح الهاء الريح القوية تعلق الاشجار والبيوت (٢٠) مذلل ومسهل
 (٢١) جمع ميثاء الارض السهلة (٢٢) منتظم لا صعوبة فيه (٢٣) الارض الصعبة (٢٤) الارض
 المرتفعة الفليظة (٢٥) القصر (٢٦) مرد البناء ملسه حتى صار ناعماً (٢٧) الاخبار الطارئة
 (٢٨) المحاسن (٢٩) الاحاديث وأصله لاحاديث الليل (٣٠) يعيب ويحقر (٣١) بضم الذال
 ممنوعة من الصرف اسم للشمس

الكون من السّواد ، في لبّوس حديد^(١) أو لباس حداد . وتبرّق نجوم السماء
في أكناف الظّلماء ، كأنّها سكّاء^(٢) دِلاص^(٣) ، أو فلق رصاص ، أو عيون
جراد ، أو جمر في خلال رماد ، أو دُرّ في بحر ، أو ثقب في قبة الديّجور^(٤) ،
يلوّح منها النّور . ويبدو الهلال كأنّه خنجر من ضياء ، يشقّ طيالس الظّلماء ،
أو قلادة ، أو دملج^(٥) غادة^(٦) . أو سنان^(٧) لواء الضراب ، أو اللّيل فيل وهو
ناب . فنأخذ مجلساً نسّمه^(٨) الكافور ، وأرضه عنبر مذور^(٩) ، رُفمت فيه
زرّابي مَبْثُوثات^(١٠) ، ومنابذ^(١١) وحسانات^(١٢) ، وأنماط^(١٣) مفروشة ،
وبسط منقوشة .

بُسط أجاد الرّسم صانعها وزها عليه النّقش والشّكل
فيكاد يُقطّف من أزهارها ويكاد يسقط فوقها النّحل
وحوله شموع تزهر ، وأضواء تبهر^(١٤) ، وقد دارت عليه سقاة^(١٥) كجماع^(١٦)
الثّريا^(١٧) ، بأقداح الحميميّا^(١٨) ، وأكواب^(١٩) الفانيد^(٢٠) المروّق ، وقوارير^(٢١)
الجلّاب^(٢٢) المصقّق^(٢٣) . ثمّ تجيّ قِيْنَة^(٢٤) في يدها ناي ، كأنّه صُور اسرافيل ،

(١) بفتح اللام الدرع (٢) جمع سك السمار (٣) بكسر الدال الذي يبرق ويلعب (٤) الظلام
(٥) بكسر الدال وزن درهم أو بعضها مع ضم اللام حلى للنساء يلبسه في أيديهن (٦) المرأة
الناعمة لينة الاعطاف (٧) حديدة الرمح (٨) نسبه (٩) مفشور (١٠) منشورات (١١) جمع
منبذة وزن مكينة الوسادة التي يتكأ أو ينام عليها (١٢) جمع حسانة الوسادة الصغيرة التي
يتكأ عليها أيضا (١٣) جمع نمط ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الالوان
(١٤) تزهر وتبهر كلاهما بمعنى تضيء وابهما منع (١٥) جمع ساق (١٦) بالضم ما جمع وانضم
لبعضه الى بعض ومراده الغلمان (١٧) سبعة كواكب منضمة بعضها الى بعض (١٨) الخمر والمراد
الشراب (١٩) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لاعروة له أو لا خرطوم (٢٠) نوع من
الحلوى فارسي معرب بانيد (٢١) جمع قارورة مايوضع فيها الشراب من الزجاج (٢٢) ماء الورد
فارسي معرب (٢٣) المروّق الصافي (٢٤) المغنية

يُحيي الرُّثَا (١) ، وَيُنْشِرُ (٢) الأَمْوَاتَ ، حَتَّى إِذَا بَدَأَ الضِّيَاءُ ، كَابَتْسَامُ الشَّفَّةِ
الْمَيِّاءِ (٣) ، دَخَلْنَا الْمُضْجَعَ لِنَهْجَعَ ، وَهَلُمَّ جَرًّا (٤) ، فِي أَيَّامِنَا الْآخِرَى .

✽ وَكَتَبْتُ السَّيِّدَةَ وَرْدَةَ الْيَازْجِيَّةَ إِلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ تَيْمُورَ الْمُتَوَفَاةِ سَنَةَ ١٣٠٠ هـ ✽
سَيِّدَتِي وَمَوْلَاتِي — أَعْرَضَ أَنْيُّ بَيْنَمَا أَنَا أَلْهَجُ بِذِكْرِ الطَّافِكِ السَّنِّيَّةِ ، وَأَتَنَسَّمُ
شِدَا أَنْفَاسِكِ الْعَبْقَرِيَّةِ ، وَأَتَرَقَّبُ لِقَاءَ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكُمْ يَتَعَلَّلُ بِهِ الْخَاطِرُ ، وَيَكْتَحِلُ
بِأَيْمِدٍ مَدَادِهِ النَّظَرُ

وَصَلَّتْنِي مَكَاتِبُكُمْ ، فَجَلَّتْ عَنِ الْعَيْنِ أَقْدَاءُهَا ، وَرَدَّتْ إِلَى النَّفْسِ صَفَاءُهَا
فَتَنَاولَتْهَا بِالْقَلْبِ لَا بِالْبَنَانِ ، وَتَصَفَّحَتْ مَا فِي طَيِّبِهَا مِنْ سِحْرِ الْبَيَانِ — قَفَلْتُ
هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَامَ الْفَوَادُ بِهِ يَالَيْتَنِي قَلَمٌ فِي كَفِّ كَاتِبِهِ
وَلَعَمْرِي أَنَّهُ كِتَابٌ حَوَى بَدَائِعَ الْمُنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ ، وَتَحَلَّى مِنْ دُرَرِ الْفَصَاحَةِ
فَأَخْجَلَتْ لَدَيْهِ دَرَارِي النَّجُومِ ، وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَى مَقَامِكِ الْعَالِي بِهَذَا الْجَوَابِ نَاطِقًا
بِتَقْصِيرِي ، وَضَمَّنْتُهُ مِنْ مَدَحِ سَجَايَاكُمْ الْغُرَّاءِ ، وَمَا يَشْفَعُ لَدَى مَكَارِمِكُمْ فِي قَبُولِ
مَعَاذِيرِي ، لَا زَلَمْتُ لِلْفَضْلِ مَعْدَنًا وَذُخْرًا ، وَلِلْأَدَبِ كَنْزًا وَفَخْرًا .

✽ وَكَتَبْتُ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ تَيْمُورَ إِلَى السَّيِّدَةِ وَرْدَةَ الْيَازْجِيَّةِ الْمُتَوَفَاةِ سَنَةَ ١٣١٣ هـ ✽
أَسْتَهْلُ بِرَاعَةِ سَلَامٍ حَمَلَ الشَّوْقُ رِسَالَتَهُ ، وَتَقَلَّدَ الشَّقُّ مَانَشَقَتُ نَاشِقَةً
عَرَفَ الْوُدَادُ كِفَالَتَهُ . وَلَوْ رَضِيَتْ الْمَجَالُ . فِي صَدَقِ الْمَقَالِ ، لَنُطِقَ بِخَالِصِ الْوَفَاءِ
مِدَادُ حُرُوفِهِ ، وَأَقَامَ بِأَدَاءِ التَّحِيَّةِ الْعَاطِرَةِ قَبْلَ فَضْلِ خَتَامِ مَظْرُوفِهِ . وَلَعَمْرِي قَدْ
تَوَجَّهَتْ أَزْهَارُ الثَّنَاءِ ، بِلَالِي غُرَّاءِ ، كَلَّلَتْهُ زَوَاهِرُ الْوَفَاءِ ، مِنْ خَالِصِ الْوُدَادِ إِلَى

(١) الحطام البالي — والمراد الاموات (٢) يحييها (٣) فيها لمى وهى سواد الشفة (٤) معناه
إتصال الامر واستدامته

حضرة من لا تَزَالُ تَسْرُوحُ الأَسْمَاعُ بِنَسِيمِ أَنْبَاهَا صَبَاحَ سَاءَ ، وَتَتَشَوَّقُ الأَرْوَاحُ إِلَى اسْتِطْلَاعِ بَدْرِ إِنْسَانِهَا الْكَامِلِ أَطْرَافًا وَأَنَاءَ ، وَمَا زَادَنِي شَوْقًا إِلَى شَوْقٍ ، حَتَّى لَقَدْ شَبَّ فِيهِ طِفْلُ الشَّقِّقِ عَنِ الطَّوْقِ ، اجْتَلَانِي حَدِيقَةَ « الْوَرْدِ » الْقُدْسِيَّةِ ، وَنَافِخَةَ الأَدَبِ الْمُسْكِيَّةِ . فَيَالِهَا مِنْ حَدِيقَةِ رَمْتِهَا أَحْدَاقُ الأَذْهَانِ ، فَاقْتَبَسْتَ نُورًا وَنُورًا وَانْتَشَتِهَا مَسَامُ الأَذَانِ ، فَمِلْتَ طَرَبًا وَسُرُورًا . وَمِنْذُ سَرَّحْتُ فِي أَرْجَاءِ تِلْكَ الْيَافَعَةِ إِنْسَانَ الْعَيُونِ ، وَشَرَحْتُ بِأَفْكَارِ الْبَصِيرَةِ أَسْرَارَ ذَلِكَ الدَّرِّ الْمَصُونِ ، لَمْ أَزَلْ بَيْنَ طَرَبِ أَتَوْشُحِ بُوِشَاحِهِ ، وَأَتَعْجَبُ مِنْ حَسَنِ اخْتِتَامِهِ وَافْتِتَاحِهِ ، وَجَعَلْتَ أَغَاذِلَ مِنْ نَرْجِسِ تِلْكَ الرُّوضَةِ عَيُونًا مَلَكْتُ مَنَى الْخَوَاسِ ، وَهَضَرْتَ مِنْ غُصُونِ أَلْفَاتِهَا كُلَّ مَشْوُوقٍ أَهْيَفَ مَيَاسٍ ، وَأَتَادَبُ فِي حَضْرَةِ وَرْدِهَا ، خَوْفًا مِنْ شَوْكَةِ سُلْطَانِهَا ، وَأَنْ حَيَاتِي بِجَمِيلِ الْاِلْتِنَاتِ ضَاحِكَةٌ عَنْ نَفْسِ بُجَانَةٍ ، وَإِذَا بِالْيَاسَمِينِ الْغَضُّ قَدْ أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى الثَّرَى ، وَنَادَى بِلِسَانِ الْأَفْصَاحِ : هَلْ لِهَذِهِ النَّظْرَةِ نَظِيرَةٌ يَا تُرَى ؟ ! فَأُشَارُ الْمُنْشُورَ بِكَفِّهِ الْخَضِيبِ أَنْ لَا نَظِيرَ لَتِلْكَ الْغَادَةِ ، وَنَطَقَ الزَّبَقُ بِلِسَانِ الْبَيَانِ : لَا تَبْكُمُوا الشَّهَادَةَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَفَّقَ الطَّيْرُ بِأَكْفِ الأَجْنَحَةِ وَبَشَّرَ ، وَجَرَى الْمَاءُ لِإِذَاعَةِ نَبَأِ السُّرُورِ فَعَثَرَ بِذَيْلِ النَّسِيمِ وَتَكَسَّرَ ، وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا الْمُورَقَةُ لِسَمَاعِ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَأَخَذَتْ نَسَائِهَا الْعَاطِرَةَ فِي السَّيْرِ الْحَثِيثِ إِذَاعَةً لِتِلْكَ الْبَشَائِرِ فِي الْعَشَائِرِ ، وَنَشَرَّا لِهَذِهِ الْفَضَائِلِ الَّتِي سَارَتْ مَسِيرَ الْمَثَلِ السَّائِرِ ، فَقُلْتُ بِلِسَانِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، بَعْدَ تَحْقِيقِ هَذَا النَّبَأِ الْيَقِينِ . هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْحَدِيقَةُ وَالْأَ . وَكَذَلِكَ كَذَلِكَ لَتُكْتَبَ الْفَضَائِلُ وَتُمْلَى .

وَحَدَّثَنِي يَا سَعْدُ عَنْهُمْ فَرَدَنِي غَرَامًا فَرَدَنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ
فَتَحَمَّلْتُ عَنْيَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ تَحِيَّةً إِلَى رَبَّةِ هَاتِيكَ الْحَدِيقَةِ ، وَاشْرَحْتُ لَهَا

حديث شغنى بفضلها الباهر على الحقيقة ، وأعتذر عن كتابى هذا فقد جاء يمشى على استحياء ، وكلما حرّكه الشوق يُبِطُّهُ الحياء . وكيف وقد حلّ فى منبع الفضائل والمقام الذى لم يدع مقالاً لقائل ، فكأنى انما أهدى الثمر إلى هجر ، وأمنح البحر الخضم بالمطر ، أدام الله معالى تلك الحضرة ، وزادها فى كل حال بهجة ونضرة . ملاح جبين هلال ، وبلغ غاية الكمال .

« وكتب المرحوم السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ »

أستاذى وقُدوتى ، وملاذى وعمدتى — رَبَّيْتَ فَأَحْسَنْتَ . وَغَدَّيْتَ ، فَأَسْمَنْتَ . مُؤَدِّباً لَيْثاً ، وَلَيْتَ فَسَوَّدْتَ ، وَجَدْتَ فَعَوَّدْتَ ، مُهَدِّباً غِيثاً . وَعَلِمْتَ فَأَفْهِمْتَ ، وَأَشَرْتَ فَأَهْلَمْتَ غَرَضَ سَهْمِكَ . وَقَدْ نِلْتَ مَا أَمَلْتَ ، فِيمَنْ عَلَيْهِ عَوَّلْتَ ، بِحُسْنِ فَهْمِكَ .

غلامك الشهير بالنديم مَنْ صَارَ فى البيان كالنسيم

وكيف لا يكون لسانى قوسَ البديع ؟ وكلامى السهم السريع ؟ وأنت باريه وراميه ! أم كيف لا يكون مقامى الحصن المنيع ؟ وقدرى العزيز الرفيع ؟ وأنت معلية وبانية ! فوجهه جمال العلم أنت غرته ، وإنسان عين العلم أنت قرته ، وحاليه وجاليه . وجبين العقل أنت طرته ، وكتاب الفضل أنت صورته ، وطاليه وتاليه .

على بابك العالى من الفضل راية	على رأس أرباب المعارف تحف
فعلمك جنات وحلمك جنة	وكلك خيرات وغيثك مغدق
أرى غصن من يدعوا إلى الفضل نفسه	من الفضل عريانا وغصنك مورك
إذا رمت إنشاء فن صدق فكرة	تهادى بأبكار وغيرك يسرق

« وكتب أيضاً في التَّوَدُّدِ »

بينما أنا راكبٌ لُجَّةَ بحر الفكر، مُجدِّ في طلب فريدةٍ بكر، تارةً أغوص
وَمَرَّةً أسبحُ، وآونةً أقفُ وطوراً أصفحُ، لا يقرُّ لى قرار، ولا يُمكننى الفرار،
ولا يقصر عن طرْحِ شباكى ذراعٌ، ولا يُطوى لسفينتى شراع، كلما أدركنى
المُكل، هاجت على رياح الأمل، حتى دخلتُ فى بحرٍ عجَّاج، مُتلاطم الأمواج،
فاقتحمت هذا المركبَ الصَّعب، وتَهتُّ بين الجزائر والشَّعب، فتعلقتُ أفكارى
بالسَّوارى والجبال، وبتَّ بلبلةِ نجومها كواحل، لا يُرى فيها برٌّ ولا سواحل،
وقلتُ اشتدادُ الأمر يستدعى ضده، ولا يأتى الفرجُ إلا بعد الشدة - وعينيك
ماسلٌ سيفها على مفرقٍ مَساها، حتى سمعتُ باسم الله مُجرَّها ومرضاهَا. فكان
من تمام حظِّى وسعودى: أن تركتُ لُجَّةَ اليمِّ واستوتُ على الجودى. وانصرف
خوفى وارتبأ كى، وبادرتُ بطرْحِ شباكى، فاذا هى قد مُلئت بأصداف الجوهر،
وعلقت بها شجرة العنبر، ففتَّح الصدف عن دُرٍّ يستخدمُ الأقمار، وفاح العنبرُ بما
أذهب شذى الأزهار.

وصرت ما بينها كسرى الزمانِ له شمسٌ تُنادمه فى مجلسِ عطر
ورنلتُ أقصى أمانٍ كنت أملها الانس فى خلدى والنور فى نظرى
ولما جلوت الطرف، بما فيها من الظرف، ووقعت عندى الموقع الحسن،
أردت أن أسومها بئمن، فاذا هى دُرَّةٌ يتيمة، لا يُقدِّر لها أحدٌ على قيمة. فاستهديتها
من ربِّها، لشغفى بحبِّها، وجعلت القلبَ لها كنزاً، والفؤادَ لها حريراً، ألا وهى
(محبة العزيز الحافظ) أبعد مرئى وأبلغ لافظ.

وكتب إبراهيم بك المويلحي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ يعزى محموداً أباشا البارودى :
 أنت يافوق أن تُعزى عن الأحبا ب فوق الذى يُعزىك عقلا
 وبألفاظك أتهدى فاذا عزاً لك قال الذى له قلت قبلا
 وقتلت الزمان علماً فما يغرب قولاً ولا يُجدد فعلا
 نعم إنك يا « محمود » الخصال و « سامى » الفِعال ، لأنَّ الشَّهْم المُجربَّ
 صُروف الحدَثان ، والعالم الخبير بأحوال الزَّمان ، قد أعددت لنوازل المقدور ،
 زُلاً من الصَّبر المأجور ، وصرفت ضيف الشَّجون والهُموم ، إلى قُرى الفضائل
 العلوم ، وأخذت بسنة السَّلف الصالح ، فى مُقابلة الخطوب الفَوَاح ، وأنت لاشك
 سندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم ، بسيرة ذاك الفيلسوف الحكيم
 بن هو جالس يوماً فى الدَّرس بين تلاميذه ، إذ جاءه من أخبره بأنَّ ابنه الوحيد
 مات ، وهو رطب الشَّباب غضَّ العُمُر ، فلم يتولَّه الفزع ، ولم يظهر عليه الاضطراب ،
 لم يُبْدِ على وجهه الكدَر ، وما زاد على أن استرجع ، واستمرَّ فى قراءة درسه
 كما كان . فلما انتهى منه بادره أحد الحاضرين من أصحابه ، ممَّن حيرتهم الدَّهشة
 ، أمره ، يسأله : كيف لم يسلبه الحزن ثوب الثَّبات برهةً عند مُفاجأته بالخبر ؟ فقال
 : « لو فاجأتنى النَّازلة على غِرةٍ منى لجزعتُ وحزنت ، ولكنى ما زلتُ أقدرُ
 . بنى منذُ يومٍ ولادته ، حلُولُ أجله فى كلِّ يومٍ من أيام حياته ، ومثلُ هذا اليوم كنت
 عدّه من زمانٍ طويلٍ ، وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرتهُ خُلسةً اختلستُها
 من الدَّهر ، حتى مضى على هذه العارية عشرون عاماً ، فشكرى لله اليوم على
 أن أبقاها فى يدي طولَ هذه المدَّة ، يوم مقام الحزن عند غيْرِى لدى استردادها
 عن النَّبى ﷺ » إذا مات ولدُ العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم ولدَ عبدى ؟

فيقولون : نعم . فيقول : أقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون : نعم . فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة : وسموه بيت الحمد « وأنت يا محمود - صلوات الله عليك ورحمته لقوله تعالى « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » - أول من يمثل لحكم القضاء ، ويسترجع عند نزول البلاء ، ويميل بأدب الدين في التجلُّد والتصبر ، يأخذ بسيرة الحكماء في التدبر والتبصر

ومن كان ذا نفس كنفسك حرة ففيه لها مغن وفيها له مُسل

وكتب سهل ^(١) بن هرون المتوفى سنة ٦٤٩ هـ في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال الأخف بن قيس : يامعشر بني تميم ، لا تُسرِعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياءً من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب بجة ، فتأمل عياباً . فانه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى مرشداً ، وإن تُغري بمُشفق وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإصلاح فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون وقد وضع كتاباً حاكى به كتاب « كيلة ودمنة » وسماه « ثلعة وعفرة » وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون .

وما أخطأنا سبيل حُسْنِ النِّيَّةِ فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم ؛ ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : « وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أُنِيب » فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم ، أن ترعوا حقَّ قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بكم ، ولا بواجب الحرمة قتم . ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر ، لرأينا في أنفسنا عن ذلك سُغلا .

عَبْتُمُونِي بقولي لخادمي : « أجيدي العَجِينَ فهو أطيب لَطْعَمِهِ ، وأزِيد في رِيعِهِ ^(١) » . وقد قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « ^(٢) أملكوا العَجِينَ فإنه أحد الرِّيعِينَ » وعَبْتُمُونِي حين خَتَمْتُ على ما فيه شيء ثَمِين من فاكهة رَطْبَةٍ نَقِيَّة ، ومن رَطْبَةٍ غَرِيبَةٍ ، على عَبْدٍ نَهَم ، وصَبَى جَشِيع ، وأَمَةٍ لَكُء ^(٣) ، وزوجة مُضِيعَة وعَبْتُمُونِي بالختم . وقد خَتَمَ بعض الأئمَّة على مِرْزود سَوِيق ^(٤) وعلى كَيْس فارغ . وقال : « طِينَةُ خَيْرٍ مِنْ طِينَةِ ^(٥) » فأمسكتم عَمَّنْ خَتَمَ على لا شيء ، وعَبْتُمُونِي من خَتَمَ على شيء :

وعَبْتُمُونِي أَنْ قُلْتَ للغلام : « إِذَا زِدْتَ فِي المَرَقِ فِزْدُ فِي الإِنْضَاجِ ، لِيَجْتَمَعَ مَعَ التَّادِمِ بِاللَّحْمِ طِيبُ المَرَقِ » .

وعَبْتُمُونِي بِخَصْفِ ^(٦) النعل ، وَبِتَصْدِيرِ ^(٧) القميص . وحين زَعَمْتَ أَنْ

(١) الرِّيع : النِّمَاء ، ولزيادة . (٢) إِمْلَاكُ العَجِينَ : إِنْهَامُ عَجْنِهِ . (٣) الْكُءَاء : الْحَمَاء .

(٤) المِرْزود : وَءَاءُ الزَّاد . والسَوِيق : طَعَامٌ يَتَّخَذُ مِنَ الحَنْطَةِ أَوِ الشَّعِير . (٥) طِينُهُ مِنْ طَانِ

الشَّيْءِ أَيْ خَتَمَهُ بِالطِّينِ وَ(طِينُهُ) مِنَ الطَّوِيِّ وَهُوَ الْجُوعُ (٦) خَصَفَ النِّعْلَ : خَرَزَهَا .

(٧) تَصْدِيرُ الْقَمِيصِ : أَنْ يَجْعَلَ لَصَدْرِهِ بَطَانَةً .

المَخْصُوفَةُ مِنَ النَّمْلِ أَيْقَى وَأَتَقَرَّى وَأَسْبَهَ بِالشَّدِّ ، وَإِنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الْحَزْمِ ، وَالتَّفْرِيطَ مِنَ التَّضْيِيعِ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ ، وَيَقُولُ : «لَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَتَبَلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ» . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسِ الْخَلْقَ . وَبَعَثَ زِيَادُ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ مُحَدَّثًا ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا . فَأَتَاهُ بِهِ مُوَافِقًا ، فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتُ بِهِ ذَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا . وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ ، يَلْبَسُ خَلْقًا ، وَيَلْبَسُ النَّاسَ جَدِيدًا . فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ ! مِثْلَ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَسَمَا بِهِ مَوْضِعًا . كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا . وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالْإِسْمِ ، وَأَمَاتَ بِالْأَوَاءِ ، وَأَغْصَى بِالْمَاءِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قِلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ . وَقَدْ جَبَرَ الْأَخْفَ بِنِ قَيْسِ يَدَ عَزْرَ ، وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِفَرْكِ النَّعْلِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَكَلَ يَيْضَةً فَقَدْ أَكَلَ دَجَاجَةً . وَلَبَسَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جِلْدَ أُضْحِيَّةٍ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْحَكَمَاءِ : أُرِيدُ أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ دَجَاجَةً . فَقَالَ : إِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاجْعَلْهَا بَيُوضًا .

وَعَبَّئْتُمُونِي حِينَ قُلْتُ : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاضِعَ السَّرَفِ فِي الْمَوْجُودِ الرَّخِيسِ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاضِعَ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَمْتَنِعِ الْغَالِي . وَلَقَدْ أَتَيْتُ بِمَاءٍ لِلْوَضُوءِ عَلَى مَبْلَغِ الْكِفَايَةِ وَأَشَدَّ مِنَ الْكِفَايَةِ ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ عَلَى الْأَعْضَاءِ ، وَإِلَى التَّوْفِيرِ عَلَيْهَا مِنْ وَضِيعَةٍ ^(١) الْمَاءِ ، وَجَدْتُ فِي الْأَعْضَاءِ فَضْلًا عَنِ الْمَاءِ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَوْ كُنْتُ سَلَكْتُ الْاِقْتِصَادَ فِي أَوَائِهِ ، لَخَرَجَ آخِرُهُ عَلَى كِفَايَةِ أَوَّلِهِ ، وَلَكِنْ نَصِيبُ الْأَوَّلِ كَنَصِيبِ الْآخِرِ . فَعَبَّئْتُمُونِي بِذَلِكَ وَشَنِّعْتُمُونِي عَلَى ؛ وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ : وَذَكَرَ

السرف : « أما إنه ليكون في الماء ، والكلاء » . فلم يرض بذكر الماء حتى .
أردفه الكلاء .

وعبتموني أن قلت : لا يفتن أحكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورقّة عظمه ، ووهن قوته . وأن يرى نحوه أكثر ذريته ، فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله يكون معمرًا وهو لا يدري ، وممدودا له في السن وهو لا يشعر . ولعله أن يرزق الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر ، ما لا يخطر على بال ولا يدركه عقل . فيسترده من لا يردّه ، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه ، أصعب ما كان عليه الطلب ، وأقبح ما كان به أن يطلب ؛ فعبتموني بذلك . وقد قال عمرو بن العاص :

اعملْ لديّك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعبتموني بأن قلت : بأن السرف والتبذير إلى مال الموارث ، وأموال الملوك . وإلى ما لا يعرض فيه بذهاب الدين . واهتضام العرض . ونصب البدن . واهتضام القلب أسرع ، وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنى المجتلب أقرب . ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله . ومن لم يحسب الدخل ، فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنى قدره ، فقد أودن بالفقر ، وطاب نفسا بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كسب الحلال ، يضمن الانفاق في الحلال . وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الانفاق في الهوى حجاب دون الهدى ، فعبتم على هذا القول . وقد قال معاوية : لم أر تبذيرا قط إلا وإلى جنبه تضییع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب

الرجل ماله ، فانظروا فيماذا يُنْفِقُه . فان الخبيثَ إنما يُنْفِقُ في السَّرَفِ . وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن النظر مني لكم ، وأنتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات . فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا الى نفسه . فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة . فإن البلية لا تجرى في الجميع ، إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة . والشاة والبعير : فرقوا بين المنيا . وقد قال ابن سيرين لبعض البحرّيين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرّقها في السفن : فإن عطّب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : « تحسبها خرّقاء وهى صنّاع ^(١) » . وعبّتموني بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى كسرا ، وللمال انزوة ^(٢) . فمن لم يحفظ الغنى من سكره ، فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر ، فقد أهمله .

فعبّتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلا من غني أمين الفقر . وسكر الغني أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :

وهوبٌ تلاد المال فيما ينوبه منوعٌ اذا ما منعه كان أحزما
وعبّتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُفاد العلم ، وبه تقوم النفس ، قبل أن تعرف فضل العلم . فهو أصل ، والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : ألا أغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الغفلة هو فطن يقط . (٢) النزوة : الثورة - أو الوثبة

أَيُّوَابُ الْعُلَمَاءِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِفَضْلِ الْمَالِ ، وَجَهْلِ الْأَغْنِيَاءِ بِحَقِّ الْعِلْمِ فَقُلْتُ : حَالُهَا هِيَ الْقَاضِيَةُ بَيْنَهُمَا . وَكَيْفَ يَسْتَوِي شَيْءٌ حَاجَةٌ الْعَامَّةِ إِلَيْهِ ؟ وَشَيْءٌ يَغْنَى فِيهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ، وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي لَا بَغْضَ أَهْلِ بَيْتٍ يُنْفِقُونَ نَفَقَةَ الْأَيَّامِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ . وَكَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ يَقُولُ لَوْلَدَهُ : إِذَا بَسَطَ اللَّهُ لَكَ الرِّزْقَ فَابْسُطْ . وَإِذَا قَبَضَ فَاقْبِضْ .

وَعَبَّيْتُمُونِي حِينَ قُلْتُ : فَضْلُ الْغَنَى عَلَى الْقُوَّةِ ، إِنَّمَا هُوَ كَفَضْلِ الْآلَةِ تَكُونُ فِي الْبَيْتِ ، إِذَا احْتِجَّ إِلَيْهَا اسْتُعْمِلَتْ ، وَإِنْ اسْتُغْنِيَ عَنْهَا كَانَتْ عُدَّةً . وَقَدْ قَالَ الْحُضَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّرِ : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أَتَنَفَّعُ مِنْهُ بِشَيْءٍ . قِيلَ لَهُ فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ يَخْذُمُنِي عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْمَالَ مَخْدُومٌ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : عَلَيْكَ بِطَلَبِ الْغِنَى : فَلَوْلَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ عَزَّ فِي قَلْبِكَ وَذُلٌّ فِي قَلْبِ عَدُوِّكَ ، لَكَانَ الْحِظُّ فِيهِ جَسِيماً ، وَالنَّفْعُ فِيهِ عَظِيماً .

وَلَسْنَا نَدْعُ سِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَتَعْلِيمَ الْخُلَفَاءِ ، وَتَأْدِيبَ الْحُكَمَاءِ ، لِأَصْحَابِ الْإِلَهِيَّةِ وَلَسْتُمْ عَلَى تَرَدُّونَ ، وَلَا رَأْيَ تُفَنِّدُونَ . فَقَدِّمُوا النَّظَرَ قَبْلَ الْعَزْمِ ، وَأَدْرِ كَوَا مَا لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ كَوَا مَا لَكُمْ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

﴿ الكلام على الرسائل العلمية ﴾

الرِّسَالَاتُ الْعِلْمِيَّةُ ، هِيَ : مَقَالَاتٌ فِي الْمَطَالِبِ الْعِلْمِيَّةِ ، أَوْ الْمَسَائِلِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَأَنَّمَا سُمِّيَتْ بِالرِّسَالَاتِ ، لِأَنَّ أَصْحَابَهَا يُرْسِلُونَهَا إِلَى مَنْ اقْتَرَحَهَا عَلَيْهِمْ ، وَيَسْلُكُ فِيهَا

صاحبها مناهج الاسترسال ، والمحادثات البليغة . وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكم - في منهج الأنشاء القويم » فارجع إليه إن شئت .

﴿ الفن الثاني في المناظرات ﴾

للمناظرة ثلاثة شروط (الأول) أن يُجمع بين خصمين متضادين ، أو مُتباينين في صفاتهما ، بحيث تظهر خواصهما بالمقابلة . كالربيع ، والخريف ، والصيف ، والشتاء (والثاني) أن يأتي كلٌّ من الخصمين في نُصرته لنفسه ، وتفنيد مزاعم قرنه ، بأدلة من شأنها أن ترفع قدره ، وتحط من مقام الخصم ، بحيث يميل بالسامع عنه إليه (والثالث) أن تُصاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً ، وتُرتب على سباق مُحكم ليزيد بذلك نشاط السامع ، وتُنمى فيه الرغبة في حلّ المشكل .
ولندكر لك عليها شذرات من أقوال الكتّاب فنقول :

﴿ مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنوشروان في شأن العرب ﴾
روى ابن القطامي عن الكلبي قال : قدّم النعمان بن المنذر على كسرى : وعنده وفود الروم . والهند . والصين . فدكروا من ملوكهم وبلادهم - فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى وأخذته عزة الملك : يانعمان ، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم - فوجدت للروم حظاً في اجتماع القُتبا ، وعِظم سُلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بُنيانها . وإنّ لها ديناً يُبَيِّن حلالها وحرامها ، ويردّ سفهها ويقيم جاهها - ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة

أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسياتها ، وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد ، وإن لها ملكاً يجمعها - والتُّرك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرِّيف والثَّمار والحُصُون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تَضُمُّ قواصِيَهُمْ ، وتُدبِّرُ أمْرَهُمْ - ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوَّة . ومع أن مما يدلُّ على مهانتها وذُلِّها ، وصِغَرِ هِمَّتِها ، محِلَّتُهُم التي همُّ بها مع الوحوش النَّافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعِم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها . فأفضل طعام ظفريه ناعمهم لحوم الابل التي يعافها كثير من السَّباع لِثِقَلِها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكرُمةً ، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هذه التَّوخيَّة التي أسَّس جدِّي اجتماعها وشدَّتْ مملكتها . ومنعها من عدوِّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبُوساً ، وقرى وحصُوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور النَّاس . يعني (اليمين) ثم لا أراكم تستكِينون على ما بكم من المذلة ، والقلة . والفاقة . والبؤس . حتى تفتخروا ، وتريدوا أن تنزلوا فوق مرآتب النَّاس —

قال النعمان : أصلح الله الملك . حقَّ لأُمة ، الملكُ منها أن يسمُوا فضلها ، ويعظُمُ خطيئها ، وتعلُّوا درجتها ، إلَّا أنَّ عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير ردِّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتني من غضبه نطقْتُ به ، قال كسرى : قلْ فأنت آمن ، قال النعمان : أُمَّا أمتك أيها الملك : فليست تنازعُ في الفضل لموضعها الذي

هِيَ بِهِ ، من عقولها وأحلامها وبَسْطَةِ محلِّها ، وبُجْبُوحَةِ عزِّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الام التي ذكرت فآية أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزِّها ومنعتها ، وحسن وجوها وبأسها وسخاؤها وحِكْمَةِ ألسنتها ، وشدة عقولها وأنفعتها ووقلتها .

فأما عزِّها ومنعتها ، فانها لم تزل مُجَاوِرَةً لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل . خصوصتهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض ، وستوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعُدَّتْهم الصبر — إذْ غيَّرها من الأمم . انما عزُّها الحِجَارَةُ والطَّيْنُ ، وجزائر البحور .

وأما حُسن وجوها وألوانها ، فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة ، والصَّيْنِ المُنْحَفَةِ ، والتُّرْكِ المشوَّهة ، والرُّومِ المُشْتَرَّة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى ان أحدهم ليسئل عن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ، ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يُسمي آباءه أباً قابلاً . حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه .

وأما سخاؤها : فان أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والسَّاب ، عليها بلاغه في حموله ، وشبعه ورييه ، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ، ويحتزى بالشربة ، فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها ، فيما يكسبه حسن الأحدثه ، وطيب الذِّكْر .

وأما حكمة ألسنتهم : فان الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ، وروثق كلامهم وحسنه

وَوَزَنَهُ . وَقَوَّافِيهِ ، مَعَ مَعْرِقَتِهِمْ بِالْأَشْيَاءِ وَضُرْبِهِمْ لِلْأَمْثَالِ وَابْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْناسِ - ثُمَّ خِيلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ؛ وَنِسَاؤُهُمْ أَعَفَّ النِّسَاءِ وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِيُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزَعُ وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يُبْلَغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ ، وَلَا يُقَطَّعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفَرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا : فَانْهَمُ مُتَمَسِّكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نُسْكِهِ بَدِينِهِ أَنْ لَهِمُ أَشْهُرًا حَرُمًا ، وَبَلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنْاسِكُهُمْ ، وَيَذَبْحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِذَاهِهِ وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

وَأَمَّا وَفَاؤُهَا : فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَلْحَظُ اللَّحْظَةَ ، وَيَوْمِيَّةُ الْإِيمَاءَةِ : فَهِيَ وَلَتْ (أَيْ عَهْدٌ) وَعُقْدَةٌ لَا يَحُلُّهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ ، وَإِنْ أَحَدُهُمْ يَرْفَعُ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ رَهْنًا بِدِينِهِ ، فَلَا يَغْلُقُ رَهْنُهُ ، وَلَا تَخْفَرُ ذِمَّتُهُ . وَإِنْ أَحَدُهُمْ لِيَبْلُغَهُ أَنَّ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِهِ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ نَائِيًا عَنْ دَارِهِ فَيُضَابُ فَلَا يَرْضَى ، حَتَّى يَقْبِي تِلْكَ لِقَبِيلَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، أَوْ تَقْنِي قَبِيلَتَهُ لَمَّا أَخْفَرَ مِنْ جَوَارِهِ . وَإِنَّهُ لَيَلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْمَجْرِمُ لِحَدِيثٍ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا قَرَابَةٍ ، فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ دُونَ نَفْسِهِ ، وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ مَالِهِ وَأَمَّا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَتَذَوَّنُ أَوْلَادُهُمْ فَانَمَا يَفْعَلُهُ مِنْ يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ بِالْإِنَاثِ أَنْفَقَةَ نِ الْعَارِ ، وَغَيْرَةٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ أَفْضَلَ طَعَامِهِمْ لُحُومُ الْإِبِلِ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْهَا ، فَاتَرَكَوْا مَا يُؤْنِسُ إِلَّا احْتِقَارًا لَهُ ، فَعَمِدُوا إِلَى أَجْلَائِهَا وَأَفْضَلِهَا ، فَكَانَتْ مَرَاكِبُهُمْ وَطَعَامُهُمْ مَعَهَا أَكْثَرُ الْبَهَائِمِ شُحُومًا ، وَأَطْيَبُهَا لُحُومًا ، وَأَرْقَبُهَا أَلْبَانًا ، وَأَقْلَبُهَا غَائِلَةً ، وَأَحْلَاهَا ضَغْغَةً ، وَانْهَ لَا شَيْءٌ مِنَ اللَّحْمَانِ يُعَالَجُ مَا يُعَالَجُ بِهِ لَحْمُهَا إِلَّا اسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ .

وَأَمَّا تَحَارُّبُهُمْ وَأَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَتَرْكُهُمُ الْإِنْقِيَادَ لِلرَّجُلِ يَسُوسُهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ
فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ الْأُمَمِ إِذَا أَلَسَتْ مِنْ نَفْسِهَا ضَعْفًا ، وَتَخَوَّفَتْ مُهَوُضَ
عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزَّخْفِ ، وَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ وَاحِدٍ
يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ ، فَيَلْتَقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ ، وَيَنْقَادُونَ لَهُمْ بِأَرْزَمَتِهِمْ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِيهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ حَاوَلُوا أَنْ يَكُونُوا مُلُوكًا
أَجْمَعِينَ مَعَ أَفَنَتِهِمْ مِنْ أَدَاءِ الْخَرَاجِ وَالْوَطْثِ (أَيْ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ بِالرَّجُلِ عَلَى
الْأَرْضِ) بِالْعَسْفِ .

وَأَمَّا الْيَمَنُ الَّتِي وَصَفَهَا الْمَلِكُ ، فَإِنَّمَا أَتَى جَدَّ الْمَلِكِ إِلَيْهَا الَّذِي أَتَاهُ عِنْدَ غَلْبَةِ
الْجَيْشِ لَهُ عَلَى مُلْكٍ مُتَشَقِّقٍ ، وَأَمْرٍ مُجْتَمِعٍ ، فَأَتَاهُ مَسْلُوبًا طَرِيدًا مُسْتَصْرِخًا . وَلَوْ لَا
مَاؤْتَرَبُهُ مَنْ يَكُونُ مِنَ الْعَرَبِ لَمَالَ إِلَى جَمَالٍ . وَلَوْ جَدَّ مَنْ يُجِيدُ الطَّعَانَ ، وَيَغْضَبُ
لِلْأَحْرَارِ ، مِنْ غَلْبَةِ الْعَبِيدِ الْأَشْرَارِ .

قَالَ : فَعَجِبَ كَسْرَى لِمَا أَجَابَهُ النُّعْمَانُ بِهِ ، وَقَالَ : إِنَّكَ لِأَهْلٍ لِمَوْضِعِكَ مِنَ
الرِّيَاسَةِ فِي أَهْلِ إِقْلِيمِكَ . ثُمَّ كَسَاهُ مِنْ كِسْوَتِهِ وَسَرَّحَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِيرَةِ .
فَلَمَّا قَدِمَ النُّعْمَانُ الْحِيرَةَ وَفِي نَفْسِهِ مَا فِيهَا مِمَّا سَمِعَ مِنْ كَسْرَى مِنْ تَنْقِصِ الْعَرَبِ
وَتَهْجِينِ أَمْرِهِمْ ، بَعَثَ إِلَى أَكْثَمِ بْنِ صَيْفَى . وَحَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيِّينَ ، وَإِلَى
الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ . وَقَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ الْبَكْرِيِّينَ ، وَإِلَى خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ . وَعَلْقَمَةَ بْنِ
عَلَاثَةَ . وَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الْعَامِرِيِّينَ ، وَإِلَى عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ السَّلَمِيِّ ، وَعَمْرِو بْنِ
مَعْدٍ يَكْرِبَ الزُّبَيْدِيِّ ، وَالْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ الْمُرِّيِّ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْخَوَرَاتِ
قَالَ لَهُمْ قَدْ عَرَقْتُمْ هَذِهِ الْأَعَاجِمَ ، وَقُرْبُ جِوَارِ الْعَرَبِ مِنْهَا ، وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَسْرَى
مَقَالَاتٍ ، تَخَوَّفَتْ أَنْ يَكُونَ لَهَا غَوْرٌ ، أَوْ يَكُونَ أَنَّهَا أَظْهَرَهَا لَأَمْرِ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ بِهِ

العرب خولاً كبعض طامعته في تأديتهم الخراج اليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله - فاقتص عليهم مقالات كسرى ، ومارد عليه فقالوا : أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت ، وأبلغ ما حججته ، فمرنا بأمرك ، وأدعنا إلى ماشئت .

قال : انما أنا رجل منكم ، وانما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزكم - والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنتقلوا إلى كسرى فاذا دخلتم : نطق كل رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظن ، أو حدثته نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يفضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مترف معجب بنفسه ، ولا تتخذوا له انخدال الخاضع الذليل ، وليكن أمر بين ذلك ، تظهر به دماثة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام (أكرم بن صيفي) ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فانما دعائي إلى التقدمة اليكم على ميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعناً ، فانه ملك مترف ، وقادر مسلط ، ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلال الملوك وأعطى كل رجل منهم حلة . وعممه عمامة ، وختمه بياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنجبية مهرية ، وفرس نجبية - وكتب معهم كتاباً .

أما بعد - فان الملك ألقى إلى من أمر العرب ماقد علم ، وأجبت بما قد فهم مما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتكلم في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بملكيتها ، وحت مايلها بفضل قوتها ، تبلغها من الأمور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيده - وقد أوفدت أيها الملك رهطاً

من العرب ، لم فضل في أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك وليغض لا عن جناء إن ظهر من منطقهم ، وليكر مني باكر أمهم ، وتعجيل سراهم وقد نسبهم في أسفل كتابي هذا الى عشارهم .

فخرج القوم في أهبيهم : حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم - فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرارزبته ، ووُجوه اهل مملكته فحضرُوا وجلسوا على كرسي عن يمينه وشماله ، ثم دعاهم على الولاء ، والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجان ليؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام

فقام أكرم بن صيفي فقال : إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها .

أصدق منجاة ، والكذب مهوأة ، والتسر لجاجة ، والحزم مركب صعب والعجز مركب وطئ - آفة الرأي البؤى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر . حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة . إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الرأى ، من فسدت بطأته كان كالفاس بالماء .

شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز لا المحالة ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سيرته ، يكفيك من الرأى ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نَفْرَ ، ومن تراخى تألف . فتعجب كسرى من أكرم - ثم قال : ويحك يا أكرم ما أحكم وأوثق كلامك ! لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصديق يذبيء

عنك لا الوعيد ، قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أ كتم : رب قول أنفذ من صول .

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي وقال : ورى زنديك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك - ان العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرثبها ، ومنعت درثها ، وهى لك وامقة ما تألفتها ، مسترسلة ما لا ينتها ، سامعة ما سامحتها ، وهى العلقم ممرارة ، وهى الصاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة .

نحن وفودها اليك ، وألستها لديك ، ذمتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشارنا فينا سامعة مطيعة ، إن نؤب لك حامدين خيراً ، فلك بذلك عموم محمدتنا ، وإن نذم لم نخص بالذم دونها - قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها - قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها - قال كسرى : ذلك ثم قام الحارث البكري فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها - من طال رشاؤه كثر متحه ^(١) ، ومن ذهب ماله قل منحه ، تناقل الأقاويل يعرف اللب ، وهذا مقام سيوجف ^(٢) بما تنطق به الركب ، وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون . خيولنا جمة ، وجيوشنا فخمة ، إن استنجدتنا فغير ريب ، وإن استطرفتنا فغير جهض . وإن طلبتنا فغير غمض ، لا ننثى لذعر ، ولا نتسكر لدهر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار ، قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك وأنى يكون لضيف عزة أو لصغير مرّة ؟ ^(٣) قال كسرى : لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك ، قال الحارث : أيها الملك ، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة ، مغرراً ،

(١) المتح - الاستقاء (٢) أو جفته - أعديته أى اجريته (٣) مرة . قوة

بنفسه على الموت ، فهي مَنِيَّةٌ اسْتَبْلَهَا ، وجنانٌ اسْتَدْبَرَهَا — والعرب تعلم أني
أبعث الحرب قُدُمًا ، وأحسبها ، وهي تصرفُ بها^(١) حتى إذا جاشت نَارُها ، وسَعَرَتْ
لظَاهَا ، وكشفت عن ساقِها ، جَعَلْتُ مَقَادَارُ مَحْيٍ ، وَبَرْقُهَا سَيْفِي ، وَرَعْدُهَا زَيْبِي
وَلَمْ أَقْصِرْ عَنْ خَوْضِ خَضْخَضِهَا ، حَتَّى أَنْغَمَسَ فِي غَمَرَاتِ لُجَجِهَا ، وَأَكُونُ فُلْكَاءً
لِفِرْسَانِي إِلَى بُجْبُوحَةِ كَبْشِهَا ، فَأَسْتَمْطِرُهَا دَمًا ، وَأَتْرُكُ حَمَاتَهَا جِزْرَ السَّبَاعِ ، وَكُلُّ
نَسِيرٍ قَشْعَمٍ ، ثُمَّ قَالَ كَسْرَى لِمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَرَبِ : أَمْ كَذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : فِعَالُهُ
أَنْطَقَ مِنْ لِسَانِهِ ، قَالَ كَسْرَى : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَفْدًا أَحْشَدَ ، وَلَا شُهُودًا أَوْفَدَ .
ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ السُّلَمِيُّ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . نَعَمْ بِأَلْكَ ، وَدَامَ فِي السُّرُورِ
حَالُكَ ، إِنَّ عَاقِبَةَ الْكَلَامِ مُتَدَبِّرَةٌ ، وَأَشْكَالُ الْأُمُورِ مُعْتَبِرَةٌ ، وَفِي كَثِيرٍ ثِقَلَةٌ
وَفِي قَلِيلٍ بُلْغَةٌ ، وَفِي الْمُلُوكِ سَوْرَةٌ الْعِزِّ ، وَهَذَا مَنْطِقٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ — شَرُفَ فِيهِ
مِنْ شَرَفٍ ، وَخَمَلَ فِيهِ مِنْ خَمَلٍ ، لَمْ نَأْتِ لَضِيْمِكَ ، وَلَمْ نُفِدْ لِسِخْطِكَ ، وَلَمْ نَتَعَرَّضْ
لِرِفْدِكَ ، إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُنْتَقِدًا ، وَعَلَى عِزِّنَا مُعْتَمِدًا ، إِنْ أَوْرَيْنَا نَارًا أَثْقَبْنَا ، وَإِنْ
أَوْدَدَهِرْنَا بِنَا عَتَدْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا لُجُورًا كَافِضُونَ ، وَلَمَنْ رَامَكَ كَافِحُونَ
حَتَّى يُحْمَدَ الصَّدْرُ ، وَيُسْتَطَابَ الْخَبَرُ . قَالَ كَسْرَى : مَا يَقُومُ قَصْدُ مَنْطِقِكَ بِإِفْرَاطِكَ
وَلَا مَدْحِكَ بِدَمِّكَ ، قَالَ عَمْرُو : كَفَى بِقَلِيلٍ قَصْدِي هَادِيًا ، وَبِأَيْسَرٍ إِفْرَاطِي مُخْبِرًا
وَلَمْ يُلَمَّ مِنْ غَرَبَتْ نَفْسِهِ عَمَّا يَعْلَمُ ، وَرَضِيَ مِنَ الْقَصْدِ بِمَا بَلَغَ ، قَالَ كَسْرَى :
مَا كُلُّ مَا يَعْرِفُ الْمَرْءُ يَنْطِقُ بِهِ — اجْلِسْ

ثُمَّ قَامَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ الْكَلَابِيِّ فَقَالَ : أَحْضَرَ اللَّهُ الْمَلِكَ إِسْعَادًا ، وَأَرْشَدَهُ
إِرْشَادًا ، إِنَّ لِكُلِّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غُصَّةٌ ، وَعِيُّ الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْ

عِيَّ السَّكُوتِ ، وَعِثَارُ الْقَوْلِ أَنْكَأُ مِنْ عِثَارِ الْوَعْثِ ، وَمَا فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَا إِلَّا بِمَا نَهَوَى ، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لَا نَهَوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ ، وَتَرَكِي مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي وَيَعْلَمُ مِنْ سَمْعِي ، أَأَنْتَى لَهُ مُطِيقٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكَلَّفِي مَا أَتَخَوَّفُ وَيُتَخَوَّفُ مِنِّي وَقَدْ أَوْفَدْنَا إِلَيْكَ مَلِكُنَا النُّعْمَانَ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنَعْمُ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفُسُنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِاخْصَةِ ، وَرَقَابُنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةٌ ، وَأَيْدِينَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةٌ ، قَالَ كَسْرَى : نَطَقْتَ بِعَقْلٍ ، وَسَمِعْتَ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِنُبْلِ .

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال : نَهَجَتْ لَكَ سُبُلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعْتَ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إِنَّ لَآلِئًا قَاوِيلَ مَنَاجِحٍ ، وَإِلَّا رَأَى مَوَالِجَ ، وَلِلْعَوِيصِ مَخَارِجَ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ - إِنَّا وَإِنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرَتْ نَدَاً ، وَالْوِفَادَةُ قَرَّبَتْ نَدَاً ، فَلَيْسَ مِنْ حَضْرِكَ مِنَّا بِأَفْضَلٍ مِمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قِسْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَعِلِمْتَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ دُنْيَاً أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلَّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٍ ، وَبِالشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ مَوْصُوفٍ ، وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ ، وَالْأَدَبِ النَّافِذِ مَعْرُوفٍ يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ ، وَيَنْوُدُ أَعْدَاهُ ، لَا تَخْمَدُ نَارُهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ أَهْلُ الْمَلِكِ ، مِنْ يَبِيلِ الْعَرَبِ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ الْعَرَبُ فَانَهَا الْجِبَالُ الرُّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيًا ، وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شُرْفًا ، وَالْحَصَى عِدْدًا ، فَانْ تَعْرِفْ لَّهُمْ فَضْلَهُمْ يُعِزُّوكَ ، وَانْ تَسْتَصْرِخْهُمْ لَا يَخْذُلُوكَ - قَالَ كَسْرَى : وَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ كَلَامٌ يَحْمِلُهُ عَلَى السُّخْطِ عَلَيْهِ : حَسْبُكَ أَهْلُغْتَ وَأَحْسَنْتَ .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرِاشِدَ ، وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ، وَوَقَّاتَكَ مَكْرُوهَ الشَّدَائِدِ ، مَا أَحَقَّنَا إِذَا أَتَيْتْنَاكَ بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُخْنَقُ صَدْرُكَ وَلَا يَزْرَعُ لَنَا حَقْدًا فِي قَلْبِكَ ، لَمْ تَقْدَمْ أَهْلُ الْمَلِكِ لِمُسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمُعَادَاةٍ

ولكن لتعلم أنت ورعيّتك، ومن حضرك من وفود الأمم، أنا في المنطق غير محجّمين، وفي الناس غير مُقتصرين، ان جورينا فغير مسبوقين، وان سوميّنا فغير مغلوبين، قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غير وافرين. وهو يُعرض به في تركه الوفاء بضمانه السّواد. قال قيس: أيها الملك، ما كنت في ذلك إلا كوافٍ غدير به أو كخافر أخضر بدمته. قال كسرى: ما يكون لضعيف ضمان، ولا لذليل خفارة قال قيس: أيها الملك، ما أنا فيما اخفر من ذمتي أحقّ بالزّامى العار منك فيما قُتل من رعيّتك، وأنّتهك من حرمتك. قال كسرى: ذلك لأنّ من ائتمن الخونة واستنجد الأئمة، ناله من الخطأ ما نالني، وليس كلّ الناس سواء. كيف رأيت حاجب ابن زرارة لم يُحكّم قواه فيبرم، ويعهد فيؤفي، ويعد فيُنجز؟ قال: وما أحقّه بذلك وما رأيته إلا لي. قال كسرى القوم بُزل^(١) فأفضلها أشدّها ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال: كثر فنون المنطق، وليس القول أسمى من حديد الظلماء، وإنما الفخر في الفعل والعجز في النجدة: والسود مطاوعة القدرة، وما أعلمك بقدرنا، وأبصرَكَ بفضلنا، وبالحرى: إن أدالت الأيام وثابت الأحلام، أن تُحدث لنا أمورا لها أعلام. قال كسرى: وما تلك الأعلام؟ قال: مُجتمع الأحياء من ربعة ومضر على أمر يُذكر — قال كسرى: وما الأمر الذي يُذكر؟ قال عامر: مالي علم بأكثر مما خبرني به مخبر. قال كسرى: متى تكأنت يا ابن الطفيل؟ قال: لست بكاهن، ولكني بالرمح طاعن، قال كسرى: فإن أذاك آت من جهة عينك العوراء، ما أنت صانع؟ قال: ماهيبي في قفائي

بِدُونِ هَيْبَتِي فِي وَجْهِهِ . وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْثُ ، وَلَكِنْ مُطَاوَعَةُ الْعَبَثِ .

ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدي فقال : انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه
فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتداد . وعفو الرأي خير من استكراه
الفكرة ، وتوقيف الخبرة ، خير من اعتساف الحيرة . فاجتنب طاعتنا بلفظك
واكتظم بادرتنا بملكك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا . فإننا أناس لم يؤقس
صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضمًا . ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضمًا

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : ان من آفة المنطق الكذب ، ومن لوم
الأخلاق الملق ، ومن خطل الرأي خيفة الملك المسلط . فان أعلمناك أن مؤاجهتنا
لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا
للاعتدال عليه بحقيق . ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام ولث العقود ، والأمر بيننا
وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل . قال كسرى : من أنت ؟ قال :
الحارث بن ظالم . قال : إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك . وأن تكون أولى
بالقدر ، وأقرب من الوزير . قال الحارث : إن في الحق مغضبة ، والسر تغافل ، ولن
يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة . فلتشبه أفعالك مجلسك . قال كسرى :

هذا فتى القوم — ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنت فيه
متكلموكم ، وكولاً أني أعلم أن الأدب لم يُتقف أودكم ، ولم يُحكَم أمركم ، وأنه ليس
لكم ملك يجمعكم ، فتتفقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى
على ألسنتكم وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به ، وإني لأكره
أن أجبهُ وفودي ، أو أخفق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مدبركم ، وتألف
شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم . وقد قبلت ما كان في منطقكم من

صَوَابٌ وَصَفَحَتْ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ خَلَالٍ ، فَانصَرَفُوا إِلَى مَلِكِكُمْ فَأَحْسَنُوا مُوَازَرَتَهُ وَالتَزَمُوا طَاعَتَهُ ، وَارْدَعُوا سُفْهَاءَكُمْ وَأَقِيمُوا أَوْدَعَكُمْ ، وَأَحْسَنُوا أَدَبَهُمْ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ الْعَامَةِ .

رَوَى عَنْ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ كَسْرَى يَحْفَلُ بِالْعَرَبِ ، وَيَسْتَأْنِسُ بِمَشَاهِدَتِهِمْ وَيَرْغَبُ فِي سَمَاعِ مُحَادَثَاتِهِمْ ، وَمُفَاخَرَاتِهِمْ وَمُنَافَرَاتِهِمْ . وَلَمْ يَدَّخِرْ وَسْعًا إِلَّا بَذَلَهُ لِلْحَصُولِ عَلَى ذَلِكَ (وَمَا اتَّفَقَ لَهُ) أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمَنْذَرِ ، كَانَ بِمَجْلِسِهِ يَوْمًا : فَقَالَ لَهُ هَلْ فِي الْعَرَبِ مِنْ قَبِيلَةٍ تَشْرُفُ عَلَى قَبِيلَةٍ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَبَأَى شَيْءٌ ؟ قَالَ مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ آبَاءٍ مَتَوَالِيَةٍ رُؤَسَاءَ ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمِزْيَةٍ رَابِعَةٍ ، فَبَيْتُهُ أَشْرَفُ بَيْتٍ وَآلِيهِ تَنْسَبُ الْقَبِيلَةُ ، وَبِهِ تَعْلُو عَلَى غَيْرِهَا . قَالَ أَحْضَرُ مِنْ هَذِهِ صِفَتِهِمْ . فَطَلَبَهُمُ النُّعْمَانُ فَلَمْ يُصِبْهُمْ إِلَّا فِي آلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَآلِ ذِي الْجَدَيْنِ ، وَآلِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ كِنْدَةَ ، فَأَحْضَرَهُمْ فِي جُمْلَةٍ مِنْ عَشَائِرِهِمْ . فَعَقَدَ لَهُمْ كَسْرَى مَجْلِسًا عَامًّا حَضَرَهُ الْحُكَّامُ وَالْعَدُولُ وَالْأَعْيَانُ . ثُمَّ قَالَ : لِيَتَكَلَّمَ كُلُّ مَنْكُمْ بِمَا تَرْقُومُهُ وَلِيَصْدُقَ فَاَنْتَصَبَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرٍ قَائِمًا وَكَانَ أَلْسُنُ الْقَوْمِ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّ فِيْنَا الشَّرْفَ الْأَقْدَمَ ، وَالْفَخْرَ الْأَعْظَمَ . فَقِيلَ لَهُ لِمَ ذَاكَ يَا أَخَا فِزَارَةَ ؟ قَالَ : أَلْسَنَا الدَّعَاءُ^(١) الَّتِي لَا تَرَامُ ؟! وَالْعِزَّ الَّذِي لَا يُضَامُ ؟! فَقِيلَ لَهُ صَدَقْتَ ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ فِزَارَةُ بَيْتُ الْعِزِّ وَالْعِزُّ فِيهِمْ فِزَارَةُ بِدْرِ حُسْبُ بَدْرِ نِضَالُهَا^(٢) لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ^(٣) وَالْحُسْبُ الَّذِي بَنَاهُ لَبْدَرٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا فِيهِبَاتُ قَدَّاعِيَا الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ مَآثِرُ بَدْرِ بِمَجْدُهَا وَفِعَالُهَا

وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بكفه إلى الشمس في مجرى النجوم يتألفها؟!
 فان يصلحوا يصلح لذك جميعنا وان يفسدوا يفسد على الناس حالها
 ثم قام الأشعث بن قيس : فقال : لقد علمت العرب أننا نقاتل عديدها الأكثر
 ونقهر جمعها الأكبر . وأنا غياثُ الزبَّات ^(١) وُبناة المكرُمات . فقليل له لم
 يا أخا كندة ؟ قال : لأننا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأفيائه ، وتقلدنا منكبه
 الأعظم ، وتوسطنا بجموحه ^(٢) الأكرم . ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قست أبيات الرجال بيدينا وجدت له فضلاً على من يفاخر
 فن قال كلاً أو أنا بخطة يافرنا يوماً فنحن نخاطر
 تعالوا قموا كي يعلم الناس أننا له الفضل فيما أورثته الأكابر
 ثم قام بسطام بن قيس . فقال : قد علمت العرب أننا بُناة بيتها الذي لا يزول
 ومغرس عزها الذي لا يحول . فقليل له ولم يا أخا شيبان ؟ قال لأننا أدركهم للشار
 وأضرِبهم للملك الجبار ، وأقولهم للحق ، والدَّهم للخصم .

ثم قام شاعرهم فقال :

لعمري بسطام أحق بفضلها وأول بيت العز عز القبائل
 فسائل أبيت اللعن عن عز قومها إذا جد يوم الفخر كل مناضل ^(٣)
 فيخبرك الأقوام عنها فانها وقائع جد لا ملاعب هازل
 ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة وأضرِبهم للكباش يوم التخاذل
 وقائع عز كلها ربعية ^(٤) تذلل لهم فيها رقاب المحافل
 اذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذ بها من شرها كل قائل

(١) بتسكين الزاي . الشدائد (٢) وسطه . (٣) المجادل (٤) نسبه الى قبيلة ربيعة

وَإِنَّا ملوك النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى النَّوَارِلِ
ثم قام حاجب بن زُرارة التَّمِيمِي ، فقال : قد علمت العرب أَنَّا فرعُ دَعَامَتِهَا
وَقَادَةَ زُحُوفِهَا . فَقِيلَ لَهُ : لِمَ ذَلِكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ؟ قَالَ : لَأَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا
وَأَنْجَبُهُمْ طُرًّا وَلِيدًا ، وَأَعْطَاهُم لِلْجَزِيلِ ، وَأَحْلَاهُم لِلثَّقِيلِ .

ثم قام شاعرهم فقال :

لَقَدْ عَلِمْتُ أَبْنَاءَ خِنْدَفٍ أَنَّنَا لَنَا الْعَزَّ قِدَمًا فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
وَأَنَّا كَرَامُ أَهْلِ مَجْدٍ وَثَرَةٍ وَعَزٌّ قَدِيمٍ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ
فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ أَغْرَى نَجِيبٍ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلِ
فَسَأَلِلُ أُبَيْتَ اللَّعْنِ ^(١) عَنَّا فَاثْنَا دَعَامُ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَائِلِ
ثم قام قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ السَّعْدِيِّ فقال : لَقَدْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّنَا أَرْفَعُهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ
وَأَثْبَتَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَ ذَلِكَ يَا أَخَا بَنِي سَعْدٍ ؟ قَالَ : لَأَنَّنَا أَدْرَكُهُمُ لِلنَّارِ ،
وَأَمْنُهُمُ لِلْجَارِ ، لَا تَتَّكِلُ إِذَا حَمَلْنَا ، وَلَا تُرَامُ إِذَا حَلَلْنَا . ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسٌ وَخِنْدَفٌ أَنَّنَا وَجَلُّ تَمِيمٍ وَالْجَمُوعِ الَّتِي تَرَى
بَأَنَّا لُيُوثُ الْبَاسِ فِي كُلِّ مَا زِقَ إِذَا جَزَّ بِالْبَيْضِ الْجَاجِمِ وَالطَّلَى
وَأَنَّا إِذَا دَاعٍ دَعَانَا لِنَجْدَةٍ أَجْبَنَاسِرَاعًا فِي الْعَلَائِمِ مِنْ دَعَا
فَهِيَّاتٍ قَدْ أَعْيَا الْجَمِيعِ فِعَالُهُمْ وَقَامُوا يَوْمَ الْفَخْرِ مَسْعَاةً مِنْ سَعَى
فَقَالَ كَسْبَرِي حَيْثُنْدُ : لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ ، ثُمَّ أَعْظَمَ صَلَاتَهُمْ
أَجْمَعِينَ ، وَرَدَّاهُمْ إِلَى أَقْوَامِهِمْ مُعْظَمِينَ .

(١) اللعن بفضته ومنعته والمعنى انك لا تفعل ما يوجب لعنك ، بل تفعل ما تمجد وتمدح عليه

﴿ مناظرات المهدي لأهل بيته ومشاورته لهم في حرب خراسان ﴾

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنف ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من السكينة ، على أن نكسوا بيعتهم وتقضوا موثقتهم وطردوا العمال ، والتووا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنهم ، على أن أقال عمرتهم ، واغتفر زلتهم واحتمل دالّتهم تطوّل بالفضل واتساعا بالعفو وأخذاً بالحجة ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل منذ حمّله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رقيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته تسكن إلى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة ، فليس عنده هواده ولا إغضاء ولا مداهنة ، أثره للحق ، وقياماً بالعدل وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج وطردوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاباً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنصلاً باعتلال — فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خلّائه ، وبعث إلى نفر من لُحمته ووزرائه ، فأجلهم الحال واستفهم للرعية ، ثم أمر الموالى بالابتداء — وقال للعباس بن محمد : « أي عم » تعقب قولنا وكن حكماً بيننا . وأرسل إلى ولديه (موسى وهارون) فأحضرهما الأمر وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ ما أجعته وإثبات مقالاتهم في كتاب .

فقال سلام صاحب المظالم :

أيها المهدي ، إن في كل أمر غاية ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم (١٦ - جواهر - ل)

وَاسْتَعْرِقْتَ أَشْعَالَهُمْ ، وَاسْتَنْفَدْتَ أَعْمَارَهُمْ وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ ، وَعَرَّفُوا بِهَا
وَعَرَّفَتْ بِهِمْ ، وَلِهَذَا الْأُمُورَ الَّتِي جَعَلْتَنَا فِيهَا غَايَةً ، وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامَ
مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ ، وَسَاسَةِ الْأُمُورِ وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانَ الْمَزَاهِرِ وَإِخْوَانَ التَّجَارِبِ
وَأَبْطَالَ الْوَقَائِعِ ، الَّذِينَ رَشَّحْتَهُمْ سَجَالُهَا وَفِيَّائَتَهُمْ ظِلَالُهَا وَعَضَّتْهُمْ شِدَائِدُهَا وَفَرَمَتْهُمْ
تَوَاجِدُهَا فَلَوْ عَجِمْتَ مَا قَبْلَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا عِنْدَهُمْ ، لَوَجَدْتَ نَظَائِرَ تُوَيِّدُ أَمْرَكَ
وَتَجَارِبَ تُوَافِقُ نَظْرَكَ وَأَحَادِيثَ تُقَوِّي قَلْبَكَ ، فَأَمَّا نَحْنُ مُعَاشِرُ عُمَّالِكَ وَأَصْحَابِ
دَوَاوِينِكَ فَحَسَنُ بَنَاءٍ ، وَكَثِيرُ مَنَاءٍ أَنْ نَقُومَ بِثَقْلِ مَا حَمَلْتَنَا مِنْ عَمَلِكَ وَاسْتَوْدَعْتَنَا
مِنْ أَمَانَتِكَ وَشَغَلْتَنَا مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ وَإِظْهَارِ حَقِّكَ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ ، إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً ، وَفِي كُلِّ حَالٍ
تَدْبِيرًا يُبْطِلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ — وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ سُلْطَانِنَا
قَالَ نَعَمْ : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، أَنْتَ مُتَّبِعُ الرَّأْيِ ، وَثَبِيقُ الْعَقْدَةِ ، قَوِيُّ الْمُنَّةِ ، بَلِيعُ
الْفِطْنَةِ ، مَعْصُومُ النِّيَّةِ ، مَحْضُورُ الرُّوْيَةِ ، مُؤَيَّدُ الْبَدِيهَةِ ، مُوَفَّقُ الْعَزِيمَةِ ، مُعَانٍ
بِالظَّفَرِ ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ — إِنَّ هَمَمْتَ فِي عَزْمِكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ
صَدَعُ فَعَلِكَ مُلْتَبَسَ الشَّكِّ ، فَاغْزَمْ يَهْدِي اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ يُنْطِقُ اللَّهُ
بِالْحَقِّ لِسَانَكَ ، فَإِنْ جُنُودُكَ بَحَّةٌ ، وَخِرَائِنُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ، وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : إِنَّ الْمَشَاوِرَةَ وَالْمُنَازَرَةَ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحَهَا بَرَكَةٌ ، لَا يَهْلِكُ
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَتَغَيَّلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ ، فَإِنِّي مِنْ
وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ .

قَالَ الرَّبِيعُ : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، إِنَّ تَصَارِيفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ
بِبَعْضِ مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خَرَّاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةٌ

الشُّقَّةَ متفاوتة السبيل ، فإذا ارتأيتَ من مُحْكَمِ التدبير ومبرمِ التقدير ولُبَابِ الصَّوَابِ رَأْيًا ، قد أحكمه نَظْرُكَ وَقَلْبُهُ تَدْبِيرُكَ ، فليس وراءه مَذْهَبٌ طاعن ولا دُونُهُ مَعْلُوقٌ لُخْصُومَةٍ عَائِبٌ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ بِهِ وَأَنْطَوَتْ الرِّسْلُ عَلَيْهِ كَانَ بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَّثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرِّسْلُ ، وَتُرَدَّ عَلَيْكَ الْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ فَتُحْدِثَ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِعَ تَدْبِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ أَنْفَرَجْتَ الْخُلُقَ وَتَحَلَّلْتَ الْعُقْدَ وَاسْتَرَخَى الْحِقَابَ وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، تَمَّ لِعِلْمِكَ مَوْقِعُ الْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ الْأُولَى ، وَلَكِنَّ الرِّأْيَ أَثْمًا الْمَهْدَى ، وَقَفَّكَ اللَّهُ أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَةَ النَّظَرِ وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ فِيمَا جَمَعْتَنَا لَهُ ، وَاسْتَشَرْتَنَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ لِحَرْبِهِمْ وَالْحِيلِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ وَعَقْلٍ كَامِلٍ وَوَرَعٍ وَاسِعٍ لَيْسَ مَوْصُوفًا بِهَوَى فِي سِوَاكَ ، وَلَا مَتَّهًا فِي أَثَرَةٍ عَلَيْكَ ، وَلَا ظَنِينًا عَلَى دِخْلَةٍ مَكْرُوهَةٍ وَلَا مَنْسُوبًا إِلَى بَدْعَةٍ مَحْدُورَةٍ ، فَيَقْدَحَ فِي فِي مَلِكِكَ وَيُرِيضَ الْأُمُورَ لَعَيْرِكَ ، ثُمَّ تُسَيِّدَ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ وَتُقَوِّضَ إِلَيْهِ حَرْبَهُمْ وَتَأْمُرَهُ فِي عَهْدِكَ ، وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ بِلُزُومِ أَمْرِكَ مَا لَزِمَهُ الْحَزْمُ ، وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ الرَّأْيُ عِنْدَ اسْتِحَالَةِ الْأُمُورِ وَاسْتِدَادِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَنْقُضُ^(١) أَمْرُ الْغَائِبِ عَنْهَا وَيُثَبِّتُ رَأْيُ الشَّاهِدِ لَهَا ، فَانْه إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ، فَوَائِبَ أَمْرِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ ، تَمَّتِ الْحِيلَةُ وَقَوِيَّتِ الْمَكِيدَةُ ، وَنَفَذَ الْعَمَلُ وَاحِدَ النَّظَرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الفضل بن العباس :

أَيُّهَا الْمَهْدَى - إِنَّ وَلِيَّ الْأُمُورِ وَسَائِسَ الْحُرُوبِ دُبْمَا نَحْنُ جُنُودُهُ وَفَرَّقَ أُمُورَالَهُ فِي غَيْرِ مَا ضَيَّقَ أَمْرِي حَزْبُهُ ، وَلَا ضَغْطَةَ حَالٍ اضْطَرَّتْهُ فَيَقْعِدُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَبَعْدَ

التَّفَرُّقَةُ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقْدُلْهَا ، لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا يَصُولُ بَعْدَهُ وَلَا يَفْزَعُ إِلَى ثِقَةٍ
فَالرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَقَفَكَ اللَّهُ أَنْ تُعْفَى خَزَائِنُكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودِكَ
مِنْ مُكَابِدَةِ الْأَسْفَارِ وَمُقَارَعَةِ الْأَخْطَارِ وَتَغْيِيرِ الْقِتَالِ ، وَلَا تُسْرِعَ لِلْقَوْمِ فِي الْإِجَابَةِ
إِلَى مَا يَطْلُبُونَ وَالْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ ، فَيَفْسُدُ عَلَيْكَ أَدُبُهُمْ وَتُجَرِّئُ مِنْ رَعِيَّتِكَ غَيْرَهُمْ
وَلَكِنْ أَغْزِهِمْ بِالْحِيلَةِ وَقَاتِلِهِمْ بِالْمَكِيدَةِ وَصَارِعِهِمْ بِاللِّينِ وَخَاتِلِهِمْ بِالرَّفْقِ وَأَبْرِقْ لَهُمْ
بِالْقَوْلِ وَارْعُدْ نَحْوَهُمْ بِالْفِعْلِ وَابْعَثِ الْبُعُوثَ وَجَنِّدِ الْجُنُودَ وَكُتِّبِ الْكُتَّابَ وَاعْقِدِ
الْأُلُويَةَ وَانصِبِ الرِّيَاطَ وَأُظْهِرْ أَنَّكَ مُوجِّهُ إِلَيْهِمُ الْجِيُوشَ مَعَ أَحْنَقِ قُودَاكَ عَلَيْهِمْ
وَأَسْوَأِهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ ، ثُمَّ ادْسُسِ الرِّسْلَ ، وَابْثُثِ الْكُتُبَ ، وَضَعْ بَعْضَهُمْ عَلَى طَمَعٍ
مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعِيدِكَ ، وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ وَأَشْبَاهَهُ نِيرَانَ التَّحَاوُسِ
فِيهِمْ وَاعْرِسْ أَشْجَارَ التَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ ، حَتَّى تَمْلَأَ الْقُلُوبَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَتَتَطَوَّى
الْصُدُورُ عَلَى الْبَغْضَةِ ، وَيَدْخُلَ كَلَامٌ مِنْ كُلِّ الْحَذَرِ وَالْهَيْبَةِ ، فَاِنْ مَرَّامُ الظَّفَرِ بِالْغِيْلَةِ
وَالْقِتَالِ بِالْحِيلَةِ وَالْمُنَاصَبَةِ بِالْكُتُبِ ، وَالبُّكَايِدَةِ بِالرُّسْلِ ، وَالْمُقَارَعَةِ بِالْكَلَامِ
اللطيفِ الْمُدْخَلِ فِي الْقُلُوبِ ، الْقَوِيَّ الْمَوْقِعِ مِنَ النُّفُوسِ ، الْمَعْقُودَ بِالْحُجْبَجِ الْمَوْصُولَ
بِالْحَيْلِ الْمُبْنَى عَلَى اللَّيْنِ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ وَيَسْتَرْقُ الْعُقُولَ وَالْآرَاءَ وَيَسْتَمِيلُ
الْأَهْوَاءَ وَيَسْتَدْعِي الْمَوَاتَاةَ — أَنْفَذْ مِنَ الْقِتَالِ بُطْبَاتِ السُّيُوفِ وَأَسْنَةَ الرِّمَاحِ . كَمَا
أَنَّ الْوَالِيَّ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ طَاعَةَ رَعِيَّتِهِ بِالْحَيْلِ وَيُفَرِّقُ كَلِمَةَ عَدُوِّهِ بِالْمَكِيدَةِ أَحْكَمُ
عَمَلًا وَالطَّفُّ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً ، مِنَ الَّذِي لَا يَنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقِتَالِ وَالْإِتْلَافِ
لِلْأَمْوَالِ وَالتَّغْيِيرِ وَالْخِطَارِ .

وَلْيَعْلَمْ الْمَهْدِيُّ ، أَنَّهُ إِنْ وَجَّهَ لِقَاتِلَهُمْ رَجُلًا لَمْ يَسِرْ لِقَاتِلَهُمْ إِلَّا بِجُنُودِ كَثِيفَةٍ
تُخْرَجُ عَنْ حَالٍ شَدِيدَةٍ وَتُقَدِّمُ عَلَى أَسْفَارِ ضَيْقَةٍ وَأَمْوَالٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُوَّادٍ غَشَّشَةٍ إِنْ

اَتَمَّهِمْ اسْتَفْدُوا مَالَهُ ، وَاِنْ اسْتَنْصَحَهُمْ كَانُوا عَلَيْهِ لَا لَهُ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : هَذَا رَأْيٌ
 قَدْ أَسْفَرَ نُورَهُ ، وَأَبْرَقَ ضَوْؤَهُ وَتَمَثَّلَ صَوَابُهُ لِلْعَيْنِ وَمَجْدُ حَقِّهِ فِي الْقُلُوبِ ، وَلَكِنْ
 فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ فَقَالَ : مَا تَقُولُ ؟

قَالَ عَلِيٌّ : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنْ أَهْلُ خُرَاسَانَ لَمْ يَخْلَعُوا عَنْ طَاعَتِكَ وَلَمْ يَنْصُبُوا مِنْ
 دُونِكَ أَحَدًا يَقْدَحُ فِي تَغْيِيرِ مُلْكِكَ وَيُرِيضُ الْأُمُورَ لِفَسَادِ دَوْلَتِكَ ، وَلَوْ فَعَلُوا
 لَكَانَ الْخَطْبُ أَيْسَرَ وَالشَّأْنُ أَصْغَرَ وَالْحَالُ أَذَلَّ ، لِأَنَّ اللَّهَ مَعَ حَقِّهِ الَّذِي لَا يَخْذُلُهُ
 وَعِنْدَ مَوْعِدِهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَطَائِفَةٍ مِنْ شِيعَتِكَ الَّذِينَ
 جَعَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْوَالِيًّا وَجَعَلَ الْعَدْلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا ، طَلَبُوا حَقًّا وَسَلَّوْا أَنْصَافًا
 فَإِنْ أَجَبْتَ إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَنَفَسْتَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَلَاحَمَ مِنْهُمْ حَالٌ ، أَوْ يَحْدُثَ مِنْ
 عِنْدِهِمْ فَتْقٌ ، أَطَعْتَ أَمْرَ الرَّبِّ وَأَطْفَأْتَ ثَائِرَةَ الْحَرْبِ وَوَقَرْتَ خَزَائِنَ الْمَالِ وَطَرَحْتَ
 تَغْيِيرَ الْقِتَالِ ، وَحَمَلَ النَّاسُ حِمْلَ ذَلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَجِيَّةِ حُلْمِكَ وَأَسْجَاعِ
 خَلِيقَتِكَ وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ ، فَأَمَنْتَ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضَعْفٍ ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ
 دُرْبَةً . وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تَجِيبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا اعْتَدَلْتُ بِكَ وَبِهِمُ الْحَالُ
 وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مِيدَانِ الْخُطَابِ — فَمَا أَرَبُ الْمَهْدِيُّ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ
 مُقَرَّرِينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُدْعِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ قُدْرَتِهِ وَلَا يَبَرِّتُونَهَا مِنْ
 عِبُودِيَّتِهِ فَيُمَلِّسُكَمْ أَنْفُسَهُمْ وَيَخْلَعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفُ عَلَى الْحِيلِ مَعَهُمْ ، ثُمَّ يَجَازِيهِمْ
 السُّوءَ فِي حَدِّ الْمَنَازَعَةِ وَمُضَارِ الْمُخَاطَرَةِ — أَرِيدُ الْمَهْدِيُّ وَقَّتَهُ اللَّهُ الْأُمُورَ ؟؟ فَلَعَمْرِي
 لَا يَنَالُهَا وَلَا يَنْظُرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقٍ أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يُطَلَبُ مِنْهُمْ ، وَأَضْعَافُ مَا يَدَّعَى
 قَبْلَهُمْ ، وَلَوْ نَالُهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِخِرَاطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَجَافَى لَهَا عَنْهَا وَطَالَ
 عَلَيْهِمْ بِهَا ، لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ وَبِهِ يُعْرَفُ مِنَ الْجُودِ الَّذِي طَبَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ

قرّة عينه ونهمة نفسه فيه ، فان قال المهدي هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمّالنا ، وتحامل ولاتنا . فأما الجنود الذين تقضوا مَوَاقِيقَ العهود وأُنفِقُوا لسان الأرجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنه ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم ، فيعلم المهدي انه لو أتى بهم مغلولين في الحديد ، مُقَرَّنِينَ في الأصفاد ثم اتسع الحنّ دِماهم عفوّه ، ولا قاله عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أولم يبارأهم من عدوّه لما كان بدعاً من رأيه ولا مستنكراً من نظره .

لقد علّمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفوّاً وأشدّها وقعاً وأصدقها صولةً ، وأنّه لا يتعاضمه عفو ، ولا يتكأده صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يحلّ عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برّاً بهم وتوسّعاً لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته ، وأساس حقّه الذين بعزّتهم يصول وبحجّتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة وتعرّضوا له من معاصيه وأنطووا فيه عن إجابته ، ومثله في قلّة ما غير من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم كمثّل رجلين أخوين متناصرين متوّازرين أصاب أحدهما خبلٌ عارض ولهو حادث فتهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقة له ولطفاً به واحتيالاً لمدّأواة مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه وبرّاً به ، ومرحمة له

فقال المهدي - أمّا على فقد نوى سمت اللّيّان وفَضّ القلوب في أهل خراسان ولكل نبأ مُستقر . فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه

أيها المهدي : لا تسكن إلى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنتهم وأنت ترى
الدماء تسيل من خلك فاعلمهم ، الحال من القوم يُنادى بمضمرة شرّ وخنيّة قد
قد جعلوا المعاذير عليها سِتراً واتخذوا العلل من دونها حجاباً ، رجا أن يدافعوا
الأيام بالتأخير ، والأُمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدي فيهم ويُفنوا جنوده
عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم وتتلاحق مآذئهم وتُسْتَفْجَل حربهم وتُسْتَمِرّ الأُمور بهم
والمهدي من قولهم في حال غرّة ولباس أمانة ، قد فتر لها وأنس بها وسكن إليها
ولو لا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصب بالقتال ، والاضمار
بالقراع عن ذاعية ضلال أو شيطان فساد كرهبوا عواقب أخبار الوُلاة وغبّ سكون
الأُمور ، فليشدّد المهدي وفقه الله أزره لهم ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر
على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يُعْطِيهم خُطّة يُريد بها صلاحهم الا
كانت دُرّة إلى فسادهم وقوّة على معصيتهم وداعية إلى عودتهم وسبباً لفساد من
يحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إن أقرهم وتلك العادة ، وأجراهم
على ذلك الأرب ، لم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ولا
تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُرّة
لم يصل إلى ذلك إلاّ بالقوّة المفرطة ، والمؤوثة الشديدة . والرأي للمهدي وفقه الله
أن لا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف
ويستحرقهم القتل ويحْدق بهم البلاء ويُطبّق عليهم الذلّ ، فان فعل المهدي ذلك
كان مقطّعة لكل عادة سوء فيهم وهزيمة لكل بادرة شرّ فيهم ، واحتمال المهدي
في مؤوثة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة .
فقال المهدي قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيتها المهدي : أمّا (الموالي) فأخذوا بفروع الرأى وسلّكوا جنبات الصواب
وتعدّوا أموراً قصّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاريهم عليها - وأما (الفضل) فأشار
بالأموال أن لا تنفق ، والجنود أن لا تفرّق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا ولا
يُبدّل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانة بحريهم
وانما يهيج جسيات الأمور صغارها ، وأمّا (عليّ) فأشار باللين ، وإفراط الرّفق
وإذا جرّد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقّه اللين بحثاً والخير محضاً لم يخلطهما بشدّة
تعطف القلوب عن لينه ، ولا يترى يجسبهم إلى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم
ووسّع لهم الفرجة لثني أعناقهم ، فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف
اضطّرهم ولا شدّة ، فزوّدة في رؤوسهم ، يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويستصرخون
بها رأى المهدي فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لاجابته باللين المحض والخير
الصّراح ، فذلك ماعليه الظنّ بهم ، والرأى فيهم ، وما قد يُشبه أن يكون من مثلهم
لأنّ الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النّعيم المقيم والمُلك الكبير مالا يخطر على
قلب بشر ولا تدركه الفِكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا النّاس إليها ورغبهم فيها
فلولا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمةً يسوقهم بها إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا .
وأما (موسى) فأشار بأن يُعصّبوا بشدّة لا لين فيها ، وأن يُرموا بشرٍ لا
خير معه . وإذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفرداً والشر
مجرداً ليس معها طمع ولا لين يثنّيهم اشتدّت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم
إلى أحد أمرين : إما أن تدخلهم الحمية من الشدّة والأنفة من الدّلة والامتعاض
من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى التّمادى في الخِلاف والاستبسال في القتال والاستسلام

للموت ، وإِذَا أَنْ يُنْقَادُوا بِالْكُرْهِ وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى بَغْضَةٍ لَازِمَةٍ وَعِدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ .
تَوَرَّثُ النِّفَاقَ وَتُعْتَقِبُ الشَّقَاقَ ، فَإِذَا أَمَكْنَتْهُمْ فُرْصَةٌ أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَّتْ
لَهُمْ حَالٌ ، عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبٍ وَأَغْلَظٍ وَأَشَدِّ مِمَّا كَانَ .

وقال : فى قول الفضل : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ أَكْفَى دَلِيلٍ وَأَوْضَحَ بُرْهَانٍ وَأَبْيَنَ خَبَرٍ بَانَ .
قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَهُ وَحَزَمَ نَظْرَهُ عَلَى الْأَرْشَادِ بِبَعَثَةِ الْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ ، وَتَوَجِيهِ الْبُعُوثِ نَحْوَهُمْ
مَعَ إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْعَدْلِ .
قال المهدى : ذَلِكَ رَأَى .

قال هارون ما خُلِطَتِ الشَّدَّةُ أَتْيَا الْمَهْدِيُّ بِاللَّيْنِ ، فَصَارَتْ الشَّدَّةُ أَمْرَ فِطَامٍ
لَمَّا تَكَرَّرَ ، وَعَادَ اللَّيْنُ أَهْدَى قَائِدٍ إِلَى مَا تُحِبُّ ، وَلَكِنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ .
قال المهدى : لَقَدْ قُلْتُ قَوْلًا بَدِيعًا ، وَخَالَفْتُ فِيهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا ، وَالْمَرْءُ
مُؤْتَمَنٌ بِمَا قَالَ ، وَظَنِينَ بِمَا ادَّعَى ، حَتَّى يَأْتِيَ بَيِّنَةٌ عَادِلَةٌ وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ .
فأَخْرَجَ عَمَّا قُلْتُ .

قال هارون :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ ، وَالْأَعَاجِمُ قَوْمٌ مُكْرَهُ ، وَرُبَّمَا اعْتَدَلَتْ
الْحَالُ بِهِمْ ، وَاتَّفَقَتْ الْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ فَكَانَ بَاطِنُ مَا يُسْرُونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلَنُونَ .
وَرُبَّمَا افْتَرَقَتِ الْحَالَانُ ، وَخَالَفَ الْقَلْبَ اللِّسَانُ ، فَانْطَوَى الْقَلْبُ عَلَى مَحْجُوبَةٍ
تُبْطِنُ ، وَاسْتَسَرَّ بِمَدْخُولَةٍ لَا تَعْلَنُ ، وَالطَّبِيبُ الرَّفِيقُ بِطَبِّهِ ، الْبَصِيرُ بِأَمْرِهِ الْعَالَمُ .
بِمَقْدَمِ يَدِهِ وَمَوْضِعِ مِيسِمِهِ ، لَا يَتَعَجَّلُ بِالذَّوَاءِ حَتَّى يَقَعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ ، فَالرَّأْيُ
لِلْمَهْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهِ : أَنَّ يَفْرَبَاطِنُ أَمْرَهُمْ فَرَّ الْمُسِنَّةَ وَيَمَخُضُ ظَاهِرَ حَالِهِمْ مَخْضَ السَّقَاءِ .
بِمَتَابَعَةِ الْكُتُبِ وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ، وَمَوَالَاةِ الْعِيُونِ ، حَتَّى تُهَبِّكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ .

وَتُكشِفُ أَغْطِيَةَ أُمُورِهِمْ . فإِنْ انْفَرَجَتْ الْحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ ، وَانْقَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بَدِينٍ يَعْتَقِدُونَهُ وَإِثْمٍ يَسْتَحِلُّونَهُ عَصَبَتِهِمْ بِشِدَّةٍ لَالَيْنَ فِيهَا ، وَرَمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ لَا عَفْوَ مَعَهَا ، وَإِنْ انْفَرَجَتْ الْعُيُونُ وَاهْتَضَبَتِ السُّتُورُ وَرَفِعَتِ الْحُجُبُ وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعةٌ وَالْأُمُورُ بِهِمْ مَعْتَدِلَةٌ فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا وَأَعْمَالٍ يُنْكَرُونَهَا ، وَظِلَامَاتٌ يَدْعُونَهَا وَحَقُوقٌ يَسْأَلُونَهَا بِمَاتَةٍ سَابَقَتْهُمْ وَدَالَةٍ مَنَاصِحَتْهُمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَسَّعَ لَهُمْ بِمَاطَلَبُوا وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا وَيَشْعَبَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَاصِدَعُوا وَيَرْتَقَى مِنْ فَتَقِهِمْ مَاقْطَعُوا وَيُوَلَّى عَلَيْهِمْ مَنْ أَحَبَّوْا وَيُدَاوَى بِذَلِكَ مَرَضَ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ، فَانْمَا الْمَهْدِيُّ وَأُمَّتُهُ وَسَوَادُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالرَّاعِي الْمُجَرَّبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ ، وَضُوالَ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا وَيَرُدَّ الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسٍ جَمَاعَتِهَا — ثُمَّ إِنْ خُرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَةٌ مَحْمُولَةٌ ، وَمَاتَةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ . لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسُيُوفَ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارَ حَقِّهِ وَأَعْوَانَ عَدْلِهِ . فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الْاضْطِفَانِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْمُؤَاخَذَةَ لَهُمْ وَلَا التَّوَعُّرَ بِهِمْ وَلَا الْمَكْفَاةَ بِإِسَاءَتِهِمْ . لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسْمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ ، قَبْلَ أَنْ تَقْوَى وَمُحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَيْئِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ وَأَصَحَّ فِي التَّدْبِيرِ مِنَ التَّأخِيرِ لَهَا وَالتَّهَاوُنِ بِهَا حَتَّى يَلْتَمِمْ قَلِيلُهَا بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا إِلَى جُمُهورِهَا

قال المهدي : مَا زَالَ هَارُونُ يَقَعُّ وَقَعُ الْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقَدَحِ مِنَ الْمَاءِ ، وَانْسَلَّ انْسِلَالُ السِّيفِ فِيمَا ادَّعَى ، فدَعَوْا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ فَانْهَ هُوَ الرَّأْيُ - وَثَنِي بَعْدَهُ هَارُونُ — وَلَكِنْ مَنْ لَأَعِنَّةَ الْخَلِيلِ وَسِيَاسَةَ الْحَرْبِ وَقَادَةَ النَّاسِ إِنْ

أمن بهم اللجاج وأفرطت بهم الدالة ؟ !

قال صالح بن علي

لسنا نبُليغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك ، وبعضَ لحظاتَ نظرك ، وليس يَنْفُضُ عنك من يُّونات العرب ورجالاتِ العجم ذودين خاضل ورأى كامل وتدبير قوى تُقلِّده حربك وتستودعه جُندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقية مبارك العزيمة مخبور التجارب محمود العواقب ، معصوم العزم فليس يتَّع اختيارك ولا يتقف نظرك على أحد توَّليته أمرك وتُسند إليه ثغرك إلا أراك الله ماتحبَّ وجمع لك منه ما تريد قال المهدي : اني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه ، ولكن أحبَّ الموافقة على الرأي والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم .

قال محمد بن الليث :

أهل خراسان أيها المهدي ، قوم ذوو عِزَّة وَمَنَعَة وشياطين خدعة ، زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة والعجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عدلهم . لانهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم . وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ، ولا يفتطمون إلا بالمرِّ وان ولى المهدي عليهم وضيعاً لم تتقدله العظماء ، ، وان ولى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وان آخر المهدي أمرهم ودافع حربهم حتى يُصيب لنفسه من حشمة ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ، ناصحاً يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ولا حمية تدخلهم ولا مضيية تنفرهم ، تنفست الأيام بهم وتراخت الحال بأمرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير والضياع العظيم مالا يتلافاه صاحب

هذه الصفة وان جدّ ، ولا يَسْتَصْلِحُهُ وان جهد ، إلا بعد دَهْرٍ طویل ، وشرّ كبير
وليس المهدي وقته الله فاطماعاتهم ولا قارعاً صفاتهم بمثل أحد رَجُلَيْنِ لا ثالث
لهما ولا عدل في ذلك بهما : أحدهما لسانٌ ناطقٌ موصولٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثِّلَةٌ لِعَيْنِكَ
وصخرة لا تُزَعزَعُ وبُهْمَةٌ لا تُتَنَّى ، وبازلٌ لا يَفْزِعُهُ صَوْتُ الْجُلْجُلِ ، نَقَى العَرَضِ
نَزِيهِ النَّفْسِ جَلِيلُ الْخَطَرِ ، قد اتَّضَعْتُ الدُّنْيَا عَنْ قَدْرِهِ ، وَسَمَانُوحُ الْآخِرَةِ بِهِمَّتِهِ
فَجَعَلَ الْغَرَضَ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا ، وَالْغَرَضَ الْأَدْنَى لِإِدْمَامِهِ مَوْطِنًا ، فليس يقبل
عملاً ، ولا يتعدّى أملاً وهو رأس مَوَالِيكَ وَأَنْصَحُ بَنِي أَبِيكَ . رجل قد عُغِذِي
بلطف كرامتك ونبت في ظلّ دولتك ونشأ على قوائم أدبك فان قلّدتَه أمرهم
وحملته ثقلهم وأسندت اليه كُفْرهم ، كان قَفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ وَبَابًا أَعْلَقَهُ نَهْيُكَ ، فجعل
العدل عليه وعليهم أميراً والانصاف بينه وبينهم حاكماً ، واذا حَكَمَ الْمُنْصِفُ وَسَلَكَ
الْمَعْدَلَةَ فَاعْطَاهُم مَالَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ ، غَرَسَ لَكَ فِي الذِّى بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ
لَكَ فِي السُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ ، طَاعَةً رَاسِخَةً الْعُرُوقَ بَاسِقَةً الْفُرُوعَ مَبَاطِلَةً فِي
حَوَاتِي عَوَامِهِمْ ، مَتَمَكَّنْتُهُ مِنْ قُلُوبِ خَوَاصِهِمْ ، فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا نَفْوُهُ .
وَلَا يَلْزَمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا أَدَّوهُ ، وَهَذَا أَحَدُهُمَا . وَالْآخَرُ عُوْدٌ مِنْ غِيْضَتِكَ ، أَوْ نَبْعَةٌ
مِنْ أُرُومَتِكَ ، قَوِيَّ السِّنِّ كَهْلُ الْحِلْمِ رَاجِحُ الْعَقْلِ مَحْمُودُ الصَّرَامَةِ مَأْمُونُ الْخِلَافِ .
يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ
وهو « فُلَانٌ » . أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ — فَسَلِّطْهُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَجِّهْهُ بِالْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ .
وَلَا تَمْنَعُكَ ضَرَاةُ سِنِّهِ وَحَدَاثَةُ مَوْلَاهُ فَانِ الْحِلْمَ وَالثَّقَّةَ مَعَ الْحَدَاثَةِ خَيْرٌ مِنَ الشَّكِّ .
وَالْجَهْلُ مَعَ الْكُهُولَةِ ، وَإِنَّمَا أَحَدَاؤُكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَاخْتَصَّكُمْ
بِهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْفَعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ

الانفس كفراخ عتاق الطير^(١) المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجود النفع بلا تأديب، فالعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم حرز روع في قلوبكم، مستحکم لكم متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة قال معاوية بن عبد الله:

أفتاء^(٢) أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر. وأهل خراسان في حال عز على ما وُصف — ولكن ان ولي المهدي عليهم رجلاً ليس بقديم الذکر في الجنود ولا بنبية الصوت في الحروب ولا بطوبل التجربة للأمر، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء، دخل ذلك أمر ان عظيمان، وخطر ان مهولان أحدهما — أن الأعداء يفتمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأمره، والتكشّف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر — أن الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس، اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ولم يعرفوه بالصيت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجتهم واستأخرت طاعتهم، إلى حين اختبارهم ووقوع معرقتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار وبياب المهدي وقفه الله رجل مهيب نبية حنيك صيت له نسب زاك وصوت عال قد قاد الجيوش وساد الحروب وتآلف أهل خراسان، واجتمعوا عليه باليقّة^(٣) ووثقوا به كل الثقة، فلو ولاه المهدي أمرهم لكفاه الله شرهم.

قال المهدي: جانبت قصد الرمية وأبيت إلا عصبيّة، اذ رأى الحدث من أهل بيتنا كراى عشرة حلماء من غيرنا — ولكن أين تركتم ولي العهد؟

(١) عتاق الطير — الجوارح منها (٢) أفتاء — أصحاب القوة من الشبان جمع فتى كيتيم وأيتام (٣) المقة — المحبة

قالوا: لم يَمْنَعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده ونسيجه وحده، ومن الدين وأهله، بحيث يَقْصُر القول عن أدنى فضله، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وسَتَرَدون عبادَه عِلْم ما تختلف به الأيام، ومعرفة ما تَجْرى عليه المقادير من حوادث الأمور، ورَيْب المَنُون المخترمة لخالق القرون، ومَوَاضِي المُلُوك فكَرْهنا شُؤْعَه عن مِحَلَّة الملك ودار السُّلطان، ومَقَرِّ الإمامة والولاية، وموضع المدائن والخزائن، ومستَقَرَّ الجنود ومعدِن الجود، ومَجْمَع الأموال التي جعلها الله قُطْباً لذار الملك، ومِصْبِدة لقلوب الناس ومثابة لأخوان الطَّع وتُوارِ الفِتَن، ودواعي البِدْع وفُرسان الضلال وأبناء الموت — وقلنا ان وجه المهدي ولى عَهْدَه فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله، لم يستطع المهدي أن يُعقِبهم بغيره إلا أن يَنْهَض اليهم بنفسه، وهذا حَظَر عَظِيم وهَوَل شَدِيد، إن تنفست الأيام بِمَنامِه واستدارت الحال بِإِمامِه، حتى يَقَع عَوِض لا يُسْتغْنَى عَنْه، أو يحدث أمر لا يَدَّ مِنْه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً، وأجل خطراً له تبعاً، وبه متصلاً.

قال المهدي

الخطب أيسر مما تذهبون اليه، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه. نحن أهل البيت نَجْرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم، ومحتوم من الأمر، قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرُّسل. وقد تنأى ذلك بأجمعه إلينا وتكامل بحذافيره عندنا، فيه نَدْبَرُ على الله نتوكل. انه لا بد لولى عهدي، وولى عهد عَقْبِي بعدى، أن يقود الى خراسان البعوث ويتجه نحوها بالجنود؛ أمّا الأول فانه يقدِّم اليهم رسله ويُعْمِل فيهم حيله ثم يَخْرُج نشيطا اليهم حنقاً عليهم، يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ودواعي البدع، وفُرسان الضلال إلا تَوَطَّاه بِحَرِّ

القتل وألبسه قِنَاعَ القَهْر، وقلَّده طوقَ الذلِّ ولا أحداً من الذين عملوا في قصِّ جناح
الفتنة وإخماد نار البدعة ونُصرة وُلاة الحقِّ إلاَّ أجرى عليهم دِيمَ فضله وجدَّ أول
نَهْلِهِ، فاذا خرجَ مُزْمِعاً به مُجْمَعاً عليه لم يسِرْ إلاَّ قليلاً حتى تَأْتِيهِ أَنْ قد عَمِلَتْ
حِيلُهُ، وكَدَحَتْ كُتْبُهُ ونَفَذَتْ مَكَايِدُهُ، فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء
واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظراً لهم وبراً بهم وتعطفوا عليهم إلى عدوِّ قد
أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حُجَّاجَهُمْ بيتَ الله الحرام، وسلب تُجَّارَهُمْ
رِزْقَ الله الحلال، وأمَّا الآخر، فانه يُوجِّهُ اليهم ثم تُعقد له الحجة عليهم باعطاء
ما يطلبون وبذل ما يسألون، فاذا سمحت الفزق بقراباتِها له وجنح أهل النواحي
بأعناقهم نحوه، فأصغَتْ إليه الأفتدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود
قصدَ الأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمَتِها فألبسها جناح نِعْمته وأنزلها ظلَّ
كرامته وخَصَّها بعظيم حَبائثه، ثم عمَّ الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا
تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية إلا دخلت عليها بركته ووصلت إليها منفعتها
فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضعها وزاد رفيعها، ما خلا ناحيتين : ناحية
يَغلب عليها الشقاء، وتُستميلهم الأهواء، فتستخِف بدعوته، وتُبْطِئ عن إجابته
وتتثاقل عن حقه، فتكون آخر مَنْ يَبْعَثُ وأبطأ مَنْ يُوجِّه، فيصطلي عليها موجدة
ويبتغي لها علة، لا يلبث أن يجدَ بحقٍّ يلزمهم وأمرٍ يجب عليهم فتستلحمهم
الجيوش وتأكلمهم السيوف ويستحرقهم القتل ويحيط بهم الأسر ويُفنيهم التَّبْع
حتى يُخرَّب البلاد ويؤتَم الأُولاد. وناحية لا يَسْطُرُ لهم أماناً ولا يقبلُ لهم عهداً
ولا يجعلُ لهم ذمّة لأنهم أوَّلُ من فَتَحَ بابَ الفرقة وتدرَّع جُلُبَابَ الفتنة وربض
في شقِّ العصا، ولكنه يقتلُ أعلامهم ويأسرُ قوادهم ويطلبُ هُراهم في لجج البحار

وَقُلِّلَ الْجِبَالُ وَحُمِلَ الْأُودِيَةُ وَبَطُونُ الْأَرْضِ تَقْتِيلًا وَتَغْلِيلًا وَتَنْكِيلًا حَتَّى يَدْعَ
الدِّيَارُ خِرَابًا وَالنِّسَاءُ أَيَامِي — وَهَذَا أَمْرٌ لَا نَعْرِفُ لَهُ فِي كِتَابِنَا وَقْتًا وَلَا نَصَحَّ مِنْهُ
غَيْرَ مَا قُلْنَا تَفْسِيرًا — وَأَمَّا (مُوسَى وَلِيَّ عَهْدِي) فَهَذَا أَوَانُ تَوَجُّهُهِ إِلَى خِرَاسَانَ
وَحُلُولِهِ بِجُرْجَانٍ وَمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ مِنَ الشُّخُوصِ إِلَيْهَا وَالْمَقَامِ فِيهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَغَبَّةٌ
وَلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَاقِبَةٌ مِنَ الْمَتَامِ بِحَيْثُ يَغْمُرُ فِي لُجْجِ بَحُورِنَا وَمُدَافِعِ سَيُولِنَا وَمَجَامِعِ أُمُوجِنَا
فَيَنْتَصَاغِرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ وَيَتَذَأَبُ مَشْرِقُ نُورِهِ وَيَتَقَلَّلُ كَثِيرُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ ، فَمَنْ
يَصْحَبُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَيَخْتَارُهُ مِنَ النَّاسِ ؟

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْإِثْمَ .

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ — إِنْ وَلِيَ عَهْدَكَ أَصْبَحَ لَأُمَّتِكَ وَأَهْلِ مِلَّتِكَ عِلْمًا قَدْ تَثَنَّتْ
نَحْوُهُ أَعْنَاقُهَا ، وَمَدَّتْ سَمْتَهُ أَبْصَارُهَا ، وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جَوَارِهِ
لَكَ عُطْلُ الْحَالِ غُفْلُ الْأَمْرِ وَاسِعُ الْعُذْرِ ، فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ
إِلَى تَدْبِيرِهِ ، فَإِنْ مِنْ شَأْنِ الْعَامَةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ . وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ
وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بَرٍّ وَمَرَحْمَةٍ ، وَإِقْطَاطِهِ وَمُعْدَلَتِهِ ، وَتَدْبِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ
وَوُزَرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأُمْلَكُ الْأُمُورِ
بِهِمْ وَأَزْمُهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدُّهَا اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ وَعَظْمَانًا لِهَوَاهُمْ فَلَا يَفْتَنُ الْمَهْدِيُّ وَقْفَهُ
اللَّهُ نَازِرًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى عِمْدَ مَمْلَكَتِهِ ، وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وِلَايَتِهِ ، وَيَسْتَجْمَعُ رِضَاءَ أُمَّتِهِ
بِأَمْرِ هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لَجَمَالِهِ وَأَفْضَلُ مَغَبَّةً لَأَمْرِهِ وَأَجَلُّ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ
وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نُفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ ، وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغُ فِي
الِاسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ مَرَحْمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ ، وَمُعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ ، وَمَحَبَّةٍ

لِخَيْرِ وَأَهْلِهِ - وَأَنْ يَخْتَارَ الْمَهْدِيُّ وَفْقَهُ اللَّهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ ، وَفَقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنِسُ الرَّعِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُضِعُوا نَحْوَهُمْ تَسَهَّلَ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ ، وَفُتِحَ بَابُ الْمَعْرُوفِ ، كَمَا قَدْ كَانَ فُتِحَ لَهُ وَتَسَهَّلَ عَلَيْهِ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ . ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى ، فَقَالَ :

أَيُّ بُنَىَّ - إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسِمْتَ وَجْهَ الْعَامَةِ نُصْبًا ، وَلَمَشَى أَعْطَافَ الرَّعِيَّةِ غَايَةً ، فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهِمَا . فَإِنَّ اللَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ ، وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسَخِّطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ - ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَفَرَةً مِنْ رُسُلِهِ ، وَبَقَايَا مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وَخَبَايَا لُصْرَةٍ حَقَّةٍ يَجِدُ دُحْبَلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ وَيُشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا وَعَلَى إِقَامَةِ عُدْلِهِ أَعْوَانًا ، يَسُدُّونَ الْخُلُلَ وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ ، وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَإِنَّ أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْعِظَائِمِ بِمَنَاصِحَتِهِمْ ، وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَائِمِهِمْ ، وَنُزَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، فَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحِصُونُ الرَّعِيَّةِ إِذَا تَضَايَقَتْ الْحَالَ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ أَخَذَتْ نِيرَانُ الْفِتَنِ وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ الْبِدْعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ، وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذَاتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ، بَعْدَ لِبَاسِ الذُّلِّ وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ وَمُحَالِفَةِ الْأَسَى (١٧ - جوامع - ل)

وَجَهْدِ الْبَأْسِ وَالضَّرِّ ، فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسِ كَرَامَتِكَ ، وَأَنْزِلُهُمْ فِي حُدَائِقِ نِعْمَتِكَ
ثُمَّ اعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَعَائِهِمْ ، وَمَا تَتَّعَتْهُمْ ، وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِيَّابَةِ لِحُسْنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسْلِيَتِهِمْ .

أَيُّ بُنَى - ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا . وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا
بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَقَّعْ بِهِ فِي عَيْنِ رَعِيَّتِكَ ، وَاجْعَلْ عُمَّالَ
الْعُدُوِّ وَوُلَاةَ الْحُجُبِ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ وَنِصْفَةً مِنْكَ لِرَعِيَّتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ
تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تُؤَلِّيهِ أَمْرَهُمْ
وَيَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنَ حُمِدَتَ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُدِرْتَ ،
هَؤُلَاءِ عُمَّالُ الْعُدُوِّ وَوُلَاةُ الْحُجُبِ ، فَلَا يَسْقُطَنَّ عَلَيْكَ مَا فِي ذَلِكَ ، إِذَا انْتَشَرَ فِي
الْأَفَاقِ وَسَبَقَ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ انْعِقَادِ أَلْسِنَةِ الْمُرْجِفِينَ وَكَبَتْ قُلُوبُ الْحَاسِدِينَ وَإِطْفَاءُ
نِيرَانِ الْحُرُوبِ ، وَسَلَامَةُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ . وَلَا يَنْفَكَنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا
وَبِعْرَ حَبْلِكَ مُتَعَلِّقًا - رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَامَتِ رِجَالِ الْعَرَبِ وَأَعْلَامِ
يَبُوتَاتِ الشَّرَفِ ، لَهُ أَدَبٌ فَاضِلٌ وَحِلْمٌ رَاجِحٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ - وَالْآخَرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ
مَغْمُوزٍ ، وَمَوْضِعٌ غَيْرُ مَدْخُولٍ ، بِصِيرَةٍ بِتَقْلِيلِ الْكَلَامِ وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ ، وَأَنْحَاءِ
الْعَرَبِ وَوَضْعِ الْكُتُبِ ، عَالِمٌ بِحَالَاتِ الْحُرُوبِ ، وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ ، يَضَعُ آدَابًا
نَافِعَةً وَأَنَارًا بَاقِيَةً مِنْ مَحَاسِنِكَ وَتَحْسِينِ أَمْرِكَ وَتَحْلِيَةِ ذِكْرِكَ فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ
وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ ، فَرَجُلٌ أَصْبَتْهُ كَذَلِكَ فَهُوَ يَاوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَرْعَى فِي خُضْرَةٍ
جِنَانِي ، وَلَا تَدْعُ أَنْ تَخْتَارَكَ مِنْ قُتْبَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ
جِيرَانِكَ وَسَمَّارِكَ ، وَأَهْلَ مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُورِدُ ، وَأَصْحَابَ مُنَازَرَتِكَ فِيمَا تُصَدِّرُ
فَيَسِّرُ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ - أَصْحَبَكَ اللَّهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ

وَهَادِيًا يُنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانُكَ .

﴿وُفُودُ بَكْرَةِ الْهَلَالِيَةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ﴾

استأذنت بَكْرَةُ الْهَلَالِيَةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَأَذِنَ لَهَا ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً قَدْ أُسْنَتْ وَعَشِيَ بِصَرْهَا ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا ، تَرْعَشُ بَيْنَ خَادِمِينَ لَهَا ؛ فَسَلَّمَتْ وَجَلَسَتْ . فَرَدَّ عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ السَّلَامَ . وَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا خَالَةَ ؟ فَقَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : غَيْرَكَ الدَّهْرُ . قَالَتْ : كَذَلِكَ هُوَ ذُو غَيْرٍ ، مِنْ عَاشٍ كَبِيرٍ ، وَمِنْ مَاتٍ قُبِيرٍ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : —

يَا زَيْدُ دُونَكَ فَاحْتَفِرْ مِنْ دَارِنَا سَيْفًا حُسَامًا فِي التُّرَابِ دَفِينَا
قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهُ لِيَوْمِ كَرِيمَةٍ فَالْيَوْمِ أَبْرَزَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا
قَالَ مَرْوَانَ : وَهِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : —

أَتَرَى أَبْنَ هِنْدٍ لِلْخَلِيفَةِ مَالِكَا هِيَهَاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ
مَنْتَكَ نَفْسَكَ فِي الْخِلَاءِ ضَلَالَةً أَغْرَاكَ عَمْرُو لِّلشَّقَا وَسَعِيدُ
قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ : —

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ أُمِيَّةٍ خَاطِبًا
فَاللَّهِ أَخَّرَ مَدَّتِي فَتَطَاوَلَتْ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا يَزَالُ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَالَ أَحْمَدَ عَائِبًا
ثُمَّ سَكْتُوا . فَقَالَتْ : يَا مُعَاوِيَةَ — كَلَامُكَ أَعْشَى بِصَرِي ، وَقَصَّرَ حُجَّتِي . أَنَا وَاللَّهِ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، وَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنْ شَيْءٍ أَكْثَرَ . فَضَحَكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : لَيْسَ يَمْنَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرِّكَ . أَذْكَرُى حَاجَتَكَ . قَالَتْ : أُمَّا الْآنَ فَلَا .

﴿ مناظرة السيف والقلم لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ﴾
 لَمَّا كَانَ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ عُدَّتِي الْعَمَلَ وَالْقَوْلَ ، وَعُمِدَتِي الدُّوْلَ ، فَإِنْ عَدَّ مَتَاهُمَا
 دَوْلَةً فَلَا حَوْلَ . وَرَكْنِي إِسْنَادُ الْمَلِكِ الْمُعَرَّبَيْنِ عَنِ الْخَفُوضِ وَالْمَرْفُوعِ ،
 وَمُقَدِّمَتِي نَتِيجَةُ الْجَدَلِ الصَّادِرِ عَنْهُمَا الْحُمُولُ وَالْمَوْضُوعُ ، فَكَرَّتْ أَيْهَمَا أَعْظَمَ
 فَجْرًا ، وَأَعْلَى قَدْرًا ، فَجَلَسَتْ لُهُمَا مَجْلِسَ الْحُكْمِ وَالْفَتْوَى ، وَمَثَلَتْهُمَا فِي الْفِكْرِ
 جَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى ، وَسَوَّيْتُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ فِي الْإِكْرَامِ ، وَاسْتَنْطَقْتُ لِسَانَ حَالِهِمَا
 بِالْكَلَامِ - فَقَالَ الْقَلَمُ : بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلُ إِذَا
 يَغْشَاهَا - أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ بَارِي الْقَلَمِ ، وَمُشْرِفِهِ بِالْقَسَمِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ ،
 وَجَمَلَ الْوَرَقَ بَعْضُهُ ، كَمَا جَمَلَ الْغُصْنَ بِالْوَرَقِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى الْقَائِلِ جَفَّتِ الْأَقْلَامُ
 فَإِنَّ الْقَلَمَ قَصَبُ السَّبَاقِ ، وَالكَاتِبُ سَبْعَةُ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْكِتَابِ فِي
 السَّبْعِ الطَّبَاقِ ، جَرَى بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَنَابَ عَنِ اللُّسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ ، طَلَمَا أَرَبَى
 عَلَى الْبَيْضِ وَالسَّمْرِ فِي ضِرَابِهَا وَطَعَانِهَا . وَقَاتَلَ فِي الْبُعْدِ . وَالصَّوَارِمُ فِي الْقُرْبِ مَلَأَ
 أَجْفَانَهَا ، وَمَاذَا يُشَبُّهُ الْقَلَمُ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ ؟ وَمُشِيرِهِ لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ؟ ! قَالَ السَّيْفُ :
 بِسْمِ اللَّهِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ - أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ
 اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ آيَةَ السَّيْفِ ، فَعَظَّمَتْ بِهَا حُرْمَةَ الْجَرْحِ وَأَمِنَ خِيفَةَ الْحَيْفِ ، وَالصَّلَاةَ
 عَلَى الَّذِي فَدَّكَ بِالسَّيْفِ سَطُورَ الطُّرُوسِ ، وَخَدَمَتْهُ الْأَقْلَامُ مَاشِيَةً عَلَى الرُّؤُوسِ ، وَعَلَى
 آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَرْهَفَتْ سَيُوفُهُمْ ، وَبُنِيَتْ بِهَا عَلَى كَسْرِ الْأَعْدَاءِ حُرُوفُهُمْ ، فَإِنَّ
 السَّيْفَ عَظِيمَ الدَّوْلَةِ ، شَدِيدَ الصَّوْلَةِ ، مُحَااسِنُ الْبَلَاغَةِ ، وَأَسَاغُ الْمُنُوعِ الْإِسَاغَةِ ؛
 مِنْ اعْتِمَادٍ عَلَى غَيْرِهِ فِي قَهْرِ الْأَعْدَاءِ تَعِبَ . وَكَيْفَ لَا وَفَى حَدَّهُ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ
 وَاللَّعِبِ ؟ ! فَإِنَّ كَانَ الْقَلَمُ شَاهِدًا . فَالسَّيْفُ قَاضٍ ، وَإِنْ اقْتَرَبَتْ مُجَادَلَتُهُ بِأَمْرِ

مُستقبل قطعه السيف بفعلٍ ماضٍ . به ظهر الدين . وهو العدة لقمع المعتدين ،
 حملته دون القلم يد نبينا ، فشرف بذلك فى الأمم شرفاً بيناً ، الجنة تحت
 ظلاله ، ولا سيما حين يسئل قترى وذق الدم يخرج من خلاله . زينت بزينة
 الكواكب سماء غمده ، وصدق القائل « السيف أصدقُ إنباء من ضده » لا يبعثُ
 به الحامل ، ولا يتناولُه كالقلم بأطراف الأنايل . ما هو كالقلم المشبه بقوم عروا
 عن لبوسهم ، ثم نكسوا كما قيل على رؤوسهم ، فكان السيف خلق من ماء
 دافق ، أو كوكبٍ راشق ، مقدراً فى السرد ، فهو الجوهر الفرد ، لا يشرى كالقلم
 بضمنٍ بخس ، ولا يبلى كما يبلى القلم بسوادٍ وطمسٍ . كم لقاءه المنتظر ، من أثرى
 عين أوعين فى أثر . فهو فى جراب القوم قوام الحرب ، ولهذا جاء مطبوع الشكل
 داخل الضرب . قال القلم : أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصاص غير مبين ،
 يفاخر وهو القائم عن الشمال ، وأنا الجالس على اليمين ؟ أنا الخصوص بالرائى وأنت
 الخصوص بالصدى ، أنا آله الحياة وأنت آله الردى . ما لنت إلا بعد دخول
 السعير ، وما حدثت إلا عن ذنب كبير . أنت تنفع فى العمر ساعة ، وأنا أفنى
 العمر فى الطاعة . أنت للرهب ، وأنا للرغب . وإذا كان بصرك حديداً فبصرى
 ماء ذهب . أين تقليدك من اجتهدى . وأين نجاسة دمك من تطهير مِدادى ؟
 قال السيف : أمثلك يعيرُ مثلى بالماء ؟ فظالما أمرتُ بعض فراخى وهى السكين
 فأصبحت من النقات فى عقدك يامسكين . فأخلت من الحياة جثمانك . وشقت
 أنفك وقطعت لسانك . ويك ! إن كنت للديوان فحاسبُ مهموم ، أو للإنشاء
 فحادمُ لخدوم . أو للبليغ فساخرُ مذموم . أو للفقيه فناقص فى المعلوم . أو للشاعر
 فسائلُ محروم ، أو للشاهد فخائفُ مسموم . أو للمعلم فالحي القيوم . وأما أنا فلى

الوجهُ الأزهرُ ، والحلية والجوهر . والهيبةُ إذا أُشهر . والصعودُ على المنبر ، شكلى الحسنُ علي . ولم لأحملك الخطبَ بدلى ، ثم إني مملوك كمالك . فانك كناسيك . أسلك الطرائق ، وأقطع العلائق . قال القلم : أمّا أنا فابن ماء السماء . وأليف الغدير وحليف الهواء . وأمّا أنت فابن النار والدخان . وناثر الأعمار وخوان الإخوان . تفصل ما لا يفصل ، وتقطع ما أمر الله به أن يوصل ، لا جرم أن صعر السيف خده وصقل قفاه ، وسقى ماء حياً فقطع معاه ، يا غراب البين ، وباعدة الحين ، ويأملت العين ، وياذا الوجهين ، كم أفنيت وأعدمت ؟ وأرملت وأيتممت ؟

قال السيف : يا ابن الطين ، ألسنت ضامراً وأنت بطين ، كم جرّيت بعكس ، وتصرفت في مكس ، وزورت وحرّفت ، ونكرت وعرفت ، وسطّرت هجواً وشتماً ، وخلدت عاراً وذمّاً ، أبتير بفرط روعتك ، وشدة خيفتك ، إذا قست بياض صحيفتى بسواد صحيفتك ، فالن خطابك فانت قصير المدّة ، وأحسن جوابك فعندى حدّة ، وأقل من غلظتك وجبهك ، واشتغل عن دم في وجهي بمدّة في وجهك ، وإلا فأدنى ضربة مني تروم أرومتك ، فتستأصل أصلك وتجتث جرتومتك ، فسقياً لمن غاب لك عن غابك ، ورعيّاً لمن أهاب بك لسلخ إهابك . فلمّا رأى القلم السيف قد احتدّ ، ألان له من خطابه ما اشتدّ ، وقال : أمّا الأدب فيؤخذ عني ، وأمّا اللطف فيكتسب مني ، فان لنت لنت ، وإن أحسنت أحسنت ، نحن أهل السمع والطاعة ، ولهذا نجمع في الدواة الواحدة مناً جماعة ، وأمّا أنتم فأهل الحدة والخلاف ، ولهذا لم يجمعوا بين سيفين في غلاف . قال السيف : أمكراً ودعوى عفة ، لأمر ما جدع قصير أنفه - لو كنت كما زعمت ذا أدب ،

أَلَمَّا قَابَلْتَ رَأْسَ الْكَاتِبِ بِعُقْدَةِ الذَّنْبِ ، أَنَا ذُو الصِّيتِ وَالصَّوْتِ ، وَغِرَارَى
لِسَانِ مُشْرِفَى بَرْتَجَلِ غَرَائِبِ الْمَوْتِ . أَنَا مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَالْقَلَمُ مِنْ صَلْصَالٍ
كَالْفَخَّارِ . وَإِذَا زَعَمَ الْقَلَمُ أَنَّهُ مِثْلِي ، أَمَرْتُ مِنْ يَدِ قِ رَأْسِهِ بِنَعْلِي . قَالَ الْقَلَمُ : صَهْ
فَصَاحِبِ السَّيْفِ بِالسَّعَادَةِ كَأَعْزَلِ . قَالَ السَّيْفُ : مَهْ فَقَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مَغْزَلِ ،
قَالَ الْقَلَمُ : أَنَا أَزْكَى وَأَطْهَرُ ، قَالَ السَّيْفُ : أَنَا أَبْهَى وَأَبْهَرُ . فَنَلَا ذُو الْقَلَمِ لَقَلَمَهُ : إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكُؤُوتَ ، وَنَلَا صَاحِبَ السَّيْفِ لِسَيْفِهِ : فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . فَنَلَا ذُو
الْقَلَمِ لَقَلَمَهُ : إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ، قَالَ : أَمَّا وَكِتَابِي الْمَسْطُورُ ، وَيَتِي الْمَعْمُورُ ،
وَالْتُورَاةُ وَالْإِنْجِيلُ ، وَالْقُرْآنُ ذِي التَّبَجِيلِ ، إِنْ لَمْ تَكْفِ عَنِّي غَرْبُكَ ، وَتُبْعِدْ مِنِّي
قُرْبُكَ ، لَا كُتِبَتْكَ مِنْ الصَّمِّ الْبُكْمُ ، وَلَا سَطَرَنْ عَلَيْكَ بِقَلَمِي سَجَلًا بِهَذَا الْحَكْمِ .
قَالَ السَّيْفُ : أَمَّا وَمَتْنِي الْمَتِينِ ، وَفَتْحِي الْمُبِينِ ، وَلِسَانِي الرَّطْبِينَ ، وَوُجْهِي
الصُّلْبِينَ ، إِنْ لَمْ تَعْبَ عَنْ بِيَاضِي بِسَوَادِكَ ، لَا مُسَخَّنَ وَجْهَكَ بِمَدَادِكَ ، وَلَقَدْ كَسَبْتَ
مِنَ الْأَسَدِ فِي الْغَابَةِ ، تَوْقِيعَ الْعَيْنِ وَالصَّلَابَةِ ، مَعَ أَتْنِي مَا أَلَوْتُكَ نَصْحًا ، أَفَنْضَرْبِ
عَنكَمُ الذِّكْرُ صَفْحًا ؟ قَالَ الْقَلَمُ : سَلِّمْ إِلَى مَع مَنْ سَلِّمْ ، إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ ،
وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ ، أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ ،
أَوْ كُنْتَ أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ . أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ . أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا أَعْتَبُ
أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ . قَالَ السَّيْفُ : كَيْفَ لَا أَفْضَلُكَ ، وَالْمَقْرُ الْفُلَانِي شَادَّ
أَزْرِي . قَالَ الْقَلَمُ : كَيْفَ لَا أَفْضَلُكَ وَهُوَ (عَزَّ نَصْرُهُ) وَلِيَّ أَمْرِي ؟ !

قَالَ الْحَكْمُ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ : فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحُجَّتَيْنِ نَاهِضَتَيْنِ . وَالْبَيِّنَتَيْنِ
بَيِّنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ . وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِسْبَةً صَحِيحَةً ، إِلَى هَذَا
الْمَقْرَرِ الْكَرِيمِ . وَرَوَايَةٌ مُسْنَدَةٌ عَنْ حَدِيثِهِ الْقَدِيمِ ، لَطَفْتُ الْوَسِيلَةَ ، وَدَقَّقْتُ الْحِيلَةَ ،

حتى رَدَدْتُ الْقَلَمَ إِلَى كِنْتِهِ ، وَأَعْمَدْتُ السَّيْفَ فَنَامَ مِلءُ جَفْنِهِ ، وَأَخَّرْتُ بَيْنَهُمَا
الْتَّرَجِيحَ ، وَسَكْتُ عَمَّا هُوَ عِنْدَى الصَّحِيحَ ، إِلَى أَنْ يَحْكُمَ الْقَرُّ بَيْنَهُمَا بَعْلَهُ ،
وَيُسَكِّنَ سَوْرَةَ غَضَبِهِمَا الْوَافِرَ وَجَاجِبُهَا الْمَدِيدَ بِبَسْطِ حِلْمِهِ .

﴿ مناظرة للآمدى بين صاحب أبي تمام - وصاحب البحرى ﴾

صاحب أبي تمام : كَيْفَ يَجُوزُ لِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ الْبُحْرَى أَشْعَرُ مِنْ أَبِي
تَمَّامٍ ؟ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ أَخَذَ ، وَعَلَى حَذْوِهِ اخْتَذَى ، وَمِنْ مَعَانِيهِ اسْتَقَى ! حَتَّى قِيلَ
الطَّائِيُّ الْأَكْبَرُ - وَالطَّائِيُّ الْأَصْغَرُ !

صاحب البحرى : أَمَّا الصَّحْبَةُ لَهُ فَمَا صَحَبَهُ وَلَا تَكَلَّمَ لَهُ ، وَلَا رَوَى ذَلِكَ
أَحَدٌ عَنْهُ وَلَا نَقَلَ ، وَلَا رَأَى قَطُّ أَنَّهُ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ الْخَبَرُ الْمُسْتَفِيزُ
مِنْ أَجْتِمَاعِهِمَا وَتَعَارُفِهِمَا عِنْدَ (أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ الثَّغَرِي) وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ
الْبَحْرَى بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا « أَأَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَى فَأَفِيقَا » وَأَبُو تَمَّامٍ حَاضِرٌ .
فَلَمَّا أَنْشَدَهَا عَلَّقَ أَبُو تَمَّامٍ مِنْهَا أَيْبَاتًا كَثِيرَةً . فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْإِنْشَادِ أَقْبَلَ أَبُو تَمَّامٍ
عَلَى مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يُقَدِّمُ عَلَى أَنْ يَسْرِقَ
شِعْرِي ، وَيُنْشِدُهُ بِحَضْرَتِي حَتَّى الْيَوْمَ ، ثُمَّ انْدَفَعَ يُنْشِدُ مَا جَفَظَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى أَيْبَاتٍ
كَثِيرَةٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ : فَهَبْتُ الْبَحْرَى ، وَرَأَى أَبُو تَمَّامٍ الْإِنْكَارَ فِي وَجْهِهِ (أَبِي سَعِيدٍ)
فَحِينَئِذٍ قَالَ لَهُ أَبُو تَمَّامٍ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاللَّهِ مَا الشُّعْرُ إِلَّا لَهُ ، وَإِنَّهُ أَحْسَنُ فِيهِ الْإِحْسَانَ
كَلَّهُ . وَأَقْبَلَ يُقَرِّظُهُ وَيَصِفُ مَعَانِيَهُ وَيَذْكُرُ مُحَاسِنَهُ ، وَلَمْ يَقْنَعْ مِنْ (مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ)
حَتَّى ضَاعَفَ لَهُ الْجَائِزَةَ .

فَمَنْ كَانَ يَقُولُ مِثْلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ عَيْنِ شِعْرِهِ وَفَافَّرَ كَلَامُهُ قَبْلَ أَنْ
يَعْرِفَ أَبَا تَمَّامٍ جَدِيرٌ بِهِ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْ أَنْ يَصْحَبَهُ أَوْ يَتَكَلَّمَ لَهُ أَوْ لغيرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ .

على أنني لا أنكر أنه استعار بعض معاني أبي تمام ، لقرب البلدين وكثرة ما كان .
يطرق سمع البحتري من شعره . وليس ذلك بمقتضى أن يكون أبو تمام أستاذ
البحتري ، ولا بمانع أن يكون البحتري أشعر من أبي تمام . فهذا « كثير » قد
أخذ من « جميل » واستقى من معانيه ، فما رأينا أن أحداً قال إن « جميلاً » أشعر
منه ، بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل .

صاحب أبي تمام : إن البحتري نفسه يعترف أن أبا تمام أشعر منه .
فقد سئل عنه وعن أبي تمام فقال : إن جيده خير من جيدي ، وجيد أبي
تمام كثير . صاحب البحتري : إن كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبحتري لا عليه
لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام كثير الاختلاف ، وشعره شديد الاستواء .
والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد اجتمعنا نحن وأنتم
على أن أبا تمام يعلو علواً حسناً ، وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحتري يعلو
بتوسط ولا يسقط .

ومن لا يسقط ولا يسف أفضل ممن يسقط ويسف .

صاحب أبي تمام : إن أبا تمام انفرد بمذهب اخترعه ، وصار فيه أولاً ، وإماماً ،
يستوعباً ، وشهيراً به ، حتى قيل هذا مذهب أبي تمام ، وطريقة أبي تمام .
وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثره ، وهي فضيلة عرى عن مثلها البحتري .

صاحب البحتري : ليس الأمر على ما وصفت ، وليس أبو تمام صاحب هذا
المذهب ، ولا بأول فيه ولا سابق إليه ، بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد ، واحتذى
حذوه ، وأفرط في ذلك وأسرف ، حتى زال عن النهج المعروف ، والسنن المألوف .
بل إن مسلماً غير مبتدع ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم .

البديع متفرقة فى أشعار المتقدمين فقصدها ، وأكثرت فى شعره منها . ولكنهم حرصوا على أن يضعها فى مواضعها ، ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه ، حتى قيل إنه أول من أفسد الشعر . فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف ، فسلك طريقاً وعرّاً واستكره الألفاظ والمعانى استكراهاً ، ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشفت ماؤه . فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسبقه اليه — وكل ما فى المسألة أنه استكثر منه وأفرط ، فكان إفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه .

أما البحترى : فإنه ما فارق عمود الشعر ، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سبباً فى إجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله ، ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته ، واضطلاعهم بما يلائم الأذواق ، ويلاصق القلوب ، من أساليب الكلام ومناججه صاحب أبى تمام : إنما أعرض عن شعر أبى تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه — أما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره ، وإذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضرب طعن من طعن بعدها عليه .

صاحب البحترى : لا يستطيع أحد أن ينكر منزلة ابن الأعرابى ، وأحمد بن يحيى الشيبانى ، ودعبل بن الخزاعى من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب . وقد علمتم مذهبهم فى أبى تمام وازدراءهم بشعره حتى قال دعبل إن ثلث شعره محال^(١) وثلثه مسروق وثلثه صالح ، وقال : ما جعل الله أباً تمام من الشعراء : بل شعره

بالخطب والكلام المنشور أشبه منه بالشعر - وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام :
إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطلٌ . وهذا محمد بن يزيد المبرّد : ما علمناه
دُونَ له كبير شيء .

صاحب أبي تمام ، إن دُعِبَلاً كانَ يشنأُ أبا تمامَ ويحسده على ما هو معروف
ومشهورٌ فلا يُقبل قول شاعر في شاعر . واما ابن الأعرابي فكان شديد التّعصب
عليه لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه ، فكان
إذا سُئِلَ عن شيء منها يأنف أن يقول لا أدري ، فيعدل إلى الطعن عليه
ولا مانع أن يكون جميع من تذكروه على هذا القياس .

صاحب البُحتري : لاعميب على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في
شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام إلى الخطأ
والأحالة ، والعييب في ذلك يلحق أبا تمام إذا عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن
الأعرابي وأمثاله من المضطلمين بالسليقة العربية .

صاحب أبي تمام : إنَّ العلم في شعر أبي تمام ، أظهر منه في شعر البُحتري
والشاعر العالم ، أفضل من الشاعر غير العالم .

صاحب البحتري : كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ، وكان الأصمعي شاعراً
عالماً ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف بن حيّان الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ
بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء . والتجويد في الشعر ليست
علته العلم — والشائع المشهور أن شعر العلماء دُونَ شعر الشعراء ، وقد كان أبو
تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب .

أما البُحتري : فلم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان يعدّه فضيلة ولا يراه علماً

بَلْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ شَاعِرٌ ، لَا بَدَلَ لَهُ أَنْ يَقْرَبَ شَعْرَهُ مِنْ فَمِهِ سَامِعَهُ ، فَلَا يَأْتِي بِالْغَرِيبِ
إِلَّا أَنْ يَتَّفِقَ لَهُ فِي اللَّفْظَةِ بَعْدَ اللَّفْظَةِ فِي مَوْضِعِهِ ، مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ لَهُ وَلَا حِرْصٍ عَلَيْهِ .
عَلَى أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي تُؤْتِرُونَ بِهِ أَبَا تَمَّامٍ لَمْ يَنْفَعَهُ ، فَقَدْ كَانَ يَلْحَنُ فِي شَعْرِهِ لَحْنًا
يَضِيقُ الْعَذْرُ فِيهِ ، وَلَا يَجِدُ الْمَتَأَوَّلَ لَهُ مَخْرَجًا مِنْهُ ، إِلَّا بِالْحِيلَةِ وَالتَّحْمُلِ الشَّدِيدِ .

صاحب أبى تمام : لَسْنَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُنَا قَدْ وَهَمَ فِي بَعْضِ شَعْرِهِ ، وَعَدَلَ
عَنِ الْوَجْهِ الْأَوْضَحِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ ، وَغَيْرِ غَرِيبٍ عَلَى فِكْرِ نَتَجٍّ مِنَ الْحَاسَنِ
مَانِتَجٍّ ، وَوَلَدَ مِنَ الْبَدَائِعِ مَا وَلَدَ ، أَنْ يَلْحَنَهُ الْكَلَالُ فِي الْأَوْقَاتِ وَالزَّلَلُ فِي الْأَحْيَانِ
بَلْ مِنَ الْوَاجِبِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِحْسَانَهُ أَنْ يُسَامَحَ فِي سَهْوِهِ ، وَيُتَجَاوَزَ لَهُ عَنْ خَطَائِهِ .
وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ سَلِمَ مِنَ الطَّعْنِ ، وَلَا مَنْ أَخَذَ الرُّوَاةَ عَلَيْهِ الْغَلَطَ
وَالْعَيْبَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَخَذَتْهُ الرُّوَاةُ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنَ الْغَلَطِ وَالْخَطَا .
وَاللَّحْنُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يُبْرَهَنَ أَوْ نَدَلَ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنْ
أَوَّلِكَ وَهَؤُلَاءِ مَجْهُولِ الْحَقِّ وَلَا مَجْهُودِ الْفَضْلِ ، بَلْ عَفَا إِحْسَانُهُمْ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ .
وَيَجْوِذُهُمْ عَنْ تَقْصِيرِهِمْ .

صاحب البُحْتَرَى : أَمَا أَخَذَ السَّهْوَ وَالْغَلَطَ عَلَى مَنْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ
وَالْمَتَأَخِّرِينَ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ وَالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ — أَمَا أَبُو تَمَّامٍ فَلَا تَكَادُ تَخْلُو لَهُ
قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ عِدَّةِ أَبْيَاتٍ ، يَكُونُ فِيهَا مَفْسَدًا أَوْ مُخْيِلًا أَوْ عَادِلًا عَنْ السَّنَنِ
أَوْ مُسْتَعِيرًا اسْتِعَارَةً قَبِيحَةً ، أَوْ مَخْطُئًا لِمَعْنَى بَطْلِ الطَّبَاقِ وَالتَّجْنِيسِ ،
أَوْ مَبْهَمًا بِسُوءِ الْعِبَارَةِ وَالتَّعْتِيدِ ، حَتَّى لَا يُفْهَمَ وَلَا يُوجَدَ لَهُ مَخْرَجٌ .

صاحب أبى تمام : إِنَّكُمْ تُنْكِرُونَ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ مِنَ الْفَضْلِ مَا يَعْتَرِفُ بِهِ الْبُحْتَرَى .
نَفْسُهُ ، فَقَدْ رَنَاءَ بَعْدَ مَوْتِهِ رَنَاءَ اعْتَرَفَ فِيهِ لَهُ بِالسَّبْقِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى شُعْرَاءِ عَصْرِهِ .

صاحب البحتری : لم لا يفعل البحتری ذلك ؟ ؟ وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين ، وأخوين متصافين ، يَجْمَعُهُمَا الطَّلَبُ والنَّسَبُ والمُكْتَسَبُ ، فليس بِمُسْكِرٍ ولا غريب أنْ يَشْهَدَ أحدهما لصاحبه بالفضل ، وَيَصِفَهُ بأحسن ما فيه ، وَيُنْحِلُهُ ما ليس فيه ، على أن الميَّةَ خاصَّةً يُعْطَى في تأيينه من التَّقْرِيطِ وَالْوَصْفِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ أضعاف ما كان يستحقُّه .

صاحب أبي تمام : كيفما كان الأمر لا تَسْتَطِيعُونَ أن تَدْفَعُوا ما أجمع عليه الرُّوَاةُ والعلماء ، أن جَيِّدَ أبي تمام لا يَتَعَلَّقُ به جَيِّدٌ أمثاله ، وإذا كان جَيِّدُهُ بهذه المكانة وكان من الممكن اغفال رديته وإطراحه كأنه لم يَقُلْه فلا يَبْقَى ريب في أنه أشعر شعراء عصره ، والبُحْتَرِيُّ واحد منهم .

صاحب البحتری : إنما صار جَيِّدُ أبي تمام موصوفاً ومذكوراً لندرته ، ووقوعه في تضاعيف الرَّدْيِ ، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه . وجيِّدُ البحتری كجَيِّدِ أبي تمام ، إلا أنه يقع في جيِّدٍ مثله أو متوسط ، فلا يَفْجَأُ النفسَ منه ما يَفْجَأُها من جيِّدِ صاحبه .

﴿ مناظرة بين الليل والنهار - محمد أفندي المبارك الجزائري ﴾

لَمَّا أَسْفَرَ النَّهَارُ عَنْ بَيَاضِ الْغُرَّةِ ، قَابَلَهُ اللَّيْلُ بِسَوَادِ الطَّرَةِ ، ثُمَّ صَارَ الْحَزْلُ رَجْدًا ، وَاشْتَدَّ التَّرَاعُ بَيْنَهُمَا جَدًّا ، فَاسْتَجَدَّ كُلُّهُمَا أَمِيرَهُ ، وَأَفْشَى لَهُ سِرَّهُ وَضَمِيرَهُ ، وَإِذَا بِاللَّيْلِ حَمَلَ عَلَى النَّهَارِ ، فَصَبَغَ حُمْرَةً وَرَدَّتْهُ بِصُفْرَةِ الْبَهَارِ ، وَخَطَرَ بِحَرْزِ دُيُولِ تَيْهٍ وَعُجْبِهِ ، مُرْصَعًا تَيْجَانِ مَفَاخِرِهِ بِدُرَرِ شَبْهِهِ . ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى » . « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى » فَفَتَحَ بَابَ الْمُنَاقَشَةِ فِي هَذَا الْبِفَصْلِ ، وَعَقَدَ أَسْبَابَ الْمُنَافَسَةِ بِقَوْلِهِ الْفَصْلُ « فَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامٌ » ثُمَّ تَنَحَّيَ

عن قتيل ، أو أسير بكلام .

ولمّا بلغ الليل غايته ، بزغ الفجر ورَفَعَ رَأْيَتَهُ ، وقال إذ جال في مُعْتَرَكِ المَنايا
« أنا ابن جَلالٍ وَطالَعَ الثَّنايا » فتقدّم في ذلك المَيدانِ وجَلّى ، تالياً قوله تعالى
« وَأَنهَارٌ إِذَا تَجَلَّى » ثُمَّ استوى على عرش السَّنا والسَّناء ، وأطلع شُمس طلعتَه
في الأرض والسَّماء ، فأغْرَبَ عن غوامض الرِّقائِقِ والحقائق ، وأغْرَبَ في كُشْرِ ما
انطوى من الأسرار والدقائق ، وما انحدر من منبره ، حتى أَيْدَدَ عَوَى خَبْرِهِ بِشَهِيدٍ
مُخْبِرِهِ . فانتدب اليه « الليل » ومال عليه كل الميل ، وقال : أحمَدُ من جَعَلَنِي
خلوةً للأحباب ، وجلوةً لعرائس العرفان ونفائس الآداب ، وخلقَنِي مَثْوًى لراحة
العباد ، ومأوىً لخاصّة النُّسك والعُباد : والله درُّ من قال فأجاد : —

أَيُّهَا اللَّيْلُ طُلْ بغير جُنَاحٍ لَيْسَ لِلعين راحةٌ في الصُّباح
كيف لا أبغض الصُّباح وفيه بَانَ عَنِّي نور الوجوه الصُّباح
أَتَرَدَّدُ على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب ، وَأَتَوَدَّدُ إلى أصحاب المشاهدة
بعيون الرِّغائب ، تدورُ في ساحتهم بدورُ الحُسن والبهاء ، وتُدَارُ من راحتهم كدُّوس
الأنس والهناء ، فَتُحْيِيهِمْ نِفات السَّمر ، وتُحْيِيهِمْ نِفات السَّحر ، فأحيانُ وَصَلِي
بالتَّهاني مُقَمِّرة ، وأفنان فضلى بالأمانى مُثمرة ، وحسبي كرامةً أُنِّي للناس خير لباس
أَقِيهِمْ بلطف الإيناس من كل باس ، ومن واصل الإِدلاج وهجر طيب الكرى
قيل له (عند الصُّباح يَحْمَدُ القومُ السُّرى)

وما الليلُ الا للمُجدِّ مَطِيَّةٌ وَمِيدَانٌ سَبَقَ فاستبقِ تَبْلُغِ المُنَى
ففتن بمعاني بيانه البديع ، وتفتن في أفانين التَّصريح والتَّرضيع ، ثُمَّ أتمَّ
خطبته بالتَّماس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دواهي الغفلة ودواعي اللُّهو ، فوثب

اليه (النهار) وصال عليه صولة ملك قَهَّار، وصَعَدَ على منبره ثانيا ، وقد أضحى
 التيه لعَظْفِهِ ثانياً . فأتنى على من جَلَى ظِلْمَةُ الحجاب ، وَتَحَلَّى له باسمه النور وتوجه
 بسورة من الكتاب ، وزَّانَهُ بأُبهى سراج وهَّاج ، فأوضح بسناه السبيل والمنهاج
 ثم صاح : أيها الليل ، هَلَّا قَصَّرت من إعجابك الذَّيْل ؟! ولئن دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ
 واستعرت نار الطعن والضرب ، فَلَأَسْبِغَنَّ مَحْدَرَاتِكَ ، وَهَى عَنِ الوُجُوه حَاسِرَةَ
 وَأَنْتَ تَتَلَوُ بِوَمُذ « تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » فما دَعَاكَ إلى حَلْبَةِ المفاضلة ؟ وما
 دهاك حتى عَرَّضْتَ بنفسك للمُناضلة ؟ وهل دَأْبُكَ إِلَّا الخِدَاعَ وَالْمَكْرَ ؟! وَرَقُبْ
 الفُرْصَةَ وَأَنْتَ دَاخِلُ الوَاكِرِ ؟! أَمَا حَضَّ القُرْآنُ على التَّعَوُّذِ بِرَبِّ الفَلَقِ وَندب
 « مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » فَبِرَبِّي يُسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّكَ ، وَيُسْتَعَانُ
 على صنُوفِ صُرُوفِ غَدْرِكَ ، وَهَبْ أَتَّكُ تَجْمَعُ المُحِبَّ بالحبيب ، إِذَا جَارَ عليه
 الهوى وحرار الطَّيِّبِ ، فَمِمَّ يُقَاسَى مِنْكَ في هَاجِرَةِ الهَجَرِ ، وَيُنَى أَرِنِ التَّكَلَّى
 حَتَّى مَطْلَعِ الفجر ؟!

بَيْتٌ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهِّداً وفي قلبه نارٌ يَشْبُ لها وَقْدُ
 فَيُسَآهِرُ النُّجُومَ ، وَيُسَآوِرُ الوُجُومَ ، وَقَدْ هَاجَتْ لَوَاعِجُ غَرَامِهِ ، وَتَحَرَّكَتْ
 سِوَا كُنْ وَجَدِهِ وَهَيَامِهِ : فَأَنشُدْ وَزَفِيرَهُ يَتَصَعَّدُ : —

أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
 نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ اللَّيْلِ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
 على أَنَّ العاشقَ الوَاكِهَ ، يَشْكُو مِنْكَ في جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، فَمِمَّ قَطَعَ آثَاءُكَ بِمَوَاصِلِهِ
 أَيْنِهِ ، مُتَمَلِّمًا مَنْ فَرَطَ شَوْقَهُ وَحَنِينَهُ ، فَلَمَّا أَنَّ حُظِّي بِالْوَصَالِ ، تَمَثَّلَ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ
 اللَّيْلُ إِنْ وَاصَلْتُ كَاللَّيْلِ إِنْ هَجَرْتُ أَشْكُو مِنْ الطُّولِ مَا أَشْكُو مِنَ الْقِصَرِ

ولئن افتخرتَ بِبدرِكَ الباهرِ الباهي ، فانما تُبارى ببعض أنوارى وتباهى .
 وهل للبدر عند إشراق الشمس من نور ؟ أو لطلعة حسنه من خدور البطون ظهور ؟!
 ومن ادعى أنك تساوينى فى الفضل والقدر ؟ ! أوزعم أن الشمس تقتبس من
 مشكاة البدر ؟ ! ومتى استمدت الأصول من الفروع ؟ « وما أغنى الشمس عن
 الشموع » فبى تنجلي محاسن المظاهر الكونية ، وتتحلى بجواهر الأعراس اللونية
 وأنى يخفى حسنى وجمالى على مشاهد ؟ أو يفترق فضلى وكالى الى شاهد ؟ ! وعرضى
 عارٍ عن العار ، وجميع الحسن من ضيائى مُستعار ؟ !

وليس يصح فى الأذهان تى إذا احتاج النهار الى دليل
 أما كفالك بيته ، وزادك ذكرى وتبصرة ، قوله تعالى : « فحونا آية الليل
 وجعلنا آية النهار مبصرة » « وهل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى
 الظلمات والنور » وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور ؟ وإب
 كنت معنى الأنس والأفراح ، تفعل بعقول الناس فعل الراح ، فهل حسبت أن
 السكوت خير من الحركة ؟ وقد أجمع العالم على أن « الحركة بركة » ، فإن لى
 بكل خطوة خطوة ، وليس لجوادى كبوة ، ولا لإصارى نبوة ، وإن صرحت
 للدين يديتون لربهم سجداً وقياماً ، معرضاً بكل غافل لاه ، فى كل مجال رجال
 لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأين من احتجب بظلمات بعضها
 فوق بعض ، ممن أضنى ينظر بعين الاعتبار فى ملكوت السموات والأرض ؟ !
 وقد أتحفنى الله بالصلاة الوسطى فأوتر بها صلواتى ، وشرع فيها الأسرار لآسرار
 اختصت بها أهل جلواتى ، وكفانى شرفاً (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)
 فمآثرى مأثورة فى القديم والحديث ، ومفاخرى منثورة فى الكتاب والحديث

وَمَحَاسِنِي وَاضِحَةٌ لِأُولَى الْأَبْصَارِ، وَهَلْ تَخْفَى الشَّمْسُ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ؟ فَكُفِّ
 عَنِ الْجِدَالِ وَأَمْسِكْ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَكَ مِثْلَ أَمْسِكَ، وَسَلِّمْ مَنْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ
 قُدْرَةٌ، فَقَدْ قِيلَ « مَا هَلْكَ أَمْرُؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ » أَقُولُ قَوْلِي هَذَا - وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ
 آفَةِ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَلَمَّا أَتَاهَا رُكْنَ النَّهَارِ: إِبْهَارَ (الليل) وَتَبَرَّقَ
 بِالْأَكْثَرِ، فَسَدَّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ بِسَوَادِهِ، وَطَفِقَ يَرْمِي بِسِهَامِ جَدَالِهِ فِي جِلَادِهِ
 وَقَدَّمَ بَيْنَ نَجْوَاهُ سُورَةَ الْقَدْرِ، آيَةً عَلَى مَا حَازَهُ مِنْ كَمَالِ الرَّفْعَةِ وَالْقَدْرِ، وَثَنِي بِقَوْلِهِ
 تَعَالَى: « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » فَأَشَارَ إِلَى الْحَبِيبِ حِينَ تَجَلَّتْ لَهُ
 قُرَّةُ عَيْنِهِ لَيْلًا، ثُمَّ قَالَ: سَحَقًا لَكَ أَيُّهَا النَّهَارُ، فَقَدْ أُسِّتَ بُنْيَانُكَ عَلَى شَفَا
 جَرَفٍ هَارٍ، تُنَاضِلُنِي وَمَنِّي كَانَ انْسِلَاخُكَ وَظُهُورُكَ، وَتُفَاضِلُنِي وَبِي أُرَخْتُ
 أَعْوَامُكَ وَشُهُورُكَ - أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَخْشَعَ لِلذِّكْرِ (١)؟ فَتَعْتَرِفَ لِي بِرُبُوبِيَّةِ التَّقْدِيمِ فِي
 الذِّكْرِ (٢)، وَكَيْفَ تُعِيرُنِي بِلَوْنِ السَّوَادِ؟ وَهَلْ يَقْبُحُ السَّوَادُ إِلَّا فِي الْفَوَادِ؟ أَوْ
 كَيْفَ تَعِيبُنِي بِالْخُدَاعِ (وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ) وَلَيْسَ الشَّيْءُ فِي مَوْطِنِهِ بِغَرِيبٍ وَلَا
 بِدُعَاةٍ؟ أَمَا تَشْهَدُ الْعَوَالِمُ مِنْ هَيْبَتِي حَيَارَى؟ « وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
 بِسُكَارَى » فَمَكَرْتُ (٣) مُلُوكًا أَكْأَسِرَةً؟ وَأَرَقْتُ (٤) دِمَاءَ أُسُودٍ كَاسِرَةً،
 وَكَمْ أَوْرَيْتُ نَارَ الْوَغَى تَحْتَ الْعَجَاجِ؟ وَقَدْ أَزُورَّتِ اللَّحَاطُ وَاغْبَرَّتِ الْفَجَاجُ.
 فَأَنَا الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ، وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ الْمُتَوَرِّثُ بِنَارِهِ، وَافْتِخَارُكَ عَلَى
 بِالصَّلَاةِ الْوُسْطَى، لَيْسَ إِنْصَافًا مِنْكَ وَلَا قِسْطًا. وَهَبْ أَنَّكَ انْفَرَدْتَ بِتِلْكَ الصَّلَاةِ
 الْجَلِيلَةِ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِمَّا أُوتِيَتْهُ مِنَ الصَّلَاتِ الْجَزِيلَةِ؟ أَمَا كَانَ اقْتِرَاضُ الصَّلَاةِ فِي لَيْلَةِ
 الْعُرُوجِ؟ فَمَا بِالْكَ تَدْعَى الْإِرْتِقَاءَ إِلَى هَذِهِ الْبُرُوجِ؟

(١) الذِّكْر - القرآن (٢) الذِّكْر - العرف (٣) أَرَقْتُ - أَهْرَت (٤) أَرَقْتُ - أَسْلَت

وما أعجبني قطّ دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد
وأما افتخارك علىّ بفضل شهر رمضان ، وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن
فهل صحّ لك صيامه إلّا بي بدأً وختاماً ؟! وقد تميّزتُ عليك بفضيلة إحيائه تَجَدُّداً
وقياماً . على أنّي محلّ النية «ونية المرء خيرٌ من عمله» لأنّها بمشابة الرّوح له ، وبها
يحظى الرّاجي ببلوغ أملي ، هذا : وإني أتكلّل للصائم بمديد الراحة ووافر الأجر
حتى يتبيّن له الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . وكيف تفتخر بالكتاب
المنزّه في مزيّاه عن المشاركة ؟ والله تعالى يقول فيه « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ »
وهل في مطالع سُعودك أشرقت بدور العيدين ؟ ! أم على جناح جنحك أُسرى
بنور طلعة الكونين ؟! ثمّ عُرجَ به عليه الصّلاة والسّلام إلى منزلة قاب قَوْسَيْنِ .
وهل في تجليات أسحارك يقول الرّبّ : هل من سائل ؟ فيُناجيه العبد مُتضرّعا
إليه بقلب خاشع ودمع سائل ؟

ومما اختصتُ به من الفضائل والمفاخر ، أنّه في دولتي وُلدَ سيّد الأوائِل
والأواخر . وناهيك بليالي شهر الله رجب ، وكيف لا وفي طالعيها السّعيد حملت أمانة
بسيّد العجم والعرب .

فَطَلَعَ (النّهار) طُلوع الأسد من غابه ، وكسّر جيوش الدّجى حين كسّر عن
نابه ، وشمّر للحرب العوان ، غيرَ ناكلٍ ولا وانٍ ، ناشراً في الأفق رأيته البيضاء
وأسنّته لأمعة بين الخضراء والغبراء ، وقال : والذي كسانى حُلّ الملاحه ، وأطلق
لساني بالبلاغة والفصاحة ، لأَمْحُونَ سَطُور الدّجى من طُروس الوجود ، ولأُثَبِّنَ
حسن أحوالي في مقامات أهل الشّهود ، فإنّي معروفٌ بالوفاء وَصَدُوقُ الخبر موصوف
بالصفاء الذي لا يُشوب صفوه كدر ، كيف يُباهيني (الليل) بمكارم الأخلاق ومحاسن

الشَّيْمُ ، وَأَنَا أَتَحَدَّثُ بِنِعْمِ اللَّهِ وَهُوَ مَوْسُومٌ بِكَفْرَانِ النِّعَمِ ؟ أَلَسْتُ مُظْهِرَ الْهَدَايَةِ
وَالدَّلَالَةِ ، وَهُوَ مُظْهِرُ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ ؟! فَكَمْ أُرْشِدْتُ مَنْ أَضَلَّهُ ، وَأَعَزَّزْتُ مَنْ أَهَانَهُ
وَأَذَلَّهُ ، وَكَمْ أَظْهَرْتُ مِنْهُ عَيْبًا كَانَ غَيْبًا ، فَأَيُّضْتُ عَنْهُ حُزْنَنا « وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا »
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وَكَيْفَ يَزَعِمُ هَذَا الْعَبْدُ الْآبِقُ ، أَنَّهُ لِسَيِّدِهِ فِي حَلْبَةِ الشَّرَفِ سَابِقُ ، وَقَدْ قَالَ
الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . « وَلَا أَلَّيْلَ سَابِقُ النَّهَارِ » إِنَّهُ هُوَ وَائِمُ اللَّهِ إِلَّا كَافِرٌ ، وَبَشْمُوسُ أَنْوَارِ
الشَّهَادَةِ غَيْرُ ظَافِرٍ ، لَوْ كَانَ مِنَ السُّعْدَاءِ لَفَازَ بِدَارِ النِّعَمِ ، وَلَوْلَا شَقَاؤُهُ لَمَا شَابَهُ
سَوَادُ طَبَقَاتِ الْجَحِيمِ ، وَمَاذَا يُؤْمَلُهُ مِنَ الْجَزَاءِ وَيرجوه « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ » أَمَا دَرَى أَنَّ صَحِيفَتَهُ سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ ، وَصَحِيفَتِي تُفْصَحُ عَنْ نَفْسٍ مُؤْمِنَةٍ بِاللَّهِ
مُسَلِّمَةٌ ! وَأَنْتَى يَرِقَى كِتَابُهُ إِلَى عَلِيَّيْنِ ، وَهُوَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْحِجَابِ فِي سِحْرَيْنِ ؟!
نَمْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، وَأُنْشِدُ مُشِيرًا إِلَيْهِ : —

يَا مُشْبِهًا فِي فِعْلِهِ لَوْنَهُ لَمْ تَعُدْ مَا أَوْجَبَتْ الْقِسْمَةُ
خُلُقُكَ مِنْ خَلْقِكَ مُسْتَخْرَجٌ وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ

وقال : كَيْفَ تَدَّعَى فَوْقَ حَالِكَ ؟ وَأَيُّ فَضْلٍ لِمَنْ مَسْطَرَةٌ أَسْوَدُ حَالِكَ ؟ !
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الظَّاهِرَ لِلْبَاطِنِ عُنْوَانٌ ، كَمَا أَنَّ اللِّسَانَ عَنِ الْجَنَانِ تُرْجَمَانُ :
قال أَوْفَضُ الْخَلْقِ : ﷺ « ابْتَغُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » وقال الشاعر : —
لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَيْرِ

فَأَنَا مِفْتَاحُ خَزَائِنِ الْأَرْزَاقِ ، وَبِىْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْكَرِيمِ الرَّزَاقِ ، وَكَفَايَ
دَلِيلًا عَلَى الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ » لَقَدْ سَمِعْتُ أَقَاوِيلَكَ
الَّتِي قَدَّمْتَهَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَزَعَمْتَ أَنَّهَا حُجَّةٌ عَلَيْكَ ، وَلَا جَرَمَ أَنَّ لِسَانَ الْجَاهِلِ

مِفْتَاحُ حَتْفِهِ . وَكَمْ مِنْ بَاغٍ قُتِلَ بِصَارِمِ بَيْتِهِ وَحَيْفِهِ — أَمَا انْصَلَاخِي مِنْكَ فَمَنْ
أَمْلَحَ الْمُلُحَ لِي وَالْفَرَرَ ، وَهَلْ تَحِقُّ لِأَصْنَافِ الْأَصْدَافِ أَنْ تُتَافَسَ نَفَائِسُ الدُّرَرِ ؟
أَلَيْسَتْ « تَلِدُ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا حُرَّةً نَجِيبةً » وقد قالوا : « إِنَّ اللَّيْلِيَّ حَبَالِي يَلِدُنْ كُلَّ
نَجِيبةٍ » وَأَمَّا تَقَدُّمُكَ عَلَيَّ فَمِنْ الْعَادَةِ تَقْدُمُ الْخِدْمَ بَيْنَ يَدَيِ السَّادَةِ .

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَاقَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ

عَلَى أَنَّهُ « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ النُّورَ » كَمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ فِي خَبَرِهِ الْمَأْثُورِ .

وَأَمَّا تَحَلِّيُ صِفَوَاتِكَ بِتَحَلِّيِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي السَّحَرِ ، فَلَيْسَ إِلَّا مَنْ أَحْيَا أَحْيَانَكَ
بِالْمُجَاهِدَةِ وَالسَّهْرِ ، وَأَمَّا زَهْوُكَ بِقِصَّةِ ظُهُورِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ، الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ مَقْدَّمَاتِ
الْكُونِ وَزُبْدَةُ الْعَالَمِ ، فَهَلْ وَقَعَ اتِّفَاقُ الرِّوَاةِ عَلَى ذَلِكَ ؟ ! وَأَنَّى لَكَ هَذَا ، وَصُبْحُ
طَلْعَتِهِ يَمْحُو سَوَادَكَ الْخَالِكَ ، وَأَمَّا خَبْرُ الْإِسْرَاءِ فَعَنَى رَوْتَهُ الْأُمَّةُ ^(١) ثُمَّ بَلَغَهُ الشَّاهِدُ
لِلْغَائِبِ بَعْدَ أُمَّةٍ ^(٢) ، فَمَا لَاحَتْ أَسْرَارُهُ إِلَّا بِمَطَالَعِي ، وَلَا رَاحَتْ أَسْتَارُهُ إِلَّا
بِطَوَالِي . وَمَا أَتَرْتَ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَعَانِيكَ الَّتِي أَضَاءَتْ بِهَا فِي الْخَافِقِينَ نَجْمُ
مَعَالِيكَ ، فَأَنْتَ أَيْنَ مِنْ يَوْمِ عَرَفِهِ ، الَّذِي عَرَفَهُ بِأَبْهَى الْخِصَائِصِ مَنْ عَرَفَهُ ؟ ! وَأَيْنَ
أَنْتَ مِنْ يَوْمِ عَاسُورَاءِ ، الَّذِي يَعْظُمُ فِيهِ الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ؟ !
وَنَاهِيكَ بِسُمُوتَانِ الْعِيدَيْنِ ، فَمَا أَجَلُهُمَا مِنْ مُوسِمَيْنِ سَعِيدَيْنِ ، وَكَيْفَ تُفَاخِرُنِي بِسَاعَةِ
تَبَدُّو مِنْكَ مَرَّةً فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلِي فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ أَمْدٌ يَمْتَدُّ فِيهِ مَوَائِدُ الْجُودِ وَالْإِنْعَامِ
فَأَخْبَارُ أُخْيَارِي سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ ، وَمَاسَتْ بِنَسِيمِ رِقَّتِهَا مَعَاطِفُ الْبَيَانِ ، وَقَدَرِي
فَوْقَ مَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ ، وَعِنْدِي « مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ » فَدَعُ عَنْكَ
قَوْلَ الزُّورِ وَالْمِثْنِ « فَقَدْ بُيِّنَ الصَّبْحُ لَذَى عَيْنَيْنِ »

(١) الْأُمَّةُ — أَهْلُ الدِّينِ (٢) الْأُمَّةُ — الْحَيْنُ مِنَ الدَّهْرِ — أَيُّ مَدَّةٍ — أَوْ وَقْتُ

ولمّا أفاض (النّهار) في حديث يَفْضَحُ الأزهار، أبدع في كنيّته وتلويحه وأعرّب في تعريضه وتصريحه - ابتدّر اليه (الليل) وأجلّب عليه بالرّجل والخليل وامتنى جواده الأدهم، وأعتمّ بعمامة سوداء وتكلم، فأنسى بفتكاته عنثرة بنى عبس، حين أُمسى يتوعّد عمارة بالقتل والرّمس، ثم نشر في الأفق ذوائبه السّود وعبس وبسر فأسر بسطوته الأسود، وقال: «فلا أقسمُ بالشّققِ، والليل وما سقّ، والقمر إذا أتسق» لأسيّن روميّ النّهار، ولأجعلنه عبرة لذوى الاعتبار فلقد تزيّ الملوك بزى الملوك، وادّعى مقام الوُصول الى صاحب السيّر والسلوك أمّا كفاه ازدرائى وتحقيرى؟! حتى حكم بتضليل وتكفيرى؟! كم أسبلتُ على عوراته ذيل سترى، وهو لا يُبالى بهتك أستارى؟! ولم أودعتُ مكنون سيره في خزّانة سرى، وهو يَبُوح بمصون أسرارى؟! أفّ له من فاضح، أمّا يكفيه ما فيه من المفاضح؟!

أنمّ بما استودعته من زُجاجة يرى الشئ فيها ظاهراً وهو باطنُ كيف احتجّ لتقدّمه بحديث جابر؟ مع أن مارواه ليكسرى أعظم جابر، فأنّه برهن على تقدّمى عليه، لو أدرك سير ماؤماً اليه، وعلام جعل السّواد على النّقص علامة؟ وهو مُشتقّ من السّودد لدى كلّ علامة؟! أما درى أنّى حرّزتُ من الكمال الحظّ الأوفر؟ حتى تحلّى بيديع وصنى العنبرُ والمسكُ الأزفر؟!

إن كنتُ عبداً فنفسى حرّة كرمّا أو أسود الخلق إلى أبيض الخلق وهل يُزرى بالخال سواده البارع؟! أو يُغرى بالبرص بياضه النّاصع؟! وفى بياض المشيب عبرة وأى عبرة، فكم أجرى من الآفاق أعظم عبرة . له منظرٌ فى العين أبيض ناصع ولكنّه فى القلب أسود أسفع

وَمَنْ عَابَ نَعْتَ الشَّبَابِ ، وَفَضَّلَ وَصَفَ الشَّيْبِ ، فَقَدْ غَابَ عَنْ شُهُودِ الْعَيْبِ
وَعَالَمِ الْغَيْبِ^١ «فَمَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٌ وَلَا كُلُّ حُمْرَاءَ لَحْمَةٌ» وَلَمَّا أَنْهَى مَقَالَهَ ، وَمَلَّ مَقَامَهُ
شَمَّرَ لِلرَّحَلَةِ أَذْيَالَهُ ، وَقَوَّضَ خِيَامَهُ ، قَبَهَّلَ وَجْهَ الصَّبَاحِ ، وَهَلَّلَ بِذِكْرِ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
وَأَزْدَاهِ السَّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، كَأَنَّهُ رَبَّ السَّرِيرِ وَالنَّجَاحِ .

فَكَأَنَّ الصُّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثُّرَيَّا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي النَّاسِ جُفْدَى وَيُحْيَا

وَبَرَزَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ مِنْ بَابِهَا ، إِذْ كَانَ مِنْ فِرْسَانِهَا وَأَرْبَابِهَا ، فَسَلَبَ (الَلِيلِ)
لِبَاسَهُ ، وَأَذَاقَهُ شِدَّتَهُ وَبَاسَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَعْجِبُ بِنَفْسِهِ ، الْمَغْرِبُ فِي نَقْشِهِ صَحِيفَةُ
زُورِهِ بِنَفْسِهِ^(١) « مَا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةٍ ، وَلَا كُلُّ صَهْبَاءَ خَمْرَةٍ » أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّنَا أَبْهَى
مُحْيَاً ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الثَّرَى وَالثُّرَيَّا . أَيْنَ سَوَادُكَ مِنْ بَيَاضِي ؟ ! وَمَا زَهْرُ نَجْمِكَ إِنْ
تَتَلَّأْ زَهْرُ رِيَاضِي ؟ ! وَكَمْ أَطْلَعْتَ بُدُورًا فِي مَوَاكِبِ السِّيَّارَةِ ، فَأُضْحِتْ تَزْهَوُ بِجَمَالِهَا
عَلَى الْكَوَاكِبِ السِّيَّارَةِ ، وَهَلْ لَكَ مِثْلُ الْغَزَالَةِ ؟ الَّتِي انْفَرَدَتْ فِي الْمَلَاخَةِ لِاحْمَالَةٍ ؟ !
فَأَنَا الَّذِي ضَاءَ صَبَاحُ الصَّبَاحَةِ مِنْ مُحْيَاةٍ ، وَضَاعَ عَبِيرُ الْعَنْبَرِ مِنْ نَشْرِ أَنْفَاسِهِ
وَطِيبَ رِيَّاهُ ، وَلَوْلَايَ مَا عُرِفَ الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ ، وَلَا سَعَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِدُرِّ
الْكَمَالِ : فَوَجَّهْ (الَلِيلِ) لِبَرَاةِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ ، وَبِلَاغَةِ مَا لَاحَ لَهُ مِنَ الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ
ثُمَّ وَثَبَ لِلْمَقَالِ ، كَأَنَّمَا أَثْثَطَ مِنْ عِقَالٍ ، وَقَالَ : « رَبِّ مَلُومٌ لِأَذْنَبَ لَهُ » وَمُظْلُومٌ
خَيْبَ الدَّهْرِ أَمَلُهُ ، فَإِلَى مَتَى يَسُوذُنِي التَّهَارُ ؟ وَحَتَّى مَتَى يَسُوْمُنِي عَذَابُ النَّارِ ؟ بَلَّامَا
أَعْرَتْهُ أَذْنًا صَمًّا ، وَعَيْنَاً عَمِيَاءَ ، وَهُوَ لَا يَنْتَشِي عَنْ الْمُقَابَلَةِ . وَلَا يَرْغُو عَنِ الْمُحَارَبَةِ
وَالْمُقَاتَلَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَيُّهَا الْمُعْتَرِّ بِيَاضِكَ أَنَّ السَّوَادَ حَلِيَّةُ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالصَّلَاحِ ؟ وَهَلْ

يَسْتَرِقُّ الْأَسُودَ إِلَّا سُودَ أَحْدَاقِ الْمِلَاحِ ؟ ! بَيِّدَ أَنْ الْحَرَّ لَا يُبَالَى بِالْجَمَالِ الظَّاهِرِ
وَأَنَّمَا يَبَاهِي بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَالْتَّائِبِ الطَّاهِرِ ، فَإِنَّ تَفَاوُتَ الْمَرَاتِبِ ، بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْمَنَاقِبِ
وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَاخْتِلَافُ
وَكَمْ أَعَدَدْتُ لِلْأُنْسِ مَقَاعِدَ ، وَفِي الْأَمْثَالِ : « رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدَ » فَإِنَّ ظِلِّي
ظَلِيلٌ ، وَنَسِيْمِي عَلِيْلٌ بَلِيْلٌ . تَهْدَأُ بِي الْأَنْفَاسُ ، وَتَسْكُنُ الْأَعْضَاءُ وَالْحَوَاسُ
فَقَامَ (النَّهَارُ) يَعْتَرِضُ فِي ذَيْلِهِ ، وَقَدْ كَفَّكَفَ وَآكَيْفَ سَيْلِهِ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ تَنْفَسَ
الصَّبَاحُ ، وَأَظْهَرَ مِنْ سَنَاهُ مَا أَخْفَى ضَرْءُ الْمَصْبَاحِ ، وَرَفَرَفَ بِجَنَاحِهِ الْأَبْيَضِ عَلَى
الدُّجَى . فَاقْتَنَصَهُ مِنْ وَكْرِهِ بَعْدَ مَا سَكَنَ وَسَجَا .

فَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ بَارِزٌ وَالْدُّجَى بَيْنَ مِخْلَبَيْهِ غَرَابٌ
وَقَالَ تَبًّا لَكَ أَيُّهَا (الَّيْلُ) فَلَقَدْ أُتَيْتَ مِنَ الْمَيِّنِ أَوْفَرَ نَيْلٍ ، أَيْ حَدِيثَ لَكَ
صَحِيحَ وَضَعْتُهُ ؟ وَأَيَّ حَقٍّ لَكَ صَرِيحَ أَضَعُّتُهُ ؟ !

عَلَيْكَ بِالصَّدْقِ وَلَوْ أَنَّه أَحْرَقَكَ الصَّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَأَبْنَعَ رِضَا اللَّهِ فَأَغْبَى الْوَرَى مِنْ أَسْخَطِ الْمُؤَلَّى وَأَرْضَى الْعَبِيدِ
نَعَمْ لَكَ فِي السَّمَرِ خَيْرٌ مَرْفُوعٌ ، بَيِّدَ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ فِي السَّنَةِ مُوضُوعٌ ، قَدْ اشْتَهَرَتْ
لَكِنْ بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ ، وَعَدَلْتُ لَكِنْ عَنْ سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، تَكْتُمُ عَنْ
الْمَرْءِ مَا يُرْدِيهِ « وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ » وَفِي الْمَثَلِ : « اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ »
فَمَا أَصْعَبَ مَرَّاسِكَ قَبْلَ افْتِرَارِ سُهَيْلٍ . وَهَلْ يَتَرَتَّمُ بِذِكْرِكَ إِلَّا غَافِلٌ ؟ ! وَأَيُّ يَغْتَرُّ
بِكَ عَاقِلٌ وَنَجْمُكَ آفِلٌ ؟ ! وَكَيْفَ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ ، وَأَنْتَ تَفْتَقِرُ إِلَيَّ ؟ !

وَلَمَّا سَلَبَ النَّهَارُ بِأَسَالِيْبِ بَيَانِهِ الْعُقُولَ ، وَسَكَتَ اللَّيْلُ مَلِكِيًّا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : —
فَعَيْنَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَالِيْلَةٍ كَمَا أَنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

كَيْفَ أَتَصَدَّى لِلْكَذِبِ، وَأَتَرَدَّى بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ؟ ! وَأَنَا الْمُنْعُوتُ بِاللُّطْفِ وَالظَّرْفِ
وَالْمُوسُومِ بِالصَّمْتِ وَغَضُّ الطَّرْفِ، كَيْفَ أُورِثُ الْغُرُورَ، وَأُؤَثِّرُ الْغَفْلَةَ عَلَى الْحُضُورِ
وَأَنَا الدَّاعِي لَذِكْرِ اللَّهِ وَحَدِّهِ، وَالسَّاعِي فِي رَدِّ الْكَثْرَةِ الْوَهْمِيَّةِ إِلَى عَيْنِ الْوَحْدَةِ
وَأَنَا الْمُوصُوفُ بِالسَّتْرِ الْجَمِيلِ، وَالْمَعْرُوفُ بِشُكْرِ الْمَعْرُوفِ وَالْجَمِيلِ، وَهَلْ أَحْجُبُ
الْبَصَرَ عَنْ شُهُودِ عَالَمِ الْكُثَافَةِ؟ إِلَّا لَا كُشْفَ لِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ عَنْ عَالَمِ اللَّطَافَةِ،
وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ بَفَنَائِهِ عَنْ وُجُودِهِ، فَيَمْدُدُهُ الرَّبُّ تَعَالَى بِسَرٍّ بِقَائِهِ مِنْ
خَزَائِنِ جُودِهِ، ثُمَّ قَالَ (النَّهَارُ لِلَّيْلِ) وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْهِ هُجُومُ السَّيْلِ، أَيُّهَا الْمَدْعَى مَقَامِ
الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ عَنْ مَوْلَاهُ لَاَهُ، كَيْفَ تَسْمَتُ ذِرْوَةَ هَذَا
السَّيْرِ؟ كَأَنَّكَ تَكْتُبُ بِالْمِسْكِ وَتَخْتَمُ بِالْعَنْبَرِ! لَقَدْ أَطْلَتَ فِيمَا «لَا طَائِلَ تَحْتَهُ»
وَلَا مَعْنَى، فَكَمْذَا «أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا» فَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ انْتَخَبُ غُرَرُ
الشِّيمِ وَاتَّقَى. لَا تَعْظَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَقَى»
فَنَبَّهَ مِنْ غَفْلَتِكَ أَيُّهَا «الَّيْلُ» قَبْلَ أَنْ تَدْعُو بِالثُّبُورِ وَالْوَيْلِ، وَإِلَّا فَارْقَتْ طُلُوعُ
سَوَادِكَ أَيْ تَفْرِيقُ، وَمُرَقَّتُ سَوَابِغِ ظِلَامِكَ أَيْ تَمْزِيقُ «فَمَا كُلُّ مَرَّةٍ تَسْلُمُ
الْجَرَّةَ» فَاسُودَّ وَجْهُ اللَّيْلِ، وَانْقَلَبَ «بِحَشْفٍ وَسُوءِ كَيْلٍ» وَنَدِمَ عَلَى مُنَاضَلَةِ
النَّهَارِ، نَدَامَةً الْفَرَزْدَقِ حِينَ فَارَقَ النَّوْرَ^(١) وَلَمَّا سَقَطَ فِي يَدِهِ. وَرَزَى فِي عَدَدِهِ

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها في مجلس عبد الملك بن مروان—وذلك ان الفرزدق قال في المجلس وعند جرير — النوار طالق ثلاثا ان لم أتل بيتا لا يستطيع جرير ان ينقضه ابداً فقال عبد الملك : ما هو ؟ فقال :

فاني انا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله
فقال جرير ام حرزة طالق منه ثلاثا ان اكن نقضته وزدت عليه . فقال عبد الملك : هات فأنشد
انا الدهر يبنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئا يطاوله
فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس ، وطلق عليك

وعُدَّده ، تَرَدَّى بالسَّوَادِ ، وَلَيْسَ ثِيَابُ الْحِدَادِ ، ثُمَّ لَاحَ هَلَالُهُ لِلْعَيْنِ ، كَمِنْجَلٍ صَبِيغٍ مِنْ لَجَيْنِ .

أَنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَالَالٍ بَدَا يَجْلُو سَنَا طَلَعْتَهُ الْحِنْدِيسَا
كَمِنْجَلٍ قَدْ صَبِيغٍ مِنْ فِضَّةٍ يَحْصُدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى نَرْجِسًا
وَقَالَ : مَنْ يُنْصَفُنِي مِنْ هَذَا الْجَائِرِ ؟ وَيَنْصِتُ لِي فَأُبْثُهُ شَكْوَى الْوَالِهِ الْخَائِرِ
فَتَنَامُ أَعَانِي حَدَّ الظُّبَا ، وَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى .

وَكُنْتُ كَالْمُتَمَنِّئِ أَنْ يَرَى فَلَقًا مِنْ الصَّبَاحِ فَلَمَّا أَنْ رَأَاهُ عَمِي
فَانْتَبَهَ طَرَفُ (النَّهَارِ) وَأَزْدَهَرَ سِرَاجُهُ أَيْ أَزْدَهَرَ ، وَشَرَعَ يَتْلُو سُورَةَ
النُّورِ بِكَمَالِ الْإِتْبَاهِاجِ ، وَالشَّمْسُ تُرْقَمُ آيَةً بِحَمَالِهِ بِالذَّهَبِ الْوَهَّاجِ .

وَقَابَلَ الصُّبْحُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَأَرْتَسَمَتْ سُطُورُهُ الْبَيْضُ فِي أَلْوَاخِهِ السُّودِ
ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا « اللَّيْلِ » الْبَهِيمِ « نَالَهُ إِنَّكَ لَنْتَ ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ » كَيْفَ تَدَّعِي
أَنْتَ مَظْلُومٌ ؟ وَتَشْتَكِي مِنْ جَوْرِي وَأَنْتَ الظُّلُومُ ؟ ! وَهَبْ ! أَنِّي قَاتَلْتُكَ ظُلْمًا فَأَنْتَ
الْبَادِي ، وَهَلْ قَابَلْتُكَ إِلَّا بِمَا وَاجَهْتَنِي بِهِ فِي الْمُبَادَى ؟ ! وَهَذَا أَنَا بَرَهْنْتُ عَلَى فَضْلِي
بِشُهُودِ عُدُولٍ ، لَيْسَ لِلْمُنْصِفِ عَلَى تَرْكِه شَهَادَتَهُمْ عُدُولٌ . فَاسْتَقِلْ مِنْ دَعْوَى
الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ ، فَقَدْ « حَصَصَ الْحَقُّ » وَوَضَحَ الْفَجْرُ ، وَإِنْ أَيْتَ سُلُوكُ مُحَجِّجِي
وَلَمْ تَتَضَحْ لَكَ أَدِلَّةُ حُجَّتِي ، فَهَلُمَّ إِلَى « حَضْرَةِ الْأَمِيرِ » وَلَا يَذْبُكُ مِثْلَ خَبِيرٍ .
فَأَنْكَرَ اللَّيْلُ زَعْمَهُ التَّفَرُّدَ بِالْفَضْلِ وَأَدْعَاءَهُ ، وَأَجَابَ فِي عَرَضِ أَمْرِهِمَا عَلَى
(الْأَمِيرِ) دُعَاءَهُ ، وَقَالَ : « عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ ، وَعِنْدَ ابْنِ بَجْدَتِهَا حَطَطَتْ »

﴿ وَكَتَبَ أَيْضًا مُنَاطَرَةً بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ﴾

جَالَتْ السَّمَاءُ فِي ذَلِكَ الْمَضَامِرِ وَصَالَتْ ، وَنَوَّهَتْ بِرَفِيعِ قَدَرِهَا وَقَالَتْ ، تَبَارَكَ الَّذِي .

جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَمَنْحَ أَشْرَفَ الْخَلْقِ إِلَى مَرْوَجَا ، وَقَدَمَتِي فِي الذِّكْرِ ، فِي
مَحْكَمِ الذِّكْرِ ، وَشَرَفَتِي بِحُسْنِ الْقَسَمِ ، وَأَتَخَفَتِي بِأَوْفَرِ الْقَسَمِ ؟ وَقَدَسَتِي مِنَ النَّقَائِصِ
وَالْعُيُوبِ ، وَأَطْلَعَتِي عَلَى الْغَوَامِضِ وَالْغُيُوبِ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الرَّبَّ يَنْزِلُ إِلَى كُلِّ
لَيْلَةٍ ، فَيَقُولُ مَنْ تَعَرَّضَ لِنَفْحَاتِهِ بِرَّهِ وَنَيْلِهِ . فَيَأْخُذُ مِنْ تُحْفَةٍ جَلِيلَةٍ ، وَمِنْحَةٍ جَزِيلَةٍ
يَحْقُقُ لِي أَنْ أَجْزِيَهَا ذُبُولَ الْعِزَّةِ وَالْإِفْتِخَارِ ، وَكَيْفَ لَا وَالْوُجُودِ بِأَسْرِهِ بِأَسْطًى إِلَى
أَيْدِي الذَّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ ، فَلِي الْعِزُّ الْبَادِخُ ، وَالْمَجْدُ الْأَثِيلُ الشَّامِخُ ، لِتَفَرَّدِي بِالرَّفْعَةِ
وَالسُّمُوِّ ، وَعُلُوِّ الْمَنْزَلَةِ دُونَ غُلُوِّ ، فَقَالَتْ لَهَا « الْأَرْضُ » وَيَا لَقَدْ أَكْثَرْتَ نِزْرًا
وَارْتَكَبْتَ بِمَا فَهَتْ بِهِ وَزْرًا ، أَمَا إِنَّهُ لَا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ عَاقِلٌ ، وَلَا يَأْمَنُ مُكَرَّرَبِهِ
إِلَّا غَافِلٌ ، وَمَنْ أَدْعَى مَا لَيْسَ لَهُ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَهَلَا كِهَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ شَرَاكٍ لَعْلَهُ
وَقَدْ قِيلَ : « مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ ، وَتُوقُفِكَ عِنْدَ حَدِّكَ » وَمِنْ فِعْلٍ مَا شَاءَ ، لَقِيَ مَا
سَاءَ ، أَوْ مَا كَفَاكَ أَنْ خَطَرْتَ فِي مَيَادِينِ التَّيِّهِ وَالْإِعْجَابِ ؟ ! حَتَّى عَرَضْتَ لِشَتْمِي ؟
« إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجْجَابٌ » وَهَلْ اخْتَصَمَكَ اللَّهُ بِالذِّكْرِ ؟ أَوْ أَقْسَمَ بِكَ دُونِي فِي
الذِّكْرِ ؟ أَوْ آتَرَكَ بِالْتَّقْدِيمِ ، فِي جَمِيعِ كَلَامِهِ الْقَدِيمِ ، حَتَّى تَرْدِيَتِ بِالْكِبَرِيَاءِ
وَتَعْدِيَتِ طَوْرَ الْحَيَاءِ ؟ !

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيَ فَأَصْنَعْ مَا تَشَاءُ

فَلَا وَأَبْيَكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

وَكَيْفَ تَزِدُّرِينَ أَهْلِي بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ؟ وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْآخِذُ
بِالنَّوَاصِي ! فَقَابَلَتْهَا « السَّمَاءُ » بِوَجْهِ قَدْ قَطَّبَتْهُ ، وَمَعَجَنَ قَدْ قَلَّبَتْهُ ، وَقَالَتْ لَهَا فِي الْحَالِ :
أَيْتَهَا الْقَانَعَةُ بِالْحَالِ ، مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّكَ تَجْتَرِئِينَ عَلَى مُبَارَزَةِ مِثْلِي ، وَتُسْكِرِينَ عَلَيَّ
مَا تَرَنَّمْتُ بِهِ مِنْ شَوَاهِدِ مَجْدِي وَفَضْلِي ، وَهَلْ خِلْتِ أَنَّ التَّحَدُّثَ بِالنِّعَمِ مِمَّا يَلَامُ عَلَيْهِ ؟

مع أنه أمرٌ مندوبٌ إليه ! ومن أمثال ذوى الفطنة والعقل ، « ليس من العدل
سرعة العدل » وكيف جحدتِ ظهور شمس كمالى ؟ وهل لك من الفضائل والفضائل
كمالى ؟ ولكن لك عندى عُذراً جلياً ، وإن كنت « لقد جئت شيئاً فرياً »
قد تُنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ . ويُنكر الفم طعم الماء من سقم
ولو رأيت ما فيك من المساوى عياناً ، لما نثيت إلى حلبة المفخرة عناناً . فأتى
تفوزين بأشرف الأقدار ؟ وأنت موضع الفضلات والأقذار ! وما هذا التناول
والإقدام ؟ وجهك موطى النعال والأقدام ! إن هذا إلا فعل مكابر ، دَعوى
عريضةٌ وعجزٌ ظاهر ، وهل يحق للكشيف ، أن يتغالى على اللطيف ؟ ! أم ينبغي
للوضيع ، أن يتعالى على الرفيع ؟ ! فقالت لها « الأرض » أيتها المغترّة بطوالع أقمارها
والمعترّة بلوامع أنوارها « ما كل بيضاء شحمه ، ولا كل حمراء لحمه » فبم ترعمين
أنك أنتى منى وأنتى ؟ وما عند الله خيرٌ وأبقى ! وأنت واقفة على أقدام الخدمة
جارية فى قضاء مآربى بحسب الحكمة ، قد كفلك الحق بحمل مؤونتى ، وكفلك
بمساعدتى ومعونتى ، ووكلك بإيقاد سراجى ومصباحى : ووكلك إلى القيام
بشؤونى فى ليلى وصباحى ، وليس علوك شاهداً لك بالرتبة العلية ، فضلاً عن أن
يوجب لك مقام الأفضلية . فما كل مرتفع نجد ، ولا كل متعظم ذو شرف ومجد
وإن علانى من دونى فلا عجب لى أسوةً بالخطاط الشمس عن زحل
فمن أعظم ما فُتت به حسناً وجمالاً ، وكِدت بإخمعى أظأ الثرى فضلاً وكالاً
تكوين الله منى وجود سيد الوجود ، فأفرغ على به خلع المكارم والجود . فهو
يدرك الكمال ، وشمس الجمال

وأجل منك لم تر قط عينٌ وأكمل منك لم تلد النساء

خَلَقْتَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَانَتْ وَهْدَ خَلِيتِ ٥ لِسَاءِ

فَأَكْرَمُ بِهِ مِنْ نَبِيِّ أُسْرَنِي بِهِ وَأَرْضِي ، كَيْفَ لَا وَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ سُبَّاءً وَلَا أَرْضًا
وَجَعَلَنِي لَهُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، وَأَقْرَبَ بِهِ عَيْنِي بَطُونًا وَطَهْرًا .

فَأُبرِّقُ « السَّيَّءِ » وَأُرْعِدْتُ ، وَأُرْغْتُ وَأَزِيدْتُ ، وَقَالَتْ : إِنْ لَمْ تَتَخَطَّ خُطَّةَ
الْمُكَابَرَةِ ، وَتَتَخَلَّى عَنْ هَذِهِ الْمُتَابَرَةِ ، لَا غَرْقَكَ فِي بَحَارِ طُوفَانِي ، أَوْ أُحْرِقَكَ
بِصَوَاعِقِ نِيرَانِي ، وَهَلْ امْتَطَيْتِ السَّمَاءَ كَيْنِ ، أَوْ انْتَعَلْتِ الْفَرْقَدَيْنِ ، حَتَّى تَفْتَحْرِي
عَلَى ، وَتُشِيرِي بِالذَّمِّ إِلَى ؟ وَتَلِكِ شَهَادَةُ لِي بِالْكَمَالِ ، وَلَقَدْ صَدَقَ مِنْ قَالَ :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومًا مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ
أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ حُجَّةً ، فَخَاطَرْتَ بِنَفْسِكَ فِي رُكُوبِ هَذِهِ اللَّجَّةِ
وَكُنْتَ كَالْبَاحِثِ عَنْ حِمْفِهِ بِظُلْمِهِ ، وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ؟ !

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطْبُ بِهِ إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يَدَاوِيهَا
أَمَّا دَعْوَالِكُ أُنِّي وَاقِفَةٌ لَكَ عَلَى أَقْدَامِ الْخِدْمَةِ ، فَهِيَ مِمَّا يُوجِبُ لِي عَلَيْكَ شُكْرَ
الْفَضْلِ وَالنِّعْمَةِ ، فَلَوْ تَفَكَّرْتَ أَنَّ خَادِمَ الْقَوْمِ هُوَ السَّيِّدَ وَالْمَوْلَى ، وَعَرَفْتَ الْفَاضِلَ
مِنَ الْمَفْضُولِ ، أَوْ تَدَبَّرْتَ أَنَّ « الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » لَا سَتَقَلْتَ مِنْ
هَذَا الْفَضُولِ ، فَإِنَّ فِي قِيَامِي بِشُؤْنِكَ أَوْضَحَ أَمَارَةٍ - وَأَمَّا قَوْلُكَ مَنَى سَيِّدَ الْوُجُودِ
وَمِنْ اصْطِفَانِهِمْ لِحَضْرَتِهِ الْمَلِكِ الْوَدُودِ ، فَإِنَّكَ كُنْتَ تَفْتَحِرِينَ بِأَشْبَاحِهِمِ الطَّاهِرَةِ ، فَأَتَا
أَفْتَحِرُ بَارِئُوا حِمِّهِمِ الطَّاهِرَةِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا فِي مَلَكُوتِي تَعْدُو وَتَرُوحُ ، وَبِوَارِدِي^(١)
بَسْطِي وَقَبْضِي تَسْدُو وَتَنُوحُ ، فَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ ، وَأَحْرَى بِالْإِفْتِخَارِ بِحُزْبِهِمْ
فَلَمَّا سَمِعْتَ الْأَرْضَ مِنَ السَّمَاءِ ، مَقَالَةً تَقْطُرُ مِنْ خِلَالِهَا الدَّمَاءَ ، أَطْرَقَتْ لِحْجَةً

بارقِ خاطِف ، أو نُفْبَة ^(١) طائرٍ خائف ، ثم قَنَعَتْ رَأْسَهَا ، وصَعَدَتْ أَنْفَاسَهَا
وقالت : لقد أكَثَرْتُ يا هذه اللَّفْظَ ، وما آثَرْتُ الصَّوَابَ على الغَلَطِ ، فعَلَامَ تَهْزَيْنِ
بِى ، وتَسْتَخْفَيْنِ بِحَسَبِى وَنَسْبِى ؟ وإِلَامَ تَنْقُضِينَ عُرَى أَدِلَّتِي ، ولا تُعَامِلِينِي بِاللَّاتِي ؟
وَحَتَامَ تُقَابِلِينِي بِأَنْوَاعِ التَّأْنِيبِ ، وَلِمَ لَا تَقْنِي عَلَى حَقِيقَتِي بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ ؟ أَحْسِبْتِ
أَنَّ الْجِسْمَ مَا خُلِقَ إِلَّا عَبْنًا ، وَلَا كَانَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ إِلَّا جَدْنًا ؟ وَفِي مِيدَانِهِ تَتَسَابَقُ
الْفُهْمُ ، وَتَتَدْرِكُ عَوَارِفَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ ، وَبِهِ تَتَرَقَّى الْأَرْوَاحُ فِي مَرَاقِ الْفَلَاحِ
وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مَقْدَسًا مِنْ كُلِّ غِيٍّ وَمَيْنٍ ؟ وَهُوَ لَا يَفْتُرُ عَنْ تَسْبِيحِ بَارِئِهِ طَرْفَةً
عَيْنٍ ؟ ! وَإِلَى مَتَى أَنْتِ عَلَى مُتَحَامِلَةٍ ؟ وَعَنْ آيَةِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُتَمَحِلَةٍ ؟ وَأَنَا
لَكَ أَسْمَعُ مِنْ خَادِمٍ ، وَأَطْوَعُ مِنْ خَاتِمٍ ، عَلَى أَنَّ لِي مِنَ الْفَضَائِلِ مَا ثَبَتَ بِأَصْحٍ
الْبَرَاهِينِ وَالِدَلَائِلِ ، أَمَا فِيَّ بَقْعَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الْبِقَاعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، لِيُضْمَّهَا أَعْضَاءُ
مَنْ تَمَّمَ اللَّهُ بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ؟ ! وَفِيَّ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، كَمَا أَفْصَحَتْ
عَنْ ذَلِكَ أَلْسِنَةُ السُّنَّةِ ، وَمَنْبَى الْكَعْبَةِ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَالْحَجَرِ وَزَمْزَمَ وَالرُّكْنُ
بِالْمَقَامِ ، وَعَلَى يُبُوتُ اللَّهُ تُشَدُّ إِلَيْهَا الرُّحَالُ ، وَيُسَبِّحُ فِيهَا بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالُ
أَخْرَجَ مَنَى طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ فَأَكْرَمَ بِهَا عِبَادَهُ . وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ الشُّكْرَ
عَلَيْهَا عِبَادَهُ ، وَنَاهَيْكَ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الرِّيَاضِ وَالْغِيَاضِ ، ذَاتِ الْأَنْهَارِ
بِالْحِيَاضِ ، الَّتِي تَشْفِي بِنَسِيمِهَا الْعَلِيلَ ، وَتَنْفِي بِبَرْدِ زَلَالِهَا حَرَّ الْفَكِيلِ .

لِمَ لَا أَهَيِّمُ عَلَى الرِّيَاضِ وَطَيْبِهَا وَأَظِلُّ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ طَافِي
وَالزَّهْرُ يَضْحَكُ لِي بِشَغْرِ بَاسِمٍ وَالنَّهْرُ يَلْقَانِي بِقَلْبِ صَافِي
فَأَسْفَرْتُ عَنْ بَدْرِ طَلَعِيهَا « السَّمَاءُ » وَهِيَ تَزْهُو فِي بُرْدِ السَّنَا وَالسَّاءِ ، وَقَالَتْ

تُناجِي نفسها عند مارق السَّمر، حَتَّامُ أُرْيَها السَّهْيَ ويرى العمر؟ ثمَّ عَطَفْتَ عَلَيْها
تقول، وهى تَسْطُو وتَصُول: أَيُّها المَعْتَدِيَةُ لِمُفَاضَلَتِي، والمَتَصَدِّيقَةُ لِمُنَاضَلَتِي، متى قِيس
التُّرْبُ بالعِجْد؟ أوْ شُبَّهَ الحَصَى بِالزَّبْرِجْد؟! إنَّ افْتَخَرْتَ بِتَرْفِ هَاتِيكَ البَقَاعِ
التي زَهَّابُها مِنْكَ اليَنَاقَ والقَنَاقَ، فأين أنت من عرش الرَّحْمَنِ؟ الذى تَعَكَّفُ عَلَيْهِ
أَرْوَاحُ أَهْلِ الإِيْمَانِ؟! وأين أنت من البيت المَعْمُور؟ والكُرْسَى المَكْلَلُ بالنُّورِ؟!
وكيف تَفْتَخِرِينَ عَلَى بَرُوضَةٍ مِنْ رِياضِ الْجَنَّةِ، وهى عَلَى بَاسِرِها فَضلاً مِنْ اللَّهِ وَمِنِّهِ!
أَمْ كَيْفَ تَزْعُمِينَ أَنَّهُ كُتِبَ لَكَ بِأَوْفَرِ الحِظوظِ، وَعِنْدَى القَلَمِ الأَعْلَى وَاللَّوْحِ المَحْفُوظِ؟
وَأَمَّا أَرْدَهاؤُكَ بِالْحِيَاضِ والأَنْهَارِ، وَالرِّيَاضِ المُبْتَهَجَةِ بِوُرُودِ (١) الوردِ والأَزْهَارِ
فليتَ شِعْرِي هلْ حَوَيْتَ تِلْكَ المَعَانِي إِلَّا بِنَفْحَاتِ غِيُوْثِي وَأَمْطَارِي؟! أَمْ أَشْرَقَتْ
مِنْكَ هَاتِيكَ المَعَانِي إِلَّا بِلَمَحَاتِ شَمْسِي وَأَقَارِي؟! فَكَيْفَ تُبَاهِيْنِي بِمَا مَنَحْتُكَ
إِيَّاهُ، وَعَطَّرْتُ أَرْجاءَكَ بِأَرْبَاجِ نَشْرِهِ وَرَيَّاهُ؟! وَيَا عَجَباً مِنْكَ كَلِّمَاحَ عَلَى شِعَارِ
الْحُزَنِ، خَطَرَتْ فِي أَهْبَى حُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ المَلَّاحَةِ وَالْحُسَنِ، وَإِنْ افْتَرَّتْ تُغَوِّرُ بِدُورِ
أَنْسَى، وَقَرَّتْ بِبَيْدِيعِ جَمَالِي عَيْنِ شَمْسِي، زَفَرَتْ زَفْرَةَ القِيْظِ، وَكَدَتْ أَنْ تَمَيِّزِي بِي
مِنَ الغَيْظِ، مَا هَذَا الجَفَاءُ بِاِقْلِيلَةِ الوَفَاءِ؟! وَهَلْ صَفَتْ أَوْقَاتُكَ إِلَّا بِوُجُودِي، أَوْ
طَابَتْ أَوْقَاتُكَ إِلَّا بِوَابِلِ كَرَمِي وَجُودِي؟! وَلَوْ قَطَعْتُ عَنْكَ أَطَائِفَ الإِمْدَادِ
نَخَلَعْتَ مَلَابِسَ الأَنْسِ وَلَبِسْتَ ثِيَابَ الحِدادِ! أَوْ حَجَبْتُ عَنْكَ الشَّمْسُوسَ والأَقْمارَ
لَمَّا مَيَّزْتَ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ! فَهَلَا كُنْتُ بِفَضْلِي مُعْتَرِفَةً، حَيْثُ إِنَّكَ مِنْ بَحْرِ فَيْضِي
مُعْتَرِفَةٌ؟! فَتَزَعَّتْ «الأَرْضُ» عَنْ مُقَاتَلَتِها، وَعَلِمَتْ أَنَّها لا قِبَلَ لَهَا بِمُقَابَلَتِها. وَحِينَ
عَجَزَتْ عَنِ العُومِ فِي بَحْرِها، وَاسْتَسَلَمَتْ تَمَائِمُها لِسَحْرِها، بَسَطَتْ لَهَا بِسَاطَ

العتاب ، مُتمثلةً بقول ذى اللُطف والآداب .

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ
ثم قالت : اعلّمى أيتها الموسومةُ بسلامة الصدر ، الموصوفةُ بسمو المنزلة وعلو
القدر ، أن الله ما قارَنَ إسمي باسمك ، ولا قابلَ صورة جسمي بجسمك ، إلا
لمناسبة عظيمة ، وألفةٍ بيننا قديمة ، فلا تُشمتني بنا الأعداء ، وتُسيئى الاحباء
والأوداء ، فانَّ ذلك من أعظم الرزايا - وأشدَّ المحن والبلايا

كلَّ المصائب قد تمرُّ على الفتى فتَهونُ غيرَ شامة الأعداءِ
ألا وإنَّ العبدَ محلُّ النَّقصِ والخلل ، وهل يسوغُ لأحدٍ أن يُبرِّىء نفسه
من الزَّلَل ؟! ومن ذا الذى يسلم من القَدَح ؟ ولو كان أقومَ من القَدَح (١)
ومن ذا الذى تُرجى من إياه كُلُّها كفى المرءُ نبلاً أن تُعدَّ معاييه
هذا — وإنَّ لى مفاخر لا تُنكر ، وما تمرُّ تجلُّ عن أن تُحصر ، كما أنَّك فى الفضل
أشهرُ من نارٍ على علم ، وأجلُّ من أن يُحصى ثناء عليك لسانُ القلم ، فإلى متى
ونحنُ فى جدالٍ وجلاد ؟ نتطاعنُ بأسنَّة ألسنة حِداد ، وهل ينبغى أن يُجرَّ بعضنا
على بعضٍ ذيلَ الكبرِ والصِّلَف ؟ ولكن عفا الله عما سلف ، وهذه كعمري ، حقيقة
أمرى ، فانظري إلى بعينِ الرضا ، واصفحى بحمقك عما مضى

ولما سمعت السماء هذه المقالة ، التى تجنحُ إلى طلب السَّلم والإقالة ، قالت لها
مأربُ لا حفاوة ، ومشربٌ قد وَجَدْتُ له حلاوة ، وما ندبتِ اليه من المودة
والألفة ، فلا مراً جَدَعَ قصيرُ أنفه ، ولو لم تُلقِ إلى القياد ، لعابنتِ منى ما دونه
خَرَطَ القتاد ، ولكن لا حرجَ عليك ولا ضير ، فانك اخترتِ الصلح والصلحُ

(١) القَدَح — السهم قبل أن يراش ويركب لفله

خير، وكيف جعلت العتاب شرطاً بين الأحاب، أو ما سمعت قول بعض
أولى الألباب .

إذا كنت في كلّ الأمور مُعَاتِباً صديقك لم تلقَ الذي لا تُعَاتِبُهُ
وان أنت لم تشرب مراراً على القَدَى ظممت وأى الناس تصفومشاربُهُ
وها أنا رادةٌ إليك عوائد إحساني، وموائد جُودى وأمتناني، فقرئ عينا وطيب
نفساً، وبيهي ابتهاجاً وأنساً، وأبشري ببلوغ الوطر، وزوال البؤس والخطر .
فَسَجَدت الأرض شكراً، وهامت نشوةً وسُكراً . وتَهَلَّل وجهها سروراً، وامتلات
طرباً وحبوراً .

﴿ مناظرة بين فصول العام لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١ هـ ﴾

(قال الربيع) أنا شابُ الزَّمان، وروح الحيوان . وإنسان^(١) عين الإنسان
أنا حياة النفوس، وزينة عرُوس الغروس، ونزهة الأبصار، ومنطق الأطيّار،
عرَف^(٢) أوقاتي ناسم، وأيامي أعيادٌ ومواسم، فيها يظهر النبات، وتُنشَر^(٣)
الأموات، وتردُّ الودائع، وتتحرك الطبائع . ويمرح^(٤) جنيب^(٥) الجنوب^(٦)
ويضح^(٧) وجيب^(٨) القلوب، وتفيض عيون الأنهار، ويعتدل الليل والنهار، كم
لى عقد منظم، وطراز وشي مرقوم، وحلّة فاخرة، وحلية ظاهرة، ونجم سعد يذني
راعيه من الأمل، وشمس حسن تنشدنا^(٩) «يا بُعد ما بين بُرج الجدَى^(١٠) والحمل»^(١١)
عسا كرى منصوره، وأسلحتي مشهورة، فمن سيف غصن مجوهر، ودرع بنفسج

(١) ما يرى في السواد (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجنوب، والجنوب ريح
تخالف الشمال، مهبها من مطاع سبيل الى مطاع الثريا (٦) ريح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب
جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب (٨) كثرة خفقانها (٩) تقول لنا (من انشاء الشعر
(١٠) برج في السماء وهو أحد البروج الاثني عشر التي تمر بها (١١) برج في السماء من البروج الاربعة

مُشَهَّرٌ، وَمِغْفَرٌ^(١) شَتِيقٌ^(٢) أَحْمَرٌ، وَتُرْسٌ بِهَارٍ يَبْهَرُ، وَسَهْمٌ آسٌ يَرْشَقُ فَيَنْشَقُّ
وَرُمَحٌ سَوْسَنٌ^(٣) سِنَانُهُ أَزْرَقٌ، تَحْرُسُهَا آيَاتٌ، وَتَكْتَفِيهَا أَلْوِيَةٌ وَرَايَاتٌ، بِيْ
تَحْمَرُّ مِنَ الْوَرْدِ خُدُودُهُ، وَهَتَزْتُ مِنَ الْبَانَ قُدُودُهُ، وَيَخْضَرُّ عِذَارُ الرِّيحَانِ، وَيَنْتَبَهُ
مِنَ التَّرْجَسِ طَرَفُهُ الْوَسْنَانُ^(٤) وَتَخْرُجُ الْخُبَايَا مِنَ الزَّوَايَا، وَيَقْتَرَنُ الْآتِقُ الْوَانُ^(٥)
قَائِلًا (أَنَا ابْنُ جَبَلٍ وَطَلَّاعِ النَّدَايَا)

إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ يُضْحِكُ الْأَرْضَ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ
ذَهَبٌ حَيْثُمَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ حَيْثُ دُرْنَا وَفِضَةٌ فِي الْفَضَاءِ

(وَقَالَ الصَّيْفُ) أَنَا الْخَلِّ الْمُوَافِقُ، وَالصَّدِيقُ الصَّادِقُ، وَالطَّبِيبُ الْخَافِقُ
أَجْتَهَدُ فِي مَصْلَحَةِ الْأَحْبَابِ، وَأَرْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّفَةَ حَمْلِ الثِّيَابِ. وَأُخَفِّفُ
أَثْقَالَهُمْ، وَأَوْفِرُ أَمْوَالَهُمْ، وَأَكْفِيهِمُ الْمُؤُونَةَ، وَأَجْزِلُ لَهُمُ الْمَعُونَةَ، وَأَغْنِيَهُمْ عَنْ شِرَاءِ
الْفَرَا، وَأُحَقِّقُ عَنْدهُمْ (أَنْ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا) نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُوْتِيتُ
الْحِكْمَةَ فِي زَمَنِ الصَّبَا، بِي تَنْضَحُ الْجَادَّةُ^(١) وَتَنْضَجُ مِنَ الْفَوَاكِهِ الْمَادَّةُ، وَيَزْهُوُ
الْبُسْرُ وَالرُّطْبُ، وَيَنْصَلِحُ مِزَاجُ الْعِنَبِ، وَيَقْوَى قَلْبُ الْلَوْزِ، وَيَلِينُ عَطْفُ التِّينِ
وَالْمَوْزِ، وَيَنْعَقِدُ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَيَقْمَعُ الصَّفَرَاءُ وَيَسْكُنُ الْخَلْفَقَانُ، وَتُخَضَّبُ وَجَنَاتُ
التُّفَّاحِ، وَيَذْهَبُ عَرَفُ^(٢) السَّفَرَجَلِ مَعَ هُبُوبِ الرِّيحِ، وَتَسْوَدُّ عَيُونُ الزَّيْتُونِ
وَتَخْرُجُ تِيْجَانُ النَّارَنْجِ وَاللِّيمُونِ، مَوَاعِدِي مَنَقُودَةٌ، وَمَوَائِدِي مَمْدُودَةٌ، أُنْخِيرُ
مَوْجُودَ فِي مَقَامِي، وَالرَّرَقُ مَقْسُومٌ فِي آيَامِي.

(١) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس (٢) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر
مبقع بنقطة سوداء كبيرة (٣) نبات طيب الرائحة (٤) النعمان الغلظان (٥) البانونج نبت
طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر (٦) الطريق (٧) رائحته الطيبة
(٨) جواهر - ل) (٩ - جواهر - ل)

الفتير ينصاع^(١) بملء مده وصاعه ، والغنى يرتفع في ربيع ملكه وأقطاعه
والوحش تأتي زرافات^(٢) ووحيداناً ، والطائر تغدو خيماً وتروح بطاناً^(٣) .
مصيف له ظل ظليل على الورى ومن حلا طعماً وحللاً أخلاطاً
يعالج أنواع الفواكه مبدياً لصحتها حفظاً يعجز بقراطا^(٤) .
(وقال الخريف) أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغيوم ، وهازم أحزاب
السوم^(٥) وحادي نجائب السحاب ، وحاسر نقاب المناقب ، أنا أصد الصدى^(٦)
وأجود بالندى ، وأظهر كل معنى جلي ، وأسمو بالوسمى^(٧) . والولى ، في أيامى تقطف
الثمار ، وتصفوا الأنهار من الأكدار ، وترقرق^(٨) دمع العيون ، ويتلون ورق
الغصون ، طوراً يحاكي البقم ، ومارة يشبه الأرقم ، وحيناً يبدو في حلتها الذهبية
فيجذب إلى خلته القلوب الأبية ، وفيها يسكنى الناس هم الهوام ، ويتساوى
في لذة الماء الخالص والعام ! وتقدم الأطيأر مطربةً بنشيشها ، رافلةً في الملابس
المجددة من ريشها ، وتعصر بنت العنقود ، وتوثق في سجن الدن بالقيود ، على
أنها لم تجترح إثمًا ، ولم تعاقب إلا عدواناً وظلماً ، بي تطيب الأوقات ، وتحصل
اللذات ، وترق النسمات ، وترمى حصى الجمرات ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر
أنواع المطعوم والمشروب . كم لى من شجرة أكلها دائم ؟ وحملها للنفع المتعدى
لأزم ، ورقها على الدوام غير زائل ، وقود أغصانها تخجل كل رُمح ذابل .
إن فصل الخريف وافي الينا يتهدى في حلة كالرؤس

(١) ينتقل راجعاً مسرعاً (٢) جماعات (٣) تذهب جامعة وترجع مملئة (٤) بقراط الحكيم
اليونانى وهو لفظ يونانى معناه ناسك الصبح (٥) الريح الحارة (٦) العطش (٧) المطر الذى
يأتى فى الخريف ، والولى الذى يأتى بعده (٨) ترقرق الدمع فى العين تحرك

غَيْرُهُ كَانَ لِلْعَيْنِ رِيْعًا وَهُوَ مَا بَيْنَنَا رَبِيعُ النُّفُوسِ
 (وقال الشتاء) أنا شيخُ الجماعة، وربُّ البضاعة، والمقابلُ بالسمع والطاعة
 أجمعُ شَمَلِ الأصحاب، وأسدِلُ عليهم الحِجَاب، وأُخَفِّفُهم بالطعام والشراب، وَمَنْ
 ليس له بِي طاقةٌ أغلق من دونه الباب، أميلُ إلى المُطِيع، القادر المُسْتَطِيع
 المُعْتَضِدُ بالبرود والفرَا، المُتَمَسِّكُ من الدينار بأوثق العُرَى، وَمَنْ يَعِشُ عن
 ذِكْرِي، ولم يَمَثِلْ أَمْرِي، أَرْجِفُهُ بصوت الرّعد، وَأُنْجِزْتُ له من سيف البرق
 صادق الوعد، وَسِرْتُ اليه بعساكر السّحاب، ولم أَقْنَع من الغنيمة بالإياب، معروف
 معروف، ونَيْلُ نَيْلِي مَوْصُوف، ومَمارِإِساني دانيةُ القُطُوف، كم لِي من (وايل)
 طويل المدَى (وجود) وافر الجدا (وقطر) حَلامذَافُهُ (وغيث) قَيْدُ العُفَاةِ إطلاقه
 (وديمة) تُطْرِبُ السمع بصوتها (وحيا) يُحْيِي الأَرْضَ بعد موتها، أَيامِي وَجِيزَةُ
 وأوقاتي عَزِيزَةُ، ومجالسي معمورةٌ بِنُوى السَّيَادَةِ، مغمورةٌ بالخير والمير والسَّعَادَةِ،
 نُقْلُهَا يَأْتِي من أنواعه بالعَجَب، ومناقلُهَا تَسْمَحُ بذهابِ اللّهب، وراحُهَا تنعش
 الأرواح، وسقاتُهَا يَجْفُونُهُم السَّقِيمَةُ تَفْنِي العقول الصّحاح، إن رُدُّتْهَا وَجَدْتُ مَالًا
 ممدودًا، وإن رُدَّتْهَا شَاهَدْتُ لها بَنِينَ شهودًا.

﴿مناظرة بين البر والبحر لبعض الأدباء﴾

قال (البر) يا صاحب الدَّرِّ، ومعدن الدَّرِّ، أطرقت رِياضِي، ومزقت جُسُورِي
 وأحواضِي، وأغرقت جُبَّتِي، ودخلت جَنَّتِي، وتلاطمت أمواجك على جَنَّتِي
 فأكلت جِزَأَرِي وَجَرُورِي، وأهلك مَرْعَى فَصِيلِي وَخُرُوفِي، وأهزلت نُورِي
 وَحُلِي، وفَرَسِي وَجَمَلِي، وأجريت سفنك على أرض لم تجرِ عليها، ولم تملِ طرفِ

غراها إليها . وغرست أوتادها على أوتاد الأرض ، وعرست في مواطن النفل
والفرض ، وجعلت مجرى مرا بك في مجرى مرا كيبى ، ومشى حوتك على بطنه
في سعد أخبية مضاربى ، وغاص ملاحك في ديار فرحى ، وهاجرت من القرى إلى
أم القرى ، وحملت فلاحي أثقاله على القرى ، وقد تلقيتك من الجنادل بصدري ،
وحملتك إلى برزخك على ظهري . وقبلت أمواجك بفرغى ، وخلفت مقياسى
فرحاً بقدومك الى مصرى ، وقد جرت وعدلت ، وفعلت ما فعلت ، فلعلك
تفيض ، ولا يكون ذهابك عن ذهاب بغيض ، أو تفارق هذه الفجاج ، وتختلط
بالبحر العجاج ، وإن لم تفعل شكونك إلى من أنزلك من السماء ، وأنعم بك علينا
من خزائن الماء .

إذا لم تكن ترحم بلاداً ولم تُغث عباداً فمولاهم يُغثُ ويرحمُ
وإن صدرت منهم ذنوبٌ عظيمةٌ فغفوا الذى أجراك يا بحر أعظمُ
نمداً إليه أيدياً لم نمدها إلى غيره والله بالحال أعلمُ
قال (البحر) يا برُّ ، ياذا البرُّ ، ومنبت البرُّ ، هكذا تُخاطبُ صيفك ، وهو
يخصبُ شتاءك وصيفك ، وقد ساقى الله إلى أرضك الجُرُزُ ، ومعدن الدر والخرز
لأُبهِجَ زرعها وخيلها ، وأخرج آبها ونخيلها ، وأكرم ساكنك ، وأنزل البركة
في أماكنك ، وأثبت لك في قلب أهلك أحكام الحجة ، وأثبت بك لهم في كل
سُنْبُلَةٍ مائة حبة ، وأحيى حياة طيبة ، يبتهج بها عرك الجديد ، ويتلوا « كذلك
يُحيى الله الموتى » السنة العبيد ، وأطهرك من الأوساخ ، وأحمل اليك الإبلين
فأطيبك به من عرق السباخ . وأنا هدية الله إلى مصرك ، وملكُ عصرك ، القائمُ
بنصرك ، وكولا بركاى عليك ، ومسيرى فى كل مسرى اليك ، لكنك وادياً

غَيْرَ ذِي زَرْعٍ ، وَصَادِيًّا غَيْرَ ذِي ضَرَعٍ

سَرَيْتُ أَنَا مَاءَ الْحَيَاةِ فَلَا أَذَى إِذَا مَا حَفِظْتُ الصَّحْبَ فَاَلْمَالَ هَيِّنُ

فَكُنْ خَضِرًا يَا بَرَّ وَاعْلَمْ بِأَنَّنِي إِلَى طِينِكَ الظَّمَانُ بِالرِّىِّ أَحْسَنُ

وَأَسْعَى إِلَيْهِ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ وَأَحْسَنُ أَجْرِي بِالتَّى هِيَ أَحْسَنُ

إِذَا طَافَ طُوفَانِي بِمِقْيَاسِكَ الَّذِي يُسَرُّ بِاتِّيانِ الْوَفَاءِ وَيُعلنُ

فَقْمٌ وَتَلَقَّاهُ بِيَسْطَتِكَ الَّتِي لَرَوْضَتِهَا فَضْلٌ عَلَى الرَّوْضِ بَيْنُ

وَلَعَمْرِي : لَقَدْ تَلَطَّفَ (الْبَرُّ) فِي عِتَابِهِ وَأَحْسَنَ ، وَدَفَعَ (الْبَحْرُ) فِي جَوَابِهِ بِالتَّى هِيَ أَحْسَنَ ، وَقَدْ اصْطَلَحَا وَهَمَا بِحَمْدِ اللَّهِ أَخْوَانُ مُتَضَافِرَانِ عَلَى عِمَارَةِ بِلَادِهِ وَنَشْرِ الثَّرْوَةِ وَنَمُوِّ الْخَيْرَاتِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُخْصِبُ مَرْعَاهُمَا وَيَجْرِسُهُمَا وَيَرْعَاهُمَا .

﴿ وَكَتَبَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مَنَاظَرَةَ بَيْنِ الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ ﴾

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ فَلَكَ الْهَوَاءُ ، عَلَى عُنْصَرِ التُّرَابِ وَالْمَاءِ «أَمَّا بَعْدُ» فَأَنَا الْهَوَاءُ الَّذِي أُوَلِّفَ بَيْنَ السَّحَابِ ، وَأَنْقُلُ نَسِيمَ الْأَحْبَابِ ، وَأَهْبُثُ نَارَةً بِالرَّحْمَةِ وَأُخْرِى بِالْعَذَابِ ، وَأَنَا الَّذِي سِيرَ بِي الْفُلُكُ فِي الْبَحْرِ كَمَا تَسِيرُ الْعِيسُ فِي الْبِطَاحِ ، وَطَارِبِي فِي الْجَوِّ كُلِّ ذِي جَنَاحٍ ، وَأَنَا الَّذِي يَضْطَرِبُ مِنْهُ الْمَاءُ اضْطِرَابَ الْأَنْيَابِ فِي الْقَنَا . إِذَا صَفَوْتُ صَفَا الْعَالَمِ ، وَكَانَ لَهُ نَضْرَةٌ وَزَهْوًا ، وَإِذَا تَكَدَّرْتُ انْكَدَرَتْ النُّجُومُ وَتَكَدَّرَ الْجَوُّ ، لَا أَتَلَوْنَ مِثْلَ الْمَاءِ الْمُتَلَوْنَ بَلَوْنَ الْإِنَاءِ - لَوْلَايَ مَا عَاشَ كُلُّ ذِي نَفْسٍ ، وَلَوْلَايَ مَا طَابَ الْجَوْثُ مِنْ بُخَارِ الْأَرْضِ الْخَارِجِ مِنْهَا بَعْدَ مَا احْتَبَسَ وَلَوْلَايَ مَا تَكَلَّمَ آدَمِيٌّ وَلَا صَوَّتَ حَيَوَانٌ ، وَلَا غَرَّدَ طَائِرٌ عَلَى غُصْنِ بَانَ ، وَلَوْلَايَ مَا سَمِعَ كِتَابٌ وَلَا حَدِيثٌ ، وَلَا عَرَفَ طَيِّبُ الْمَسْمُوعِ وَالْمَشْمُومُ مِنَ الْخَبِيثِ فَكَيْفَ يُفَاخِرُنِي الْمَاءُ الَّذِي إِذَا طَالَ مُكُتُهُ ، ظَهَرَ خَبْثُهُ ، وَعَلَتْ فَوْقَهُ الْجِيْفُ

وانحطت عنده الآلىء في الصدف .

فقال « الماء » الحمد لله الذي خلق كلَّ حيٍّ (أمّا بعد) فأنا أوّل مخلوق وكلا فخرٌ ، وأنا لذّة الدنيا والآخرة ويوم الحشر ، وأنا الجوهر الشفاف ، المشبه بالسيف إذا سلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فيّ جميع الجواهر حتّى الآلىء والأصداف الحيّى الأرض بعد مماتها ، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها ، وأكسو عرائس الرياض أنواع الحلل ، وأثر عليها آلىء الوبل والطلل ، حتّى يضرب بها في الحسن المثل — كما قيل :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتُهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
فَكَيْفَ يُنْكِرُ فَضْلِي مَنْ دَبَّ أَوْ دَرَجَ ؟ وَأَنَا الْبَحْرُ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ فِي
الْأَمْثَالِ « حَدَّثَ عَنْ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ » وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْهَوَاءُ : فَطَالَمَا أَهْلَكَتَ أُمَمًا
بِسُومِكَ وَزَمِيرِ بَرِّكَ ، وَلَا تَقُومُ جَنَّتُكَ بِسَعِيرِكَ

وأما قولك : لولاى ما عاش إنسان ، ولا بقى على الأرض حيوان ، فجوابه : لو شاء الله تعالى لعاش العالم بلا هواء ، كما عاش عالم الماء في الماء . وأنشدك الله أمّا رأيت ما حبّانى الله به من عظيم المنّة ، حيث جعلنى نهرًا من أنهار الجنّة ، أنا أرفع الأحداث ، وأطهر الأخبار ، وأجلو النظر ، وأزيل الوضر ، أمّا رأيت الناس إذا غبت عنهم يتضرّعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ويسألونه تعالى إرسالي من قبل السماء — وأعلم أنّى ما نلت هذا المقام الذى ارتفعت به على أبناء جنسى ، إلا بالخطاى الذى غيرتنى به وتواضعى وهضم نفسى وقد كثّر بينهما النزاع والجِدال ، حتّى حكم بينهما أميرٌ وقال :

إِنَّ كُلًّا مِنْكُمُ حَقٌّ فِيمَا يَدَّعِيهِ ، فَمَا أَشْبَهَكَمَا فِي السَّمَاءِ بِالْفَرْقَدَيْنِ ، وَفِي الْأَرْضِ بِالْعَيْنَيْنِ ، إِلَّا أَنْ مَرَأَةَ الْحَقِّ أَرَتْنِي فَضِيلَةَ تَفْضُلُهَا أَيْهَا الْمَاءِ أَخَاكَ الْهَوَاءَ ، وَحَقَّقَتْ لِي بِأَنَّكُمَا لَسْتُمَا فِي الْفَضْلِ سَوَاءً . وَهِيَ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنَ الْمَاءِ) فَاعْتَرَفَ لِأَخِيكَ بِالْفَضْلِ وَالذِّكَاةِ

(وكتب المقدسي المتوفى سنة ٨٧٥ هـ مناظرة بين الجمل والحصان)

قال الجمل : أَنَا أَهْمُّ الْأَحْمَالِ النَّقَالِ ، وَأَقْطَعُ بِهَا الْمَرَاحِلَ الطُّوَالَ ، وَأَكْبَدُ الْكَلَالَ ، وَأَصْبِرُ عَلَى مَرِّ النَّكَالِ ، وَلَا يَعْتَرِينِي مِنْ ذَلِكَ مَلَالٌ ، وَأُصُولُ صَوْلَةٍ الْإِدْلَالِ ، بَلْ أَتَقَادُ لِلطُّفْلِ الصَّغِيرِ ، وَلَوْ شِئْتُ اسْتَصَبْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ فَأَنَا الذَّلُولُ ، وَلِلْأَتَقَالِ حَمُولُ ، لَسْتُ بِالْخَائِنِ وَلَا الْغُلُولِ ، وَلَا الصَّائِلِ عِنْدَ الْوُصُولِ أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ ، مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْفُحُولُ ، وَأُصَابِرُ الظُّلُمَاءَ فِي الْهَوَاجِرِ وَلَا أُحُولُ فَإِذَا قُضِيَتْ حَقٌّ صَاحِبِي ، وَبَلَغْتُ مَارِي ، أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي ، وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي أَوْ كَتَسَبْتُ مِنَ الْخَلَالِ زَادِي ، فَإِنْ سَمِعْتُ صَوْتَ حَادِي ، سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي ، وَوَأَصَلْتُ فِيهِ سُهَادِي ، وَطَلَّقْتُ طَيْبَ رُقَادِي ، وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ عُنِّي لِبُلُوغِ مَرَادِي ، فَأَنَا إِنْ ضَلَلْتُ فَالِدَلِيلُ هَادِي ، وَإِنْ زَلَلْتُ أَخَذَ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ انْقِيَادِي ، وَإِنْ ظَلَمْتُ فَذِكْرُ الْحَبِيبِ زَادِي ، وَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ ، بِإِشَارَةِ « وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ » فَلَمْ أَزَلْ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ .

فقال (الحصان) أَنَا أَهْمُّ عَلَى كَاهِلِي فَأَجْتَهِدُ بِهِ فِي السَّيْرِ ، وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَالطَّيْرِ أَهْجُمُ هُجُومَ اللَّيْلِ ، وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ .

فإن كان طالباً أدرك في طلبه ، وإن كان مَطْلُوباً قَطَعَتْ عَنْهُ سَبِيلُهُ ، وَجَعَلَتْ أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُحْتَاجِبَةً ، فَلَا يُدْرِكُ مِنْهُ إِلَّا الْغُبَارُ ، وَلَا يُسْمَعُ عَنْهُ إِلَّا الْأَخْبَارُ

وإن كان الجملُ هو الصَّابِرُ المُجَرَّبُ ، فأنا السَّابِقُ المُقَرَّبُ ، وإن كان هو
 المُقْتَصِدُ اللَّاحِقُ ، فأنا المُتَقَرَّبُ السَّابِقُ ، فإذا كان يومَ اللقاء قدمتُ أقدامُ الوالِه
 وسبقتُ سبقَ نبالِه ، وذلك مُتَخَلِّفٌ لِنِقَلِ أَحْمَالِه ، وإنْ أوثقَ سائِسِي قِيَدِي
 وأمنَ قائِدِي كِيَدِي ، أوثقتُ بِشِكَالِي ، لِكَيْلَا أَحُولَ عَلَى أَشْكَالِي ، وَأُلْجِمْتُ
 كَيْلَا أَغْفَلَ عَنِ قِيَامِي ، وَأُنِيتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي ، كَيْلَا أَكِلَّ عَنْ إِقْدَامِي
 فأنا الموعودُ بالنَّجاةِ ، المَعْدُودُ لِنَيْلِ الجِلاءِ ، المُشْدُودُ لِلسَّلامَةِ ، المُقْصُودُ لِلْكَرامَةِ
 قد أُجْزِلَ المُنْعَمُ عَلَى إِنْعامِه ، وَأَمْضَى بِالْعنايةِ الْأَزَلِيَّةِ أَحْكامُه «فإنَّ الْخَيْرَ مَعْقُودٌ
 بِنَوَاصِي الْخَلِيلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» خُلِقْتُ مِنَ الرِّيحِ ، وَأُلْهِمْتُ التَّسْبِيحَ ، وما بِرَح
 ظَهْرِي عِزًّا ، وَبَطْنِي كَنْزًا ، وَصَهْوَتِي حِرْزًا ، فَكَمْ رَكِضْتُ فِي مَيْدَانِ السَّبَاقِ
 وما أَبَدَيْتُ عَجْزًا ، وَكَمْ حَزَزْتُ رُؤُوسَ أَهْلِ النُّفَاقِ حَزًّا ، وَكَمْ أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ الْآفَاقَ
 (هَلْ تَحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)

﴿ الفن الثالث في الأمثال ﴾

أَلْثَلُ عِبَارَةٌ عَنْ تَأْلِيلٍ لِحَقِيقَةٍ لَهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَقَدْ ضُمِّنَ بَاطِنُهُ الْحِكْمُ الشَّافِيَّةُ
 وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ مُفْتَرَضَةٌ مُمَكِّنَةٌ ، وَمُخْتَرَعَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ ، وَمُخْتَطِئَةٌ .

(١) فالأمثالُ المُفْتَرَضَةُ المُمَكِّنَةُ : هِيَ مَا تُنْسَبُ فِيهَا النُّطْقُ وَالْعَمَلُ إِلَى عَاقِلٍ ^(١)

(٢) وَالْمُخْتَرَعَةُ الْمُسْتَحِيلَةُ : مَا جَاءَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ

فَيُعْزَى لَهَا النُّطْقُ وَالْعَمَلُ لِإِرْشَادِ الْإِنْسَانِ

(٣) وَالْمُخْتَطِئَةُ : مَا دَارَ فِيهَا الْكَلَامُ أَوْ الْعَمَلُ بَيْنَ النَّاطِقِ وَغَيْرِ النَّاطِقِ

(١) وتختلف عن الحكاية من وجيهين : الاول ان لها مغزى . والثاني كونها غير واقعة وان كانت في حيز الامكان

وَشُرُوطُ الْمَثَلِ أَرْبَعَةٌ : (الْأَوَّلُ) أَنْ تَكُونَ رَوَايَتُهُ خَالِيَةً مِنْ كُلِّ تَعْقِيدٍ لِيُفِضِيَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ إِلَى ذَهْنِ السَّامِعِ (الثَّانِي) أَنْ لَا يَكُونَ مُسَبِّحًا مُمِلًا (الثَّالِثُ) أَنْ يُبْهِجَ السَّامِعَ بِطَلَاوِثِهِ وَيُفَكِّهَ فِكْرَتَهُ بِهَزْلٍ كَلَامِهِ . وَابْتِكَارَ مَعَانِيهِ ، وَيَضْبُطُ عَقْلَهُ فِي فَهْمِ الرِّوَايَةِ الْمُخْتَلِقَةِ وَفَضْ مُشْكَلِهَا (الرَّابِعُ) أَنْ يُورَدَ بِصُورَةٍ مُحْتَمَلَةٍ . وَفَوَائِدُ الْمَثَلِ جَمَّةٌ ، مِنْهَا نَزْهَةُ الْبَالِ وَتَرْوِيحُ الْخَاطِرِ - وَنَهْيُ اسْتِقْصَاءِ الْحُكْمِ وَهِيَ قَدِيمَةٌ الْعَهْدُ جَدًّا ، وَلَا يُعْرَفُ اسْمُ أَوَّلِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا ، وَكَمَا تَكُونُ نَثْرًا تَكُونُ نَظْمًا - وَنَدَّ كُرْكَكَ مِنَ الْأَمْثَالِ مَا طَابَ وَرَاقَ : فَتَقُولُ

﴿ أمثال القرآن الكريم ﴾

أمثال القرآن الكريم قِسْمَانِ : ظَاهِرٌ مُصَرِّحٌ بِهِ - وَكَاْمُنٌ لَا ذِكْرَ لِلْمَثَلِ فِيهِ .
أَمَّا أَمْثَالُهُ : الظَّاهِرَةُ : فَكَتَبَهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ، صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيْبٍ^(١) مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الَّذِي يُنْفِقُ أَمْوَالَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَالَّذِي يُنْفِقُ رِيَاءً » يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ^(٢) عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ^(٣) فَتَرَكَهُ صَلْدًا^(٤) لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) مطر (٢) حجر أملس (٣) مطر شديد (٤) صلباً تقياً من التراب

الْكَافِرِينَ ، وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ آتِبْغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ (١) أَصْبَاهَا وَأَبْلُ فَاتَتْ أَكْهَاهُ ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصْبَهَا وَأَبْلُ فَظُلٌّ (٢) وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ (٣) فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ »

وقوله تعالى في تمثيل الحقِّ والباطل « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا (٤) رَأْيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ آبَتْغَاءَ حَلِيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً (٥) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ »

وقوله تعالى في تمثيل الحكمة وضدها

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ بَأْذَنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أُجْتِثَّتْ (٦) مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ . »

وقوله جلَّ شأنه في حال الكفار وما يعبدون من دون الله

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفٌ . »

(١) مكان مرتفع (٢) مطر خفيف (٣) ريح شديد (٤) ما يعلو على وجه الماء من قدر ونحوه (٥) باطلا مرميا به (٦) قطعت من أصلها

الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. « وقوله تعالى « مثل الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنْ أَوْهَنَ الْيُوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » وقوله تعالى فِي أَنْ عَمِلَ الْكَافِرُ يَذْهَبُ هَبَاءً تُنْذِرُوهُ الرِّيحَ
« مثل الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ »

وَقَوْلُهُ تَعَالَى « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ^(١) بَقِيعَةٍ ^(٢) يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجْجٍ ^(٣) يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ . ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ »

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَخِيَالٌ بَاطِلٌ
« وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ^(٤) تُنْذِرُوهُ الرِّيحَ »
وَقَوْلُهُ تَعَالَى « أَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطًّا مَا »

وَأَمَّا أَمْثَالُهُ السَّامِيَّةُ : فَهِيَ الْآدَابُ الْبَارِعَةُ وَالْحِكْمُ الْبَاهِرَةُ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى

(١) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار (٢) جمع قاع وهو الأرض المستوية (٣) عميق (٤) يابساً متفترقاً أجزاءه

٨. وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا
 ٩. ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
 ١٠. أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
 ١١. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
 ١٢. وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ
 ١٣. سَيِّئًا هُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
 ١٤. وَكَانُوا أَهَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا
 ١٥. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ
 اقْتَدِهِ
 ١٦. إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوَى
 الْأَمِينَ
 فِي التَّبَرُّةِ وَالتَّنْزِيهِ
 ١. حَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَوْءٍ
 ٢. أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ
 ٣. فَبَرِّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا
 فِي حُسْنِ الْخَلْقِ
 ١. مَا شَاءَ اللَّهُ
 ٢. وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
 ٣. يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ
 ٤. فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
 فِي الْإِغْضَاءِ وَالتَّغَافُلِ وَاللَّيْنِ
 ١. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعِظُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
 أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا
 ٢. لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ
 ٣. إِدْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ
 ٤. فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ
 هَجْرًا جَبِيلًا
 ٥. وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
 لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 ٦. فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ
 ٧. وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا
 فِي الْمَدْحِ
 ١. مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ
 ٢. إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا
 ٣. إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ
 ٤. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ
 ٥. وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ
 ٦. خَتَامُهُ مِسْكٌ
 ٧. ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

٥ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

فِي الْكَذِبِ وَالزُّورِ

١ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا

٢ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ

٣ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ

يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا

٤ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ

لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ

٥ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ

٦ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

فِي الْخِيَانَةِ وَتَقْضِ الْعَهْدَ

١ أَوْ كَلِّمَاعَاهِدًا عَهْدًا ابْدَءُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ

٢ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ

٣ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ

٤ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ

٥ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ

٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا

فِي السَّخَرِيَّةِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْجَهْرِ

١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ

قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ

مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا

بِالْأَلْقَابِ

٢ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا

٣ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ

الَّذِي مِنْ ظُلْمٍ

٤ وَبِئْسَ لَكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمُزَةٌ

٥ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ

فِي الْقَتْلِ وَالْاِتِّحَارِ

١ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِ

نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

خَطْنًا كَبِيرًا

٢ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

لِرَؤُوسِهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ

إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا

٣ وَلَا تُقْلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

- ٤ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا
- ١ في البخل وحب المال
- ١ ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه والله الغني وأنتم الفقراء
- ٢ ولا الذين يكثرُونَ الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم
- ٣ الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه
- ٤ وتأكلون الثروات أكلاً لماً. وتحبون المال حبا جمًا
- ١ يسألونك عن الخمر والميسر قل فیهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعيهما
- ٢ يأبى الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والألئصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
- ١ وأستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق
- ٢ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
- ١ وأحل الله البيع وحرم الربا
- ٢ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
- ١ يمحى الله الربا ويربى الصدقات
- ٢ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
- ١ في العجب والكبر
- ٢ ثم ذهب إلى أهله يتمطى
- ٣ ثابى عطفه ليضل عن سبيل الله
- ٤ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين
- ٥ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه
- ١ فخل أنتم منهمون ؟ ؟

ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مُرَحًّا
فِي الْإِسْتِبْدَادِ وَالْآثَرَةِ

مَنْ يَأْمُرْ بِمَا لَا يَفْعَلُ وَيَعْلَمُ لَا يَمْعَلُ
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ
تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ

مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى
فِي التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ
قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ
سَاهُونَ
وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ
إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

فِي الْإِنْكَارِ الْجَمِيلِ
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّ كَأَنَّهُ
لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْبٍ مَسَّةٍ
وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ
لَلَجَّوْا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ
إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ
أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْنَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي
يُقَشَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ
وَفُ سَلَقُوا كَمِ بِالْسِنَةِ إِحْدَادٍ

- ٣ ولو بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لعباده لَبَغَّوْا
١٦ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ
فِي الْأَرْضِ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ
- ٤ إِنْ الْإِنْسَانُ لَيْطِفٌ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى
١٧ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
٥ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ
١٨ أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ
- ١ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا؟
١٩ هَمَّازٍ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ ، مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ
٢ فَلَينَظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ??
٢٠ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ
- ٣ خَذُوهُ فَعْلُوهُ
٢١ إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبَّةُ
٤ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
٢٢ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
- ٥ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا
٢٣ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ
٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ
٢٤ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ
- ٧ إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ
٢٥ إِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً
٨ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ
٢٦ فَمَا لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
- ٩ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ
حَدِيثًا
١٠ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهُمْ
- ١١ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ
١ فِي الضَّالِّينَ وَالْمُضِلِّينَ
- ١٢ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ
١ إِنْهُمْ أَقْبَوْا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ، فَهُمْ عَلَى
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ
٢ أَلْشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ
- ١٣ وَمَنْ يَنْهَ اللَّهَ فَالَهُ مِنْ مُكْرَمٍ
٣ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ
١٤ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
- ١٥ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
٤ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ

- ٥ وإخوانهم يمدُّونهم في الغي ثم لا يقصرون
- ٦ ربَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا
- ١ فيمن عميت بصيرتهم وأضلَّهم هواهم لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون
- ٢ فَأَنَّهُمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ
- ٣ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ فِي قُرْآنِ السُّوءِ وَالْغَاوِينَ
- والنهي عن اتباعهم
- ١ وَلَا تُطْعَمَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا
- ٢ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ
- ٢ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ
- فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
- ٥ وإخوانهم يمدُّونهم في الغي ثم لا يقصرون
- ٦ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ
- ٧ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلَا
- في التنبيه على الخطأ والضللال
- ١ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ فَأَن تَذَهَبُونَ؟
- ٢ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟
- ٤ تِلْكَ إِذْ نَاقَسَتْ فِئْرَتُهُ ذَا قُرْبَىٰ فَصَوَّرَ اللَّهُ لَهَا فَاكِحًا عَنِ صِدْقَيْهَا فَعَلَّمَهَا وَلَهُ خَلْقُ النَّاسِ وَتَبَايَعُهُمْ خَلْقَ يَوْمٍ
- ٥ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ
- ٦ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
- ٧ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
- ٨ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
- في المنافقين والمُرَائِينَ
- ١ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ

- ٢ وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكَ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ
٣ يَقُولُونَ بَلْ لَسِنَتُهُمْ مَالِيكَ فِي قُلُوبِهِمْ
٤ يُرْضُونَكَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ
٥ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
٦ إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُومُكُمْ وَإِنْ
تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
٧ مُدْبِدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ
وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ
٨ يَبْغُونَكَ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ
٩ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا
لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ
أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ
١٠ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ
مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ
فِي تَمْثِيلِ أَعْمَالِ الْمُرَائِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
١ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ
فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا
٢ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي
- يَوْمٍ عَاصِفٍ
٣ أَعْمَالُهُمْ كَمَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّالِمَانِ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
فِي الْإِنذَارِ وَالْوَعِيدِ
١ فَمَنْ اعْتَدَى بِكَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
٢ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ
٣ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
٤ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَوَهِرَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا
نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا
وَلَوْ كُثِّرَتْ
٥ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ
٦ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً
٧ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ
وَفَسَادٌ كَبِيرٌ
٨ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ
٩ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ
١٠ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ
عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُ نَادِمِينَ
١٢ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

يَنْقَلِبُونَ

١٣ فَيَسْأَلُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا

وَأَضَعُ جُنْدًا

١٤ اَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ

سَوْفَ تَعْمَلُونَ

١٥ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ

١٦ ذَرُّهُمْ يَا كُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ

الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ

١٧ سَيَعْمَلُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ

الْأَشِيرُ

١٨ سَهْزَمُ الْجَعِ وَوَبُولُن الدُّبُرِ

١٩ لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ

٢٠ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآبَاءِ مَا فِيهِ

مُرْدَجَرٌ

٢١ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ

٢٢ فَتَسْأَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

٢٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ

٢٤ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ

٢٥ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا

٢٦ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ

ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ

٢٧ اَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ

وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ

٢٨ كَلَّا سَيَعْمَلُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمَلُونَ

٢٩ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ

وَضَرْبَنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ

٣٠ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ

٣١ وَلَخُرْجَتِهِمْ مِنْهَا أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ

٣٢ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى

٣٣ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا

٣٤ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا

عَنْكَ غِطَاءَكَ

٣٥ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

٣٦ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ

٣٧ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ

قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ

قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا

٣٨ كَلَّا لَا وَزَرَ

٣٩ إِنَّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ

٤٠ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

- ٣ | وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا
مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ
يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِ تَكُمُ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا
عَلَى أَهْلِهَا
٤ | فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا
حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
٥ | فَإِنْ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ
لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَهْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ
٢ | لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ
بِالْمَنِّ وَالْأَذَى
٤ | قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ
يَتَّبِعُهَا أَذَى
٥ | وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ
فِي التَّحِيَّةِ وَالْاسْتِئْذَانِ
١ | وَإِذَا حِيلَتْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ
مِنْهَا أَوْ رَدُّوهَا
٢ | رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
- يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِ تَكُمُ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا
عَلَى أَهْلِهَا
٤ | فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا
حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
٥ | فَإِنْ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ
لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَهْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ
٢ | لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
يَأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ
بِالْمَنِّ وَالْأَذَى
٤ | قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ
يَتَّبِعُهَا أَذَى
٥ | وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ
فِي التَّحِيَّةِ وَالْاسْتِئْذَانِ
١ | وَإِذَا حِيلَتْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ
مِنْهَا أَوْ رَدُّوهَا
٢ | رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
- ١ | إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ
٢ | هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا
عُلِّمْتَ رُشْدًا
٣ | قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى

في الجهاد

١ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

ومن رباط الخيل

٢ وقاتلهم حتى لا تكون فتنة

٣ وفضل الله المجاهدين على القاعدین

أجراً عظيماً

٤ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

لفسدت الأرض

في الإيمان

١ واحفظوا أيمانكم

٢ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم

٣ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها

في الكلام والاستماع

١ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة

طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت

وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل

حين بإذن ربها

٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

اجتثت من فوق الأرض مالها

من قرار

٥ إني لكم رسول أمين

٦ فاتبعني أهدك صراطاً سوياً

في الشورى

١ وشاورهم في الأمر

٢ وأمرهم شورى بينهم

٣ أفئوني في أمري

في الشفاعة

١ من يشفع شفاعة حسنة يكن له

نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة

يكن له كفل منها

في الخطأ والاضطرار

١ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به

ولكن ما تعمدت قلوبكم

٢ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه

في المسؤولية عن العمل

١ ولا ترر وازرة ورر أخرى

٢ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى

٣ كل امرئ بما كسب رهين

٤ وكل إنسان أزمناه طائره في عنقه

٥ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

۲ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ

- ٣- أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَتْ قَبْهَا جَرُوا
بِمَثَلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ
فِيهَا ؟؟
٤- فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ
فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ
١- ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
٢- إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ
مَشْكُورًا
٣- فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
٤- وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ
الْجَزَاءُ الْأَوْفَى
الْجَزَاءُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ
١- وَإِنْ جَحَحُوا لِّلْسَلَامِ فَاذْنَحْ لَهَا
٢- فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ
٣- وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَّبْتُمْ بِهِ
٤- وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا
٥- فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
- ٦- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
٧- لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
٨- فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
٩- وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَا
١٠- إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ
١١- وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ
١٢- وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ
وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ
١٣- جَزَاءً وَفَاءً
شَبِيهَ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
١- الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
فِي الْإِفْسَادِ وَالْبَغْيِ وَالنَّهْيِ عَنْهُمَا
١- وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
٢- وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ
٣- وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

- ٤ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
فِي الْمَفْسِدِينَ الْمَكَابِرِينَ
١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ
٢ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
٣ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْكَاذِبُونَ
فِي غُرُورِ الظُّلُمَةِ وَاسْتِدْرَاجِهِمْ
١ يُورِجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا
٢ يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا
٣ بَلْ إِنَّ يَعِدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
إِلَّا غُرُورًا
٤ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ
٥ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ
٦ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ
- ٧ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا
٨ تَسْتَدْرِكُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
٩ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
فِي سُوءِ عَاقِبَةِ الظَّالِمِينَ وَالشَّامِتَةِ
بِمَا يَصِيدُهُمْ
١ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ
٢ انْقَلَبَ عَلَى عَقْبِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ
٣ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ
٤ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ
٥ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ
عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ
٧ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
٨ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهَ عَلَى مَا
أَنْفَقَ فِيهَا
فِي الْأَعْرَاضِ عَنِ الدَّعْوَةِ
١ وَإِذَا تُلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا

فِي التَّعْزِيَةِ وَتَهْوِينِ الْخُطْبِ

١ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

٢ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

٣ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

٤ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

٥ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

يُسْرًا

٦ وَلَا تَيَاسُؤُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

٧ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ

٨ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ

مِمَّا يَمْسُرُونَ

٩ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ

١٠ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا

فِي الْكَوْنِ وَالْمِيزَانِ

١ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَاءَ الْمُسْتَقِيمِ

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا

تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

٢ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا

عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ

كَانُوا لَمْ يَسْمَعُوا كَأَن فِي أذُنِهِ وَقُرْ

٢ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ

٣ ثُمَّ نَظَرُوا ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ

وَأَسْتَكْبَرَ

فِي التَّدْخُلِ فِي مَا لَا يَعْنِي وَالنَّهْيِ عَنْهُ

١ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

٢ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ

تَسْأَلُكُمْ

٣ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يُضَرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ

٤ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

٥ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

فِي الْكَرَمِ وَالْإِكْرَامِ وَالضِّيَافَةِ

١ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ

٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا

٣ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا

٤ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَاقْرَأُوا عِينًا

٥ وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمَ طَيْرٍ

مِمَّا يَشْتَهُونَ

٦ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ

- أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ
 ١ في النهي عن الرشوة
 وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
 ٢ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا
 ١ فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ
 ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
 ٣ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
 عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ
 ٤ فِي مَالِ الْيَتِيمِ وَمَتَاعِهِ
 ١ وَلَا تَقْرَبُوا مَالِ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ
 ٢ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ
 ١ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا
 ٣ إِنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا
 ٢ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
 وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا
 ٤ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
 ١ فِي صَاحِ الدِّينِ وَإِنْظَارِ الْمُعْسِرِ
 ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ
- إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ
 ٢ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى
 مَيْسَرَةٍ
 ١ فِي الْأَحْكَامِ وَالْحُكَّامِ
 ٢ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
 بِالْعَدْلِ
 ٣ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى
 ٤ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى الْآخَرِ
 تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
 ١ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا
 الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ٢ فِي إِتِهَامِ الْآبِرِيَاءِ
 ١ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ
 بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا
 مُبِينًا
 ٢ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا
 أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا
 بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
 ٣ إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالْسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ
 مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا

الناسَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ

٤ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هَالِكُ الْمُبْطُلُونَ

٥ الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ

٦ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ

٧ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ

لِلْحَقِّ كَارِهُونَ

٨ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

٩ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ

وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا

فِي أَداءِ الشَّهَادَةِ

١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ

أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ

٢ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ

٣ فَاذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا

عَلَيْهِمْ

٤ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا

٥ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ

وَلَا شَهِيدٌ

٦ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ

٧ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا

وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ

٤ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ

الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ

عَذَابٌ عَظِيمٌ

فِي الْمُسَاوَاةِ فِي الْحَقِّ وَالْمُعَاوَدَةِ

١ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ

٢ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ

ظُلُمًا وَعُلُوءًا

٣ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا

٤ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ

٦ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ

٧ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ

يَصْدِفُونَ

فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

١ لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

الْجَحْرِمُونَ

٢ أَلَا نَحْصَحَّصَ الْحَقَّ

٣ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ

في الخبر اليقين

في التَّحَدَّى وعدم المبالاة

- ١ ما زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى
- ٢ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ
- ٣ نَحْنُ نُقْصِصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
- ٤ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
- ٥ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

- ١ فَاَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ
- ٢ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا
- ٣ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ
- ٤ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
- ٥ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا

في الاستنكار والتعجب

في النجوى والمؤامرة

- ١ إِنِّي لَعَمْرُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ
- ٢ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا
- ٣ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا
- ٤ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا
- ٥ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ
- ٦ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ

- ١ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى
- ٢ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ
- ٣ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمُ وَنَجْوَاهُمْ

في الظن والشك

في المحاماة والدفاع عن الأئمة

- ١ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
- ٢ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
- ٣ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ
- ٤ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
- ٥ وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا
- ٦ إِنْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ

- ١ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
- ٢ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ
- ٣ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
- ٤ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ

في التَّوْبَةِ وَالتَّنْصِلِ

- ١٠ فلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقِيْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
- ٢ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

٣ فلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَوْقِفِ الظَّالِمَةِ وَالْمُجْرِمِينَ

أَمَامَ الْعَدَالَةِ

- ١ وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
- ٢ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ
- ٣ مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشَرَكَائُكُمْ
- ٤ خَذُوهُ فَعَلَّوْهُ
- ٥ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ
- ٦ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ
- ٧ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ

فِي حَبِيرةِ الْمُجْرِمِينَ وَإِشْفَاقِهِمْ

عند ظُهورِ الْحَقِّ

- ٦ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ

لَا يَتَسَاءَلُونَ

- ٢ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ
- ٣ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَقِينَ مِمَّا فِيهِ

فِي الْإِلْحَامِ وَالْإِلْزَامِ

- ١ إقرأ كتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
- ٢ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
- ٣ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

فِي الْيَأْسِ وَالتَّيْيِيسِ

- ١ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ
- ٢ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ
- ٣ إِصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
- ٤ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
- ٥ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ

فِي إِمْضَاءِ الْأَمْرِ

- ١ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

- ٢ وكان أمراً مقضياً
- ٣ إِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
- ٤ فافعلوا ما تؤمرون
- في حال الجرمين وهم يُعَذَّبُونَ
- ١ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا
- فيها
- ٢ لهم فيها زفيرٌ وشييقٌ
- ٣ يتجرعه ولا يكاد يسيغه
- ٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ
- في صفات الانسان الفطرية
- ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ
- ٢ وكان الانسان أكثر شيء جدلاً
- ٣ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
- ٤ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
- ٤ وخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا
- ٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِيَ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى
- ٦ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا
- الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا
- (٢١ - جوامع - ل)

٧ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

٥ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ

في الخوف

٦ ياليتها كانت القاضية

١ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

٧ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَمْدُطُّ لِسَانِي

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

في النفس الأمانة بالسوء

٣ لَوْ أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ

١ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا

فِرَارًا وَلَمُلِئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا

أصابتك من سيئة فمن نفسك

٤ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ

٢ وَمَا أُرِيءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ

٥ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً

بالسوء إلا ما رَحِمَ رَبِّي

٦ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ

في الخجل والاستحياء

يَطْفَى

١ فُجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْتَلِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ

٧ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذَّبُون

٢ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا

٨ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ

بُشِّرَ بِهِ

٩ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ

في النسيان

في التَّضَجُّرِ وَالتَّحَسُّرِ وَإِظْهَارِ الضَّعْفِ

١ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ

١ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا

فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا

٢ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا

٣ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ

٣ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

٤ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

مَنْسِيًّا

٥ وَإِذْ كَرَّرْنَا إِذَا نَسِيتَ

٤ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ

٦ سَنَفَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى

مُضِلٌّ مُبِينٌ

٧ لَا تَوَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ

في الرؤيا والآحلام

- ١ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
- ٢ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ
- ٣ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ
- ٤ أَنَا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
- ٥ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا

الفرح بزوال المكروه

- ١ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
- ٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ
- ٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
- ٤ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
- ٥ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
- ٦ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لِمِ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ
- ٧ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مِمَّا مَكْرُوا

في النعم والسرور والقصور

وما حوت

- ١ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ
- ٢ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا
- ٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ
- ٤ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ
- ٥ وَنَارٌ مِصْرُورَةٌ وَمِزْرَابٌ مِثْلُ ثَوْبٍ مَبْشُورٍ
- ٦ وَنَارٌ مِصْرُورَةٌ وَمِزْرَابٌ مِثْلُ ثَوْبٍ مَبْشُورٍ
- ٧ مُتَكِسِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ
- ٨ فِي الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالسُّفُنِ وَالْأَمْوَاجِ
- ٩ وَرِمَ الْجِبَالُ جُرَدًّا وَرِجَزٌ وَجَرَتْ
- ١٠ خُتُفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ
- ١١ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُزْسَاهَا
- ١٢ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ
- ١٣ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ

كثيرة ، لامقطوعة ولا ممنوعة
في التفكير والنظر والاستدلال

على الخالق

١ وما من دابة في الأرض ولا طائر
يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ
٢ وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي
تمرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

٣ وهو الذي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وهو أَهْوَنُ عَلَيْهِ

٤ ما خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْضَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ
٥ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ
من خلقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ

٦ وما خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ

٧ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

٨ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

٩ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

١٠ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ

من فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ
يَدَهُ لَمْ يَكُنْ بِرَأْيَا

٥ فَفَشَّيْتَهُمْ مِنَ النَّيْمِ مَا غَشَّيْتَهُمْ

٦ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ

٧ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ
كُلًّا عِلَامٌ

في الْمَطَرِ وَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَالرَّيْحِ

١ يَكَادُ سَابِقُهُ يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ

٢ هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا

٣ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

٤ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرَى بَيْنَ
يَدَيْ رَحْمَتِهِ

في الْبَسَاتِينِ وَالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

١ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا
تَذَلِيلًا

٢ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ

٣ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ وَظِلٍّ

مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ

- يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا
 ١١ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا
 آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
 لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا
 عدد السنين والحساب
 ١٢ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا
 عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت
 من كل زوج بهيج
 في العظة والعبرة
- ١ إن في ذلك لذكرى لمن كان له
 قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
 ٢ فاعتبرُوا يا أولي الأبصار
 ٣ ذلك ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا
 ٤ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن
 وإعية
 ٥ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى
 ٦ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار
 ٧ وما يدرك إلا أولوا الأبواب
 ٨ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي
 الأبواب
- فِي نِعَمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ
 ١ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
 ٢ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
 العسر
 ٣ وما من دابة في الأرض إلا على
 الله رزقها
 ٤ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
 ٦ وإن ربك لذو مغفرة للناس على
 ظلمهم
 ما استأثر الله بعلمه
 ١ إن الله عنده علم الساعة وينزل
 الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري
 نفس ماذا تكسب غداً وما تدري
 نفس بأي أرض تموت إن الله
 عليم خبير
 ٢ ويسألونك عن الروح قل الروح
 من أمر ربي
 في العمل لوجه الله لا جزاء الناس
 ١ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد
 منكم جزاء ولا شكوراً

- ٢ وما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
أُجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ٨ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ
وصف الدنيا وتحقير متاعها ٩ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ
١٠ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
١ قل متاع الدنيا قليل
٢ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو
٣ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور
في التحذير من النفس والشيطان
وغرور الدنيا
١ الشيطان يُعِدُّكُمْ لِلْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ
٢ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ
٣ فَلَا تَغْرُرْكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ
بِاللَّهِ الْغُرُورُ
في التسليم بقضائه تعالى وقدره
١ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا
٢ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْنَاهُ
٣ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
٤ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ
٥ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
٦ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
٨ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ
٩ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ
١٠ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
في التَّوَكُّلِ وَالْإِحْسَانِ
١ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا
٢ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ
٣ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ
٤ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ
٥ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
في الاعتماد على الله والتوكل
١ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
٢ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
٣ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
٤ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ
٥ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ
٦ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ
٧ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
في الموت وعدم تخلف الآجال
١ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

٢ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

في التوبة والإنابة

١ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ

٢ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ

السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ

٣ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ

ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا

في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى

١ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

٢ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً

طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ

٣ رَبَّنَا فَارْحِمْنَا أَلْنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

٤ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ

لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

٥ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ

لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

٦ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ

لِي أَمْرِي

في القرآن الكريم

١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

مِنْ مُدِّكَ

٢ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

٣ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ

٤ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

في الأنبياء والاستنباء

١ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ .

الذي هم فيه مُخْتَلِفُونَ

٢ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

٣ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ

٤ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا؟

٥ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ؟

في الكتب والكتابة والرِّسالة

١ إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ

٢ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ

- ٣ فيها كُتِبَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
- ٤ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً
- ١ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ
- ٢ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟
- ٣ أَزِفَتِ الْأَرْزَاقُ
- ٤ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
- ٥ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا
- ١ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ
- ٢ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا
- ٣ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ
- ٤ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
- ٥ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِيتَ الْعُنُكُوتُ
- ٦ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ
- ٧ فَهَلْهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ
- ٨ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا
- ١ فِي الْبَلَاءِ وَمَا يُصَابُ النَّاسُ بِهِ
- ١ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ
- ٢ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ
- ٣ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَ كُنُهِمْ
- ٤ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ
- ٥ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ
- ٦ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
- ٧ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ
- ١ فِي الْاِغْتِرَارِ بِالظُّوَاهِرِ
- ١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ
- ٢ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ
- ٢ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
- ٣ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ
- ٤ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى
- ٥ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ

في البشري والتهنئة

١ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ

٢ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ

٣ بُشْرُنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنْ

الْقَانِطِينَ

٤ وَبُشْرُوهُ بِغَلَامٍ عَلَيْهِم

مَا يُقَالُ عِنْدَ الظُّفْرِ بِالْحَاجَةِ

١ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي

٢ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

٣ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً

٤ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ

في الامتنان بالنعمة

١ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ

٢ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى

٣ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

٤ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ

٥ وَلَوْلَا أَنْ مَبْتَنَّاكَ لَفَدَاكِتَ تَرَكْنَا

إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا

في التحدث بالنعمة

١ وَبَرًّا بَوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا

شَقِيًّا

٢ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ

الْمُحْضَرِّينَ

وَأُمًّا بِنِعَةِ رَبِّكَ فَخَدْتُ

التَّآمِنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ

١ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ

٢ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

٣ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ

٤ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي

٥ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى

٦ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشْقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي

إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ

٧ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ

٨ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ

٩ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ

وَاللَّهُ مَعَكُمْ

أمرأ للبريل . (٥٦) بَكَانُ كَفَّ لَيْسَ فِيهَا سَاعِد . (٥٧) بَعْدَ الْبَلَاءِ يَكُونُ الشَّاءُ .
 (٥٨) أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ . (٥٩) أَبْطَلُ مِنْ مَادِرٍ . (٦٠) أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ . (٦١)
 أَبْصَرُ مِنْ غُرَابٍ . (٦٢) أَبْقَى مِنَ الدَّهْرِ . (٦٣) أَبْقَى مِنْ وَحْيٍ فِي حَجَرٍ . (٦٤) أَبِينُ
 مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ (٦٥) أَبْسَكَ مِنْ غُرَابٍ . (٦٦) تَرَكُ الذَّنْبُ أَيْسَرَ مِنْ طَلَبِ
 التَّوْبَةِ . (٦٧) تَجَوَّعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بَنَدِييَهَا . (٦٨) تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلَجَمًا .
 (٦٩) تَجَشَّأُ لُتْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَبَعٍ . (٧٠) تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ . (٧١) تَلْدَغُ
 الْعُقْرُبُ وَتَقْصِي . (٧٢) تَرَكَهُمْ فِي حَيْضَ بَيْضَ . (٧٣) تَطْلُبُ أُرْأً بَعْدَ عَيْنٍ .
 (٧٤) تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ خَيْرَ مَنْ أَنْ تَرَاهُ . (٧٥) اتَّخَذَ اللَّيْلُ جَمَلًا . (٧٦) تَرَى
 الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ . (٧٧) التَّثَبُّتُ نِصْفُ الْعَفْوِ . (٧٨) تُقَطِّعُ
 أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعِ . (٧٩) أَتَبِعُ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا . (٨٠) اتَّقِ شَرَّ مَنْ
 أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ . (٨١) تَضَرَّعْ إِلَى الطَّيِّبِ قَبْلَ أَنْ تَمْرُضَ . (٨٢) تَجْرِي الرِّيحُ
 بِمَا لَا تَشْتَبِيهِ السُّفُنُ . (٨٣) أَلْتَقْدِيرُ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ . (٨٤) التَّدْبِيرُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ .
 (٨٥) جَزَاءُ سِنَارٍ . (٨٦) جَعَّجَعَةً وَلَا أَرَى طَحْنًا . (٨٧) جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعَكَ .

(٥٥) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الفتي بل يظني فيه . (٥٦) يضرب فيمن له همة ولا قدرة له
 على بلوغ ما في نفسه . (٦٣) الوحى : الكتابة . (٦٧) أى لا تكون مرضعا . يضرب في
 سيانة الرجل نفسه عن خيس المكاسب . (٦٨) السلجم : اللنت . يضرب لمن يطالب شيئا فى
 غير موضعه . (٦٩) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك . (٧٠) يضرب لمن يظلم ويتظلم وصاءت
 العقرب : صوت . (٧٢) يضرب فيمن وقع فيما لا يخلص له منه . (٧٣) يضرب فيمن ترك الشيء
 ثم طلبه بعد ذهابه . (٧٤) يضرب فيمن منظره دون مخبره . (٧٥) أى أدى واجبه من
 العمل ليلا . (٧٦) يضرب لذى النظر لا خير فيه . (٨٥) يضرب في مقابلة الاحسان بالاساءة
 (٨٦) يضرب فيمن يعد ولا يقى . (٨٧) يضرب فيما ينبغي أن يعامل به اللئيم .

(٨٨) جَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيعَيْنِ . (٨٩) جَانِبَكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ . (٩٠) جَلِيسُ السُّوءِ كَالْقَيْنِ إِنْ لَمْ يُحْرِقْ تَوْبَكَ . دَخَنَهُ . (٩١) جَاءُوا عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ . (٩٢) أَجُودُ مِنْ حَاتِمٍ ، وَمَنْ كَتَبَ بِنِ مَامَةٍ . (٩٣) أَجْبَنُ مَنْ صَافِرٌ ، وَمَنْ نَعَامَةٌ . (٩٤) أَجْهَلُ مِنْ فِرَاشَةٍ . (٩٥) أَجْمَعُ مِنْ نَمْلَةٍ . (٩٦) حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . (٩٧) حَنْ قَدَحٍ لَيْسَ مِنْهَا . (٩٨) حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ . (٩٩) حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ . (١٠٠) حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ . (١٠١) الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ . (١٠٢) حَافِظٌ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . (١٠٣) أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ . (١٠٤) الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . (١٠٥) الْحُبَّارَى خَالَةُ الْكَرَّوَانِ . (١٠٦) الْحَاجَةُ تَفْتُقُ الْحِيلَةَ . (١٠٧) أَحْمَقُ مِنْ هَبْنَقَةٍ وَمِنْ جُجَا . (١٠٨) أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ . (١٠٩) أَحْكَمُ مِنَ الْقِمَانِ . (١١٠) أَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ ، وَمِنْ ذَيْبٍ ، وَمِنْ ظَلِيمٍ . (١١١) أَحْفَظُ مِنَ الشَّعْبِيِّ . (١١٢) خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ . (١١٣) خَالَفَ تَذُكْرَ . (١١٤) خَرَقَاءُ وَجَدَتْ صُوفًا . (١١٥) خَيْرُ الْمَالِ عَيْنُ خَرَّارَةٍ فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ . (١١٦) أُخْطِبُ مِنْ سَحْبَانٍ ، وَمِنْ قُوسٍ . (١١٧) أَخَوْنُ مِنْ ذَيْبٍ . (١١٨) دُونَ ذَا وَيَنْفَقُ الْحِمَارُ . (١١٩) أَذْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وَمِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ .

(٨٨) يضرب في تفاقم الأمر . (٨٩) أي لاتزر وازرة وزر أخرى . (٩٠) القين : الحداد (٩١) أي جاءوا جميعا . (٩٢) الصافر من الطيور بفاثها وضعافها . (٩٦) الجريض : النصة . والقريس : الشعر . يضرب في الأمر يقيسر حين لا ينفع . (٩٧) يصرب في الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه .

(٩٨) يضرب في المقالة السيئة وما ينجش منها . (١٠١) الشجون : الفنون . يضرب في الحديث يتذكر به غيره . (١٠٣) يضرب في الجمع بين خصلتين مكروهتين . (١٠٥) يضرب في مناسبة أحد الشئيين للآخر . (١١٠) الظليم : ذكر النعام .

(١١٢) جذع ! اسم رجل . يضرب في اغتنام ما يحود به البخيل . (١١٤) الخرقاء : التي لا تحسن العمل . يضرب لمن يفسد ماله بسوء تصرفه . (١١٥) الخوارة : الأرض التي فيها لين وسهولة . (١١٨) يضرب في المبالغة في المدح فغير احتياج إليها .

(١٢٠) ذَهَبُوا أَيَدِي سَبَا . (١٢١) الذَّئْبُ خَالِيًا أَسَدُ . (١٢٢) ذَكَّرْتَنِي الطَّنَّ وَكُنْتُ نَاسِيًا . (١٢٣) رَمَتْنِي بِدَائِمِهَا وَانْسَلَّتْ . (١٢٤) رَمَاهُ اللَّهُ بِثَالِثَةِ الْأَثْنِافِي . (١٢٥) رُبَّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ . (١٢٦) رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَكِلْهُ أُمِّكَ . (١٢٧) رَجَعَ بِخَفِيٍّ حَنِينٍ . (١٢٨) رُبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ : (١٢٩) الرَّأْوِيَةُ أَحَدُ الشَّامَيْنِ . (١٣٠) رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً . (١٣١) رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ . (١٣٢) رُبَّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهُ . (١٣٣) أَرَوَى مِنْ ضَبٍّ . (١٣٤) أَرَقَّ مِنَ النَّسِيمِ وَمِنْ رُقْرُقِ السَّرَّابِ ، وَمِنْ غِرْقِي الْبَيْضِ . (١٣٥) الزَّيْتُ فِي الْعَجِينِ لَا يَضِيعُ . (١٣٦) زَكَاةُ النُّعْمِ الْمَعْرُوفُ . (١٣٧) أَزْكَى مِنْ إِيَّاسٍ . (١٣٨) أَزْهَى مِنْ طَاوُسٍ . (١٣٩) سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ . (١٤٠) أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً . (١٤١) سَكَتَ أَلْفًا وَلَفَّظَ خَلْفًا ، (١٤٢) سُرق السَّارِقُ فَانْتَحَرَ . (١٤٣) السَّلِيمُ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ . (١٤٤) سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ . (١٤٥) شَرُّ الرَّأْيِ الدَّهْرِيُّ . (١٤٦) شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي الْأَرْضِ . (١٤٧) شِنْشِنَةٌ أَعْرَفُهَا

(١٢٠) أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه كما تفرقت سبأ . (١٢٢) يضرب في تذكر الشيء بنيره . (١٢٣) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هو فيه . (١٢٤) الأثْنِافِي : جمع أثنية وهي الحجر توضع عليه القدر وهما اثنتان وثالثتهما الجبل والمراد بها الداهية العظيمة . (١٢٥) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به . (١٢٧) يضرب في الحيلة . (١٢٩) هذا كقولنا شتتك من بلغك . (١٣٢) تزعم العرب أن الذب لا يحتاج إلى شرب الماء بل يفتح فاه للهواء فيكون في ذلك ريه . (١٣٤) الفرقي القشرة الرقيقة الملتزمة ببياض البيضة (١٢٥) يضرب في الاحسان إلى الأقارب . (١٣٨) الزهو العجب . (١٣٩) يضرب في الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه .

(١٤١) الخلف : الردى من القول . (١٤٢) يضرب لمن ينتزع من يده ما ليس له فيجزع عليه . (١٤٣) السليم : المدوغ . يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره . (١٤٥) الدهري : يسبح بعد فوات الفرصة . (١٤٦) الشخب : ماخرج من الضرع ممتدا من اللين . يضرب فيمن يصيب مره ويخطئ أخرى . (١٤٧) الشنشة الطيبة والمادة يضرب في مشابهة الفرع لأصله في الشر .

أَعْجَزُ مَنْ قَتَلَ الدُّخَانَ . (١٨٠) غَدَّةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُولِيَّةَ .
 (١٨١) غَنَّاكَ خَيْرٌ مِنْ سَمَيْنٍ غَيْرِكَ . (١٨٢) فِي الصَّيْفِ ضَمِيتِ اللَّيْنِ .
 (١٨٣) فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ . (١٨٤) فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَأَسْتَمَجَدَ الْمَرْخَ وَالْعَفَّارَ .
 (١٨٥) أَفْرَسُ مِنْ بَسْطَامَ . (١٨٦) أَفَنَّاكَ مِنْ عَمْرُو بْنِ كَلْثُومَ . (١٨٧) قَطَعْتَ
 جَهِيْزَةَ قَوْلِ كُلِّ خَطِيْبٍ . (١٨٨) قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا . (١٨٩) قَبْلَ
 الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكِنَائِنُ . (١٩٠) أَقْتُلُونِي وَمَالِكَا . (١٩١) الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَدَّامُ .
 (١٩٢) كَانَ كُرَاعَا فَصَارَ ذِرَاعَا . (١٩٣) كَلَامٌ كَالْعَسَلِ ، وَفَعْلٌ كَالْأَسَلِ . (١٩٤)
 كُلُّ فِتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ . (١٩٥) كَطَالِبِ الْقَرْنِ جُدِعَتْ أُذُنُهُ (١٩٦) كَمُجِيرِ
 أُمِّ عَامِرَ . (١٩٧) كَيْفَ أَعَاودُكَ وَهَذَا أَثْرُفَاسُكَ . (١٩٨) كَانَ عَلَى رِءُوسِهِمْ
 الطَّيْرَ . (١٩٩) كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ . (٢٠٠) لَوْدَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي .
 (٢٠١) لَوْ خَيْرْتُ لَأَخَرْتُ . (٢٠٢) لَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَيَلًا لَنَامَ . (٢٠٣) لَعَلَّ لَهُ عُدْرًا
 وَأَنْتَ تَكُلُومُ . (٢٠٤) لِأَمْرِ مَا جُدِعَ قَصِيرٌ أَنْفُهُ . (٢٠٥) لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالُ .

(١٨٠) سلول قبيلة ذليلة . يضرب في اجتماع خصلتين من الشر . (١٨٢) يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه (١٨٤) المرخ والعفار : شجران قويا النار . يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض . (١٨٧) يضرب لمن يقطع عمل الناس ما هم فيه بحسافة يأتي بها . (١٨٨) القارة : قبيلة من أبرع الناس في المراماة . (١٨٩) يضرب في الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه . (١٩٠) يضرب فيمن يريد بصاحبه المكروه وإن ناله هو منه ضرر . (١٩٢) يضرب في الدليل يصبح عزيزاً . (١٩٣) الأسل : الرماح . (١٩٤) يضرب في إعجاب الرجل برمطه وعشيرته ، (١٩٥) أصل المثل في النعام . ويضرب في طلب الأمر ينفض بصاحبه إلى التلف .

(١٩٦) أم عامر : الضبع وقد أكلت من أجارها . يضرب في الذي يجزى على إحسانه بالسوء . (١٩٧) يضرب فيمن لا يفي بالعهد . (٢٠٠) يضرب في الوضع يقع منه العدوان . (٢٠٢) يضرب فيمن حمل على المكروه من غير إرادته .

(٢٠٦) لَا تَخْبَأُ لِعَظْمٍ بَعْدَ عَرُوسٍ. (٢٠٧) لَا تَعْدَمِ الْحَسَنَاءُ أَمَّا. (٢٠٨) لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ. (٢٠٩) لَا تَأَقِصْ فِيهَا وَلَا جَمَلِي، (٢١٠) لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ. (٢١١) لَا يَفْلُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ. (٢١٢) لَا تَأْمَنِ الْأَحَقَّ وَبِيَدِهِ سَكِينُ. (٢١٣) لَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا. (٢١٤) مَا وَرَاءَكَ يَاعِصَامُ. (٢١٥) مَا يَوْمُ حَكِيمَةٍ بِسِرٍّ. (٢١٦) مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ. (٢١٧) مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ. (٢١٨) مَا كُلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ. (٢١٩) مِنْكَ أَنْفُكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ. (٢٢٠) مَنْ اسْتَرَعَى الذَّئْبَ ظَلَمَ. (٢٢١) مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِيرُ. (٢٢٢) مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ. (٢٢٣) مُكْرَهُهُ أَخُوكَ لَا بَاطِلَ. (٢٢٤) أَمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ. (٢٢٥) نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَّتْ عِصَامًا. (٢٢٦) نَعِيمُ كَلْبٍ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ. (٢٢٧) أَنْدُمَ مِنَ الْكُسْعَى. (٢٢٨) وَافَقَ شَنْ طَبَقَةٍ. (٢٢٩) أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ. (٢٣٠) أَوْفَى مِنَ السَّمْوَلِ، وَمَنْ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ. (٢٣١) هُمَا كَفَرَسَى رِهَانُ. (٢٣٢) يَدَاكَ أَوْ كُنَّا وَفُوكَ نَفَخَ. (٢٣٣) الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ.

(٢٠٦) يضرب فيمن لا يدخر عنه نفيس . (٢٠٧) يضرب في الشيء الحسن لا يخلو من عيب . (٢٠٨) يضرب لمن يتعجل في مدح الشيء قبل تمام معرفته . (٢١٠) يضرب في الوضيع ليس فيه شيء من خلال الشرف . (٢١٢) يضرب في عسف الجاهل اذا قدر . (٢١٥) حليمة بنت ملك غسان . يضرب للأمر المشهور الذي لا يكاد يجهل . (٢١٧) السعدان : نبت من أنفع الاعشاب للابل . يضرب في الشيء يفضل على أشكاله وأقرانه . (٢١٩) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره . (٢٢٣) يضرب فيمن يعمل على ما ليس من شأنه . (٢٢٥) يضرب في سؤدد الرجل بنفسه . (٢٢٦) يضرب في التابع - كالخادم يشغل سادته بمصيبة يفتنم ما قدر عليه من أموره . (٢٢٨) يضرب في تمام المشاكلة والاتفاق . (٢٢٩) يضرب لمقصر في الامر . (٢٢٢) يضرب لمن يجنى على نفسه . (٢٣٣) يضرب في قلب الأيام . (٢٢) - جواهر - ل)

﴿ الفن الرابع في الأوصاف ﴾

الوصف^(١) عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته المُمثلة له ، وأصوله ثلاثة .

« الأول » أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه

« الثانى » أن يكون ذا طلاوة وروثق

« الثالث » أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ، ويكتفى بما كان مناسباً للحال - وأنواعه كثيرة ، ولكنها ترجع إلى قسمين : وهما وصف الأشياء ووصف الأشخاص - أمّا الأشياء الحرّية بالوصف فهي كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة .

وأما وصف الأشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفها معاً ولذا كرك لك فترأ جارية على ألسنة البلغاء في صفات شتى - ثم تُتبعها بمقالات في الوصف نثراً ونظماً

﴿ وَصْفُ الْبُلْدَانِ ﴾

بلدة كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة في عرض الأرض ، بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة ومحصورة في نواحيها ، بلدة تُرابها عنب ، وحصبأؤها عقيق ، وهواؤها نسيم ، وماؤها رحيق ، بلدة معشوقة السكنى ، رجة المئوى^(٢) كوكبها يقظان ، وجوها عريان ، يومها غداة ، وليلها سحر ، بلدة واسعة الرقعة

(١) احسن طريقة للإجادة في الوصف أن ترسم أولاً في بدء وصفك فظراً طاماً جامعاً للمجلد الامر الذى تحاول وصفه ثم تأخذ بأيراد مختلف الاجزاء قمياً فقسياً وذلك اما على تتابع وودود هذه الأجزاء تماماً بتقديم أهم الاجزاء ، أو إشاراً ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته

طَيِّبَةُ الْبُقْعَةِ ، وَاسِطَةُ الْبِلَادِ وَسُرَّتُهَا ، وَوَجْهُهَا وَغُرَّتُهَا .

﴿ وصف القلاع ﴾

قَلْعَةٌ حَلَقَتْ ^(١) بِالْجَوِّ تُنَاجِي السَّمَاءَ بِأَسْرَارِهَا ، قَلْعَةٌ تَتَوَشَّحُ بِالْغُيُومِ ، وَتَجْتَلِي النُّجُومَ ، قَلْعَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْحَصَانَةِ ، مُتَمَتِّعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ ، مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَاقِ الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ ، لَمْ تَزِدْهَا الْأَيَّامُ إِلَّا نُبُوًّا ^(٢) أَعْطَافَ ، وَاسْتِصْغَابَ جَوَانِبِ وَأَطْرَافِ ، قَدْ مَلَّ الْمُلُوكُ حِصَارَهَا ، فَفَارَقُوا هَا عِنَ طِمَاحِ ^(٣) مِنْهَا وَشِمَاسِ ^(٤) ، وَسَمِعَتِ الْجِيُوشَ ظِلْمَهَا ، فَغَادَرَتْهَا ^(٥) بَعْدَ قُنُوطِ وَيَاسَ ، فَهِيَ حَتَّى لَا يُرَاعَ ^(٦) وَمَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ ، كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَاحَتْهَا عَلَى الْإِعْقَاءِ مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَالْيَلَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ ^(٧)

﴿ وَصَفُ الدُّوَرِ ﴾

دَارٌ قَرَارٌ تَوْسِعُ الْعَيْنُ قُوَّةَ ، وَالنَّفْسُ مَسَرَّةَ ، كَأَنَّ بَانِيهَا اسْتَسَلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ ، دَارٌ تَخْلُ مِنْهَا الدُّوَرُ ، وَتَقْصُرُ عَنْهَا الْقُصُورُ ، دَارٌ قَدْ اقْتَرَنَ الْيَمْنُ ^(٨) بِيَمْنَاهَا ، وَالْيُسْرُ بِيُسْرَاهَا ، الْجِسْمُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ ، وَالْعُونُ عَلَى سَفَرٍ ، دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا ، وَفَازَ بِالْحُسْنِ سَهْمُهَا ، يَخْدِمُهَا الدَّهْرُ ، وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ ، وَيَكْنُفُهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ النَّوَاطِرِ ، وَمُنْتَقَسُ الْخَوَاطِرِ ، أَخَذَتْ أَدَوَاتِ الْجِنَانِ ، وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبْقَرِيِّ ^(٩) الْحَسَانِ

﴿ وصف الديار الخالية ﴾

دَارٌ لَبَسَتْ الْبِلَى . وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحُلَى ، صَارَتْ مِنْ أَهْلِهَا خَالِيَةً ، بَعْدَ مَا

(١) ارتفعت (٢) بعدا (٣) كبر وفخر (٤) اباء وامتناع (٥) تركتها (٦) لا يفرح ولا يخاف فيها أحد (٧) الحوادث والنوائب (٨) البركة (٩) البسط المعجب شكلها

كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً ، قَدْ أَنْفَدَ الْبَيْنَ سُكَّانَهَا ، وَأَقْعَدَ حِيطَانَهَا ، دَارُ شَاهِدِ الْيَأْسِ
مِنْهَا يُنْطَقُ ، وَحَبْلُ الرِّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ ، كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطْوَى ، وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَرْكَانَهَا قِيَامٌ وَقُعُودٌ ، وَحِيطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَاذِعِينَ أَلُومُ
أُمُتْعَبَرًا يَبْكِي عَلَى اللَّهِ وَالْبَلَى أَمْ آخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فَيَهِيمُ

﴿وصف أيام الربيع﴾

يَوْمٌ جَلَابِيبُ غُيُومِهِ رَوَاقٌ ^(١) وَأَوْدِيَّةُ نَسِيمِهِ رَقَاقٌ ، يَوْمٌ سَمَؤُهُ فَاحِشِيَّةٌ
وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ ، يَوْمٌ مُسَكَّ السَّمَاءِ ، مُعْصَفَرُ الْهَوَاءِ ، مُعْذِرُ الرُّوضِ مُصْنَدُ الْمَاءِ
يَوْمٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ ، وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوضُ الْعَرِيعُ ، يَوْمٌ كَانَ سَمَاءُهُ مُجِدِّ تَبَاكِي
وَأَرْضُهُ عَرُوسٌ تَتَجَلَّى ، يَوْمٌ دُجْنُهُ ^(٢) عَاكِفٌ ، وَقَطْرُهُ وَاكِفٌ ^(٣)

﴿وصف الرياض﴾

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا ، وَتَأَنَّقَى وَاشْبَهَا ^(٤) ، رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنْظَّمَةِ ، عَلَى
الْبُرُودِ الْمُنْمِنَةِ ، رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا أَكْفُ الْمَطَرِ ، وَدَبَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى ، رِياضٌ
كَالْعُرَائِسِ فِي حُلِيِّهَا وَزَخَافِهَا ، وَالْقِيَانِ ^(٥) فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا ^(٦) ، بِاسْطَةِ زَرَائِبِهَا
وَأَنْمَاطِهَا ، نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطِهَا ، زَاهِيَةٌ بِحُمْرِهَا وَصَفْرَائِهَا ، تَأْبَهُ بِغَيْدَانِهَا
وَعُذْرَانِهَا ، كَأَنَّمَا احْتَفَلَتْ لَوْفَدٍ ، أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ ، رَوْضَةٌ قَدْ تَضَوَّعَتْ ^(٧)
بِالْأَرْجِ ^(٨) الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا ، وَتَبَرَّجَتْ ^(٩) فِي ظُلْلِ الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا ، وَتَنَافَخَتْ

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض (٢) الغيم (٣) سائل
(٤) حائِكُهَا وَنَاقِشُهَا (٥) جمع قَيْنِ الْمَغْنِيَةِ (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه أعلام
والزواجر البسط والأنماط الاثواب التي تطرح على الهوادج ، والرياط الاثواب الرقاق (٧) تحركت
(٨) نفحة الريح الطيب (٩) تزيت

بنوافح المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب النطق أطيَارُها ، بُستانٌ أنهاره
محفوظة بالأزهار ، وأشجاره موقرةٌ بالثمار ، أشجارٌ كأنَّ الحورَ أعارَها قُدودَها
وكستَها بُردَها ، وحملتَها عقودَها ، شقائقُ كَتيجانِ العقيقِ على رؤوسِ الزُّنوجِ
كأنَّها أصدَاغُ المسكِ على الوجناتِ الموردة ، كأنَّ الشقيقِ جَامٌ ^(١) من
عقيقِ أحمر ، ملئتْ قَراراتُه بمسكِ أذفر ، الأرضُ زمُرُدة ، والأشجارُ وشىٌ
والماءُ سُيوفٌ ،

والطيورُ قِيَانٌ ^(٢) قدْ غرَدتْ خطباءُ الأَطْيَارِ على منابرِ الأنوارِ والأزهارِ

(وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر)

ليلةٌ قصَّ جَناحُها ، وضلَّ صَباحُها ، ليلٌ ليست لها أسحارٌ ، وظلماتٌ لا
يتخلَّلُها أنوار ، ليلٌ ثابتٌ الأطناب ، ^(٣) بطيئُ الغوارب ، طامِحُ الأمواجِ
وَأفَى الذَّوَابِ ، باتَ بلبلةٍ ساورةٍ ^(٤) فيها الهموم ، وسامرته النجوم ، واكتحلَ
الشَّهاد ، وافتَرَشَ القَتَاد ، واكتحلَ بماءِ السَّهر ، وتاملَ على فراشِ الفكر ، قد أقصَّ
مهاده ^(٥) وقلِقَ وساده ، هُمومٌ تفرِّقُ بينَ الجنبِ والمهاد ، وتجمعُ بينَ العينِ والشَّهاد

(وصف انتصاف الليل وتناهيهِ وانتشار النور وأفول النجوم)

قد اكتمَلَ ^(٦) الظَّلام ، قدْ نَصَفْنَا عُمَرَ اللَّيْلِ واستغرَقنا شَبَابَهُ ، قد شابَ
رأسُ اللَّيْلِ ، كَادَ يَنِمُ النَّسيمُ بالسَّحر . قد انكشَفَ غِطاءُ اللَّيْلِ وسترُ الدُّجَى .
هَرَمَ اللَّيْلُ ، وشَمِطَتْ ذَوَائِبُهُ ، قَوَّضَتْ ^(٧) خِيَامُ اللَّيْلِ . وخلَعَ الأفقُ ثوبَ الدُّجَى
تبسَّمَ الفجرُ ضاحكاً من شرِّقه ، ونَصَبَ أعلامَه على منازلِ ألقه . اقتنصَ

(١) اناء (٢) مغنيات (٣) جبال الحيمة (٤) شغلته وقاومته (٥) خشن وترب (٦) صار كهلاً

تشبهاً بالرجل الكهل وهو من جاوز الأربعين سنة (٧) هدمت

بَازَى الضَّوُّ غُرَابَ الظَّلَامِ ، وَفَضَّ كَافُورَ النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مِسْكَ الْخِتَامِ . طُرَزَ قَمِصُ اللَّيْلِ بُغْرَةَ الصُّبْحِ ، بَاحَ الصَّبَّاحُ بَسِيرَهُ . خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ ، وَحَدَرَ (١) الصَّبَّاحُ نِقَابَهُ . بَثَّ الصُّبْحُ طَلَاءَهُ . تَبَرَّقَعَ اللَّيْلُ بُغْرَةَ الصُّبْحِ . أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ . عَزَلَتْ نَوَافِجُ اللَّيْلِ بِجَامَاتِ الْكَافُورِ . وَانْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ . مَالَتْ الْجُوزَاءُ (٢) لِلْغُرُوبِ ، وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكُوَاكِبِ وَتَنَائَرَتْ عَقُودُ النُّجُومِ ، وَوَهَى نِطَاقُ الْجُوزَاءِ ، وَانْطَفَأَ قِنْدِيلُ الثُّرَيَّا .

﴿ وصف طلوع الشمس وغروبها ﴾

بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ . أَلْقَتْ الْغَزَالَةُ (٣) لُعَابَهَا . وَضَرَبَتْ الضُّحَى (٤) أَطْنَابَهَا . انْتَشَرَ جَنَاحُ الضَّوِّ ، فِي أَفْقِ الْجَوِّ . اسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ عَلَى رَوْنَقِ الضُّحَى . بَلَغَتْ الشَّمْسُ كِبَدَ السَّمَاءِ . قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَمْرَاتِ الظُّهْرِ . اصْفَرَّتْ غِلَالَةُ (٥) الشَّمْسِ ، وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ يَلْمَعُ فِي قَرَارِ الْمَاءِ فَفَضَّتْ تَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ ، وَشَدَّتْ رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ ، جَنَحَتْ الشَّمْسُ إِلَى مِفَارِهَا دَلَكْتُ (٦) دَلُوحَ (٧) وَأَغْبَرَتْ لَوْحَ الْوُحِ (٨) تَصَوَّبَتْ الشَّمْسُ لِلْمَيْمِ ، تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ ، فَأَذَنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ (٩) شَابَ النَّهَارُ وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ ، اسْتَرَّ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالنُّقَابِ ، وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، كَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَقِ إِلَى مَجْمَعِ الْغَسَقِ .

(١) أُنْزِلَ (٢) بَرَجٌ فِي السَّمَاءِ (٣) الشَّمْسُ (٤) الضُّحَى جَمْعُ ضُحًى ، مُؤَنَّثٌ وَالضُّحَا تَذَكُّرٌ عَلَى أَنَّهَا إِمْرَأَةٌ (٥) الثُّوبُ الرَّقِيقُ (٦) غَرَبَتْ (٧) السَّحَابَةُ . وَلَوْحٌ صَفْحَةٌ . وَالْوُحُ اللَّحْمُ وَاللِّمَامُ ، مِنْ لَاحٍ يَلُوحُ لَوْحًا (٨) وَجِبَتْ الشَّمْسُ وَجِيبًا وَوُجُوبًا غَابَتْ

﴿ وصف الرعد والبرق ﴾

قامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ ، نَبَضَ ^(١) عَرَقُ الْبَرْقِ ، سَحَابَةُ ارْتَجِزَتْ ^(٢) رُعودُهَا
وَذَهَبَتْ بِرُؤُوسِهَا بِرُؤُوسِهَا ، نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ ، وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ ، فَالرَّعْدُ ذُو
صَخَبٍ ^(٣) وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ ، انْبَسَمَ الْبَرْقُ عَنْ قَهْقَهَةِ الرَّعْدِ . زَارَتْ أَسُودَ الرَّعْدِ
وَلَمَعَتْ سُيُوفُ الْبَرْقِ . رَعَدَتِ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ ، وَانْحَلَّتْ عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَقَتْ
هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا ، وَقَرُبَتْ أَبَاعِدُهَا ، وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا .

﴿ وصف مقدمات المطر ﴾

لَبِستِ السَّمَاءُ سِرْبَهَا ، وَسَجَبَتِ السَّحَابُ أَذْيَالُهَا . قَدْ احْتَجَبَتِ السَّمَاءُ فِي
سُرَادِقِ الْغَيْمِ . لَبَسَ الْجَوُّ مِطْرَفَهُ ^(٤) الْأَدَكْنِ ^(٥) بَاَحَتِ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى
ضَرَبَتْ خِيَمَةَ الْغَمَامِ ، ابْتَلَّ جَنَاحَ الْهَوَاءِ ، وَاغْرُورِقَتْ مُقَلَّةُ السَّمَاءِ . هَبَّتْ شَمَائِلُ
الْجَنَائِبِ ، لِتَأْلِيفِ شَمْلِ السَّحَابِ . تَأَلَّفَتْ أَشْتَاتُ الْغَيُومِ ، وَأُسْبِلَتْ السُّتُورُ
عَلَى النُّجُومِ

﴿ وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء ﴾

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ ، وَأَلْقَى أُرُوَاقَهُ ^(٦) وَحَلَّ نَظَاقَهُ ، أَنَاخَ بَنُو أَرْزِلِهِ ، وَأَرَسَى بِكَلاَ كُلِّهِ
وَكَلَّحَ بَوَاجِهُ ، وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ . قَدْ عَادَتِ الْجِبَالُ شَيْبًا ، وَلَبِستِ مِنَ الثَّلُوجِ مَلَاءً
قَشِيًّا ^(٧) شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ بِتَرَائِكُمِ الثَّلُوجِ ، أَلَمَ الشَّيْبُ بِهَا ، وَأَبْيَضَتْ لِمُهَا ^(٨)
يَرْدُ يُضْقِضُ ^(٩) الْأَعْضَاءَ ، وَيَنْقُضُ الْأَحْشَاءَ ، يَرْدُ يُجَمِّدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ
وَالْدَمْعَ فِي الْأَمَاقِ ، يَوْمَ كَانَ الْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ . يَوْمَ فِضَى الْجِلْبَابِ ، وَسَكَى

(١) محرك (٢) الرجز ضرب من الشعر ويقال رجز الراجز وارتجز أيضا (٣) كثير
اللفظ والجلبة (٤) رداء من خز مربع ذو أعلام (٥) المائل الى السواد (٦) جمع روق وهو
والرواق بمعنى (٧) جديدا (٨) جمع لمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن (٩) يكسر ويضعف

النَّقَابُ، عَبُوسٌ قَمَطِرٌ^(١)، كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمَّهْرِيرِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالْقَوَارِيرِ.^(٢)
يَوْمَ أَرْضُهُ كَالْقَوَارِيرِ اللَّامِيعَةِ، وَهُوَ أَوْهُ كَالزَّنَابِيرِ اللَّاسِعَةِ.

(وصف المطر والسحاب والماء والغدران)

مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ، حَكَى^(٣) سَلَاسِلَ الْفِضَّةِ. غَدِيرٌ تَرَقَّرَتْ^(٤)
فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَائِبِ، انْجَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ
وَانْهَلَّ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ^(٥) انْجَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ، عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ. سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنْ الْغُيُومِ
جَمَالًا، وَتَمُدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ جِبَالًا، سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ مُوَاجًا، وَالْأَمْوَاجُ
أَفْوَاجًا، سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بَكَائِهَا الرُّوضُ. وَتَخْضَرُّ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ.
سَحَابَةٌ لَا تَجِفُّ جَفُونُهَا، وَلَا يَخْفُ أَنْيُنُهَا، دِيمَةٌ^(٦) رَوَّتْ أَدِيمَ^(٧) الثَّرَى^(٨)
وَنَهَتْ عُيُونَ النُّورِ مِنَ الْكَرَى^(٩). سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيحِ، وَسَحَّتْ
كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ. مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقِرَبِ.

﴿وصف القيظ وشدة الحر﴾

حَرٌّ يُشْبِهُ قَلْبَ الصَّبِّ، وَيُذِيبُ دِمَاجَ الضَّبِّ^(١٠). قَوِيٌّ سُلْطَانُ الْحَرِّ، وَبُسِطَ
بَسَاطُ الْجَمْرِ، أَوْقَدَتِ الشَّمْسُ نَارَهَا، وَأَذْكَتْ^(١١) أَوَارَهَا^(١٢). حَرٌّ يُلْفَحُ حَرٌّ
الْوُجْهَ. هَاجِرَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ، إِذَا اشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ، هَاجِرَةٌ
تَحْكِي نَارَ الْهَجْرِ، وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ. حَرٌّ يَهْرُبُ لَهُ الْحِرْبَاءُ^(١٣) مِنَ الشَّمْسِ
قَدْ صَهَرَتْ^(١٤) الْمَاجِرَةُ الْأَبْدَانِ، وَرَكِبَتْ الْجَنَادِبُ^(١٥) الْعِيدَانَ. حَرٌّ يُضْجِعُ

(١) شديد مظلم (٢) جمع فارورة الاناء من الزجاج (٣) شابه (٤) تحركت (٥) جمع نوء
المطر (٦) المطر بلا رعد (٧) وجه الارض (٨) التراب (٩) النوم (١٠) حيوان يرى
لا يعيش الا في الجبال الشديدة الحر (١١) اوقدت (١٢) نارها (١٣) حيوان يستقبل الشمس
ويدور معها كيفما دارت ويتلون الوانها بجر الشمس (١٤) اذا بت (١٥) الجراد

الْجُلُودَ ، وَيَذِيبُ الْجُلُودَ ، أَيَّامَ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ امْتِدَادًا ، وَحَرَّ كَحَرِّ الْوَجْهِ اسْتِدَادًا
هَاجِرَةً ^(١) كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ ، يَجْرُ أَذْيَالُ السَّهَامِ ^(٢)

﴿ وصف الشيب ﴾

ذَوَى ^(٣) غَصْنُ شَبَابِهِ ، بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ . أَقْرَ لَيْلُ شَبَابِهِ
ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَمَرِ ، وَأَوْمَضَ ^(٤) الْبَرْقُ فِي لَيْلِ الشَّعْرِ . رُمِيَ فَاحِمُ الْفُؤَادِ ^(٥) بِضِدِّهِ
وَأَشْتَغَلَ الْمَبِیضُ فِي مُسَوَّدِهِ . لَمَعَ ضَوْؤُهُ فَرَعُهُ ، وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ ، علاهُ غُبَارُ وَقَائِعِ
الدَّهْرِ . بَيْنَمَا هُوَ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، أَيْقَظُهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ . طَوَى مَرَاكِـ
لِ الشَّبَابِ ، وَأَنْفَقَ عُمُرَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَاكِـ
لِ الشَّيْبِ مَنَاهِلَ . فَلَّ ^(٦) الدَّهْرُ شَبَابَهُ . وَمَحَا مُحَاسِنَ رُؤَايَاهُ ، طَارَ غُرَابُ شَبَابِهِ
انْتَهَى شَبَابُهُ ، وَشَابَ أَتْرَابُهُ . اسْتَبَدَلَ بِالْأَدَمِ ^(٧) الْأَبْلَقَ ^(٨) ، وَبِالْغُرَابِ الْعَقَّاقَ ^(٩)
اسْتَعَاضَ ^(١٠) مِنَ الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ ، أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ . عَلَتْهُ أَهْبَةُ
الْكَبِيرِ . نَفَضَ جُبَّةَ الصَّبَا ، وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ الْحِجَا ^(١١) ، الشَّيْبُ زُبْدَةٌ مَخْفَضَتُهَا الْأَيَّامُ
وَفِضَّةٌ مَحْصَصُهَا التَّجَارِبُ . سَرَى فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ بِمَصْبَاحِ الشَّيْبِ ، الشَّيْبُ خِطَامُ
الْمَنِيَّةِ . الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ .

﴿ وصف آلات الكتابة ﴾

لَا يَرُدُّ غَيْرَ الْأَفْهَامِ ، وَلَا يُنْتَجُ ^(١) بِغَيْرِ أَرْشِيَّةٍ ^(٢) الْأَقْلَامِ ، غَدِيرٌ تَفِيضٌ يُنَابِيعُ
الْحِكْمَةِ مِنْ أَقْطَارِهِ ، وَتَنْشَأُ سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ

مِدَادٌ كَسَوَادِ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ ، وَجَنَاحُ الْغُرَابِ ، وَلُعَابِ اللَّيْلِ ، وَالْوَانَ
دُهُمِ الْخَلِيلِ . مِدَادٌ نَاسَبَ خَافِيَةِ الْغُرَابِ ، وَاسْتَعَارَ لَوْنَهُ مِنْ شَرْخِ ^(٣) الشَّبَابِ .
أَقْلَامٌ جَمَّةٌ الْحَاسَنِ ، بِعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعِنِ . أَنَابِيْبٌ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي
أَجْنَابِهَا ، وَشَا كَلَّتْ الذَّهَبَ فِي أَلْوَانِهَا ، وَضَاهَتْ الْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا . أَقْلَامٌ
كَأَنَّهَا أَمِيلٌ اسْتَوَاءٌ ، وَالْأَجَالَ مَضَاءٌ ، بَطِيئَةٌ أَخْلَقَتْ قُوَّةَ الْقُوَى . قَلَمٌ لَا يَنْبُو
^(٤) إِذَا نَبَتِ الصَّفَاحُ ، وَلَا يُحْجِمُ ^(٥) إِذَا أَحْجَمَتِ الرِّمَاحُ . قَلَمٌ يَسْكُتُ وَاقْفًا
وَيَنْطِقُ سَاكِنًا

(وصف الخطباء)

جَلُّوا بِكَلَامِهِمُ الْأَبْصَارَ الْعَلِيَّةَ ، وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمُ الْأَذْهَانَ الْكَكَلِيَّةَ ، وَنَبَهُوا
الْقُلُوبَ مِنْ رَقَدَتِهَا ، وَنَقَلُوا عَنْ سُوءِ عَادَتِهَا ، فَشَفَوْا مِنْ دَاءِ الْقَسْوَةِ ، وَغَبَاوَةِ
الْغَفْلَةِ ، وَدَاوَوْا مِنَ الْعِيِّ الْفَاضِحِ ، وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ . خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ
حُبْسَةٌ ، وَلَا تَرْتَمِيهِ لُكْنَةٌ ، وَلَا تَتَمَشَّى فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ ^(٦) وَلَا تَتَحَيَّفُ ^(٧) بَيَانُهُ
عُجْمَةٌ ، وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ . خَطِيبٌ جَوَاهِرُ نَفَثَاتِهِ صِحَاحٌ ، وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ
صَبَاحٌ . خَطِيبٌ تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ أَلْفَاظِهِ عَقُودُ الْمُلْحِ ، لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ لَفْظُهُ
عَطَّلَ الْيَاقُوتَ وَالذَّرَّ . خَطِيبٌ مِصْقَعٌ يَنْثُرُ لِسَانُهُ الْوُلُوءَ الْمَكْنُونُ . هُوَ الْخَطِيبُ
الْمِصْقَعُ الَّذِي أَشْخَصَ بآيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عُيُونَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا ، هُوَ الْخَطِيبُ

(١) لَا يَنْزَحُ لِلِاسْتِقَاءِ (٢) حَبَالُ الدَّلَاءِ (٣) رِيَامُهُ (٤) لَا يَبْعُدُ (٥) لَا يَتَأَخَّرُ (٦) الْعُجْمَةُ

(٧) بِمَعْنَى تَنْقَسُ

المصقعُ الذي تتلاعبُ بالعتولِ معانيه ، ويُصاغُ الدُّرُّ من لَفْظِ فيه . هو الخطيبُ
الذي تهتزُّ له المنابرُ ، وتتناقذُ إليه كلماتُ السَّحَرِ مُتسابقةً ، آخذًا بعضها بِرِقَابِ بعض

(وصف العلماء)

بَدْرُ العُلُومِ اللَّائِحُ ، وَقَطَرُهَا العَادِي والرَّائِحُ ، وَثَبِيرُهَا ^(١) الَّذِي لَا يُرْحَمُ ،
وَمُيَرُّهَا الَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا الْأَسْحَمُ . ^(٢) أَمَّا فُنُونُ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا ^(٣)
وَأَخُو جُمْلَتِهَا ، وَأَبُو عُدَّتِهَا ، وَمَالِكُ أَرْمَتِهَا . تُسْتَخْرَجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بُحُورِهِ ، وَتُحَلَّى
لَمَعَاتُ الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ . وَتَأْلِيْفُهُ غُرُرٌ مُنِيرَاتٌ ، أَضَاءَتْ فِي وُجُوهِ دُهُمِ
الْمُشْكِلَاتِ . عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ السُّحَرِ ، تَأْلِيْفُهُ عَقَائِلُ أَصْبَحِ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِهَا
لَهُ بَدَائِعُ مَا نَسَاكَ ^(٤) الْأَعْطَافُ ، بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّائِرُ ، شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا
وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا . لَدَيْهِ تُنْشَدُ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ ، وَتُوجَدُ شَوَارِدُ اللَّغَةِ
وَالْأَعْرَابِ . مَالِكٌ أَعْنَةُ الْعُلُومِ وَنَاهِجٌ طَرِيقِهَا ، وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْمِيقِهَا
النَّاطِمُ لِعَقُودِهَا ، الرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا ، الْمُجِيدُ لِأَرْهَافِهَا ^(٥) الْعَالِمُ بِجَلَالِهَا وَزَفَافِهَا
مَلِكُ رِقِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ ، وَتَصَرَّفُ فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ كَيْفَ شَاءَ . عَالِمٌ يَنْفَجِرُ
الْعِلْمُ مِنْ جَوَارِيهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى
وَفَرَةِ إِطْلَاعِهِ ، وَغَزَاوَةِ مَادَّتِهِ ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ . لَمْ يَبْرُكْ مَعْنَى مُغْلَقًا إِلَّا فَتَحَ
صِيَاصِيهِ ^(٦) ، وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَازِينَهُ .

(وصف البلغاء)

فَلَانٌ يَحْكُوكُ الْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي ، وَيَخِيطُ الْأَلْفَاظَ عَلَى قُدُودِ

(١) المنابر المواظب (٢) الأسود (٣) العالم بها المتقن لها (٤) متبخرات مائلات

(٥) لدتها ولطفها (٦) جمع صيغة المحسن المنيع

المعاني . يَجْتَنِي من الألفاظ أنوارها ، ومن المعاني ثمارها . يَعْبَثُ ^(١) بالكلام . وَيَقُودُهُ بِالْأَلْيَنِ زِمَامٌ ، حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَحَاسَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ ، وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَنْثِيَالِ ^(٢) عَلَى أَنْأَمِلُهُ ، بَلِيغٌ نَسَقٌ ^(٣) مِنْ جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكْأَلِيلُ دُرٍّ مَا لِمَنْظُومِهَا سِلْكٌ . بَلِيغٌ تَفَكُّ سِهَامُ أَفْكَارِهِ الزَّرْدُ ، نَاطِمٌ سِلْكُ الْبَلَاغَةِ ، وَقَائِدُ زِمَامِ الْبَرَاةِ ، إِذَا أَوْجَزَ أُعْجِزَ ، وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ ، وَأَطْلَقَ مِنَ الْبَلَاغَةِ الْعُقَالِ إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ ، أَضَاءَ ظِلَامَ الْأَمْرِ ، يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ الْقُلُوبِ ، وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ .

(وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر)

مَقْدِفُ حَصَى الْقَرِيضِ وَجَمَّارُهُ ، وَمَطْلَعُ شُمُوسِهِ وَأَقْمَارُهُ ، نَثَرَهُ سِحْرُ الْبَيَانِ . وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجُمَانِ . طَلَعَتْ شَمْسُ الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ ، وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُهَا مِنْ خِلَالِ آثَارِهِ . شَاعَرُهُ تَوَقَّدَتْ جَمْرَاتُ أَفْكَارِهِ . شَاعَرُهُ عَرَّائِسُ أَفْكَارِهِ صَبَاحُ .

إِنْ نَثَرَ فَالنَّجُومُ فِي أَفْلاكَهَا ، أَوْ نَظَّمَ فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا - أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ كَلِمُهُ ، إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السَّحَرُ أَصْحَحَ انْتِسَابُ ، وَنَسَقُ ^(٤) الْمُعْجَزَاتِ نَسَقُ حِسَابِ ، وَأَرَى الْبَدَائِعَ بِيضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ ، إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بِحَرًّا يَزْخَرُ ، وَإِذَا نَظَّمَ أُرْزَى بِنَظْمِ الْعُقُودِ ، وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ الْبُرُودِ إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ ^(٥) يَبَانًا ، وَأَرَى السَّحَرِ عَيَانًا ، هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ الطَّرَازِ سُطُورَ قَلَمِهِ ، وَيُودِ التَّبَرُّ لَوْ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ . هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَنْقَادُ إِلَى يَرَاكِهِ ^(٦) دَقَائِقُ الْمَعَانِي صَاغِرَةً بِزِمَامٍ - نَثَرُ كُنْثَرِ الْوَرْدِ ، وَنَظَّمَ كُنْظَمِ

(١) يلعب (٢) الانصباب (٣) نظم (٤) نظم (٥) جمع مهرق ثوب حرير أبيض يقي الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (٦) أفلامه

العقد، نثر كالسحراؤ أدق، ونظم كالماء أرق، نثر كما تفتح الزهر، ونظم كما تنفس السحر، رسالة تضحك عن غرر وزهر، وقصيدة تنطوي على خبر ودّرر. كلام كاهب نسيم السحر، على صفحات الزهر، كتاب مطلع مطلع أهلة الأعياد، وموقعه موقع نيل المراد، كتاب حسبه يطير من يدى خلفته، ويلطف عن حسي لقلته، صحائف انطوت المحاسن تحت رق منشورها، وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها. صحائف تنوب عن الصفائح، وقرأطيس تزف الى الأسماع عرائس القرائح. صحائف ألبسها الخبر أثواباً من الخبر^(١)، ودبجها صوب^(٢) الفكير، لا صوب المطر.

(وصف الأمراء والأشرف)

فلان من شرف العنصر الكريم، ومعدن الشرف الصميم^(٤). أصل رأسخ، وفرع شامخ،^(٥) ومجد باذخ^(٦). قد ركب الله دوحته^(٧) في قرارة المجد، وغرس نبغته^(٨) في منبت الفضل. أجد لسان أوصافه، والشرف نسب أسلافه. نر دوحة راسب^(٩) عرقها، وبسقى^(١٠) فرعها، وطاب عودها، واعتدل عمودها. وفيأت ظلالها، وتهدلت^(١١) ثمارها، وتفرعت أغصانها، وبرد مقلها^(١٢) أمير جيشه الهمم. دوحة مجده وريفة^(١٣) الظل وريقة^(١٤)، أمير لا عيب في نداه^(١٥) إلا أنه يستعبد كل حر، هو غرة الجمال، وصورة الكمال، عقد

(١) الخبرات التي تلبسها النساء المصرية إذا خرجن (٢) نقشها (٣) المطر (٤) الخالص
(٥) المرتفع (٦) العالي (٧) الشجرة العظيمة (٨) الشجرة أيضا (٩) نبت (١٠) ارتفع
(١١) تدلت (١٢) مكانها (١٣) ممتدة متسعة (١٤) مورقة (١٥) عطائه وهذا نوع من
انواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم
ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر
وفي الحقيقة ليس بيب بل هو نهاية في المدح

المناصب به نُضِيد ، أمير عُبَقَتْ من شَمَائِلِه نَسَمَات النَّد ، وَقَطَرَتْ من سَكْسَبِيل أَوْصَافِه
 مِيَاهُ المَجْد ، جَامِعٌ مَا تَفَرَّقَ من شَمَلِ الفَضَائِل ، نَازِلٌ مَا اِبْتَنَزَ من عِقْدِ المَآثِر .
 أَنَارَتْ به نَجُومُ المَعَالِي وَشَمُوسُهَا . لَهُ شَرَفٌ بَاذِخٌ تُعْقَدُ بِالنَّجُومِ ذَوَاكِبُه ، أَلْقَتْ إِلَيْهِ
 الرُّثَاةُ مَقَالِيدَهَا ^(١) ، وَمَلَكْتِه طَرِيفُهَا وَقَلِيدُهَا ^(٢) . أَمِيرُ تَفَرُّعٍ من دَوْحَةٍ
 سَنَاءٍ ^(٣) ، وَتَحَدَّرَ من سُلَالَةٍ أَكْبَرٍ ، وَرَقَاةٍ أَسْرَةٍ وَمَنَابِرٍ . مُرْتَضِعٌ نَدَى المَجْد ، وَمُفْتَرِشٌ
 حِجْرِ الفَضْلِ ، لَهُ صُدْرٌ تَضِيقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ ^(٤) ، وَتَفَرُّعٌ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ ^(٥) . لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةٌ الإِصْبَاحِ ، وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الجَنَاحِ . لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ
 الأَفْوَاحَ بِالتَّسْبِيحِ ، وَيَتَرَقَّرِقُ فِيهَا مَاءُ الكَرَمِ ، وَتَقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ البِشْرِ . يَنَابِيعُ
 الجُودِ تَتَفَجَّرُ من أَنَامِلِهِ ، وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَضْحَكُ من فَوَاضِلِهِ . لَهُ أَخْلَاقٌ خُلِقْنَ
 من الفَضْلِ ، وَشَيْمٌ تُشَامُ ^(٦) مِنْهَا بَوَارِقُ المَجْد . أَرَجَ ^(٧) الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ ، وَعَجِمَ
 النِّسَاءُ عَنِ الأَتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، مَالُهُ لِعَفَاةٍ ^(٨) مُبَاحٌ ، وَفَعَالُهُ ^(٩) فِي ظُلْمَةِ الدَّهْرِ مُصْبَاحٌ .
 مَنَاقِبُ تَشْدَخُ ^(١٠) فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ ، وَتَهْدَى أُنْبَاءُهَا ^(١١) وَفُودُ الرِّيَّاحِ
 سَأَلَتْ عَن أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَّكَتُ المِسْكَ فَتِيغًا ، أَوْ صَبَحْتُ الرُّوْضَ أُنِيقًا ^(١٢) .
 هُوَ رَأْسُ ^(١٣) نَبْلِهِمْ ، وَنَبْعُهُ ^(١٤) فَضْلِهِمْ ، وَوَاسِطَةُ ^(١٥) عِقْدِهِمْ ، لَهُ هِمَّةٌ عَلَا
 جَنَاحُهَا إِلَى عِنَانِ النِّجْمِ ، وَامْتَدَّ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ ، هِمَّتُهُ أَبَدٌ مِنْ
 مَنَاطٍ ^(١٦) الْفَرَقْدِ ، وَأَعْلَى مِنْ مَنَكِبِ الجُوزَاءِ ^(١٧) . مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ
 مَوْضِعُ الوَاسِطَةِ مِنَ الْعِقْدِ ، وَلَيْلَةُ التَّمِّ مِنَ الشَّهْرِ ، بَلْ لَيْلَةُ الْقَدَرِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

- (١) مناتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسعة (٥) جماعة الناس
 (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعتاء (٩) بفتح الفاء كرمه (١٠) تطلق
 (١١) اخبارها (١٢) معجياً (١٣) السهم ذوالريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط
 العقد وهي احسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج في السماء

هَطَلْتُ عَلَى سَحَائِبِ عَنَائِهِ، وَرَفَرْتُ حَوْلَى أَجْنِحَةِ رِعَايَتِهِ، قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى
 بَهْجَةِ شَمْسِهِ، وَبَلَاسَةِ سِتْرَتِهِ مِنْ دَهْرِي بِظُلْمِهِ. قَدْ غَرَقْتِي نِعْمَهُ حَتَّى اسْتَنْفَدْتُ
 أَنْصَرَفًا، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا. سَبَّحْتُ نِعْمَهُ تَتَابُعَ الْقَطْرِ عَلَى الْقَفْرِ، وَتَرَادَفْتُ مِنْهُ
 زَهْدِي جِدَالًا، وَلَا أَلَا. لِي ذَوِي الْقَفْرِ، لَهُ أَيَادٍ قَدْ عَمَّتِ الْآفَاقَ، وَطَوَّقَتْ الْأَعْنَاقَ، أَيَادٍ
 قَدْ حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ، وَاسْتَعْبَدَتْ لَهُ الْحَرَّ. مِنْنٌ تَوَالَتْ تَوَالِي الْقَطْرِ،
 وَاتَّسَعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَأَثْقَلَتْ كَاهِلَ الْحَرِّ.

(وصف القلم)

أَلْقَلُمُ أَحَدُ اللَّسَانِينَ. وَهُوَ الْمُخَاطِبُ لِلْغُيُوبِ، بَسْرَائِرُ الْقُلُوبِ، عَلَى لُغَاتٍ
 مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ، بِحُرُوفٍ مَعْلُومَةٍ، مُتَبَايِنَاتِ الصُّوَرِ، مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ
 لِقَاحِهَا التَّفَكُّرَ وَنِتَاجِهَا التَّدْبِيرَ، تَخْرُسُ مُنْفَرِدَاتٍ، وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ، بِلَا
 أَصْوَاتٍ مَسْمُوعَةٍ، وَلَا أَلْسُنٍ مَحْدُودَةٍ، وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ - خَلَا قَلَمُ حَرْفِ بَارِيهِ
 قَطْعَتُهُ، لِيَتَعَلَّقَ الْمِدَادُ بِهِ، وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ، لِيَرُدَّ مَا انْتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ، وَشَقَّ رَأْسَهُ
 لِيَحْتَبِسَ الْمِدَادُ عَلَيْهِ، فَهُنَاكَ اسْتَمَدَّ الْقَلَمُ بِشَقِّهِ، وَنَثَرَ فِي الْقِرْطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
 أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرَ وَأَوَّلَى الْأَسْبَاعِ بِهَا الْكَلَامَ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ، وَأَلْحَمَهُ اللَّسَانُ.
 وَنَهَسَتْهُ اللَّاهُوتُ، وَقَطَعَتْهُ الْأَسْنَانُ، وَلَفْظَتْهُ الشُّفَاهُ، وَوَعَتْهُ الْأَسْبَاعُ عَنْ أَنْحَاءِ
 شَتَّى مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ - قَالَ الْبُحْتَرِيُّ :

طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَاقِ الْمُتَكَسِّرِ
 وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ « أَلْقَلَمُ بَرِيدُ الْقَلْبِ. يُخْبِرُ بِالْخَبَرِ، وَيَنْظُرُ بِلَا نَظَرٍ ».
 وَقَالَ أَبُو دُلْفٍ « أَلْقَلَمُ صَائِغُ الْكَلَامِ يَفْرَغُ مَا يَجْمَعُهُ الْعِلْمُ »
 وَقَالَ الْجَاهِظُ « الدَّوَاةُ مِنْهَلٌ، وَالْقَلَمُ مَاتِحٌ، وَالْكِتَابُ عَطْنٌ »

وقال المأمون « لله دَرَّ القلم كيف يَحُوك وتسى المملكة »

وقال جالينوس : « القلم طَبِيبُ الْمُنْطَقِ »

وقال أحمد بن عبد الله « القلم راقِدٌ في الأَفْدَةِ ، مُسْتَقِظٌ في الأَفْوَهِ »

وقيل : « عَقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ أَقْلَامِهَا »

وقال آخر : « الْقَلَمُ أَصَمٌّ يَسْمَعُ النَّجْوَى ، وَأَخْرُسٌ يَفْصَحُ بِالذَّعْوَى ، وَجَاهِلٌ

يَعْلَمُ الْفَخْوَى »

وقال أحمد بن يوسف : « عِبْرَاتُ الْأَقْلَامِ فِي خُدُودِ كُتُبِهَا أَحْسَنُ مِنْ عِبْرَاتِ

الغَوَانِي فِي صُحُونِ خُدُودِهَا »

وقال أيضاً « الْقَلَمُ لِسَانُ الْبَصَرِ يُنَاجِيهِ بِمَا اسْتَرَعَ الْأَسْمَاعَ ، إِذَا نَسَجَ

حُلَّهُ ، وَأَوْدَعَهَا حِكْمَهُ »

وقال العتابي « الْأَقْلَامُ مَطَايَا الْأَذْهَانِ »

وقال عبد الحميد « الْقَلَمُ شَجَرَةٌ تُمْرِتُهَا الْأَلْفَاظُ ، وَالْفِكْرُ بَحْرٌ لَوْلَوْهُ الْحِكْمَةُ »

وقيل : يَرِي الْقَلَمُ تُرْوَى الْقُلُوبُ الظَّمِئَةُ »

وقال ابن أبي دؤاد : « الْقَلَمُ سَفِيرُ الْعَقْلِ ، وَرَسُولُهُ الْأَنْبُلُ ، وَلِسَانُهُ الْأَطْوَلُ

وَتُرْجَمَانُهُ الْأَفْضَلُ »

وقال أيضاً : « الْقَلَمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ »

وقال آخر : « بِنَوْءِ الْقَلَمِ تَصَوَّبُ الْحِكْمَةُ »

وقال ابن ميثم: «من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب الله تعالى كتاب قط إلا به»

«تخضرفا، ولا أقل صلفا» وتك

زهدني جدال، ولا أكل بترمي: «أخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة
لا أعجل مكانة وجوارحها معرفة الفصول»

ووصف أحمد بن إسماعيل خطأ حسنا فقال: «لو كان نباتا لكان زهرا،
لو كان معدنا لكان تبرا، أو مذاقا لكان حلوا، أو شرابا لكان صفوا»
وقال أقليدس: «الخط هندسة روحانية. وإن ظهرت بالة جسمية».

أخذه النظام فقال: أخط أصل في الروح وإن ظهر بالجسد
وقال بعض الملوك اليونانية: «أمر الدين والدنيا تحت شيتين: قلم وسيف
السيف تحت القلم»

وقال أفلاطون: «أخط عقل العقل»

وقال أرسططاليس «ألقلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، وأخط
لعلة الصورية، والبلاغة العلة السامية»

سئل بعض الكتاب عن الخط. متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ فقال:
«إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولاؤه، واستقامت سطورُه، وضاهى صعودُه
حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه رآه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه
ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوّره، وإلى العقول تمره، وقُدّرت
فصوله، واندجحت وُصوله، وتناسب رقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين
وبعد عن تصنع المحدرين، وقام لكتابه مقام النسبة والحلية».

وقالوا: «ألقلم أحد اللسانين، والعم أحد الأبوين، والتثبت أحد العفوين

وقال آخر : « القلم لسان اليد »

حدثني يحيى بن البُحرى قال حدثنا أبي عن ابن التُّرجمان - وكان الواثقُ أنفذهُ إلى ملك الروم بهدياً - قال : وافقتُ لهم عيداً ، فرأيتُهم قد علقوا على بابِ بيعتهم كتباً بالعربية منشورة ، فسألتُ عنها فقيل هذه كتبُ المأمون بخطِ أحمد بن أبي خالد الأحول ، استحسنوا صورهُ وتقديرهُ فجعلوه هكذا . فحدثتُ أنا بهذا الحديث أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : هذا حقٌّ قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم في أيام المُعتمد فقال : ما رأيتُ للعرب شيئاً أحسنَ من هذا الشكل ، ولستُ أحسِدُهم على شيءٍ حَسَدِي إِيَّاهم عليه ، والطاغيةُ لا يقرأ العربي . وإنما راقه اعتداله وهندسته وحسنُ موقعه ومراتبه .

وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي : أنظر كم على هذا الميل من عدد الأُميال وكان الأعرابي لا يُحسنُ أن يقرأ فحُضِيَ ونظر ثم عاد فقال : رأيتُ كُرأسَ الحُجن متصلًا بحلقة صغيرة ، تتبَّعه ثلاثة كاطباء الكلبة ، تفضي إلى هنة كأنها رأسُ قطاة بلا متقار . ففهم بوصفه أنها خمسة .

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال : قال بعضُ الكتَّاب « ألقلمُ الرديءُ

كالولد العاق »

وقالوا : « رداءة الخطِّ إحدى الزماتين ، كما أنَّ حُسنة إحدى البلاغتين »

حدثني طلحة بن عبد الله ^{قاله} ^{وكان}

بصرى ، ولا أقل صلفاً ^{وتكلم} بن طاهر من شيء بكمه عنه . فرأى خطه
أزهد في جدال ، ولا أقل ردّاً يقول عذرك ، فاقطعنا عنه ما قبلنا من قبح خطك
ولا أعجل . مكلاً اعتذارك لساعتك حركة يدك ، أو ما علمت أن حسن الخط
يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ، ويمكن له درك البغية .

وكان أبو هفان عبد الله بن أحمد المهتزمي من أقبح الناس خطاً ، وكان
يبتدئ الخط من رأس الورقة ويعوج سطره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمة
واحدة . فرأه يحيى بن علي فقال في مرثيته :

مع خط كأنه أرجل البط أو الخط في ذوى الفتيان

قالوا : « رداء الخط زمانة الأديب »

نظر عبد الله بن طاهر إلى خط بعض كتابه فلم يرضه . فقال : « نحو هذا عن
سرتبة الديوان فانه عليل الخط ، ولا يؤمن أن يعدى غيره »

أنشدني العنزي الحسن بن علي في قبح الخط

جزعت من قبح خطي وفيه وضعي وحطّي

رجعت من بعد حذقي الى تعلم حطّي

حدثنا أبو العباس الرّبي قال حدثنا الطّحى قال حدثني أحمد بن إبراهيم

ال دخل على الرّشيد أعرابي فأنشده أرجوزة — واسماعيل بن صبيح يكتب
بن يديه كتاباً ، وكان أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً . فقال الرّشيد للأعرابي :
يف هذا . فقال له : ما رأيت أطيش من قلبي ، ولا أثبت من حلمي . ثم قال :

له قلم بؤسى ونعمى كلاهما سحابة في الخالتين درور

قال لمن حوله :

لِكْفَى نَارُهُ عِنْدَ رَجُلٍ لِأَنَّهَا أَثَارَتْ قَتِيلًا مَا لِأَعْظَمِهِ جَبْرُ
فَعَجَبَ النَّاسَ مِنْ سُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ

وأهدى رجل إلى إبراهيم بن المديّر قلمًا وكتب إليه :

قد وجهت إليك أعزك الله بمفتاح العلوم ، بادِ جمالها ، تامَّ كمالها ، فهي كـ

قال الشاعر :

لَيْسَ فِيهَا مَا يُقَالُ لَهُ كَمَلْتُ لَوْ أَنَّ ذَا كَمَلَا
كُلَّ جُزْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهَا كَائِنْ مِنْ حُسْنِهِ مَثَلَا

وقال أحمد بن إسماعيل :

وَإِذَا نَمْنَمْتُ بِنَاكَ خَطَا مُعْرَبًا عَنْ إِصَابَةِ وَسَدَادِ

عَجَبَ النَّاسَ مِنْ بَيَاضِ مَعَانٍ يُجْتَنَى مِنْ سَوَادِ ذَاكَ الْمِدَادِ

حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبو هفان ، قال سألت وراقا عن

حاله فقال :

« عَيْشِي أَضِيقُ مِنْ مَحْبَرَةٍ ، وَجِسْمِي أَدْقُ مِنْ مَسْطَرَةٍ ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنْ

الزَّجَاجِ ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ الْجَبَرِ ، وَحَظِّي أَحَقَرُ مِنْ شَقِّ الْقَلَمِ

وَبَدَنِي أضعفُ من قَصَبَةٍ ، وطَعَامِي أَمْرٌ مِنَ العَفْصِ ، وسُوءُ الحَالِ أَلْزَمُ لِي مِنَ الصَّبْغِ »

وَنَصْرَفًا ، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا (١) وَتَكَ

أَزْهَدُ فِي جِدَالٍ ، وَلَا أَكْثَبُ بِاللَّيْلِ لَا أَكْتُبُ وَطُولُ النَّهَارِ أَنَا أَلْعَبُ
وَلَا أَعْجَلُ مَكَاتٍ يُبْطِلُنِي مَا كُلُّ وَطُورًا يُبْطِلُنِي مَشْرَبُ
فَإِنْ دَامَ هَذَا عَلَى مَا أَرَى فَبَيْتِي أَوَّلُ مَا يَخْرُبُ

(وصف الكتاب)

الْكِتَابُ نِعَمَ الْأَنْيَسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةُ فِي دَارِ الْغُرْبَةِ
وَنِعَمَ الْقَرِينَ وَالِدَخِيلُ ، وَنِعَمَ الزَّائِرُ وَالنَّزِيلُ ، وَعَائِدُ مُلِيٍّ عِلْمًا وَظَرْفًا ، وَإِنَائِدُ مُلِيٍّ
مَرْحًا وَجِدًا ، وَجِدَا بُسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ ، وَرَوْضٍ يُقَلَّبُ فِي حِجْرٍ . هَلْ
سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ مُتَبَايِنَةٍ ؟ هَلْ سَمِعْتَ
بَشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي ، وَزَهْرٍ لَا يَتَوَي (٢) ، وَتَمْرٍ لَا يَفْنَى ، وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ
وَخِلَافَهُ ، وَالْجَنَسَ وَضِدَهُ ، يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتِ وَيُتَرَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ ، إِنْ غَضِبْتَ لَمْ
يَغْضَبْ ، وَإِنْ عَرَبِدْتَ لَمْ يَصْخَبْ (٣) . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْثَمُ مِنَ الرِّيحِ
وَأَهْوَى مِنَ الْهَوَى ، وَأُخْدَعُ مِنَ الْمُنَى ، وَأَمْنَعُ مِنَ الضَّحَى ، وَأَنْطِقُ مِنْ سَحَابَانِ
وَأَكُلُ ، وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ (٤) هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ تَحَلَّى بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ . وَجَمَعَ أَوْصَافًا
عَدِيدَةً - عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ ، إِنْ وَعَظَ أَسْمَعُ ، وَإِنْ أَلْهَى

(١) ومثله قول قائلهم : تبا لرزق نازل من شق هذى القصبه

تبا له تبا له ما أتعبه ما أتعبه

(٢) يتوى يهلك (٣) لم يصوت (٤) رجل من إباد به يضرب المثل في العي ومن عيه أنه
اشترى ظلياً فخله على عنقه فسئل عن ثمنه فخل عنه يديه وفتح أصابعه وأشار بها وأخرج لسانه
يريد أنه بأحد عشر درهما ولم يلهم أن يخبر عن سعره بلسانه فصارعيه مثلاً

أَمْنَعُ ، وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعُ ، وَإِنْ ضَرَبَ أَيْسَمُ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ
وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ ، إِنْ جَدَّ فَعَبِيرٌ ^١ . وَتَنْتَرِ مِنَ عَقْدِ الْمَاءِ تَرْبَةً
وَمُخْزَنَ الْوَدَائِعِ . قِيدُ الْعُلُومِ ، وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ . وَمَنْعَدِلُ كَلِمَةٍ ، أَلْقَتْ إِلَيْهِ
يَنَامُ - يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ ، وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِ الْمَتَمَحَرِّقَةِ . وَتَنْتَرِ
فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَّغَكَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِينَ جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مُؤَوَّنَةٍ
وَحِفَّةٍ مَحْمِلَةٍ ، لَا يَرْزُوكَ ^(١) شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ ، نَعِمَ الْمُدْخَرُ وَالْعُدَّةُ ^(٢) وَالْمُسْتَغْلُ
وَالْحَرْفَةُ جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكُ ، ^(٣) وَرَفِيقٌ لَا يُمَلِّكُ ، يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتَهُ فِي النَّهَارِ ،
وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ ، إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعُكَ ، ^(٤)
وَشَحَذَ ^(٥) طِبَاعُكَ ، وَبَسَطَ لِسَانُكَ ، وَجَوَّدَ بَيَانُكَ ، وَفَحَّمَ الْفَاطَاكَ ، إِنْ أَلْفَنَهُ
خَلَّدَ عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ ، وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ ، وَإِنْ نَعَتَهُ نَوَّهَ
عِنْدَهُمْ بِأَسْمِكَ ، يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ ، وَيُجْلِسُ السُّوْقَةَ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ
فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ ، وَأَعَزَّزَ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ .

وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

أَتَى عَارِضٌ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، كَانَتْ فِيهِ ظُلُمَاتٌ
مُكَاثِفَةٌ ، وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ ، وَرِيَّاحٌ عَاصِفَةٌ ، فَتَوَيَّتْ أَهْوِيَّتُهَا ، وَأَشْتَدَّ هُبُوبُهَا
فَتَدَاغَعَتْ لَهَا أَعْنَةُ مُطْلَقَاتٍ ، وَارْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُصْعِقَاتٍ ، فَجَفَّتْ لَهَا الْجُدْرَانُ
وَاصْطَفَقَتْ ، وَتَلَاَقَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَاعْتَنَقَتْ ، وَتَارَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَجَاجٌ
فَقِيلَ لَعَلَّ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ أَطْبَقَتْ ، وَتَحَسَّبَ أَنَّ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَادٍ ، وَعَدَا مِنْهَا
عَادٍ ، وَزَادَ عَصْفُ الرِّيَّاحِ إِلَى أَنْ انْطَفَأَتْ مَصَابِيحُ النُّجُومِ ، وَمَزَّقَ أَدِيمُ السَّمَاءِ

(١) لَا يَنْقُصُكَ (٢) مَا يَمِدُّهُ الْإِنْسَانُ لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ (٣) لَا يَمْدَحُكَ

(٤) انْتِفَاعُكَ (٥) أَحَدُهَا وَقَوَامُهَا

مُحْيِي مَافُوقَهُ مِنَ الرُّقُومِ ، لَا يَلْبِسُهُم مِّنَ الْخَلْفِ لِلْأَبْصَارِ ، وَلَا مَلْجَأَ مِّنَ الْخُطْبِ
 وَتَحْصِرُفَا ، وَلَا أَقْلَ صُلْفَا ^(١) ، وَتَكْهَى وَرِجَالًا ، وَنَفَرُوا مِّنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا
 أَزْهَدَ فِي جِدَالٍ ، وَلَا أَكْثَرُ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ، فَاعْتَصَمُوا بِالْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ ، وَأَذْنَعُوا
 وَلَا أَعْجَلَ مُكَاثَمَةً ، وَوَجُوهَ عَانِيَةٍ ، وَنَفُوسٍ عَنِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ سَالِيَةٍ ، يَنْظُرُونَ
 بِنَ طَرَفٍ خَفِيٍّ ، وَيَتَوَقَّعُونَ أَيْ خَطْبَ جَلِيٍّ ، قَدْ انْقَطَعَتْ مِنَ الْحَيَاةِ عُقُلُهُمْ
 وَعَمِيَتْ عَنِ النَّجَاةِ طُرُقُهُمْ ، وَوَقَعَتْ الْفِكْرَةُ فِيهِمَا هُمْ عَلَيْهِ قَادِمُونَ ، وَقَامُوا إِلَى
 صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ هُمْ عَلَيْهِمْ دَائِمُونَ ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الرَّكُودِ
 وَأَسْعَفَ الْمَاجِدِينَ بِالْهَجُودِ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ يُسَلِّمُ عَلَى رَفِيقِهِ ، وَيُهْنِئُهُ بِسَلَامَةِ
 طَرِيقِهِ ، وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ بُعِثَ بَعْدَ النَّفْخَةِ ، وَأَفَاقَ بَعْدَ الصَّيْحَةِ وَالصَّرَخَةِ ، وَأَنَّ
 اللَّهُ قَدْ رَدَّ لَهُ الْكُرَّةَ ، وَأَدَبَهُ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَأْخُذُهُ عَلَى غِرَّةٍ ، وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ
 بِأَنْ كُسِرَتْ الْمَرَآكِبُ فِي الْبَحَارِ ، وَالْأَشْجَارُ فِي الْقِفَارِ ، وَأُتْلِفَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِّنَ
 السَّفَارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ فَلَمْ يَنْفَعِهِ الْفِرَارُ .

(وصف العلم لبديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

أَلْعِلْمُ شَيْءٌ بَعِيدُ الْمَرَامِ ، لَا يُصَادُ بِالسَّهَامِ ، وَلَا يُقَسَّمُ بِالْأَزْلَامِ ^(١) ، وَلَا يُرَى
 فِي الْمَنَامِ ، وَلَا يُضَبَّطُ بِاللِّجَامِ ، وَلَا يُكْتَبُ لِلثَّامِ ، وَلَا يُورَثُ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ .
 وَزَرَعَ لَا يَزْكُو ^(٢) إِلَّا مَتَى صَادَفَ مِنَ الْحَزْمِ ثَرَى طَيِّبًا . وَمِنَ التَّوْفِيقِ

(١) الازلام جمع زلم بفتح الزاي أو ضمها مع فتح اللام وهي سهام لانصل لها ولا ویش
 كان العرب إذا أرادوا القمار أحضروا جزوراً فتحروها وقسموا الحما الى ثمانية وعشرين قسماً
 ثم أتوا بعشرة أزالام فرسموا على واحد منها خطاً وعلى الثاني خطين وعلى الثالث ثلاثة وهكذا الى
 لسابع فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدرح المعلق وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شيء ثم يضعون
 الجميع في خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلماً باسم واحد من القمارين . فان كان مرسومها
 عليه شيء أخذ من أقسام اللحم بقدره وإن كان غفلا غرم ممن الجزور . والمقصود من هذه العبارة
 ان العلم لا ينال بطريق البخت والمصادفة كما ينال اللحم المقسوم (٢) يزكو ينمو ويطيب

مَطْرًا صَيِّبًا ، وَمَنْ الطَّبْعَ جَوًّا صَافِيًّا ، وَمَنْ لِيَسْتَمِرَّ رَوْحًا ^(١) دَائِمًا ، وَمَنْ الصَّبْرَ
سَقِيًّا نَافِعًا ،

وَعَرَضٌ لَا يُصَابُ إِلَّا بِافْتِرَاشِ الْمَدَرِ ، ^(٢) وَاسْتِنَادِيهِ ، أَلْقَتْ إِلَيْهِ
وَرُكُوبَ الْخَطَرِ ، وَإِدْمَانَ السَّهْرِ ، وَأَصْطِحَابِ السَّقَرِ ، وَكَثْرَةَ النُّظُرَةِ حَقِيَّةِ
(وصف رجل لخصمه)

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ ^(٣) يَوْسُفَ مُتَصَرِّفًا عَنْ غَسَّانَ بْنِ عُبَادٍ . وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا هَنَاتٌ ^(٤)
بِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ . ثُمَّ قَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِمُخَاصَّةِ أَصْحَابِهِ : « أَخْبِرُونِي عَنْ غَسَّانَ بْنِ
عُبَادٍ : فَإِنِّي أُرِيدُهُ لِأَمْرِ جَسِيمٍ » . وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى تَقْلِيدِهِ السُّنَدَ . فَتَكَلَّمَ كُلُّ
بِمَا عِنْدَهُ فِي مَدْحِهِ فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ : هُوَ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » رَجُلٌ مُحَاسِنُهُ أَكْثَرُ
مِنْ مَسَاوِيهِ ، لَا يَنْطَرِّقُ ^(٥) إِلَى أَمْرِ إِلَّا تَقَدَّمَ فِيهِ . وَمَهْمَا تَخَوَّفَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَنْ
يَأْتِيَ أَمْرًا يُعْتَدَرُ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ قَسَمَ أَيَّامَهُ بَيْنَ أَفْعَالِ الْفَضْلِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ خَلْقٍ
نُوبَةً ^(٦) . إِذَا نَظَرْتَ فِي أَمْرِهِ لَمْ تَدْرَأِ حَالَاتِهِ أَعْجَبَ : أَمَا هَذَا إِلَيْهِ عَقْلُهُ ؟
أَمْ مَا أَكْتَسَبَهُ بِأَدَبِهِ ؟ « فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : « لَقَدْ مَدَحْتَهُ عَلَى سُوءِ رَأْيِكَ فِيهِ » .
قَالَ : « لِأَنِّي فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

كَفَى نَمْنًا لِمَا أُسْدَيْتَ أُنِّي نَصَحْتُكَ فِي الصَّدِيقِ وَفِي عِدَائِي
وَإِنِّي حِينَ تَنْدُبُنِي مَرٍ يَكُونُ هَوَاكَ لَا أَغْلِبَ مِنْ هَوَائِي ^(٧)

(١) الروح بفتح فسكون نسيم الريح (٢) المدر قطع الطين اليابس وافترش المدر نام عليه
(٣) كاتب بليغ من كتاب المأمون وكان بارعا في الرسائل ويكنى أبا جعفر . (٤) الهنات ،
جميع هنة وقد تجمع على هنوات والمراد أمور . (٥) تطرق الى الأمر : اجتنب الى طريقا .
(٦) النوبة : الفرصة والدولة والمرة ، جمعها كعرف . (٧) يريد هواي ومدته للضرورة .

وصف أبي دلف لعبد الله بن طاهر

تَصَرُّفًا ، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا (١) وَتَكَرُّفًا (٢) الرُّضَا عَنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ (٣) ، أَسَدًا عَاتِيًا قَائِمًا ، مَدْفِي جِدَالٍ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْغَيْبِ ، نَصِيحَ جَيْبٍ (٤) ، أَيْقَظُهُ الْعَزْمُ ، قَامَ بَأْسٍ شَدِيدٍ لِمَنْ زَاغَ عَنْ قَصْدِ مَحَبَّتِكَ . قَدْ قَفَّهُ الْحَزْمُ ، وَأَيْقَظَهُ الْعَزْمُ ، قَامَ نَحْرُ الْأُمُورِ عَلَى سَاقِ التَّشْمِيرِ ، يُبْرِمُهَا بِأَيْدِهِ (٥) ، وَكَيْدِهِ ، وَيَقْلُهَا بِجِدِّهِ وَجِدِّهِ ..
رَأَى أَشْبَهُهُ فِي الْحَرْبِ إِلَّا بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ :

أَكْرُهُ عَلَى الْكَتِيئَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمٌّ سِوَاهَا
فَقَالَ قَائِلٌ : مَا أَفْصَحَهُ عَلَى جَبَلِيَّتِهِ ! فَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّ بِالْجَبَلِ (٦) قَوْمًا أَعْجَادًا (٧) رَكَرَمًا أَعْجَادًا (٨) ، وَإِنَّهُمْ لِيُؤَفُّونَ السَّيْفَ حَظَّهُ يَوْمَ النَّزَالِ ، وَالْكَلَامَ حَقَّهُ يَوْمَ الْمَقَالِ ..
وصف أعرابي لرجل

وصف أعرابي رجلاً فقال :

إِنْ سَأَلَ أَحْلَفَ ، وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَحْلَفَ ، وَإِذَا صَنَعَ
أَتَلَفَ ، وَإِذَا هُمُ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَوَقَّفَ . يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ

(١) أبو دلف كعمر هو القاسم بن عيسى البكري من قواد المأمون ثم المعتصم وكان جواداً شجاعاً وفيه يقول الشاعر :
أما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره
فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفي سنة ٢٢٦ هـ . (٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين من كبار ولاة المأمون ولى مصر مدة سنتين تقريباً . قال صاحب كتاب أدب الخوارج : إن البطيخ العبدلأوى الموجود بالديار المصرية منسوب إليه اهـ . (٣) يقال هو ناصح الجيب أى القلب والصدر

(٤) الأيد : القوة . (٥) الجبل : بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وبلاد الديلم . (٦) الأعجاذ : جمع ماجد أو مجيد كاشهاد في شاهد وشهد والماجد والمجيد : الحسن الخلق السمع . (٧) الأعنجد : جمع نجد بكسر الجيم أو ضمها وهو الشديد البأس . ومن كلام علي : أما بنو هاشم فأنجد أعجاذ .

الحقود ، بينا هو خلّ ودود ، اذ هو خلّ ودود بينناؤه ^(١) شائع ، وضيّفه جائع
 وشره شائع ، وسره ذائع ، ولونه فاقع ^(٢) ، ~~ول ما يتنزل من عقد الماء~~
 المنظر ، سبيّ المخبر ، يبخل اذا أيسر ^(٣) ، ويتنفع اذا كثره ، ألفت إليه
 أخبر ، إن عاهد غدر ، وإن خاصم فجر ، وإن خوطب نفر .

(وصف الامام العادل)

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لما ولى الخلافة إلى الحسن بن
 أبى الحسن البصرى ، أن يكتب اليه بوصف الإمام العادل . فكتب اليه الحسن :
 أعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل
 جائر ، وصالح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصف كل مظلوم ، ومفرج كل
 مكهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كل راعي الشفيق على إبله ، الرقيق الذى
 يرتاد لها أطيب المرعى ، ويذودها عن مراتع المهلكة ، ويحميها من السباع
 ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب
 الحانى على ولده ، يسعى لهم صغارا ، ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم فى حياته
 ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأم الشفيقة ، البرّة
 الرقيقة بولدها ، حملته كرها ، ووضعته كرها ، وربته طفلا ، تسهر بسهره
 وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتقطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغم بشكايته
 . والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى ، وخازن المساكين ، يربى صغيرهم

(١) فناء البيت : الساحة أمامه جمعه أفنية والشامع البعيد والجملة كناية عن أنه بخيل لأن من
 عادة البخيل عندهم أن يبى خباءه بعيدا عن الحى حتى لا يقصد ، قالت الفارعة :
 ولا يحل إذا ما حل منتظا يخشى الرزية بين الماء والبادى
 (٢) الفاقع : الشديد الصنرة وربما أكده الأبيض . (٣) الهلع : أخش الجزع .

وَيُؤْمِنُونَ كَبِيرَهُمْ . وَالْإِمَامُ الْبَاقِي ^{وَالْبَاقِي} بِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْقَلْبِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ ، تَصْلُحُ
 بِالنَّصْرِ ، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا ^{وَتَكُنْ} ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الْقَائِمُ بَيْنَ
 أَزْهَدِ فِي جِدَالٍ ، وَلَا أَكْمَعَ كَلَامٍ اللَّهُ وَيُسْمِعُهُمْ ، وَيَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ وَيُريهِمْ ، وَيَنْقَادُ إِلَى
 وَلَا أَعْمَلًا ^{مُكَلِّمًا} . فَلَا تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مَلَكُ اللَّهِ كَعَبْدٍ إِتَمَنَهُ سَيِّدُهُ
 وَاسْتَحْفَظَهُ مَالَهُ وَعَمِيَالَهُ ، فَبَدَّدَ الْمَالَ ، وَشَرَّدَ الْعِيَالَ ، فَأَفْقَرَ أَهْلَهُ ، وَفَرَّقَ مَالَهُ
 وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحُدُودَ لِيُزْجِرَ بِهَا عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْفَوَاحِشِ
 فَكَيْفَ إِذَا أَنَا هَا مِنْ يَلِكُهَا ؟ ! وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقِصَاصَ حَيَاةً لِعِبَادِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا
 قَتَلْتَهُمْ مَنْ يَقْتَصُ مِنْهُمْ ؟ ! وَأَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ ، وَقَلَّةَ أَشْيَا عَكَ
 عِنْدَهُ ، وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ . فَتَزَوَّدْ لَهُ وَلِمَا بَعْدَهُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ . وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّ لَكَ مَنْزِلًا غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، يَطُولُ فِيهِ ثَوَاؤُكَ ، وَيُنَارِقُكَ
 أَحِبَّاءُكَ ، يُسَلِّمُونَكَ فِي قَعْرِهِ فَرِيدًا وَحِيدًا ، فَتَزَوَّدْ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ
 مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ - وَأَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِذَا بَعَثَ مَا فِي
 الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ، فَالْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
 وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا - فَالآنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ ، قَبْلَ حُلُولِ
 الْأَجْلِ ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ - لَا تَحْكَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ
 وَلَا تَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ ، وَلَا تُسَلِّطُ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ ، فَانْتَهَمِ
 لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ، فَتَبُوءَ بِأَوْزَارِكَ وَأَوْزَارِ مَعَ أَوْزَارِكَ ، وَتَحْمِلَ
 أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِكَ . وَلَا يَغُرُّكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ بِمَافِي بُؤْسِكَ ، وَيَأْكُلُونَ
 الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِكَ . وَلَا تَنْتَظِرْ إِلَى قُدْرَتِكَ الْيَوْمِ
 وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ غَدًا ، وَأَنْتَ مَأْسُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ ، وَمَوْقُوفٌ

٣٦٤ وصف عمرو بن العاص مصر - وصف حرب لابي منصور الثعالبي

بين يَدَيِ اللَّهِ فِي مَجْمَعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ عَنَتِ الْوُجُوهُ
لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ أَبْلُغْ بِعَلِّهِ مَا يَكُونُ مِنْ عَقْدِ الْمَا رَبِّهِ
فَأَمَّا لَكَ شَفَقَةٌ وَلُصْحًا . فَانْزِلْ كِتَابِي إِلَيْكَ كَمَا تَرَى شَيْئًا مِنْهُ ، أَلْقَتْ إِلَيْهِ
الْكُرْبِيَّةَ ، لِمَا يَرْجُو لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالصَّحَّةِ .

(وصف عمرو بن العاص لمسيرنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)

مِصْرُ تَرْبَةٍ غَبْرَاءَ ، وَشَجَرَةٍ خَضْرَاءَ . طُولُهَا شَهْرٌ ، وَعَرْضُهَا عَشْرٌ (١)
يَخْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مَيِّمُونَ الْغَدَوَاتِ ، مُبَارَكُ الرُّوحَاتِ ، يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ؛
كَجَرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، لَهُ أَوَّانٌ تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِعُهَا ، حَتَّى إِذَا
أُصْلِحَ عَجَاجُهَا ، وَتَعَظَّمَتِ أُمُوجُهَا . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضِ الْإِلَافِ فِي
خَفَافِ الْقَوَارِبِ (٢) وَصِغَارِ الْمَرَكَبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ زِيَادَتُهُ نَكَصَ (٣) عَلَى عَقْبِهِ
كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ ، وَطَمَأَ (٤) فِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ الْقَوْمُ لِيَحْرُقُوا
بُطُونَ أَوْ دِيَتِهِ وَرَوَايِهِ ، فَيَبْدُرُونَ الْحَبَّ ، وَيَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ . حَتَّى إِذَا
أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ ، سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ النَّدَى ، وَغَذَّاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى . فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَدْرُ حَلَابُهُ ، وَيُغْنِي ذُبَابُهُ — فَبَيْنَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ بَيَضَاءَ ، إِذْ هِيَ عَنَبَرَةٌ
سَوْدَاءَ ، فَإِذَا هِيَ زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءَ ، فَتُبَارِكُ اللَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ .

(وصف حرب لأبي منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

عِنْدَ مَا دَارَتْ رَحَا الْحَرْبِ ، صَمَتَتِ الْأَلْسِنَةُ ، وَنَطَقَتِ الْأَسِنَّةُ ، وَخَطَبَتِ
السُّيُوفُ عَلَى مَنَابِرِ الرُّقَابِ ، وَأَقْدَمَتِ الرُّمَاحُ عَلَى الْخُطَطِ الصَّعَابِ ، وَتَلَاَصَقَتِ

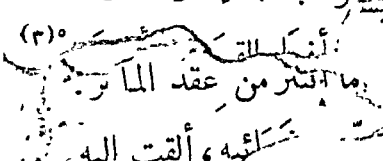
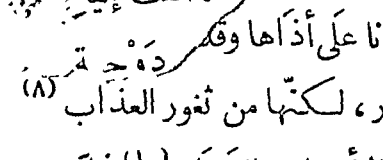
(١) أى عشر ليالٍ لأن عادة العرب السير في الليل (٢) السفن الصغيرة (٣) رجع (٤) ارتفع

القَنَا والقَنَابِلُ ^(١) وَتَعَانَقَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ^(٢) وَالْمَنَاصِلُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَكُتِرَ صُرْفًا ، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا ^(٣) وَتَكَاسَلَتْ الْجِبَالُ ، وَتَحَكَّمَتِ الْأَجَالُ ، فَلَا تَرَى إِلَّا
أَرْهَافَ جِدَالٍ ، وَلَا أَمْرًا مَهْدَرًا ، وَأَعْضَاءَ تَطَّيَّرَ وَتَقَنَّأَتْ ، وَأَجْسَامًا تَزَايَلُ وَتَتَمَايَلُ
وَلَا أَعْطَلَ كَلَامًا مِّنَ الدَّمَاءِ ، فَتَعَثَّرَتْ فِي النُّحُورِ ، وَتَكَسَّرَتْ فِي الصُّدُورِ ،
فَرَجَمُوا الْأَعْدَاءَ مِنْ جَوَائِبِهِمْ ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ فَضِّ مَوَاجِهِمْ .

(وصف المطر شعراً لأبي الفضل الميكالي المتوفى سنة ٣٦٦ هـ)

مع مقدمة لعمر بن علي المطوعي في وصف ذلك المطر نثراً
حكى 'عمر بن علي المطوعي قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبد الرحمن
ابن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين ^(٤) أن يطالع قرية من قرى ضياعه ^(٥)
تدعى « نجاب » على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جملة من استصحبه إليها
من أصحابه ، واتفق أن وصلنا والسماء مُمِصَّجِيَّةً ^(٦) ، وألجؤ صافٍ ، لم يُطرَرْ ثوبُهُ
بعلَمِ الغمام ^(٧) والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب . ^(٨) فوق الاختيار
على ظل شجرة بإسقة الفروع ^(٩) مُتَّسِعة الأوراق والغُصُون ، قد سترت ماحوا إليها
من الأرض طولاً وعرضاً . فنزلنا تحتها مُسْتَظِلِّينَ بِسَمَاوَةِ أَفْنَانِهَا ^(١٠) مُسْتَرِينَ
من وهج الشمس بِسِتَارَةِ أَغْصَانِهَا ^(١١) وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة ^(١٢)

(١) القَنَا الرماح والقنابل جمع قنبل ما بين الحُسين فصاعداً من الخيل (٢) السيوف القاطعة
وكذا المناصل (٣) تسقط (٤) كورة بخراسان وبلدة سرخس (بلاد فارس)
(٥) يطالع قرية يطلق عليها والضياع جمع ضيعة وهي العقار والارض المغلة (٦) لا غيم فيها
(٧) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٨) أى لونه مثل لون الفيروز وهو الزرقة ولم يعبق
به لم يلبس به والكافور طيب يستخرج من شجر كبير ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عملية
تعمل فيه - والمعنى أنه لا يرى شيء من السحاب في الأفق (٩) طوليبتها (١٠) الأفنان الغصون
وسماوتها يعنى أوراقتها العريضة المتلاحمة تلاجها يجعلها تشبه السقوف (١١) وهج الشمس شدة
حرها وتوقدها (١٢) عبارة عن مذاكرهم

وَتَسَالِبَ أَهْدَابَ الْمُشَادَّةِ وَالْمَحَاوِرَةِ ^(١) فَمَا شِعْرُنَا بِالسَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُرْعِدَتْ
وَأُبْرِقَتْ ^(٢) وَأَظْلَمَتْ بَعْدَ مَا أَشْرَقَتْ، ثُمَّ جَادَتْ ^(٣)  وَحَكَتْ أَمَامَ الْأَجْوَادِ، بَلْ أَوْفَتْ عَلَيْهَا وَرَأَاهَا ^(٤)  عَيْنًا ^(٥) وَهَمَّ وَبَلَّهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَلَّا ^(٦) فَصَبْرُنَا عَلَى أَذَاهَا وَقَدْ مَرَدَدَتْ حَقَّةً
عَنْ قَلِيلٍ تَفْشَعُ ^(٧) فَإِذَا نَحْنُ قَدْ أَمْطَرْنَا بَرْدَ الثُّغُورِ، لَكُنَّهَا مِنْ ثُغُورِ الْعَذَابِ ^(٨)
لَا مِنْ الثُّغُورِ الْعَذَابِ، ^(٩) فَأَيُّقُنَا بِالْبَلَاءِ، وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ، ^(١٠) فَمَا مَرَّتْ
سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ، ^(١١) وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى، ^(١٢)
وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقِيَمَانَ وَالرُّبَا، ^(١٣) فَبَادَرْنَا إِلَى حِصْنِ الْقَرْيَةِ، لَا تُذِينَ مِنَ السَّيْلِ
بَأَفْنِيَّتِهَا ^(١٤)، وَعَائِدِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا ^(١٥)، وَأَتَوَابُنَا قَدْ صَنَدَلَ كَأَفُورِهَا مَاءُ
الْوَبْلِ ^(١٦)، وَغُلْفَ طِرَازِهَا طِينُ الْوَحْلِ ^(١٧) (وَنَحْنُ نُحَمِّدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ

(١) عبارة عن تناشدهم الاشارة وتجاوز بعضهم مع بعض تجاوزاً أدياً (٢) يقال رعدت وبرقت أى جاءت بالرعد والبرق وأرعدت وأبرقت بمعنى تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق (٣) جادت تكرم وأجادت أحسن (٤) حكمت شابهت وأماطل الأجواد المقصود أيدى الكرام ومحاكاتها لايدى الكريم بمعنى مشابهتها لايدهم فى السخاء وأوفت وزادت بمعنى واحد (٥) الغيث المطر — والغيث الافساد (٦) الوبل المطر الشديد العظيم القطرات والويل الشر (٧) أى لا تمكث الا قليلاً وتذهب (٨) البرد قطرات المطر المتجمدة التى تنزل على الارض كالخب فى شكل الثلج أو الجليد يشبه به أسنان النوانى وثناياها عند اقرار الثغور والثغر الغم وثغور العذاب فتحاته (٩) لا من الثغور العذبة الريق (١٠) وخضعنا لاحكام المقادير (١١) يعنى جرى الماء بشدة حتى صار يسمع له صوت كصوت مياه الانهار (١٢) السيل الماء العظيم الذى يتجمع من المطر ويسيل بشدة — والزبى جمع زبية وهى الارض المرتفعة ارتفاعاً عظيماً بحيث لايعلوها الماء عادة — أو حفرة تخفر فيها لتصاد فيها الاسد (١٣) الربا جمع ربوة وهى الارض المرتفعة — والقيعان جمع قاع وهى الارض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والاكمام (١٤) فبادرنا اسرعنا: والحصن الموضع الحصين الذى لا يوصل إلى جوفه — لاثنين متحصنين — والافنية جمع فناء وهى المتسع أمام الدار (١٥) عائدين ملتجئين — والقطر ما نزل من ماء المطر — والابنية المبانى (١٦) صندل استعمله متعدياً بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضارباً الى السواد — والكافور والوبل تقدم معناهما (١٧) غلف الشيء جعل له غلافاً أى حجاباً وستراً والطرز رسم الثوب والمعنى أن رسم الثوب

الأبدان ، وإن قدنا بياض ^{الأمم} كمام والأردان ، ^(١) ونشكره على سلامة :
^{بالأشرف} ولا أقل صلناً ^(٢) وتك على بقاء رأس المال . إذا فُجِعَ بالارباح ^(٣) فبتنا
 أرهد في جدال ، ولا أكسب ولا تكف ^(٤) ، وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع .
 ولا أعجل ^{مكسب} سجام ^(٥) فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام ^(٦) وصرف
 بوالى الصحو عامل الغمام ، ^(٧) رأينا صواب الرأى أن نوسع الإقامة بها
 رفضاً ، ^(٨) وننخذ الارتحال عنها فرضاً ، فما زلنا نطوى الصحارى أرضاً
 فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر ركضاً ، ^(٩) فلما نفضنا غبار ذلك المسير ، ^(١٠) الذى
 جعلنا في ربة الأسير ^(١١) ، وأفضينا إلى ساحة التيسير . ^(١٢) بعد ما أصبنا
 بالأمر العسير ، وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة ، فى قطع ذلك الطريق وطى
 تلك الشقة ، ^(١٣) أخذ الأمير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الأبيات ارتجالاً :
 دهنتنا السماء غداة السحاب بغيث على أفقه مسبل ^(١٤)
 فجاء برعد له رنة ^(١٥) كرنه تكلى ولم تشكل ^(١٦)

ستره الطين المتناثر من الوحل (١) الاردان أصول الاكام (٢) أى أوجع بعدم الارباع وفقد
 المكاسب (٣) يكف يقطر ولا يكف ولا ينقطع (٤) هوام جمع هام من همى يهمى بمعنى سال
 (٥) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيراً (٦) أى الصبح الشبيه بالسيف والظلام الشبيه
 بالنم (٧) الوالى العامل أى الحاكم والمعنى أزال الصحو الغمام (٨) أى أن نرفض الإقامة بها
 رفضاً باتاً (٩) وافينا أتيننا والمستقر السكن وركضا يعنى عدوا وجرياً على الاقدام (١٠) يعنى
 لما أزلنا وسخ هذا السير بمعنى استرحنا (١١) الربة عروة تجمل فى جبل مع عرى أخرى
 ويربط فى هذا الجبل (ويسمى الرقى) أولاد الضأن والمز والبقر (١٢) أفضينا وصلنا والساحة
 رجة بين الدور والتيسير اليسر والتسهيل (١٣) وطى تلك الشقة أى قطع تلك المسافة (١٤) الغداة
 أول النهار يعنى دهمتنا السماء فى أول النهار الذى كان فيه غيم - والغيث المسطر - والمسبل الهاطل
 يعنى دهمتنا السماء بمطر هائل على الافق الذى كان السحاب منحياً عليه (١٥) له رنة أى دوى -
 وصوت هائل (١٦) الشكى التى فقدت ولدها ولم تشكل يعنى لم يفقدها الله ولدها والمعنى كضوت
 الغائب عنها ولدها مع أن الله لم يهلكه فهى تصوت على غيابها ولم ينقطع أمليها من وجوده

- وَتَنَى بِوَيْلٍ عَدَا طُورَهُ (١) فَمَا ذَهَبَ إِلَّا عَلَى الْمُحَلِّ (٢)
 وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ عَلَيَّ مَا تَسْتَرْجِي مِنْ عَقْدِ الْمَارِزَةِ (٣)
 فَمِنْ لَا تَذُرُ بِنَاءَ الْجِدَارِ (٤) وَأَوْرَثَتْ سَلَكِيهِ، أَلْقَتْ إِلَيَّ
 وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي الْغَرِيقَ هُنَاكَ وَمِنْ صَارِخٍ مَرْدُدُهُ حَقَرٌ
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يَهْمِلْ (٥)
 كَانَ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى يَدَيْ سَامِنِ الْأَرْضِ لَمْ يَبْلُ (٦)
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ (٧) فَادْبَرَ كُلٌّ عَنِ الْمُقْبِلِ (٨)
 يَقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ (٩) وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلُ (١٠)
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَدَهُ غَايِمًا (١١) وَمَنْ مُعَلِّمٍ عَادَ كَالْمُجْهَلِ (١٢)
 كَفَانَا بَلِيَّتُهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ (١٣)
 فَقُلْ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَأَبْرِقِي فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمُنْزِلِ (١٤)

(وصف حديقة لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ)

لَمَّا صَدَّاتِ مِرْآةُ الْجَنَانِ، (١٧) قَصَدَتْ لَجَلَائِهَا بَعْضَ الْجَنَانِ، (١٨) فَدَخَلَتْ

- (١) الويل تقدم تفسيره (المطر الشديد) وعدا طوره تجاوز حده (٢) فصار ثقيلًا وخيما على المكان الممحل الجذب المنقطع عنه المطر (٣) اشرف على كذا قرب منه والمفضل الذي لا دواء له (٤) فن متحصن بالاراضي المجاورة للجدران (٥) ومن لاجئ الى سرب في الارض لم يتمهده أحد (٦) ينادي الغريق أى يدعو الناس ويقول الغريق ليستفدوه والممول الرافع صوته بالبكاء (٧) همل الدمع — سال والمعنى انها جادت بدمع لم يكن السبب في اسباله لا الغرام ولا الوجد (٨) كان حراما لها أى كأن السماء محرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء (٩) الروعة الفزعة (١٠) فصار كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله (١١) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظيم (١٢) ويحمل كل ما يلتاقه من الصخور الضخام (١٣) رده غامرا صيره خرابا (١٤) من معلوم صار كالمجهول (١٥) كفانا الله شره فوجب الشكر له لافضاله علينا (١٦) ابقى بالرعد والبرق (١٧) الجنان القلب وصدئت رآته علاها الوسخ والمعنى لما كل القلب ومل العمل (١٨) لجلائها أى ازالة الوسخ الذى علاها، والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر

وصف البيان لأمر المؤمنين ابن المعتز - ووصف المكارم له ٣٦٩

إليها ، وما كدت أن أقدم ، ولا ، فإذا هي جنة عالية ، (١) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢)
وَيُضْرَفُ ، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا (٣) وَتَكْمٌ ، (٤) وَأَعْلَامُ أَشْجَارِهَا مَرْفُوعَةٌ ، (٥)
أَزْهَدُ فِي جِدَالٍ ، وَلَا أَكْثَوَعَهُ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ، (٦) تَجُوسُ الْمِيَاهُ خِلَالَ دِيَارِهَا (٧)
وَلَا أَعْجَلُ مُكْأَنُورٍ نَوَّارِهَا (٨) نَزْهَةُ النَّوَاطِرِ ، (٩) وَشَرَكُ الْخَوَاطِرِ (١٠) بِهَا
أَشْجَارٌ لَا تُحْصَى ، (١١) وَبِمَارٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُسْتَقْصَى (١٢)

(وصف البيان لأمر المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ)

أَلْبِيَانُ تَرْجَمَانِ الْقُلُوبِ ، وَصِيقِلِ الْعُقُولِ ، (١٣) وَمُجْلَى الشَّبَّهِ ، (١٤) وَمُوجِبُ
الْحُجَّةِ ، وَالْحَاكِمُ عِنْدَ اخْتِصَامِ الظُّنُونِ ، وَالْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَخَيْرُ الْبَيَانِ مَا
كَانَ مُصَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى ، لِيُسْرِعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيَهُ ، أَوْ مُوجِزًا لِيَخْفَ عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيَهُ
(ووصف أيضاً المكارم)

لَنْ تَكْسَبَ أَعَزَّكَ اللَّهُ الْحَمْدُ ، وَتَسْتَوْجِبَ الشَّرْفَ ، إِلَّا بِالْحَمَلِ عَلَى النَّفْسِ
وَالْحَالِ ، وَالنُّهُوضِ بِحَمَلِ الْأَثْقَالِ ، وَبَذْلِ الْجَاهِ وَالْمَالِ ، وَلَوْ كَانَتْ الْمَكَارِمُ تُنَالُ
بِقِيَرٍ مُؤَوَّنَةٍ لَاشْتَرَكَ فِيهَا السَّقَلُ (١٥) وَالْأَحْرَارُ ، وَتَسَاهَمَهُمَا الْوَضْعَاءُ (١٦) مِنْ ذَوِي
الْأَخْطَارِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ الْكَرَمَاءَ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ أَهْلَهَا ، فَخَفَّفَ عَلَيْهِمْ حَمْلَهَا
وَسَوَّغَهُمْ فَضْلَهَا ، وَحَظَّرَهَا (١٧) عَلَى السَّقَلَةِ لِصَفَرِ أَقْدَارِهِمْ عَنْهَا ، وَبُعْدِ طِبَاعِهِمْ
مِنْهَا ، وَنَفُورِهَا عَنْهُمْ ، وَاقْشَعَرَّ أَرَاها مِنْهُمْ .

(١) أى مرتفعة فاخرة (٢) عنايدما متدية قرية من الجاني (٣) الطلح الاشجار العظام
ومنضود يعنى متراكم بعضه فوق بعض (٤) أى متسع (٥) أى اغصانها مرتفعة (٦) لاتقطع عن
لطالب ولا تمنع منه (٧) أى تتردد بين بيوتها (٨) النوار الزهر (٩) تنزه فيها العيون
(١٠) تصطاد الخواطر وتسبي العقول (١١) لا يمكن الاتيان على عددها (١٢) لا يتأتى
ادراك آخرها (١٣) جلاؤها (١٤) كاشفها (١٥) السفلى جمع سفة وهم طغام الناس وغوغاؤهم
(١٦) جمع وضيع وهو الساقط (١٧) منعها

الذى لا يَخْلُقُ ^(٢) والحقّ الصّادع ، والنور الساطع ، والمأجى لظلم الصّلات ، ولسان
 الصّدقِ النَّافى للكذب ، ومِفْتَاح الخير ، ودَكِيلُ الْجَنَّةِ — إنْ أَوْ جَزَّ كَانَ كَافِيًا
 وإنْ أَكْثَرَ كَانَ مُذَكِّرًا ، وإنْ أَمَرَ فَنَاصِحًا ، وإنْ حَكَّمَ فَعَادِلًا ، وإنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا
 سِرَاجٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَبَحْرُ الْعُلُومِ ، وَدِيَّانُ الْحِكْمِ ، وَجَوْهَرُ الْكَلِمِ

(وصف البلاغة لفحول البلغاء)

(١) قال الجوهري: أحسنُ الكلامِ نظامًا ما ثَقَبَتْهُ يَدُ الْفِكْرَةِ ، وَنَظَّمَتْهُ الْفِطْنَةُ
 وَوُصِّلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سُمُوطِ ^(٣) أَلْفَاظِهِ ، فَاحْتَمَلَتْهُ نُحُورُ الرُّوَاةِ :

(٢) وقال العطار: أَطْيَبُ الْكَلَامِ مَا عَجِنَ عَنَبُ أَلْفَاظِهِ ، بِمَسْكِ مَعَانِيهِ ، فَفَاحَ
 نَسِيمُ نَشْقِهِ ^(٤) وَسَطَعَتْ رَأْيُحَةُ عَبْقِهِ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ الرُّوَاةُ ، وَتَعَطَّرَتْ بِهِ السَّرَاةُ

(٣) وقال الصّائغ: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَحْمَيْتَهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ ، وَسَبَكْتَهُ بِمَشَاعِلِ
 النَّظَرِ ، وَخَلَصْتَهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزَ الْإِيرِيزِ ، فِي مَعْنَى وَجِيزِ ^(٥)

(٤) وقال السيّري: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا نَقَدْتَهُ عَيْنُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّكْتَهُ يَدُ الرُّوِيَّةِ
 وَوَزَنْتَهُ بِمَعْيَارِ الْفَصَاحَةِ ، فَلَا نَظَرَ يُزَيِّفُهُ ، ^(٦) وَلَا سَمَاعٌ يُبْهَرِجُهُ ^(٧)

(١) ضعف (٢) لا يلبى (٣) السط — الحيط الذى ينظم فيه (٤) النشق — الاستشاق ،
 العبق — لصوق الطيب بالشيء وتلف الرجل بالطيب — ادهن به . والسراة — الأشراف
 (٥) الكير — زق ينفخ فيه الحداد . والمشاعل جمع مشعل وهو القنديل وموضع شعل
 النار أى الهاهما (٦) زيف الدراهم إرتأى أنها زائفة أى مغشوشة (٧) وبهرجها — أبطلها

(٥) وقال الحداد: أحسنُ، وكلام ما نصبتَ عليه مِنْفَخَةَ الْقَرِيحَةِ، وَأَسْعَلَتْ بِكَضْرَمَا، وَلَا أَقْلَ صُلْفًا^(١) وَتَكَلَّمَ مِنْ فَمِ الْإِخَامِ وَرَفَقَتْهُ بِغَطِيسِ الْأَفْهَامِ^(٢) أَزْهَدَ فِي جِدَالٍ، وَلَا أَكْخِرَ الْكَلَامِ مَا أَحْكَمْتَ نَجَرَ مَعْنَاهُ بَقْدُومِ التَّقْدِيرِ، وَنَشْرَتَهُ بِلاَ أَعْجَلَ، مُكَلِّتَ دَبِيرٍ، فَصَارَ بَابًا لِبَيْتِ الْيَبَانِ، وَعَارِضَةً^(٣) لِسَقْفِ اللَّسَانِ.

(٧) وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتَّصَلَتْ لُحْمَةُ أَلْفَاظِهِ، بِسَدَى مَعَانِيهِ فَجَرَجَ مُفَوِّقًا مُنِيرًا، مُوَسَّى مُحَبَّرًا.^(٤)

(٨) وقال الجمال: البليغُ مَنْ أَخَذَ بِخُطَامِ^(٥) كَلَامِهِ، فَأَتَاخَهُ فِي مَبْرَكِ الْمَعْنَى، ثُمَّ جَعَلَ الْإِخْتِصَارَ لَهُ عِقْلًا، وَالْإِجَادَةَ لَهُ بَحَالًا، فَلَمْ^(٦) يَنْدَ عَنْ الْأَذَانِ وَلَمْ يَشِدَّ عَنِ الْأَذْهَانِ.

﴿ وصف عمر بن الخطاب ﴾

قال معاوية بن أبي سفيان لِيَصْعَصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ: وصف لي عمر بن الخطاب. فقال: كان عالمًا بَرِيعَةً، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ، عَارِيًّا مِنَ الْكِبَرِ، قَبُولًا لِلْعُدْرِ، سَهْلًا الْحِجَابِ، مَصُونًا الْبَابِ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ، غَيْرَ مُحَابٍ لِلْقَرِيبِ وَلَا جَافٍ لِلْغَرِيبِ.

(وصف على بن أبي طالب)

قال معاوية لِضَرَارِ الصَّدَائِي، يَا ضَرَارَ: صِفْ لِي عَلِيًّا قَالَ: أَعْفَنِي يَا أَمِيرَ

(١) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة (٢) العارضة — الحشبة العليا التي يدور فيها الباب وعوارص البيت خشب سقفه (٣) المفوف — الرقيق من الثياب أو الذي فيه خطوط بيض والمثير للفسوج على نيرين أي المضاعف النسيج، والموشى — المنقوش، والمجبر — المحسن (٤) الخطام — كل ما وضع في أنف البعير ليقناده به — جمعه خطم (٥) وند — هرت

في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

(وصف كلام العرب لعتبة بن أبي سفيان)

قال عتبة بن أبي سفيان : إنَّ للعرب كلاماً هو أرقُّ من الهوَاء ، وأعذبُ من الماء ، مَرَق من أفواههم مَرُوق السَّهَام من قِسيِّها ، بكلمات مُؤْتَلِفَات ، إنَّ فسَّرت بغيرها عَطَلَتْ (٢) وإنَّ بَدَّلَتْ بسواها من الكلام استصعبت . فسهولة ألفاظهم تؤهِّمُك أنَّها مُمكنة إذا سُمِعَتْ ، وصعوبتها تُعلِّمُك أنَّها مَفْقُودة إذا طُلِبَتْ (٣) .

(وصف الكتاب للجاحظ)

قال الجاحظ : الكِتَابُ وعاءٌ مُلِيٌّ علماً ، وظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفاً ، وبُستانٌ يُحْمَلُ في رُذْنٍ (٤) وروضةٌ تُقَلَّبُ في حِجَرٍ . يَنطِقُ عن الموتى ، ويُترجمُ كلامَ الأحياء ، ولا أعلمُ جاراَ أبرَّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، وأقلَّ جنايةً ، ولا أقلَّ إملالاً وإبراماً ، ولا أقلَّ

(١) المدى — الناية (٢) التعطيل — ترك الشيء ضياعاً (٣) هذا النوع من الكلام يسمى السهل المتنع (٤) الرذن — الكم جمعه أردان

خلاقاً وإِجراماً ، ولا أَقلَّ غِيبَةً ، ولا أَبعدَ من عَضْبَةٍ ^(١) ، ولا أَكثرَ أعْجوبةً
وَبَصَرًا ، ولا أَقلَّ صِلَفًا ^(٢) ، وتَكَلَّفًا ، ولا أَبعدَ من مرآءٍ ، ولا أَتركَ لِشَغَبٍ ، ولا
أزهدَ في جِدالٍ ، ولا أَكفَّ عن قِتالٍ - من كتاب . ولا أعلمُ قَرينًا أَحسنَ مُؤاتاةً ^(٣)
ولا أعجلَ مُكافأةً ، ولا أَحضرَ مَعونةً ، ولا أَقلَّ مَوْثونةً . ولا شجرةً أَطولَ عُمرًا
ولا أَجمعَ أَمراءً ، ولا أَطيبَ نَمرةً ، ولا أَقربَ مُجتنىً ، ولا أَسرَعَ إدراكَ في كُلِّ
أَوَّانٍ ، ولا أَوْجدَ في غيرِ إِبَّانٍ - من كتاب . ولا أعلمُ تَنابُجًا في حَدائِثِ سَنَةٍ ، وقُرب
مِيلادِهِ ، ورُخصٍ ثَمَنِهِ ، وامكانِ وُجودِهِ ، يَجْمَعُ من التَّدابِيرِ الحَسَنَةِ ، والعلومِ
الغَرِيبَةِ ، ومن آثارِ العقولِ الصَّحِيحَةِ ، ومحمودِ الأَخْبَارِ اللُّطِيفَةِ ، ومن الحِكمِ الرَّقِيقَةِ
ومن المذاهبِ القَدِيمَةِ ، والتَّجَارِبِ الحَكِيمَةِ ، والأَخْبَارِ عن القُرُونِ الماضِيَةِ
والبُلادِ المُتَرَاخِيَةِ ، والأَمْثالِ السَّائِرَةِ ، والأُمَمِ البَائِرَةِ ^(٤) ما يَجْمَعُ « الكتاب »
وقيل لبعض العلماء : ما بَلَغَ من سُرورِكَ بِكِتَابِكَ ؟

فقال : هِيَ إِنِّ خَلَوْتُ لَدَنِّي ، وَإِنِ اهْتَمَمْتُ سَلَوْتُي ، وَإِنِّ قَلْتُ إِنِّ زَهَرَ
البُستانُ ، وَنَوَّرَ الجَنانُ ، يَجْلُوَانِ الأَبْصارَ ، وَيُمْتِعَانِ بِحُسْنِهما الأَلْحاظَ ، فإِنَّ بُستانَ
« الكُتُبِ » يَجْلُوُ العَقْلَ ، وَيَشْحَذُ الذَّهْنَ ، وَيُحْيِي القَلْبَ ، وَيُقَوِّى القَرِيحَةَ ،
وَيُؤَيِّنُ الطَّبِيعَةَ ، وَيَبْعَثُ نَتائِجَ العَقولِ ، وَيَسْتَثِيرُ دَفَائِنَ القُلُوبِ ، وَيُمْتِعُ في
الْخُلُوةِ وَيُؤْنِسُ في الوَحْشَةِ ، وَيَضْحَكُ بِنِوادرِهِ ، وَيُسَرُّ بِغَرائِبِهِ ، وَيُفِيدُ ولا
يَسْتَفِيدُ ، وَيُعْطِي ولا يَأْخُذُ ، وَتَصِلُ لَدَنَّهُ إلى القَلْبِ من غيرِ سَامَةٍ تُدْرِكُكَ ، ولا
مَشَقَّةٍ تَعْرِضُ لَكَ .

(١) المضبة - البهتان والنيمة (٢) الصلف - تمدح المرأ بما ليس عنده (٣) المؤاتاة
حسن المطاوعة والموافقة وأصله بالهزة وفي الحديث : خير النساء المؤاتية لزوجها (٤) البائرة

(وصف التاريخ لابن الأثير)

التَّارِيخُ : مَعَادٌ ^(١) مَعْنَوِي . يُعِيدُ الْأَعْصَارَ وَقَدْ سَلَفَتْ ، وَيَنْشُرُ أَهْلَهَا وَقَدْ ذَهَبَتْ آثَارُهُمْ وَعَفَّتْ ^(٢) ، وَبِهِ يَسْتَفِيدُ عُقُولُ التَّجَارِبِ مَنْ كَانَ غَرًّا . وَيَلْقَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ وَهَلُمَّ جَرًّا . فَهَمَّ لَدَيْهِ أَحْيَاءٌ ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْهُمْ بُطُونُ الْقَبُورِ ، وَعَنْهُ غَيْبٌ وَقَدْ جَعَلَتْهُمْ الْأَخْبَارُ فِي عِدَادِ الْحُضُورِ . وَلَوْلَا التَّارِيخُ لُجِبِلَتْ الْأَنْسَابُ وَنُسِيتِ الْأَحْسَابُ ، وَلَمْ يَعْلَمْ الْإِنْسَانُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ تَرَابٍ ، وَكَذَلِكَ لَوْلَا لِمَاتَتْ الدُّوَلُ بِمَوْتِ زُعَمَائِهَا ، وَعَمِيَ ^(٣) عَلَى الْأَوَاخِرِ حَالُ قُدَمَائِهَا ، وَلَمْ يُحِطْ عُلَمَاءُ بِمَا تَدَاوَلَتْ الْأَرْضُ مِنْ حَوَادِثِ سَمَائِهَا . وَلِمَكَانِ الْعِنَايَةِ بِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ فَفِيهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ الْمُجْمَلَةِ ، وَمِنْهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ الْمَفْصَّلَةِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ مُفْرَدًا فِي سِفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهَا ، وَتَضَمَّنَ تَفْصِيلَ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَمُدَدَ أَعْمَارِهَا . وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ عَلَى جَهْلِهَا بِالْقَلَمِ وَخَطِّهَا ، وَالْكِتَابِ وَضَبْطِهِ ، تَصْرِفُ إِلَى التَّوَارِيخِ بُجْلَ دَوَاعِيهَا ، وَتَجْعَلُ لَهُ أَوَّلَ حَظٍّ مِنْ مَسَاعِيهَا ، فَتَسْتَغْنِي بِحِفْظِ قُلُوبِهَا عَنْ حِفْظِ مَكْتُوبِهَا ، وَتَعْتَاضُ بِرَقْمِ صُدُورِهَا ، عَنْ رَقْمِ سَطُورِهَا ، كُلُّ ذَلِكَ عِنَايَةٌ مِنْهَا بِأَخْبَارِ أَوَائِلِهَا ، وَأَيَّامِ فَضَائِلِهَا . وَهَلِ الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا أَسَّسَهُ ذِكْرُهُ وَبَنَاهُ ؟ وَهَلِ الْبَقَاءُ لَصُورَةٍ لِحَمِهِ وَدَمِهِ لَوْلَا بَقَاءُ مَعْنَاهُ ! ؟

(وصف الرجل الكامل)

كُتِبَ الْحَسَنُ ^(٤) بِنِ سَهْلٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ^(٥) بِنِ سَمَاعَةَ الْقَاضِي يَصِفُ لَهُ الرَّجُلَ الْكَامِلَ

(١) معاد يقصد أنه كالיום الآخر (٢) عفا الشيء — هلك (٣) عمي عليه الامر — التبس وكذلك عمي عليه (٤١) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفي سنة ٢٣٦ هـ (٥) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة توفي سنة ٢٢٣ وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس

أما بعدُ : فإني احتجتُ لبعضُ أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ، ذى عِفَّةٍ
ونزاهة ، طُعْمَةٌ ^(١) قد هدَّبتَه الآداب ، وأحكمتَه التجارب ، ليس بظنَّين ^(٢) في
رأيه ، ولا بِمَطْعُونٍ في حسبه ، إن أُورِثَ منَ على الأسرار قام بها ، وإن قُلِّدَ مُهِمًّا
من الأمور أجراً ^(٣) فيه ، له سِنٌّ مع أدبٍ ولسان ، تُعَدُّه الرِّزَانَةُ ، ويُسَكِّنُهُ الحِلْمُ
قد فرَّ ^(٤) عن ذكاء ^(٥) وفطنة ، وعَضَّ على قارحة ^(٦) من الكمال ، تكفيه اللحظة
وتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قد أبصرَ خدمةَ الملوك وأحكمها ، وقامَ في أمورهم فُحْمَدٍ فيها
له أناةُ الوزراء . وصولةُ الأمراء ، وتواضعُ العلماء ، وفهمُ الفقهاء ، وجوابُ الحكماء
لا يَبِيعُ نَصِيبَ يومه بحرمان غده . يَكَادُ يُسْتَرَقُّ ^(٧) قلوبُ الرِّجَالِ بِجَلَاوَةِ
لِسَانِهِ ، وحُسْنِ بَيَانِهِ ، دَلَائِلُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ لَا تَحْتَجُّ ، وأَمَارَاتُ الْعِلْمِ شَاهِدَةٌ
مُضْطَلَعًا ^(٨) بما استنمَّضَ ، مُسْتَقْلًا ^(٩) بما حُمِّلَ ، وقد آثَرْتُكَ بِطَلْبِهِ ، وَحَبَوْتُكَ
بِإِرْتِيَادِهِ ^(١٠) ، يَفْقَهُ بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ ، ومعرفةً بِحُسْنِ تَأْتِيكِ ^(١١) .

(وصف قناة السويس)

« للمرحوم أحمد شوقي بك » مخاطبا ابنه يومَ أنْ عَبَرَ قَنَاةَ السَّوِيسِ مُيَمِّمًا
الْأَنْدَلُسَ حِينَما نَفَثَهُ الْأَحْكَامُ الْعُرْفِيَّةُ ، إِبْتَانِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ

(١) الطُعْمَةُ بِالضَّمِّ طَرِيقُ الْكَسْبِ وَبِالْكَسْرِ هَيْئَةُ الْأَكْلِ وَالسَّيْرِ فِيهِ . (٢) الظَّنَّيْنِ — الْمُتَمِّمِ
(٣) أَجْزَأ — أَغْنَى (٤) فَرِ الدَّابَّةِ — كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهَا لِيَعْرِفَ مَبْلَغَ عَمْرُهَا (٥) الذِّكَاةُ —
تَمَامُ السِّنِّ وَاكْتِمَالُهُ أَوْحَدَةُ الذَّهْنِ (٦) الْفَرَسُ الْقَارِحُ — الَّذِي اسْتَكَلَ الْقُوَّةَ بِاِكْتِمَالِ
الْعَمْرِ وَنَظِيرُهُ فِي الْأَبْلِ الْبَازِلُ ، وَالسِّنُّ الَّتِي تَنْبَتُ لَهُ عِنْدَ قُرُوحِهِ تَسْمَى قَارِحًا وَقَارِحَةٌ . وَالْجُمْلَةُ كُلُّهَا
كُنَايَةٌ عَنْ اسْتِيفَاءِ صِفَاتِ الْكِمَالِ (٧) يَسْتَعْبِدُ (٨) يَقَالُ هُوَ مُضْطَلَعٌ لِهَذَا الْأَمْرِ وَهَذَا إِذَا كَانَ
قَدِيرًا عَلَيْهِ (٩) اسْتَقْلَ بِالْحَمْلِ نَهَضَ (١٠) الْإِرْتِيَادُ — الْطَلَبُ (١١) تَأْتَى لِلْأَمْرِ — تَرْفُقُ
وَأَنَاءَهُ مِنْ وَجْهِهِ

يَا ابْنِي: القَنَاةُ لِقَوْمِكَا فِيهَا حَيَاهُ، ذِكْرِي إِسْمَاعِيلَ وَرِيَّاهُ^(١)، وَعُلْيَا مَفَاخِرِ
دُنْيَاهُ، دَوْلَةُ التَّرْقِ الْمُرْجَاةُ، وَسُلْطَانُهُ الْوَاسِعُ الْجَاهُ، طَرِيقُ التَّجَارَةِ، وَالْوَسِيلَةُ
وَالْمَنَارَةُ، وَمَشْرَعُ^(٢) الْحَضَارَةِ

تَعْبُرَانِهَا الْيَوْمَ عَلَى مُرْجَاةٍ^(٣)، كَأَنَّهَا فُلُكُ النَّجَاةِ. خَرَجْتَ بِنَا بَيْنَ طُوفَانِ
الْحَوَادِثِ، وَطُغْيَانِ الْكَوَارِثِ، تُفَارِقُ بَرًّا، مُعْتَصِبُهُ مُضَرِّيُّ^(٤) الْقَضْبَةِ، قَدْ
أَخَذَ الْأَهْبَةَ، وَاسْتَجْمَعَ كَالْأَسَدِ لِلْوَيْبَةِ، وَتَلَاقَى بِحَرًّا جُبَّتْ جَوَارِيهِ، وَنَزَتْ^(٥)
بِالتَّرَّ نَوَازِيهِ، وَتَمَثَّلَتْ بِكُلِّ سَبِيلِ عَوَادِيهِ. مَمْلُوءًا بِبَغْتَاتِ الْمَاءِ، مُتَرَعَابًا بِفُجَاءَاتِ
السَّمَاءِ، مِنْ نُونٍ^(٦) يَنْسِفُ الدَّوَارِعَ، أَوْ طَيْرٍ^(٧) يَقْدِفُ الْبَيْضَ مَصَارِعَ.
فَقُلْتُ: سِيرِي، عَوَزْتُكَ بِوَدِيعَةٍ^(٨) التَّابُوتِ، وَبِصَاحِبِ^(٩) الْحَوْتِ، وَبِالْحَيِّ
الَّذِي لَا يَمُوتُ. وَاسْرِي يَا ابْنَةَ الْيَمِّ، زِمَامُكَ الرُّوحُ،^(١٠) وَرَبَّانُكَ^(١١) نُوحُ،
فَكَمْ عَلَيْكَ مِنْ مَنَكُوبٍ وَمَجْرُوحٍ.

إِنَّ لِلنِّفَى لِرَوْعَةٍ، وَإِنَّ لِلنَّأْيِ لَلْوَعَةِ، وَقَدْ جَرَتْ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ، بَأَنَّ نَعْبُرَ
هَذَا الْمَاءِ، حِينَ التَّرُّ مُضْطَرِمٌ، وَالْيَأْسُ مُحْتَدِمٌ، وَالْعَدُوُّ مُنْتَقِمٌ، وَالْخَصْمُ مُحْتَكِمٌ
وَحِينَ الشَّامِتُ جَدْلَانِ مُبْتَسِمٌ، يَهْزَأُ بِالْذَّمِّ وَإِنْ لَمْ يَنْسَجِمِ^(١٢) فَنَانَا حُكَّامٌ
عُجْمٌ، أَعْوَانُ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ، خَلَفْنَاهُمْ يَفْرَحُونَ بِذَهَبِ اللَّجْمِ، وَيَمْرَحُونَ فِي
أَرْسَانِ يُسَمِّنُهَا الْحُكْمُ، ضَرْبُونَا بِسَيْفٍ لَمْ يَطْبَعُوهُ، وَلَمْ يَمْلِكُوا أَنْ يَرْفَعُوهُ، أَوْ

(١) الرِّيَا — الرَّاغِبَةُ الطَّيْبَةُ (٢) الْمَشْرَعُ — الْمُرْدُ (٣) زَجَاهُ وَأَرْجَاهُ — سَاقُهُ وَسِيرُهُ

(٤) مَضَرٌّ — شَخْذٌ مِنْ أَفْخَادِ الْعَرَبِ يَنْسَبُ لِلْمَضَرِّ بْنِ نَزَارٍ وَهَذَا التَّعْبِيرُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ بَشَّارٍ

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبْنَا مَضَرِيَّةٌ * هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تَقَطَّرَ الدَّمَاءُ

(٥) النَّزْوُ — الْوَيْبُ، وَالنَّازِيَةُ — حِدَّةُ الرَّجُلِ الْوُثَابُ إِلَى الشَّرِّ وَجَمْعُهَا نَوَازٍ (٦) النَّوْنُ الْحَوْتُ

وَالْمُرَادُ النَّسَافَةُ (٧) يَرِيدُ الطَّيْرَ الطَّيَارَاتِ وَبِالْبَيْضِ مَا يَلْقَى مِنْهَا مِنْ مَهْلِكَاتِ التَّقْدِيفِ (٨) هُوَ

مَوْسَى كَلِيمُ اللَّهِ (٩) هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسُ (١٠) جَبْرِيلُ (١١) الرَّبَّانُ رَأْسُ الْمَلَاحِينِ وَجَمْعُهُ رَبَّانِيْنَ

(١٢) انْسَجَمَ الدَّمْعُ — سَالَ

يَضْعُوهُ ، سَامَحِهِمْ فِي حَقُوقِ الْأَفْرَادِ ، وَسَامَحُوهُ فِي حَقُوقِ الْبِلَادِ ، وَمَا ذَنْبُ السَّيْفِ .
إِذَا لَمْ يَسْتَحْيِ الْجَلَادُ ؟ ١

مَاذَا تَهْمِسَانِ ؟ كَأَنِّي أَسْمَعُكُمَا تَقُولَانِ : أَى شَيْءٍ بَدَأَ لَهُ ، عَلَى هَذِهِ الضَّاحِيَةِ (١) .
وَمَاذَا شَجَا خَيَالَهُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ؟ وَأَى حَسَنٍ أَوْ طَيِّبٍ لِمَلَحٍ يَتَصَبَّبُ فِي كَثِيبِ
مَاءٍ عَكِرٍ فِي رَمْلِ كَدِيرٍ ؟؟

قَنَاةٌ حَمِيَّةٌ (٢) ، كَأَنَّهَا قَنَاةُ صَدِئَةٍ ، بَلْ كَأَنَّهَا وَعَبْرِيهَا (٣) رِمَالٌ ، بَعْضُهَا مُتَمَاسِكٌ .
وَبَعْضُهَا مُنْهَالٌ . وَكَأَنَّ رَاكِبَ الْبَحْرِ مُصْحِرٌ (٤) وَكَأَنَّ صَاحِبَ الْبَرِّ مُبْحِرٌ .

رُويَدَ كَمَا : لَيْسَ الْكِتَابُ بِزِينَةِ جِلْدِهِ ، وَلَيْسَ السَّيْفُ بِجِلِيَّةِ غَمْدِهِ . تِلْكَ
التَّنَائِفُ (٥) مِنْ تَارِيخِكُمْ صَحَائِفَ ، وَهَذِهِ الْقَفَارُ ، كُتِبَ مِنْهُ وَأُسْفَارُ . وَهَذَا الْمَجَازُ
هُوَ حَقِيقَةُ السِّيَادَةِ ، وَوَثِيقَةُ الشَّقَاءِ أَوْ السَّعَادَةِ . خِيطُ الرِّقْبَةِ ، مَنْ اغْتَصَبَهُ اخْتَصَصَ
بِالْغَلْبَةِ ، وَوَقَّفَ لِلْأَعْقَابِ عَقَبَةً . وَلَوْ سَكَتُ لَنَطَقَتِ الْعِبرُ ، وَأَيْنَ الْعِيَانُ وَأَيْنَ الْخَبْرُ ؟
أَنْظُرَا : تَرِيَا عَلَى الْعَبْرَيْنِ عِبْرَةَ الْأَيَّامِ ، حُصُونٌ وَخِيَامٌ ، وَجُنُودٌ قُعُودٌ وَقِيَامٌ
جَيْشٌ غَيْرُنَا فُرْسَانُهُ وَقُوَادُهُ ، وَنَحْنُ بُعْرَانُهُ (٦) وَعَلَيْنَا أَزْوَادُهُ ، (٧) دِيكَ عَلَى غَيْرِ
جِدَارِهِ خَلَالَهُ الْجَوْ فَصَاحٌ ، وَكَلْبٌ فِي غَيْرِ دَارِهِ انْفَرَدَ وَرَاءَ الدَّارِ بِالنَّبَاحِ .

أَلْقَنَاةٌ وَمَا أَدْرَاكُمَا مَا الْقَنَاةُ ؟ حَظَّ الْبِلَادِ الْأَغْبَرُ ، مِنَ التَّقَاءِ الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ
بَيَدَ أَنَّهَا أَحْلَامُ الْأَوَّلِ ، وَأَمَانِي الْمَالِكِ وَالْذُّوْلِ : الْفِرَاعِنَةُ حَاوَلُوهَا ، وَالْبَطَالِسَةُ .

(١) الضاحية — البادية وكل أرض بارزة للشمس (٢) الحمئة — التي فيها الحمأة أى الطين .
الاسود المنق ، القناة الأولى التربة والقناة الثانية الريح (٣) عبر النهر — شاطئه (٤) أصحور
يسار في الصحراء (٥) التنايف جمع تنوفة وهى المفازة (٦) البعران جمع بعير كأبصرة
(٧) الأزواد جمع زاد وهو الطعام

زاولوها^(١) ، والقياصرة تناولوها ، والعرب لأمر ما تجاهلوها^(٢) ، إلى أن جرى
القدر لغايته ، وأتى « إسماعيل » بآيته ، فانفتح البرزخ بعنايته ، والتقى البحرين
تحت رايته ، في جمع من التيجان لم يشهده إكليله^(٣) . قد كان يتوج فيه لو
شبهته جيوشه وأساطيله ، وما إسماعيل إلا قيصر لو أنه وفق ، والاسكندر لو لم
يخفق . ترك لكم عز الغد وكنز الأبد ، والمنجم الأحـد ، والوقف الذى إن فات
الوالد فلن يقوت الولد .

ماذا على الرمال ؟ من لمحات جلال وجمال ؟ ارجعاً القهقري بالخيال ، إلى
العصر الخال ، واعرضا في حدائثها الأجيال ، تريا على هذا المكان وجوها تتمثل
وركاباً تتنقل ، وتريا النبوة تهلل . والآيات تنزل ، وتريا الملك يترجل ، حتى
كأنكم بالزمان الأول . فها هنا وضع للنبوّة المهـد ، وابتدأ بها العهد ، فأقبل
صاحب المقام ، ومحطم الأصنام : وبناء البيت الحرام ، خليل ذى الجلال والاكرام^(٤)
هاجر إلى مصر أكرم من هاجر . ثم انقلب منها بأمر العرب هاجر^(٥) . ومن
هذه الثنـيات طلع يوسف يرسف في القيد ، وهو للسيارة صيد ، يسير من كيد إلى
كيد . قلب جرحته الإخوة ، وجنب قرحته النسوة . فيالك « يوسف » من
أسوة^(٦) ، عز بعد هون ، ودولة بعد المنزل الدون ، وشئون أقدار وشجون ، وسهول
حياة وحزون ، وسجوف القصور بعد السجون : إلى سجد الشمس لك والقمر

(١) زوال الشيء — حوله (٢) يروى أن هارون الرشيد فكر في أن يصل البحرين بقناة
وانه استشار يحيى بن خالد البرمكى في ذلك فقال له : يا أمير المؤمنين « إن خرق السويس خرق في
الاسلام » فدل عن رأيه . (٣) الاكليل — التاج (٤) هو خليل الله ابراهيم (٥) هي جارية
مصرية أهداها فرعون الى السيدة سارة زوج سيدنا ابراهيم فوهبتها له فاستولدها اسماعيل جد
العرب المستعربة (٦) الاسوة — القدوة ، وما يتأسى به الحزين أى يتعزى .

وَالْكَوَاكِبِ الْآخَرَ .

وإلى هذا الفضاء خرج موسى حين زال زويله^(١) وطلبه قتيله ، وزين له الفرار خليله^(٢) فخرته هذه الرمال ، فاذا الأمن سبيله ، واليمن دليله ، والسلامة زاملته^(٣) والسلم زميله . ولو أطلع الله على غيبه ، للمس النبوة بين يده وجيبه إلى أن رُفِعَ له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من النار ، وقيل له : كن من الأحرار الأحرار ، وارجع فسلط الحق على فرعون الجبار . فكان عليه السلام أول من اقتحم على الفرد جبروته ، وهتك على المستبد طاغوته^(٤) ، وخطم^(٥) المتأله^(٦) وخطم عظموته . ماء الحق على لطفه ، ظفر بنار الباطل على عنفه . ظهر العدل على الحيف ، وكسرت العصا السيف .

وعلى هذه الأرض مشت السماء^(٧) الطاهرة ، والنيرة الزاهرة ، والآية المتظاهرة أم الكلمة^(٨) وطريدة الظلمة . سرحوا في عرضها ، فأخرجوها من أرضها فضربت في طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها ، وجبريل هاديها ، والقدس تاديها ، والطهارة أرجاء واديها ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة ، وجناح الرحمة ، والاصباح من الظلمة ، حتى هبطت به أكرم الأديم^(٩) فنشأ بين الحكيم والعليم

(١) زال زويله — فزع وحذر (٢) يشير الى ما كان من أمر موسى حين وجد قبطيا وإسرائيليا يقتتلان فاستنصره الاسرائيلي على القبطي فوكزه وكره كانت القاضية فلما أصبح وجد الاسرائيلي نفسه يقاتل قبطيا آخر فاستغاثه فقال له موسى إنك لنوى مبین . ثم هم بنصرته على القبطي فتظن أنه يريد بالاذى فصاح الاسرائيلي يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فذاع أمره ولم يلبث أن جاء رجل وقال له : يا موسى إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إلى . لك من الناصحين . خرج الى بلاد مدين . (٣) الزامته — ما يجعل عليه من الابل وغيرها

(٤) الطاغوت — الشيطان وكل رأس ضلال (٥) خطمه — قهره أو ضرب أنفه (٦) أراد بالمتأله المتكبر غير أن معناها اللغوي : المنسك المتبعة (٧) يريد السيدة مريم (٨) الكلمة سيدنا عيسى (٩) الاديم — وجه الارض

وَتَرَعْرَعُ حَيْثُ تَرَعْرَعُ بِالْأَمْسِ الْكَلِيمِ .

فِيَالِكَ مِنْ دَارِ لَعْبَتٍ عَلَى عَرَصَاتِهَا الْأَقْدَارُ ، نَأْوَيْتَ ^(١) مَوْسَى الْقَرِيبُ ،
وَأَوَيْتَ عَيْسَى الْغَرِيبُ ، نَبَوْتُ ^(٢) بِالنَّبِيِّ ، وَحَبَوْتُ الْأَمْنَ عَيْسَى وَهُوَ صَبِيٌّ .
عُذْرُكَ لَا تَنْضَى ^(٣) إِلَيْهِ الْمَطَى ، فَانْمَا غَضِبْتَ لِابْنِكَ الْقَبْطَى .

ثُمَّ انْظُرَا : تَرَيَا إِبِلًا صَعَابَا ، وَخَيْلًا عَرَابَا ^(٤) ، وَتَرَيَا الرُّعَاةَ ^(٥) انْقَضُوا عَلَى
الْوَادِي ذِيئَابَا ، فَأَخَافُوا الْقَرْيَ الْأَمْنَةَ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ مِصْرَ الْفَرَاغَةَ ، وَاسْتَبَدُّوا
بِالْمُلْكِ فِيهَا آوَنَةً ، وَتَرَيَا الْوُحُوشَ الضَّارِيَةَ ، وَالْجَوَارِحَ الْكَاسِرَةَ ، يَقُودُهَا شَرٌّ
الْأَكَّاسِرَةَ ^(٦) ، مَلَأَتْ هَذِهِ الْفِجَاجَ ^(٧) ، وَكَأَنَّهَا حَرَجَاتُ ^(٨) السَّاجِ ، أَوْ حَرَكَاتُ
الْأَمْوَاجِ ، ثُمَّ تَدَقَّقْتَ تَكْتَسِحُ الدِّيَارَ ، بَاغِيَةَ السَّيْفِ طَاغِيَةَ النَّارِ ، تَدُكُّ الْهِيَاءَ كُلَّ
وَالْمَعَاقِلِ ، وَتَهْتِكُ الْعَقَائِدَ وَالْعَمَائِلَ . وَتَرَيَا الْإِسْكَندَرَ الْكَرِيمَ ، قَدْ لَمَعَ كَالضَّارِمِ
مِنْ هَذَا الضَّرِيمِ ^(٩) ، وَيَحْمِلُ الْحِمَالَاتِ النَّجَائِبَ ، وَيَفْتَحُ بِالْكَتُبِ وَالْكِتَابِ
وَتَرَيَا ابْنَ الْعَاصِ وَالصَّحَابَةَ ، مَرَوْا مِنْ هَذِهِ الْأَرْجَاءِ مَرَّ السَّحَابَةِ ، يَفْتَحُونَ
لِلْحَقِّ وَيَفْتَكُونَ بِالرَّقِّ ، حَتَّى أَخْلَوْا الْقُصُورَ مِنَ الْقِيَاصَةِ ، وَأَرَاخُوا مِصْرَ الصَّابِرَةِ .
مِنْ صَلَفِ الْجَبَابِرَةِ

وَتَرَيَا صَالِحَ الدِّينِ يَخْفَى كَالْبَدْرِ وَيَبْدُو ، وَبِرُوحِ كَالغَيْثِ وَيَغْدُو ، بُعُوثُ
بِلَا عُدَدٍ ، وَمَدَدُ إِيْرَمَدَدٍ ، وَذَخَائِرُ وَعُدَدٍ ، وَبُشْرَى كُلِّ يَوْمٍ بِفَتْوحِ جُدَدٍ .
وَتَرَيَا نَابِلِيونَ قَدْ رَكَبَ طَيْشَهُ ، وَأَرَكَبَ الْغَرَّ جَيْشَهُ . وَتَرَيَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَلِيٍّ

(١) نَأَوَدُ وَنَأَوَادُ عَادَاءُ (٢) نَبَاهُهُ الْمَكَانَ لَمْ يُوَافِقْهُ (٣) انْقَضَى الْمَطِيَّةُ -- هَزَلَهَا (٤) الْعَرَابُ
مِنْ الْخَيْلِ وَالْأَبِلِ -- الْعَرَبِيَّةُ (٥) هُمُ الْعَالِقَةُ الَّذِينَ مَلِكُوا مِصْرَ مَدَّةً مِنَ الدَّهْرِ (٦) قَبِيْزُ
(٧) الْفِجَاجُ -- الطَّرِيقُ الْوَاسِعَةُ (٨) الْحَرْجَةُ -- الشَّجَرَةُ الْمُنْتَفَةُ وَالسَّاجُ شَجَرٌ يَعْظُمُ جَدْلًا
وَيَذْهَبُ طَوِيلًا وَعَرْضًا وَلَهُ وَرَقٌ عَرِيضٌ جَدًّا (٩) الضَّرِيمُ -- الرَّمْلُ

مَشْهُورَ الْجُرَازِ ، مَوْفُورَ الْجِهَازِ ، مَلَكٌ سُورِيَّةٌ وَضَبَطَ الْحِنَازَ . وَتَرَيَا إِسْمَاعِيلَ بَعَثَ
الْحَاشِرِينَ ، وَحَشَّدَ الْحَافِرِينَ ، وَقَرَّبَ الْمَسَافَةَ لِلْمُسَافِرِينَ . غَيَّرَ وَجْهَ السَّفَرِ ، فَقِيلَ :
بَلَغَ غَايَةَ الظَّفَرِ ، وَقِيلَ وَقَعَ الْحَافِرُ فِيمَا حَفَرَ .
ثُمَّ انْظُرَا الْيَوْمَ تَرَيَا الْقَنَاةَ فِي يَدِ الْقَوْمِ إِنَّ أَمِنُوا رَكَزُوهَا ، وَإِنْ خَافُوا هَزُوهَا
(وصف فرس)

قال محمد بن الحسين يصف فرساً .

هُوَ حَسَنُ الْقَمِيصِ ، جَيِّدُ الْفُصُوصِ ، وَثِيْقُ الْقَصَبِ ، نَقِيّ الْعَصَبِ ، يُبْصِرُ
بِأَذْنِيهِ ، وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ ، وَيُدْخُلُ بِرِجْلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُّورٍ
يَنَاهِبُ الْمَشَى قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَيَلْحَقُ الْأَرَانِبَ فِي الصَّعُودِ ، وَيُجَاوِزُ جَوَارِيَ
الطُّبَاءِ فِي الْإِسْتِوَاءِ ، وَيَسْبِقُ فِي الْحَدُّورِ جَرَى الْمَاءِ . إِنْ عُطِفَ جَارٌ ، وَإِنْ أُرْسِلَ
طَارٌ ، وَإِنْ كُلِّفَ السَّيْرُ أَمْعَنَ وَسَارَ ، وَإِنْ حُبِسَ صَفَنَ ، وَإِنْ اسْتَوْقِفَ قَطَنَ ، وَإِنْ
رُعِيَ أَتَنَ ، فَهُوَ كَمَا قَالَ تَابُطْشَرًّا :

وَيَسْبِقُ وَفَدَّ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ تَنْتَحِي بِمُنْخَرَقٍ مِنْ شِدَّةِ الْمُتَدَارِكِ
(وصف العصا)

لَقِيَ الْحِجَابَ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ مِنَ الْبَادِيَةِ قَالَ : مَا يَدِيكَ ؟
قَالَ عَصًا أَرَكُزُهَا لَصَلَاتِي ، وَأُعِدُّهَا لَعُدَاتِي ، وَأَسْوَقُ بِهَا دَابَّتِي ، وَأَقْوَى بِهَا عَلَى
سَفَرِي ، وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِي ، لِيَتَّسِعَ بِهَا خَطْوِي ، وَأُعْبِرُ بِهَا النَّهْرَ فَتَوْمَنِي
وَأَلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَسْتُرُنِي مِنَ الْحَرِّ ، وَيَقِينِي مِنَ الْقُرِّ ، وَتُدْنِي مَابَعْدَ مِنِّي . وَهِيَ
مَحْمَلُ سَفَرِي ، وَعِلَاقَةُ إِدَاوَتِي ^(١) وَمِشْجَبُ ثِيَابِي ، أَعْتَمِدُ بِهَا عِنْدَ الضَّرَابِ ،
وَأَقْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ ، وَأَتَّقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ . تَنْوُبُ عَنِ الرُّمُحِ فِي الطَّعَانِ ،

(١) أداة — وعاء ماء يتطهر به

وعن الحربة عندمنازلة الأقران ، ورثتها عن أبي ، وأورثها بعدي ابني ، وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى ، كثيرة لا تحصى .

(وصف كرة القدم لمؤلف الكتاب)

قاتل الله الكرة : ما أعجب أمرها . وما أدق سيرها ، قد جمعت الأضداد واسترقت النجباء والأوغاد . فهي كبيرة الحجم ، مفعقة الجسم ، لكنها خفيفة الوزن ، سريعة الوثب . وهي ناعمة اللمس . مليحة الرقص . لكنها تأبى الوخر ولا تطيق الكز . وهي تفر من المداعبة والملاعبة . ولكنها لا تمل من ضرب ولا تكل من دحرجة . وهي محبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدي والأحضان ، لكنها تطرد بالأرجل والعصي ، فهي عزيزة ذليلة ، حقيرة جليلة ، تشبه القنابل في صورها . . والدخوف في أصواتها . والطير في امتطاء الهواء . واختراق الفضاء .

﴿ وصف جيوش لابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ﴾

وصار فلان في جيوش ، عليهم أردية السيوف وأقمصة الحديد ، وكان رماحهم قرون الوغول ^(١) ، وكان أدراعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الأرض بجوافرها وتمد بالنقع سرادقها ، قد نشرت في وجوها غرر ^(٢) كأنها صحائف الرق ^(٣) وأمسكها تحجيل ^(٤) كأنها أسورة اللجين ، وقطعت عذراً ^(٥) كأنها الشنوف تتلقف الأعداء أوائلها ، ولم تنهض أوأخرها ، قد صب عليهم وقار الصبر وهبت معهم ريح النصر

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة (٢) جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل بياض في قوائم الفرس (٥) أى ألبست عذرا جمع عذار وهو ماعلى خد الفرس من اللجام

﴿ وصف الحسد للاجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ﴾

أَلْحَسْدُ (أَبْقَاكَ اللَّهُ) دَاءٌ يَنْهَكَ الْجَسَدَ، عِلَاجُهُ عَسِيرٌ وَصَاحِبُهُ ضَجَرٌ، وَهُوَ بَابٌ غَامُضٌ ^(١) وَمَا ظَهَرَ مِنْهُ فَلَا يَدَاوَى، وَمَا بَطَنَ مِنْهُ فَمُدَاوِيهِ فِي عَنَاءٍ. وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «دَبَّ ^(٢) إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمُ الْحَسْدُ وَالْبَغْضَاءُ»
أَلْحَسْدُ عَقِيدُ ^(٣) الْكُفْرِ، وَحَلِيفُ الْبَاطِلِ ^(٤) وَضَدُّ الْحَقِّ، مِنْهُ تَتَوَلَّدُ الْعِدَاوَةُ، وَهُوَ سَبَبُ كُلِّ قَطِيعَةٍ ^(٥)، وَمُفَرِّقُ كُلِّ جَمَاعَةٍ، وَقَاطِعُ كُلِّ رَحِمٍ مِنَ الْأَقْرَبَاءِ ^(٦)، وَمُحْدِثُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ الْقُرْنَاءِ ^(٧)، وَمُلْقِحُ الشَّرْبَيْنِ الْخَلْفَاءِ ^(٨)
ووصف أيضاً أفضل الكلام - وقال .

أَفْضَلُ الْكَلَامِ مَا كَانَ قَلِيلُهُ يُغْنِيكَ عَنْ كَثِيرِهِ، وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ فِي لَفْظِهِ.
وَكَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَلْبَسَهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَلَالَةِ، وَغَشَّاهُ ^(٩) مِنْ نُورِ الْحِكْمَةِ، عَلَى حَسَبِ نِيَّةِ صَاحِبِهِ، وَتَقْوَى قَائِلِهِ - فَاذَا كَانَ الْمَعْنَى شَرِيفًا وَاللَّفْظَ بَلِيغًا صَحِيحَ الطَّبَعِ بَعِيدًا
مِنَ الْاسْتِكْرَاهِ ^(١٠)، مُنْزَهًا عَنِ الْاِخْتِلَالِ، مَصُونًا عَنِ التَّكَلُّفِ، صَنَعَ فِي الْقُلُوبِ
صَنِيعَ الْغَيْثِ ^(١١) فِي الثَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ، وَمَتَى فَصَّلْتَ الْكَلِمَةَ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ
وَنَفَذْتَ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّقَّةِ، كَسَاهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَمَنْحَهَا مِنَ التَّائِيدِ.
مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا بِهِ صُدُورُ الْجَبَابَرَةِ، وَلَا يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَهُ عُقُولُ الْجَهْلَةِ.
﴿ وصف الشعراء المحدثين ﴾

قال ابن دُرَيْدٍ: سَأَلْتُ أَبَا حَاتِمٍ عَنْ «أَبِي نُوَّاسٍ» فَقَالَ: إِنَّ جَدَّ أَحْسَنَ، وَإِنْ

(١) أى مسلك خفى يعسر الخروج منه (٢) سرى فيكم (٣) أى معامده ومخالفه (٤) ملازمه .
(٥) انقصال (٦) كل قرابة واتصال (٧) الناظرين (٨) مولد الشريرين المتحالفين (٩) كساه .
(١٠) أى من اجبار الفكر (١١) الطر

هَزَلَ ظَرْفٌ ، وَإِنْ وَصَفَ بَالِغٌ ، يُلْقَى الْكَلَامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ لَا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ أَخَذَ .
 قُلْتُ « فَبِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ » قَالَ : نَظَارَ غَوَاصٌ مُطِيلٌ مُجِيدٌ ، يَصِفُ مَا لَمْ يَرَهُ كَأَنَّهُ رَأَاهُ
 عَلَى أَنْ تَقِي شِعْرَهُ خَلًّا كَثِيرًا . قُلْتُ « فَرَوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ » قَالَ : شَاعِرٌ رَاضٍ
 عَنْ نَفْسِهِ يَسْتَحْسِنُ كُلَّ مَا جَاءَ مِنْهُ مُعْجَبٌ ، لَا يَرَى أَنْ أَحَدًا يَتَقَدَّمُهُ ، كَثِيرُ
 الصَّوَابِ ، كَثِيرُ الْخَطَا ، لَيْسَ لِشِعْرِهِ صَنْعَةٌ .

قُلْتُ : « فَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ » قَالَ : خَلِيجٌ صَافٍ يَنْزِعُ مِنْ بَحْرِ كَدْرِ . كَالَّذِندِ
 يُورِي نَارَهُ وَيَصْلِدُ أُخْرَى . قُلْتُ « فَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ » قَالَ : غُثَاءُ جَمٌّ ، وَاقْتِدَارُ سَهْلٍ
 وَشَعْرُ كَخْرَزِ الزَّجَاجِ ، وَرَبَّمَا أَشْبَهَ الْيَاقُوتَ وَالزُّبْرَجِدَ . قُلْتُ « فَعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ »
 قَالَ : يُلْقِي دَلْوَهُ فِي الدَّلَاءِ فَيَغْتَرِفُ الصَّفْوَ أَحْيَانًا وَالْحَمَاءَ أَحْيَانًا ، عَلَى أَنْ كَدَّرَهُ
 أَكْثَرُ مِنْ صَفْوِهِ . قُلْتُ « فَمُسْلِمُ الْخَاسِرِ » قَالَ : مُقِلٌّ مَدَّاحٌ ، شَعْرُهُ دِيْبَاجٌ وَعَهْنُ
 يُمُوهُ الرَّدَى ، حَتَّى يُشَبَّهَ الْجَيْدَ . قُلْتُ « فَأَبُو الشَّيْصِ » قَالَ : جَدُّهُ كَلَّهَ فِيهِ حَلَاوَةَ
 وَبَشَاعَةَ كَالسَّدَرَةِ الَّتِي نَفَضْتُ ، فَنِيهَا الْمُسْتَعَذِبُ وَالْمُسْتَبْشَعُ . قُلْتُ « فَعَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ »
 قَالَ : بِحَاثٌ عَنِ الْكَلَامِ الْفَخْمِ ، وَالْمَعْنَى الرَّائِعِ . لَا يَنَالُ مَرْتَبَةَ الْقُدَمَاءِ ، وَيَجِلُّ عَنْ
 مَنَزَلَةِ النَّظَرَاءِ . قُلْتُ « فَأَبُو تَمَّامٍ » قَالَ : سَيْلٌ كَثِيرُ الْغُثَاءِ ، غَزِيرُ الْغَمَارِ ، جَمُّ النِّطَافِ
 فَذَا صَفَا فَهُوَ السَّلَافُ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ . قُلْتُ « فَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَذَّلِ » قَالَ : خَرَّاجٌ
 وَلَاجٌ ، يَعْتَسِفُ نَارَهُ ، وَيَهْتَدِي أُخْرَى . قُلْتُ « فَعَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ » قَالَ : كَلَامُ رَصِينٍ
 وَمَسْلُكُ وُعْرٍ ، عَقْلُهُ أَغْلَبُ عَلَى شِعْرِهِ مِنْ طَبْعِهِ . قُلْتُ « فَبَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ » قَالَ :
 تَشَبَّهَ بِالْأَعْرَابِ فَأَفْرَطَ ، وَتَجَاوَزَ حَدَّ الْمَوْلَدِينَ فَاسْهَبَ ، فَهُوَ السَّاقِطُ بَيْنَ الْقَرِيَتَيْنِ

وَوَصَفَ ابْنُ الْأَثِيرِ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٧٥٩ هـ أَبَا تَمَّامٍ وَابْحَثِرَى وَابْنُ الْمُتَنَبِّئِي

قَالَ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ فِي كُلِّ دِيْوَانٍ وَمَجْمُوعٍ ، وَأَنْفَذْتُ شَطْرًا مِنَ الْعُمَرِ

في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته مجراً لا يُوقَفُ على ساحله . وكيف يُحصَى قولٌ لم تُحصَ أسماءُ قائله ؟ فعند ذلك اقتصرتُ منه على ما تكثرُ فوائده ، وتَشَعُّبُ مقاصده ، ولم أكن مِمَّنْ أخذَ بالتقليد والتسليم ، في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم . إذ المراد من الشعر إنما هو إبداعُ المعنى الشريف ، في اللفظ الجزل اللطيف ، فتي وجدتُ ذلك فكلَّ مكان خيَّمتُ فهو بابل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمام ، والبحترى ، والمتنبى . وهؤلاء الثلاثة هم (لآتُ الشعر وعُزَاهُ ومَنَاتُهُ) الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء ، وجعلت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء أما أبو تمام : فإنه ربُّ معانٍ وصيقلُ أذهان . وقد شهدله بكل معنى مُبتكر . لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مُدافع عن مقام الإغراب ، الذي برز فيه على الأضراب . ولقد مارست من الشعر كلَّ أوَّلٍ وأخير ، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقيص ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراضَ ففكره برأضه ، أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ما قالت « حذَّام » فخذُ مني في ذلك قولَ حَكِيم ، وتعلم (ففوق كل ذي علم عليم) .

وأما البحترى : فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون في شطفِ نجد ، إذ تشتبَّت بريف العراق . وسئل المتنبى عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيان ، والشاعر البحترى . ولعمري إنه أنصفَ في حكمه ، وأعربَ بقوله هذا عن مَنَانَةِ علمه ، فإن البحترى أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سُلَاقَةِ الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قُربِهِ إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى (٢٥ - جواهر - ل)

في معانيه بالتَّوَادُّرِ الْعَالِيَةِ، وَرَتَّى فِي دِيْبَاجَةٍ لَفْظُهُ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَمَّا الْمُتَنَبِّىُّ فَانَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَكَ مَسْأَلَةَ أَبِي تَمَّامٍ ، فَقَصُرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ ، وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ ، وَلَكِنَّهُ حُظِيَ فِي شَعْرِهِ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ ، وَاخْتَصَّ بِالْإِيْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ ، وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ مُتَأَثِّمًا ، وَلَا مِنْهُ مُتَكَلِّمًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا ، وَأَشْجَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا . وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلسَّامِعِ مَقَامَ أَفْعَالِهَا ، حَتَّى يَظُنُّ أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا ، وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا فطريقه في ذلك تَضَلَّ بِسَالِكِهِ ، وَتَقَوَّمَ بِعُذْرِ تَارِكِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِيصِفُ لِسَانُهُ ، مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ عِيَانُهُ ، وَمَعَ هَذَا فَنِي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ عَنْ سُنَنِ التَّوَسُّطِ ، فَإِنَّمَا مَفْرُطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِنَّمَا مَفْرُطٌ . عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ انْفِرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا عَذْرَةٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَبْيَاتِ يَمْدَحِهَا سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبْنِ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خَتَمُوا

وَلَا تَبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلَ حَتَّى أَحْمَدُ الصَّمَمِ

(وَوَصَفَ الْمَفْضَلُ الضُّبِّيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤٣٠ هـ مَرُورَهُ بِيَعُضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ)

رَوَى الْمَفْضَلُ الضُّبِّيُّ قَالَ : نَزَلَ عَلَيْنَا بَنُو ثَعْلَبَةٍ فِي بَعْضِ السَّنِينَ ، وَكُنْتُ مَشْغُوفًا بِسَمَاعِ أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَجَمْعِهَا ، فَأَخَذْتُ أَجُولُ بَيْنَ خَدَامِهِمْ ، وَاتَّحَسَّسْتُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، وَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ وَاقِفَةٍ فِي فِنَاءِ خِيَابِهَا ، أَخَذَتْ بِيَدِ غُلَامٍ قَلَّمَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ ، وَهِيَ تُعَاتِبُهُ بِلِسَانِ رَطْبٍ ، وَكَلَامِ عَذْبٍ ، يَسْتَرْقِيهِ السَّمْعُ وَيَتَرَشَّفُهُ الْقَلْبُ ، فَكَانَ أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُهُ مِنْهَا (بُنَى - وَأَيُّ بُنَى) وَهُوَ يَتَبَسَّمُ فِي وَجْهِهَا وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ وَالْحِجَلُ كَأَنَّهُ مِنْ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ، فَلَا يَحِيرُ جَوَابًا ، وَلَا يُبْدِي خِطَابًا ، فَاسْتَحْسَنْتُ مَا رَأَيْتُ ، وَاسْتَحْلَيْتُ مَا سَمِعْتُ ، فَذَكَرْتُ فَمَسَلْتُ ، فَذَكَرْتُ

على السلام ، ووقفتُ أنظرُ إلى المرأة والغلام . فقالت لي : يا حضري ما حاجتك ؟ قلت الاستكثارُ مما أسمعُ ، والاستمتاعُ بما أرى ، فابتسمت وقالت : يا هذا إن شئت سقتُ إليك ما هو أحسنُ مما رأيتَ . فقلت هاتِ حفظك الله . قالت : وُلدَ هذا الغلامُ فكان ثالثَ أبويه ، فرُبِّي بيننا كأنه شبلٌ . وكنتُ أقيه برُد الشتاء وحرَّ الهجير ، حتَّى إذا ما تمتَّ له خمسُ سنين ، أسلمتهُ إلى المؤدِّب حفظه القرآنَ فتلاهُ ، وعلمه الشعرَ فرواه ، ورغبَ في مُفاخر قومه ، وطلبَ ما أثر آبائه وأجداده . فلما أن اشتدَّ عظمه وكملَ خلقه ، حملتهُ على عتاق الخيل فتفرَّسَ وتمرَّسَ ، ولبسَ السلاحَ ومشى الخيلاءَ بين يثوتاتِ الحَيِّ ، وأصغى إلى أصوات ذوى الحاجات ، فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام ، وأنا عليه وجلة أحرصه من العيون أن تُصيبه ، ومن الألسن أن تعيبه ، إلى أن نزلنا في بعض الأيام مَهْلاً من المناهل بين أحياء العرب ، فخرجَ فتَيَّان الحَيِّ في طلب ثأر لهم ، وشاء الله تعالى أن أصابت الغلامَ وعكة شغلته عن الخروج ، حتى إذا أمعنَ القومُ ولم يبقَ في الحَيِّ غيره ، ونحن آمنون وادِعون ، فوربك ما هو إلا أن أدبرَ الليل وأقبل الصبح حتَّى طلعت علينا طلائع العدوِّ وغرر الجياد ثواراً لا زواراً ، فما كان إلا هُنيهة حتى أحرزوا الأموال ، وهو يسألني ما الخبر ؟ وأنا أستره عنه اشفاقاً عليه وضئناً به ، حتى إذا علت الأصوات ، وبرزت المخدرات ، رعى دِئارَه ونارَ كما يثور الضرغام إذا أغضبَ ، فأمر بإسراج فرسه ، ولبسَ درعَ حربِه ، وأخذ رُمحَه بيده ، وركبَ حتَّى لحقَ حُمَاة القوم وأنا أنظر اليه ، فطعنَ أدناهم منه فرمى به ، ولحقَ أبعدهم فقتله . فانصرفَ إليه وُجوه الفرسان ، فأوه غلاماً صغيراً ، لا مدد وراءه ، فحملوا عليه ، فأسرَّعَ يؤمُّ البيوت ، حتَّى إذا خلفهم وراءه وامتدُّوا في أثره

عطف عليهم فقرق ثملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم وضرقتهم كل مُمزق ومزق
 كما يرق السهم من الرمية ، وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به ، أولاً هلكن
 دونه ، فتداعت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وتميزت له الفتيان
 وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسننة ، ومالوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يزأر
 كالأسد ، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطما ، ولا كتيبة إلا هزماً ، حتى
 يبق من القوم إلا من نجابه فرسه ، ففاز بالأموال وأقبل بها . فكبر القوم عند
 رؤيته ، وفرحوا فرحاً عظيماً بسلامته . فوالله ما رأينا قط يوماً كان أصبح صباحاً
 وأحسن رواحاً من ذلك اليوم . ولقد سمعته ينشدي وجوه فتيات الحى هذه الأبيات
 تأملن فعلى هل رأيتن مثله إذا حترجت نفس الكمي عن الكرب
 وضائق عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
 ألم أعط كلاً حقه ونصيبه من السهرى اللدن والصارم العضب
 أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد سليل المعالي والمكارم والسيب
 أبي لي أن أعطى الظلامة مرهف وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
 وعزم صحيح لو ضربت بحده تماريح رضوى لا انحططن إلى التراب
 وعرض نقي أتقي أن أعيبه وبیت شريف في ذراً ثعلب الثلب
 فإن لم أقاتل دونكن وأحتمي لكن وأحميكن بالطعن والضرب
 وأبذل نفساً دونكن عزيزة على لأطراف القنا وطبي القضب
 فلم تصدق الآلاتي مشين إلى أبي يهنئه بالفارس البطال الندب

(وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ)
 أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) صدقة بلا تعد ،

أصبته على تَغْيِيرِ حَالٍ ، وَتَبْلِيلِ بَالٍ ، وَتَزَاحِمِ أَشْغَالٍ ، وَعَطَلَةٍ مِنْ أَعْمَالٍ ، فَحَسِبَتْهُ تَسْلِيَةً ، وَحِيلَةً لِلتَّخْلِيَةِ ، فَتَصَفَّحَتْ بَعْضَ صَفْحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلَتْ جُمْلًا مِنْ عِبَارَاتِهِ مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَمَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَاتٍ ، وَكَانَ يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شَبَّتْ ، وَغَارَاتٍ شُنَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً ، وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عِرَاقَةً ^(١) وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً ^(٢) ، وَأَنَّ جِحَافِلَ الْخُطَابَةِ ، وَكُنَائِبَ الذَّرَابَةِ ، فِي عُقُودِ النِّظَامِ ، وَصُفُوفِ الْإِنْتِظَامِ ، تُنَافِحُ بِالصَّفِيحِ الْأَبْلَجِ ^(٣) ، وَالْقَوِيمِ الْأَمْلِجِ ^(٤) وَتَمْتَلِجُ ^(٥) الْمُهْجِ ، بِرَوَائِعِ الْحُجَجِ ، وَتَقُلُّ دَعَارَةَ الْوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ الْخَوَانِسِ ^(٦) ، فَمَا أَنَا إِلَّا وَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ ، وَمَرَجُ الشَّكِّ فِي خُودِ . وَهَرَجُ الرَّيْبِ فِي رُكُودِ . وَأَنَّ مُدِيرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَةِ هُوَ حَامِلُ لَوَائِمِهَا الْغَالِبِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بَلْ كُنْتُ كَلَّمَا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْسُثُ بِتَغْيِيرِ الْمَشَاهِدِ ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِدِ ، فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَةٌ ، فِي حُلُلٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النَّفُوسِ الزَّاكِيَةِ ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا ، وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مَنَادَهَا ، وَتَتَفَرَّبُهَا عَنْ مَدَاحِضِ الْمَزَالِ ، إِلَى جَوَادِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَتَكَشَّفُ لِي أَجُلٌّ عَنْ وُجُوهٍ بَاسِرَةٍ ، وَأَنْيَابٍ كَاشِرَةٍ ، وَأَرْوَاحٍ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَمَخَالِبِ النُّسُورِ ، وَقَدْ تَحَفَّزْتُ لِلْوِثَاقِ ، ثُمَّ انْقَضَتْ لِلَاخْتِلَابِ ، فَخَلَبْتُ الْقُلُوبَ عَنْ هَوَاهَا ، وَأَخَذْتُ الْخَوَاطِرَ دُونَ مَرَمَاهَا ، وَأَغْتَالَتِ فَاسِدُ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطِلُ الْآرَاءِ . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يُشَبِّهُ خَلْقًا جَسَدَانِيًّا

(١) العرامة العراسة (٢) الدعارة سوء الخلق (٣) الصفيح السيف والابلج اللامع البياض

(٤) الرمل الاملج الاسمر (٥) تمتلج تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس

٣٩٠ وصف حفلة للمرحوم محمد بك المؤيدلى - ووصف متحف من مقامة له

فُصِّلَ عَنِ الْمَوْكَبِ الْإِلَهِيِّ . وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، فَخَلَعَهُ عَنْ غَاشِيَّاتِ الطَّبِيعَةِ
وَسَمَّا بِهِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى ، وَنَمَّا بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْأَجَلِيِّ ، وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عَمَارِ
جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ ، وَأُنَاتِ كَأَنِّي أَسْمَعُ خُطِيبَ
الْحِكْمَةِ . يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعَرِّفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ
وَيُبَيِّنُهُمْ بِمَوَاضِعِ الْإِرْتِيَابِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مَزَالِقَ الْاضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ
السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مَنَاصِبِ الرِّيَاسَةِ ، وَيُصْعِدُهُمْ
تَشْرِيفِ التَّدْبِيرِ ، وَيُسْتَرِفُ بِهِمْ عَلَى حَسَنِ الْمَصِيرِ .

(وصف حفلة للمرحوم محمد بك المؤيدلى المتوفى سنة ١٩٣٠ - م)

لَوْ كَانَ لِّلَّيَالَى لِسَانٌ يُنْطِقُ بِالْفَخَارِ . وَجَنَانٌ يَجْرَى بِنِظْمِ الْأَشْعَارِ . لَأَنْشَدْتُ
لَيْلَةَ الْحَفْلَةِ (الْخُدُويَّةَ) قَصِيدَةً تَسْجُلُ لَهَا فِي دِيْوَانِ الْعُصُورِ وَالذُّهُورِ . مَا لَمْ تَبْلُغْهُ
لَيْلَةً قَبْلُهَا فِي تِكَامُلِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ . وَلَوْ كَانَ الذَّهْرُ يُفْصَحُ لَنَا يَوْمًا عَنْ انْتِرَاحِهِ
وَابْتِهَاجِهِ ، لَأَنْبَأْنَا بِأَنَّهُ ادَّخَرَهَا غُرَّةً بَلْبِيْنَهُ ، وَدُرَّةً لِنَاجِهِ .

لَا زَالَتْ أَيَّامُ الْجَنَابِ الْعَالِيِ وَلِيَّالِيهِ مُسْتَرْقَةً بِالسَّعْدِ وَالْهِنَاءِ ، مُتَالِّقَةً تَالِقُ
الْبُدُورِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ .

﴿ ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له ﴾

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : زَايَلْنَا الْأَهْرَامَ وَخَلَيْنَاهَا ، تَدْبُ مِنْ شَادَاها ، وَتَنْعَى
مَنْ بَنَاهَا ، وَمَلْنَا إِلَى دَارِ التُّخَفِ وَمُسْتَوْدِعِ الْأَنْثَارِ مُشَاهِدَةً مَحْفَظَتَهُ لِنَامِنْ صُنُوفِ
الطَّرَفِ وَعُيُونِ الْأَخْبَارِ ، وَمَا أَخْرَجَتْهُ الْأَيَّامُ مِنْ عَالَمِ الْخَفَاءِ إِلَى عَالَمِ الظُّهُورِ ، بَعْدَ
أَن كَانَ سِيرًا مَكْتُومًا فِي خَوَاطِرِ الْعُصُورِ وَالذُّهُورِ ، وَمَا صَاحَتْهُ بِطُونُ الْقُبُورِ مِنْ
الْفَنَاءِ وَالذُّثُورِ ، وَحَمَتِهِ أَحْشَاءُ الرُّمُوسِ مِنَ الْعَفَاءِ وَالذُّرُوسِ ، وَمَا أَخْبَتْهُ أَرْحَامُ الْمَعَابِدِ

والهياكل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل ، وما انكشفت عنه سُجُوفُ الأحقاب وديعة الأسلاف للأعقاب ، من مكنون الدفائن ومكنوز الخرائن ، وعجائب الفن الدقيق ، وبدائع البدع الأنيق ، وغرائب الصنع العتيق ، بليت في اصطحابها بطون الأيام والليالي ، وانحنت في احتضانها ظهورُ العصور الخوالى ، وانقلبت البحار عهاداً ، وأصبحت الوهاد أطواداً ، وغدت الأغوار أنجاداً ، وأضحى العمارُ خراباً والخرابُ عماراً ، والغمارُ سراباً ، والسرابُ غماراً ، وتمدينت بوادٍ ، وتبدت مدائن^(١) ، وبادت مواطن وقامت مواطن^(٢) ، ومضت دُولٌ بعد دُولٍ ، وذهبت أولٌ إثر أولٍ ، وبدت أحوالٌ وحالت ، وظهرت أعمالٌ وزالت ، وهى هى كما تر كها أهلها ، مَصُونٌ وَضَعُهَا ، محفوظٌ شَكَلُهَا — خبرٌ صادق ، ولسانٌ ناطقٌ تخبر بالعبر ، وتحدثُ عن غبر .

مُضَتْ غبراتُ العيش وهى غواير على الدهر مكتوبٌ عليها حبايسُ
(وصف الفونوغراف « الحاكى » للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)
مثالُ القوةِ الناطقة ، من غير إرادة ساقية ، يَتَخَطَفُ الألفاظَ اقْطِطافاً ، ويختطفُ الصَّوْتِ اختِطافاً ، مطبوعة الأصوات ، وِمرأةُ الكلمات ، ينقلُ الكلامَ من ناحية إلى ناحية ، نقلَ كلامِ عمر رضى الله عنه إلى سارية^(٣) ، أشدُّ من الصدى فى فعله ، فى إعادة الصَّوْتِ على أصله ، كأنه الحُرُوفُ عن يد الطابع ، والوتر عن يد الضَّارِبِ ، والقَصْبُ عن فم القاصب ، يحفظُ الكلامَ ولا يُبِيدُهُ ، ومضى استمدته منه يُعِيدُهُ ، من غير أن يبقىَ لفظاً فى صدره ، أو يكتم شيئاً من أمره ، كأنما يحفظ

(١) البادية — الصحراء (٢) مواطن — الأولى جمع .وطن أى مكان الاقنان ومقره ومواطن الثانية — مشاهد الحرب (٣) ابن زعيم الذى ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر .

الودّيعَة ، في نفسه طَبِيعَة ، فلو تقدّم له الوجودُ في مرتبة الزمن لما احتجنا في الاخبار إلى غِنَعَنَة ، ^(١) وَلَا في الدّعاوى إلى بَيِّنَة ، بل كان يُسَمِعُنَا كلامَ السَّيِّدِ المَسِيحِ في المَهْد ، وصَوّت عاذِر ^(٢) من اللّحد ، وكانت استودَعَتْهُ الفلاسِفَة حِكْمَتَهُمْ ، وأَشَدُّهُ كَلِمَتَهُمْ ، فرأينا به غرائب اليونان ، وبدائع الرومان - ورُبَّما سَمِعْنَا خُطْبَ سَحْبَانَ وشِعْرَ سَيِّدِنَا حَسَّانَ بِذلك اللِّسانِ وأَصْبَحَ وجود الإنسان غيرَ محدُودٍ بزَمَنٍ من الزَّمانِ . لله دَرُّهُ من تلميذٍ يَسْتَوْعِبُ ما عند المُعَلِّمِ ، وَيَسْتَخْلِصُهُ في لحظةٍ مُعَيَّدةٍ لقوله ، ناقلا لصوته ولفظه

لقد وَجَدْتُ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لسانًا قائلًا قُلْ نديم ليس فيه هَفْوَةٌ النَّدِيمِ ، وسَمِيرٌ لا يُذَسِّبُ اليه تَقْصِيرٌ ، تُسَكِّتُهُ وتُسْتَعِيدُهُ وتَذَمُّهُ وتُسْتَجِيدُهُ ، وتَنْقُصُهُ وتُسْتَزِيدُهُ ، وهو في كلِّ هذه الأحوال ، راضٍ بما يُقالُ ، لا يَكُلُّ من تَحْدِيثٍ ، ولا يَمَلُّ من حَدِيثٍ ، نَمَامٌ كما يَنِمُّ عَلَيْكَ ، وَيَنْقُلُ لغيرِكَ كما يَنْقُلُ اليكَ ، فهو المَصَوِّرُ لِكُلِّ فَنٍّ ، المُتَكَلِّمُ بِكُلِّ لُغَةٍ ، المُحَدِّثُ عن كُلِّ إنسانٍ ، المُؤَرِّخُ لِكُلِّ زَمَانٍ ، الشَّاعِرُ النَّاثِرُ ، المُعْنَى العَازِفُ ، لا تُعْجِزُهُ العبارةُ ، ولا يُجْهِدُهُ الأداءُ ، ولا يَضُرُّهُ اِخْتِلافُ شَكْلِ ، ولا تَبَايُنُ أَصْلِ ، بل تَعَدَّتْ شِدَّةُ حِفْظِهِ البَشَرِيَّةُ مِنَ اللِّغَاتِ ، إلى حِفْظِ أَصْواتِ العِجْماواتِ ، إلى حَرَكَةِ اصْطِكَاكِ الجَماداتِ .

﴿ ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها ﴾

وردَ الكِتَابُ المُطَرَّرُ بِحُكْمِ الكَرَمِ ، المُحَلَّى بِجَمِيلِ النِّعَمِ . واستامت الهديةُ

(١) مراده الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تروى عن فلان عن فلان (٢) هو الذي أحياه عيسى عليه السلام

فَسَلِمَتْ يَدُ أَهْدَتْهَا، وَحَفِظَتْ السَّجَايَا الَّتِي لِحَاسِنِ الْأَعْمَالِ هَدَدَتْهَا. وَدَامَتْ رِحَابُ
 لِمَثَلِ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ فِيهَا بِجَمَالٍ، وَلِلْمُحَسِّنَاتِ بِهَاءٍ وَجَمَالٍ. وَلِلْأَمَالِ مَحْطَ رِحَالٍ،
 وَلِلْمَقَاصِدِ كَعَبَةُ إِقْبَالٍ: وَطَابَتْ نَفْسُ تَعَالَى اللَّهُ أَنْ تَمَائِلَهَا نَفْسُ عِصَامٍ، فَاتَّهَا
 نَسَخَتْ آيَةَ الْكُرِّ وَالْإِقْدَامِ؛ بِآيَةِ الْجُودِ وَالْإِكْرَامِ، وَفَعَلَتْ فِي الْقُلُوبِ بِالْعَطَاءِ
 وَالنَّوَالِ، مَا قُصِرَتْ عَنْهُ الرِّمَاحُ الطُّوَالُ — وَتَأَمَّلْتُهَا فَأَرْتَنِي مَالًا عَيْنُ رَأَتْ
 وَأُظْهِرْتُ مِنْ مُحَاسِنِ الْمَنَظَرِ مَا أَعْمَرْتُ، وَقَرَّبْتُ كُلَّ مَنْظُورٍ بَعِيدٍ، وَتَلَّتْ
 « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » وَصَفًا وَقَتِي بِصَفَائِهَا، فَلَمْ أَشْتَهْ
 شَيْئًا إِلَّا جَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنِي، وَصَحَّ عَلَيْنَا قَوْلُ الْقَائِلِ «رَأَيْتُ بَعِينَهَا وَرَأْتُ بَعِينِي»
 ثُمَّ سَرَّحْتُ نَظْرِي فِي الْأَطْلَالِ وَالرُّسُومِ، حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ، فَلَمْ
 تُخَفِّ عَنِّي شَجَرًا وَلَا مَدْرًا، وَلَا نَجْمًا وَلَا قَمَرًا.

يَزِيدُكَ وَجْهًا حَسَنًا إِذَا مَا زَدْتَهُ نَظْرًا

بِهَاءٍ يُخَيَّلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاءٍ، فَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظَرْتُ بِهَا
 فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ، وَأُفْقِ شَرْفِكَ الطَّاهِرِ، فَلَمْ يَنْكَشِفْ لِي بِهَا لُجُودُكَ آخِرُ
 لَا زَالَ كَرَمُكَ بَعِيدًا حَدَّهُ عَلَى كُلِّ نَازِلٍ وَبَاصِرٍ، وَفَضْلُ مَنْهَا هَلْكَ غَايَةَ تَقْصِيدُهَا
 الْأَوَائِلُ وَالْآخِرُ.

(وصف سان استفانو باسكندرية لمؤلف الكتاب)

كِتَابِي وَالْقَلَمُ فِي الْبَنَانِ، يُسَطَّرُ مَا يُمْلِيهِ الْجَنَانُ، عَنْ مُحَاسِنِ ذَلِكَ الْمَكَانِ،
 الْمَشْهُورِ (بِسَانِ اسْتِفَانِ) هُنَاكَ تَرَى الْبَحْرَ كَالْمِرَّةِ تَمَثَّلَتْ فِيهَا السَّمَاءُ، فَكَأَنَّهَا
 الْمَاءُ سَمَاءُ وَالسَّمَاءُ مَاءٌ، وَتَحَالُ الشَّاطِئُ مَرَّةً تَعَالَى لِلظُّبَيَّاتِ الْإِنْسَاتِ، أَوْ سُوقَ جَمَالٍ
 تُبَاعُ فِيهِ الْقُلُوبُ عَلَى الْغَايَاتِ

هناك الشبيبة واللعب ، والزهو والطرب ، وقد اعتل الصبا ، وصح الصبا .
حور وولدان يمرحون بنشاط الشباب ، ويتهادون بنشوة الدلال والاعجاب .
فن « غادات » روائح غاديات ، قدودهن الرماح الطاعنات ، ولحاظهن .
القلائل المحييات .

ومن « ولدان » يلعبون بالكرة والصولجان ، فالكرة قلب المحب المتيم ،
والصولجان الذي يدفعها شوق الماشق المزم ، هناك نغمات الأوتار ، تدعو
الى اغتنام الأوطار ، تهدي الارتياح الى الأرواح ، وتبدل الأفراح من الأتراح
هناك الكؤوس على قطب الخلاعة تدور ، فهي برشقاتها الثغور ، وبنورها
البدور ، تشرق من الحنان ، وتغرب في أفواه الندمان ، فيعلو الوجوه الشفق ،
فتبارك المبدع فيما خلق .

هناك فريق من أهل الهوى ، حلفاء الأسي والجوى ، يخنسون النظرات
وتحتها سهام صائبات ، تقصد قلوبهم ولا راحم لهم ، ينادون من يحبون فلا يجابون .
ويتدللون لعمز الجمال على أنهم لا يجابون ، يتمنون الرضا بعد الهجر ، وحلو اللقاء بعد
الصبر ، وفريق آخر قد وافاهم السعد فنالوا الأمانى ، تعلو وجوههم نضرة النعيم
بما نالوه من إشارة أو تسلم ، يتبادلون التحيات بالحواجب ، ويشفقون على القلوب
فيضعون الأيدي فوق الترائب ، حتى إذا الليل سجا ، وسترهم رداء من الدجى
يتلاقون الى جانب اليم ، ويتهايمسون والفم قريب من الفم ، تراهم على الأرائك
جنباً بجنب ، وعنقا على كتف ، مبتعدين عن العيون هنا وهنا ، وقد بلغوا الآراب
والمنى ، يجتنون الثمر من السم ، ويلثمون الراح بالراح ، ولا يزالون فى مسرة
وهناء ، وأنس وصفاء ، حتى ينادى منادى الموائد بحى على شهى الطعام ، وهلموا

الى رائق المدام، فيجلسون مثنى وثلاث ورباع، مخفوفين بياض الارحام، مستفيئين بأزهى الأنوار، والعلمان عن يمينهم وشمالهم قائمون بحوائجهم، وهم في لباسهم كأقمار، وفي خفتهم كلبج الأبصار، فيأكلون ويشربون، ويضحكون ويلعبون بين نعمة بالحديث الرخيم، ونشوة المدام القديم، حتى إذا أخذت كل حاسة حظها، وتاجلجت الألسنة فلا تفهم لفظها، هنالك تراهم كسرب الأطباء رائج وغاد، هذه مائلة وهذا متهاد، الى أن يتمشى النوم في الجفون، فتدبل العيون فينصرفون الى المنام، ويحلمون بلذيد الأحلام، بعد أن يتعاهدوا على الاوبة ويحسنوا الختام بالتوبة.

﴿ وصف الشمس ﴾

الشمس كوكب مضى بذاته. وهي أعظم الكواكب المرئية لنا منظرًا، وأسطمها ضوءًا، وأغزرها حرارة، وأجزلها نفعًا للارض التي نسكنها ولكثير من أخواتها، سيارات الشمس وبناتها.

والشمس كرة متأججة نارا، حرارتها أشد من حارة أى ساعور^(١) أرضى. ويبلغ ثقلها ثلثمائة وزن من ثقل الارض، وهي أكبر منها جرمًا بثلثمائة ألف وألف مرة.

وتدور الشمس على محورها من الغرب الى الشرق مرة واحدة في نحو خمسة وعشرين يوما. وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل وخمسمائة ألف ميل وهي مع كل هذا العظم الهائل لا تعد في النجوم الكبرى، بل إن أكثر ما نشاهد من النجوم الثابتة شمس أكبر من الشمس بألوف الألوف، والشمس بسيارتها

(١) الساعور النار نفسها أو موقدها

تابع من توابع أحدها .

وسطح الشمس مهب عواصف وزوايا نيرانية شديدة ، تثير في جوها أشوطة ^(١) هائلة ، تندلع ^(٢) ألسنتها المتأججة عن محيط كرتها أميالا . وقد وصف بعض العلماء لها ارتفاع من سطحها لأوّل وهلة نحو أربعين ألف ميل في الفضاء . ثم ازداد بريقا وتألقا ^(٣) ، ثم ارتفع بعد نصف ساعة إلى خمسين وثلاثمائة ألف ميل ، ثم جعل يصول ويضعف ، فلم يمض ساعتان حتى أضمحلّ أضمحلا لا غير أن ما وصفه هذا العالم ليس إلا من قبيل النوادر ، ولكن ارتفاع اللهب نحو مائة ألف ميل ليس بغير العادي . وكثيرا ما تبلغ سرعة اللهب مائة ميل في الثانية . وأكثر مادة الشمس من عنصر المُنحدي (الايدرجين) المتقد

وبرصد الشمس مرارا بالمرقب المغشى بالسواد شوهد في صفحة قرصها نكت سود ، وكلف يشوه محيّاها ، كأنما هي كرة سوداء الباطن غلفت بسطح ساطع من الصعادات يتخلله نقب يظهر تحتها السواد . ولا تزال حقيقة هذه البقع موضوع البحث والتعليل عند الفلكيين ، ومن تنقل هذه النكت عرفت دورتها على محورها وللشمس سيارات أو أبناء انفصلت منها منذ أزمان سحيقة ، علم منها إلى الآن نحو ثمانية ، هي على ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عطارد . فالزهرة فالأرض ، فالمرخ . فالمشتري . فزحل . فأورانوس . فنبتون . ولم تعلم كل شؤون هذه السيارات حق العلم ، وإنما أتم العلماء بمعرفة موادها وكشافتها وأبعادها ، ولكن أمر الحياة فيها لم يزل مبهما مستغلقا - اللهم ألا في الأرض وقرها أما مقدار النعم التي سخرها الله لنا بوجود الشمس إفعما لا يحصيه العد ، فهي

مَبْعَثُ حَيَاتِنَا وَحَيَاةِ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَعِيشُ مَعَنَا ، وَمَصْدَرُ نُورِنَا وَنَارِنَا وَحَرَّتِنَا وَبُرْدِنَا ، وَهِيَ الَّتِي تُحِيلُ مِيَاهَ الْبَحَارِ بُخَارًا ، وَتَقْلِبُهَا فِي الْجَوِّ غَيُومًا ، وَتَنْزِلُهَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْطَارًا ، حَيْثُ تُجْرِي جَدَاوِلَ وَأَنْهَارًا ، فَتَرَوِي زَرْعَنَا ، وَتُنْمِي غِرَاسَنَا وَتُثِيرُ الرِّيحَ ، وَتُطْلِعُ الْأَنْوَاءَ ، وَتُزَجِّي (١) السُّفْنَ وَالْبَوَاحِرَ فِي عُبَابِ الْمَاءِ وَتَدْفَعُ الْقَطْرَاتِ الْحَدِيدِيَّةَ ، وَتُدِيرُ آلَاتِ الْبُخَارِيَّةَ ، وَتُنِيرُ الْمَصَابِيحَ الدُّخَانِيَّةَ وَالزَّيْتِيَّةَ إِذْ لَيْسَ الْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ وَالزَيْتُ الْأَرْضِيُّ إِلَّا حَرَارَةُ نَارِهَا الْمُدْخَرَةُ مُنْذُ قَدِيمِ الدَّهْورِ ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا أَحْيَاءُ هَذِهِ الْعُصُورِ ، وَمَا النَّهَارُ الْمُبْصِرُ ، وَاللَّيْلُ الْمَظْلِمُ إِلَّا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُسَخَّرَةِ لَنَا بِتَسْخِيرِ هَذَا الْخَلْقِ الْعَجِيبِ : فِي النَّهَارِ نَسْمَعِي فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ لَا بُتْغَاءَ رِزْقِنَا ، وَتَدْبِيرِ مَعَاشِنَا ، وَتَنْظِيمِ شُؤْنِ حَيَاتِنَا ، وَنُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّنَا ، وَنَعْتَبِرُ بِأَنَارِ مَنْ سَبَقْنَا ، وَفِي اللَّيْلِ نَسْكُنُ لِارْحَاةِ أَعْدَانِنَا ، وَاسْتِجْمَامِ (٢) قَوَانِنَا ، وَاسْتِيفَاءِ حَظِّنَا مِنَ النَّوْمِ الَّذِي بِهِ نَسْتَدِيمُ صِحَّتَنَا ، وَنَسْتَعِضُّ مَا فَقَدْنَاهُ بِأَعْمَالِنَا ، وَنَنْظُرُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ وَاتَّقَالِهَا ، وَبَدِيعِ صُورِهَا وَأَلْوَانِهَا ، فَتَعْنُو أَوْجُوهُنَا ، وَيَتَضَاعَلُ كِبَرِيَاؤُنَا ، أَمَامَ قُدْرَةِ خَالِقِنَا الْعَظِيمِ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ حَكِيمٍ .

وَمَا الْأَلْوَانُ الَّتِي نَرَاهَا فِي نُورِ الْأَزْهَارِ ، وَرِيَشِ الْأَطْيَارِ ، وَنَفَائِسِ الْمَصْنُوعَاتِ إِلَّا أَثَرُ وَقُوعِ أَضْوَائِهَا عَلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَاتِ وَانْعِكَاسِهَا (٣) عَلَى أَبْصَارِنَا ، فَإِنَّ نُورَ الشَّمْسِ الْأَبْيَضِ مُؤَلَّفٌ مِنْ سَبْعَةِ أَلْوَانٍ أُصْلِيَّةٍ (٤) تَنْشَأُ مِنْهَا كُلُّ الْأَلْوَانِ الْفَرَعِيَّةِ وَهِيَ — الْأَحْمَرُ ، وَالْبُرْتُقَالِيُّ ، وَالْأَصْفَرُ ، وَالْأَزْرَقُ ، وَالْأَخْضَرُ ، وَالنِّيلَاجِيُّ

(١) تسير (٢) استجماع (٣) انعكس معطويع عكس كما في الأساس (٤) أمكن ارجاع هذه

الالوان في الصناعة الى ثلاثة

وَالْبَنَفَسَجِيُّ . فَمِنْ الْأَجْسَامِ مَا لَا يَمْتَصُّ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَلْوَانِ ، بَلْ يَعْكِسُهَا كُلَّهَا عَلَى الْعَيْنِ ، فَيَبْدُو أَيْضًا نَاصِعًا كَزَهْرَةِ الْيَاسْمِينِ ، وَمِنْهَا مَا يَمْتَصُّ بَعْضُهَا وَيَعْكِسُ بَاقِيَهَا ، فَيَتَلَوَّنُ بِلَوْنٍ مَا يَعْكِسُ مِنْهَا ، فَأَذَا أَبْصَرْتَ وَرَقَةَ الشَّجَرِ خَضِرَاءَ عَرَفْتَ أَنَّهَا اخْتَزَنْتْ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ سِتَّةَ أَلْوَانٍ ، وَرَدَّتْ إِلَى عَيْنِكَ سَابِعَهَا ، وَهُوَ الْأَخْضَرُ لِأَنَّ فِيهَا آذَخَرْتَهُ نَفْعًا لَهَا ، وَلَيْسَ بِهَا إِلَى مَا لَفَظَتْهُ افْتِقَارٌ ، وَمِنْهَا مَا يَرُدُّ لَوْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، فَيَبْدُو لَوْنُهُ مَزِيجًا بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْوَانِ السَّبْعَةِ . وَهَذِهِ الْأَلْوَانُ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لَتَمَيِّزَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَقَدْ يَتَأَثَّلُ الشَّيْثَانُ شَكْلًا ، وَحَجَمًا وَصَلَابَةً ، وَلِينًا ، وَشَمًا ، ثُمَّ لَا يَتَبَايِنَانِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ اللَّوْنُ فَيَكُونُ اللَّوْنُ آيَةً تَبَايُنَهُمَا ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَزْهَارِ .

وَتَنَوُّعُ الْأَلْوَانِ هُوَ السِّرُّ فِي جَمَالِ الْمَرْئِيَّاتِ مِنْ مَشَاهِدِ الطَّبِيعَةِ وَبَدَائِعِ الصَّنَاعَةِ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْمُصَوِّرِينَ وَأَمْهَرَ النَّقَّاشِينَ لَمْ يُبْرِزُوا عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَيدُلُّوا عَلَى ذِكْرِهِمْ وَنُبُوغِهِمْ إِلَّا بِإِعْرَافِهِمْ فِي مُحَاكَاةِ أَلْوَانِ الطَّبِيعَةِ الْمُؤْتَلِفَةِ ، وَأَشْكَالِهَا الْمُتَجَانِسَةِ ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ لَهُمْ ذَلِكَ إِذَا عَرَفُوا كَيْفَ يَمْزُجُونَ مِنَ الْأَصْبَاغِ مَا يَسْتَخْدِمُونَ بِهِ أَلْوَانِ النُّورِ خَيْرَ اسْتِخْدَامٍ ، وَيَنْتَفِعُونَ بِهِ أَحْسَنَ انْتِفَاعٍ . وَقَدْ سَخَّرَ عِلْمُهُ الطَّبَّ تَبَايُنَ الْأَلْوَانِ فِي كَشْفِ النَّقَابِ عَنْ حَقَائِقِ الْجَرَائِمِ ، فَإِنَّ مِنْهَا مَا لَا يَتَضَحُّ لِلْعَيْنِ فِي الْمِجْهَرِ إِلَّا إِذَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ صِبْغٌ خَاصٌّ يُؤَثِّرُ فِيهِ لَوْنُهُ فَيُصْبَغُ بِهِ . وَلَأَمْوَاجِ الشَّمْسِ الضَّوِّيَّةِ سُرْعَةُ مَعْلُومَةٌ تَسِيرُ بِهَا ، فَاذَا انْخَفَضَتْ هَذِهِ السَّرْعَةُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ لَمْ تَعُدْ الْعَيْنُ قَادِرَةً عَلَى رُؤْيَيْهَا ، لِأَنَّهَا تَسْتَحِيلُ إِلَى مَظْهَرٍ آخَرَ غَيْرِ مَظْهَرِ الضَّرِّ وَالْحَرَارَةِ ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ مَا لِلضَّوِّ وَالْحَرَارَةِ مَعًا مِنَ الْأَثَرِ الْحَسَنِ فِي تَنْقِيَةِ الْمَسَاكِنِ مِمَّا يَقْطُنُهَا مِنَ الْجَرَائِمِ الْقَتَالَةِ وَالْعَفْنِ الْمُضْنَى . وَلِذَلِكَ قِيلَ

إِنَّ الدَّارَ الَّتِي تَدْخُلُهَا أَشْعَةُ الشَّمْسِ لَا يَدْخُلُهَا الطَّيِّبُ .

﴿ وصف القمر ﴾

الْقَمَرُ أَجْمَلُ الْكَوَاكِبِ صُورَةً ، وَأَبْيَنُهَا مَنْظَرًا ، وَأَسْهَلُهَا رَصْدًا ، وَأَكْبَرُهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ بَعْدَ الشَّمْسِ جَرَمًا .

وهو سَيَّارٌ كَرِيٌّ أَصْفَرُ مِنَ الْأَرْضِ بِنَحْوِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً . انفصلَ مِنْهَا زَمَنَ التَّكْوِينِ ، وَصَارَ تَابِعًا لَهَا ، طَائِفًا حَوْلَهَا ، مُسْتَمِدًّا نُورَهُ مِنَ الشَّمْسِ مِثْلَهَا دَائِرًا حَوْلَ الشَّمْسِ مَعَهَا ، غَيْرَ أَنَّ طَوَافَ الْأَرْضِ بِقَمَرِهَا حَوْلَهَا يَتِمُّ فِي سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ ، وَطَوَافُ الْقَمَرِ حَوْلَ الْأَرْضِ يَتِمُّ فِي شَهْرٍ قَمَرِيٍّ : أَيُّ مُدَّةٍ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا وَنِصْفَ يَوْمٍ تَقْرِيبًا . وَمَعَ أَنَّهُ خَاضِعٌ لِنِظَامِ الْأَرْضِ لَا يَقِلُّ بُعْدُهُ عَنْهَا عَنْ وَاحِدٍ وَعَشْرِينَ أَلْفًا وَمِائَتَيْ أَلْفٍ مِيلٍ .

وَالَّذِي يَسْتَرَعِي أَنْظَارَنَا كَمَا اسْتَرَعَى أَنْظَارَ مَنْ قَبْلَنَا اخْتِلَافُ أَشْكَالِهِ وَتَعَدُّدُ مَطَالِعِهِ ، مِمَّا جَعَلَهُ مَبْعَثَ تَخِيلِ الْقُدَمَاءِ ، وَمَثَارَ تَفَكُّرِ الْحُكَمَاءِ ، وَمَقْصِدًا لِعِبَادَةِ الْجُهَلَاءِ ، فَتَرَاهُ يُلَوِّحُ لَيْلَةً أَوَّلَ الشَّهْرِ إِثْرَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ضَيْلًا مُقَوَّسًا ، لَا يَلِكُبُ أَنْ يَغْرُبَ وَيَغِيبَ فِي شَفَقِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ يَهْلُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَيْبَنَ صُورَةٍ وَأَبْقَى زَمَنًا لِازْدِيَادِ تَأَخُّرِهِ فِي الْغُرُوبِ عَنِ الشَّمْسِ ، وَلَا يَزَالُ نُورُهُ فِي تَزَايُدٍ وَمَطَالِعِهِ فِي تَقَدُّمٍ نَحْوَ الْمَشْرِقِ ، حَتَّى يَطْلُعَ مِنَ الْمَشْرِقِ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بَدْرًا كَمَلًا ، بِهَيِّ الطَّلَعَةِ بَاهِرَ الْأَنْوَارِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

وَلَكِنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، فَإِنَّ مُنْتَهَى الزِّيَادَةِ مُبْتَدَأُ النِّقْصِ ، فِي اللَّيْلَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرٍ تَأَخَّرَ طُلُوعُهُ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَنِقْصُ مِنْ حَافَةِ نُورِهِ الَّتِي كَانَتْ مَوْضِعَ هَالَاهُ الْأَوَّلِ زَيْقٌ لَا يُشْعَرُ بِهِ إِلَّا فِي اللَّيَالِي الثَّلَاثَةِ ، وَلَا تَزَالُ مَطَالِعُهُ فِي تَقَهُّقٍ

ونورُهُ في تناقصٍ حتى قُرْبِ آخرِ الشهرِ ، فيُشرقُ قُبَيْلَ الفجرِ هلالاً ضئيلاً يكادُ
يكونُ مقلوبَ الحلالِ الأولِ ، وفي الليلةِ الأخيرةِ يكونُ عندَ الصبحِ في الأفقِ
الشرقيّ مُظليماً لا يُرى منه شيءٌ ، وهي ليلةُ المُحاقِ أو السَّرارِ ، ويظلُّ بعضُ
النَّهارِ كذلكِ . ثم يتولَّدُ هلالُهُ الجديدُ ، ولكنه لا يَظْهَرُ إلَّا بعدَ أن يغيبَ قُرْصُ
الشمسِ ، فيلوحُ هلالُهُ ثم يَخْتَفِي كما قدِمنا .

وعِلَّةُ ذلكِ : أن نورَ القمرِ كنورُ الأرضِ مُستَفادٌ من الشمسِ ، وهو لا يُقابلُ
الأرضَ إلَّا بوجهٍ واحدٍ لا يَتَغَيَّرُ ، وهذا الوجهُ بالنِّسبةِ إلى حركتِهِ مع الأرضِ حولَ
الشمسِ لا يُقابلُ الشمسَ مُقابلةً تامَّةً إلَّا في وضعٍ واحدٍ ومرةٍ واحدةٍ هي الليلةُ
الرَّابِعةُ عشرةَ ، فيَغْشاهُ نورُها ، ويَصيرُ بَدَراً . أمَّا بقيةُ الليالي التي قبلها والتي
بعدها فيَنحرفُ قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصيرُ كله ظلاماً ليلةَ المُحاقِ . فيطوى
خبرُهُ ، ويكونُ الوجهُ الآخرُ الذي لا يَرى لنا بَدَراً كاملاً . ثم يتولَّدُ هلالُهُ خَلْتاً جديداً
وكذلكِ شأنُ الأرضِ في استمدادِ نورِها أو ما نُسَمِّيهِ نهاراً ، ولو كان في القمرِ
سُكَّانٌ ، لكانتْ في رَأْيِ أعينِهِمْ أَكْبَرُ كوكَبٍ في السماءِ ، ولشَاهدوها أَكْبَرَ
من الجِرْمِ الذي نَشَاهِدُ القمرَ عليه أضعافاً مضاعفةً ولكانتْ عندهم أروَعُ
جَمالاً ، وأبدعُ من قمرِهم في نظرنا تَشَكُّلاً ، فَيَدورُانِها على نفسها يرونها كلَّها جزءاً
مُجْزِئاً ، وتَظْهَرُ قاراتُها ومُحيطاتها وأضواءُها في وقتِ الصُّحُو ، ومُظَلَّلاً بعضها
بالغمامِ في وقتِ الدَّجَنِ ، وتَبْدُو أَهْلَتُها وبُدُورُها ضَخْمةٌ باهرةٌ ، ولكن لا يَراها
إِلَّا سُكَّانُ النِّصْفِ المُقابِلِ لنا ، أو الذين يُريدون التَّفَرُّجَ برؤيتها من أهلِ
النِّصْفِ الثَّانِي

ولقربِ القمرِ مِنَّا وخلُوِّ جوِّهِ من الهواءِ سَهْلَ رصْدِهِ علينا ، فنرى في صفحتهِ

عند الشروق ليلة التمام كثيراً من المحو^(١) يجعل صورته أشبه بوجه إنسان
 ذى أنف وفم وحاجبين وعينين إحداهما مغضبة، ولا يزال كذلك حتى يتعدى
 خط زوال مكان الناظر. فإذا مال إلى المغرب انحرفت هذه الصورة حتى يصير
 عليها سافلها. وليس هذا المحو إلا ظلام بطون الأودية والسهول البعيدة الغور
 وظلال الجبال والحضاب الشاهقة الطول شهوقاً يكاد يمنع استدارته، أما قمم الجبال
 وسطوحها المقابلة للشمس فترى لامعة ساطعة فتبين سلاسل الجبال طرائق مضيئة
 وقممها نقطاً لامعة، وفوهات جبال ناره الشديدة السعة، البعيدة الغور
 التي تعد بعشرات الألوف، كأنها حلقات وسطها نقط سود.

وقد ظن القدماء في علّة المحو ظنوناً، بعضها صادف الحقيقة، وبعضها جانبها
 حتى ظهر غاليليو، وأخترع سنة ١٦٠٦ م مرقباً يقرب الأشباح ثلاثين مسافة
 فأثبت وجود الجبال والأودية فيه. وزاد عليه غيره في تحسين المراقب المكبرة
 حتى أصبح القمر يرى كأنه على بُعد أربعين ميلاً منا. على أن هذا القرب لا
 يجعلنا نرى الأشباح الصغيرة التي من نوع الحيوان لنتحقق ألقمر سكان كما
 للأرض أولاً؟ ولكن قد أصبح من المرجح إن لم يكن من المحقق أنه خال من
 الماء. ومن السحاب والضباب الناشئين منه ومن النبات، إذ لو كان به شيء منها
 لتغير شكله من حال إلى حال. ويشك أن له هواء، وإن كان له هواء فلعله
 لا يزيد على قعر جباله. ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوع الحياة. وتجرد
 منهما. وخمود جبال ناره، ويؤيس جرمه يجعل برده شديداً جداً في الليل، وحره
 عظيماً جداً في النهار، على فرط طولها البالغ فيه خمسة عشر يوماً: مما يجعل الحياة

(١) المحو: السواد في القمر،

فيه مُتَعَسِّرَةٌ بَلْ مُسْتَحِيلَةٌ ، أَللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَيَاةً غَيْرَ حَيَاتِنَا .

وَيُرْجَحُونَ أَنَّ الْقَمَرَ كَانَ فِي أَزْمَانٍ سَحِيقَةٍ عَلَى طَبِيعَةٍ تَقَرُّبُ مِنْ طَبِيعَةِ أُمِّهِ الْأَرْضِ ، فَكَانَ أَهْلًا بِالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ ، إِلَّا أَنْ صَغُرَ جَسَمُهُ جَعَلَهُ يَسْبِقُ الْأَرْضَ فِي الْيُبْسِ وَالْبَرُودَةِ ، فَتَقَبَّضَ وَبَرَدَ وَانْتَهَتْ دُنْيَاهُ ، وَأَصْبَحَ كَأَسْفَنَجَةٍ مُشَعَّةٍ ذَاتِ شُعَبٍ وَنَخَارِيبٍ ^(١) تَكُونُهَا مِنْ جِنْسٍ تَكُونُ الْأَرْضَ .

وَلَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْقَمَرَ مُسَخَّرًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ خَاصَّةً ، فَهُوَ بَعْكَسُهُ نَوْرُ الشَّمْسِ عَلَيْهِمْ هِدَايَةٌ لَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَلَقَدْ قَضَى الْإِنْسَانُ عُصُورًا وَدَهُورًا وَلَيْسَ لَهُ مِصْبَاحٌ فِي جَنِّحِ الظَّلَامِ غَيْرُهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَقِبَائِلِ الْهَمَجِ . وَهُوَ بِأَخْتِلَافِ أَتْسَالِهِ تَقْوِيمٌ فِطْرِيٌّ لَهُمْ ، فَبِإِ هَلَالِهِ يُعْرَفُ أَوَّلُ الشَّهْرِ وَبِالتَّرْبِيعِ الْأَوَّلِ يُعْرَفُ رُبْعُهُ ، وَبِإِدْرِهِ ^(٢) يُعْرَفُ نِصْفُهُ ، وَبِالتَّرْبِيعِ الْآخِرِ يُعْرَفُ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ ، وَبِمُحَاقِقِهِ تُعْرَفُ نِهَايَتُهُ .

وَإِذَا مَرَّنَ الْإِنْسَانُ عَلَى النَّظَرِ فِي تَقْدِيرِ ضَوْئِهِ ، وَأَوْقَاتِ مَطَالَعِهِ ، عَرَفَ الشَّهْرَ يَوْمًا يَوْمًا ، وَاللَّيْلَ سَاعَةً سَاعَةً . قَالَ تَعَالَى « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ » .

وَبِاتِّحَادِ جَنْدِهِ مَعَ جَذْبِ الشَّمْسِ لِلْأَرْضِ يَنْشَأُ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ ، وَفَائِدَتُهُمَا فِي تَسْهِيلِ الْمَلَا حِهِ لَا تُنْكَرُ ، فَكَمْ مِنْ مَوَانِيٍّ وَمَرَاتِيٍّ لَوْلَاهُمَا لَسَدَّتْ بِرَوَاسِبِ الْأَنْهَارِ وَالسِّيُولِ .

(١) جمع نحروب وهي الثقب التي تكون في مثل بيوت الرنايب والنحل (٢) مصدر بدر البدور بيدر بدرًا . وبالمصدر سمي هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق في ليلة التمام عند غروبها

ورضوء القمر في انضاج الثمار والبقول أثر أيما أثر ، حتى إن بعضها لا ينمو
ويزهو لونه إلا في لياليه البيض .

(الفن الخامس في المقامات)

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف ، أنيقة التصنيف ، تتضمن نكتة أدبية
ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تُسند إلى بعض الرواة ، ووقائع شتى تُعزى إلى
أحد الأدباء — والمقصود منها غالباً جمع دُرر الألفاظ وغرر البيان ، وشوارد اللغة
ونوادر الكلام ، من منظوم ومثثور ، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة ، والرفائق
الأدبية ، كالمسائل المبتكرة ، وأخطب المحبرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك
المهلية ^(١) ولندكر لك منتخبات من مقامات مختلفة فنقول :

(قال الحريري ^(٢) المتوفى سنة ٥١٦ هـ المقامة التاسعة الاسكندرانية)

أخبر الحارث بن همام قال : طحا بى ^(٣) مَرَحٌ ^(٤) الشباب ، وهوى الاكتساب ^(٥)
الى أن جُبْتُ ^(٦) ما بين فرغانة ^(٧) وغانة ^(٨) أخوض الغمار ^(٩) لأجني الثمار
وأقتحم الأخطار ^(١٠) لى أدرك الأوطار ^(١١) وكنت لَقَفْتُ من أفواه العلماء

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالسكان الذى تجرى فيه فيقال المقامة الخلية أو الموصلية بناء
على أن محل وقوعها حلب أو الموصل وربما نسبت الى المروى عنه ويستحب فى راوى المقامة أن
يمثل رجلاً ظريف النفس كثير الاسفار حسن الرواية متفرغاً لفنون الادب جداً فى طلب غرره
كاداً ذهنه فى تحصيل درره كالحارس بن همام فى المقامات الحريرية وعيسى بن هشام فى المقامات
البديعية ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمداني وبعده الحريري واشتهر بعدها كثيرون ممن
نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يملفوا شاوها (٢) تقدم أنه توفى سنة ٦١٥ هـ (٣) ذهب إلى
(٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أى محبة اكتساب المال (٦) قطعت

(٧) بلد باقضى بلاد المشرق (٨) بلد باقضى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير
من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) أى ادخل فى القحمة بالضم وهى الشدة والاختطار
الامور المظيمة (١١) المحاجات

وَتَقِفْتُ ^(١) مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ، أَنَّهُ يَلْزِمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ ^(٢) إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ
الْغَرِيبَ ، أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ ^(٣) وَيَسْتَخْلَصَ مَرَاضِيَهُ ^(٤) لِيَشُدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ الْخِطَامِ
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ ، فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ ^(٥) إِمَامًا ^(٦) وَجَعَلْتُهُ
لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وَجِلْتُ ^(٧) عَرِيْنَةً ^(٨) إِلَّا وَأَمْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا
أَمْتَزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بَعْنَانِيَةَ تَقَوَّى الْأَجْسَادِ بِالْأَرْوَاحِ ، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ
حَاكِمِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فِي عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ ^(٩) وَقَدْ أَحْضَرُ مَالَ الصَّدَقَاتِ ، لِيَقْضَى ^(١٠) عَلَى
ذَوِي الْفَاقَاتِ ^(١١) إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ عِفْرِيَّةً ^(١٢) تَعْتَلُهُ ^(١٣) امْرَأَةٌ مُصْصِيَّةٌ ^(١٤)
فَقَالَتْ أَيْدٍ ^(١٥) اللَّهُ الْقَاضِي ، وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاخِي ^(١٦) إِنِّي امْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ جُرُثُومَةٍ ^(١٧)
وَأُطَهِّرُ أُرُومَةً ^(١٨) وَأُسْرِفُ خُرُوفَةً وَعُثُومَةً ، مِيسَمِي ^(١٩) الصَّوْنُ ^(٢٠) وَشِيعَتِي ^(٢١)
أَلْهَوْنَ ^(٢٢) وَخَلَقْتُ نِعَمَ الْعَوْنِ ^(٢٣) وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَتِي بَوْنٌ ^(٢٤) وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
بُنَاةً ^(٢٥) الْمَجْدِ ، وَأَرَبَابُ الْجَدَّةِ ، سَكَنَتِهِمْ ^(٢٦) وَبَكَنَتِهِمْ ^(٢٧) وَعَافَ وَصَلَتِهِمْ ^(٢٨)
وَصَلَتِهِمْ ^(٢٩) وَاحْتَجَّ بِآتِهِ عَاهِدَ اللَّهِ تَعَالَى بِحِلْفَةٍ ، أَنْ لَا يُصَاهِرَ ^(٣٠) غَيْرَ ذِي
حِرْفَةٍ ^(٣١) فَقَبِضَ الْقَدَرُ ^(٣٢) لِنَصَبِي وَوَصِي ^(٣٣) أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدْعَةَ ^(٣٤) نَادِي

(١) أدركت (٢) العاقل (٣) يرغبه ويتراضاه ويطلب ميله اليه (٤) يطلب خالص رضاه
(٥) أي هذا الامر الظريف المستحسن (٦) قدوة أي اعمل بمقتضاه (٧) دخلت (٨) مأوى الاسد
(٩) أي شديدة البرد أو ذات ريح باردة (١٠) يفرقه (١١) أي النقراء المحتاجين (١٢) أي
خبث شديد الدماء (١٣) تحره بعنف وحفاء (١٤) أي ذب صبيان (١٥) قوى ونصره
(١٦) أراد التراضي بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه النال والمغلوب (١٧) أي أصل
(١٨) الارومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (١٩) علامتي وأصل الميسم الاكلة
التي يكوى بها ويعلم (٢٠) المنظ والعناف (٢١) خلق! وعادتي (٢٢) الرفق (٢٣) أي
الرفيق الظهير (٢٤) أي فرق وتناوت في الفضل (٢٥) بالضم جمع بان (٢٦) أي قال لهم كلاما
لا يجحدون له جوابا (٢٧) ألزمهم الحجة (٢٨) أي كره قريتهم (٢٩) عطاءهم (٣٠) أي لا يزوج
ابنته (٣١) صناعه (٣٢) يعني قدر الله تعالى (٣٣) لتعي ومرضي (٣٤) الكثير الخداع

أبى (١) فأقسم بين رَهْطِه (٢) إِنَّه وَفَّقُ شَرْطَه ، وادَّعى أَنه طالما نَظُم دُرَّة ، فباعها بَبْدَرَة (٣) فأغترَّ أبى بزخرفَةِ مِحَالِه ، وزوَّجنيِه قبل اختبارِ حالِه ، فلما استخرجنى مِنْ كِناسى (٤) ورحلنى عن أناسى ، ونقِلنى الى كَمَرِه (٥) وحصلنى تحت أسْرِه وَجَدْتُهُ قَعْدَةً جُثْمَة (٦) وألفيته ضُجْعَة نومة (٧) وكنتُ صَحْبَتَه بِرياش (٨) وزى (٩) وأثاث (١٠) ورى (١١) فما بَرَح يَبيعه فى سُوْق الهَضْم (١٢) وَيَتَلَفُ ثَمَنَه فى الخَضْم (١٣) والقَضْم (١٤) الى أن مَرَق مالى بِأسْرِه ، (١٥) وأنفق مالى فى عُسْرِه ، فلما أنساني طَعْمَ الرَّاحَة ، وغادَرَ (١٦) بَيتى أَنتَى مِنَ الرَّاحَة (١٧) قَلْتُ لَهُ يا هذا إِنَّهُ لَا مَخْبَأَ بَعْدَ بُوس (١٨) وَلَا عِطَرَ بَعْدَ عُرُوس (١٩) فَأَنهَضُ لِلَاكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ ، واجْتَنِي (٢٠) ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ (٢١) فزعم (٢٢) أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيتْ بِالكَسَادِ (٢٣) لِمَا ظَهَرَ فى الأَرْضِ مِنَ الفساد ، ولى مِنْهُ سُلَالَة (٢٤) كَأَنَّهُ خِلَالَة (٢٥) وَكِلاَنَا مَا يَبْئَالُ مَعَهُ شَبْعَة (٢٦) وَلَا تَرْفَا (٢٧) لَهُ مِنَ الطَّوْى (٢٨) دِمْعَه ، وَقَدْ قُدَّتْهُ (٢٩) إِلَيْكَ ، وَأَحْضَرْتَهُ لَدَيْكَ ، لِتَعْجِمَ (٣٠) عَوْدَ دَعَاوِهِ ، وَتَحْكَمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللهُ — فَأَقْبَلَ الْقَاضِى

(١) مجلس أبى (٢) قومه وعشيرته (٣) البدره عشرة آلاف درهم (٤) أى منزلى وأصله بيت الظي أو بقر الوحش (٥) بفتح الكاف وكسرهما أى جانب بيته (٦) كثير العقود كثير الجنوم أى يلزم الموضع الذى يقعد فيه (٧) الضجعة أصله العاجز الذى لا يتصرف والنومة كثير النوم والمعنى انه عاطل عن العمل كسول (٨) مال ولباس فاخر (٩) هيئة حسنة (١٠) هومتاع البيت (١١) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء وفى الاصل اسم من روى من الماء يروى ريا (١٢) المراد يبيعه بأقل من القيمة (١٣) الاكل بجمع الفم (١٤) الاكل باطراف الاسنان وقيل الحضم الاكل باطراف الاسنان والقضم يعقدهما وقيل الحضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس يزيد أنه يصرف ثمنه فى أنواع الاكل واللذات (١٥) أى فرق الذى لى بأجمعه (١٦) ترك (١٧) بطن الكف لنقائه من الشعر (١٨) أى فقر (١٩) مثل قالته امرأة من بنى عذرة مات عنها زوجها واسمها عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها أن تتعطر فقالت (٢٠) أى مكئى من الجنى وهو جمع الثمرة (٢١) أى فضلك وفوقائك على أقرانك (٢٢) ادعى (٢٣) هو خمود السوق وقلة البيع ضد التفلق بالفتح (٢٤) يعنى ولدا (٢٥) مايتخلل به (٢٦) قدما يشبع به مرة (٢٧) أى لا تسكن (٢٨) الجوع (٢٩) أتيت به (٣٠) لتتقضى وتختبر

عليه ، وقال له قد وَعَيْتُ^(١) قَصَصَ عَرْسِكَ ، فَبَرِّهِنَّ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا
كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ^(٢) وَأَمَرْتُ بِمَحْبَسِكَ ، فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَفْعُوَانِ^(٣) ثُمَّ سَمَرَ
لِلْحَرْبِ الْعَوَّانِ^(٤) وقال :

إِسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ يُضْحَكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَحَبُ^(٥)
أَنَا امْرَأَةٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ^(٦) عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَارِهِ رَيْبٌ
سُرُوجُ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانُ^(٧) حِينَ أَنْتَسِبُ
وَتُسْغَلِي الدَّرْسُ وَالتَّبَعْرُ فِي الْعِلْمِ طَلَابِي وَجَبَّذَا الطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ^(٨) الَّذِي مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ^(٩) وَالْخُطْبُ
أَغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْتَارُ اللَّالِيَّ مِنْهَا^(١٠) وَأَتَخَيَّبُ
وَأُجْتَنِّي^(١١) الْيَانِعَ^(١٢) الْجَنِّيَّ^(١٣) مِنَ الْقَوْلِ وَغَيْرِيَّ لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخَذُ اللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا مَا صَغَتْهُ^(١٤) قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبٌ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَمْتَرِي نَشَبًا^(١٥) بِالْأَدَبِ الْمُتَقَنِّيِ وَأُحْتَلِبُ
وَيَمْتَطِي^(١٦) أَخْصِي^(١٧) حُرْمَتَهُ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبٌ
وَطَالَمَا زُفْتُ الصَّلَاتِ إِلَى رُبْعِي^(١٨) فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ^(١٩)

(١) فهمت وحطت ما قصته روحك (٢) أظهرت أشكالك وتسمية أمرك (٣) ذكر الالافاعي
أو العظيم منها (٤) حُرِبَ التي قبلها حُرِبَ وهي تكون أشد من الأولى (٥) الانتحاب رفع
الصوت بالكسرة (٦) خصاله وطباعه (٧) اسم ماء نزل عليه قوم من الارد فنسبوا اليه منهم بنو
جمنة ورهط الملوك وقيل غسار قبيلة (٨) هو ما لطف مأخذه ورق (٩) الشعر (١٠) أى اتسق
في بليغ المعاني واتسق منه الملح (١١) انتطف (١٢) الزامى (١٣) الطرى من الثمر الذى جنى
حديثاً (١٤) سكته (١٥) أى اكتسب مالا (١٦) أى يركب (١٧) ما ارتفع من إطن القدم عن
الأرض (١٨) أى حملت الجوائز والهدايا الى منزلى (١٩) أى لم أرض ان أكون تحت منه كل
أحد بل لم أقبل الا من العظماء

فاليوم من يَلْمُقُ الرَّجُلَ بِهِ
لا عَرِضُ أُنْبَاءِهِ يُصَانُ وَلَا
كَأَنَّهُمْ فِي عَرَاصِمِ^(٤) جَيْفٍ
فَحَارَ لُبِّي^(٥) لِمَا مُنِيتُ بِهِ^(٦)
وَضَاقَ ذُرْعِي^(٨) لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ^(١٠) إِلَى
فَبَعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي لَبَدٌ^(١٣)
وَادَّنتُ^(١٥) حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي^(١٦)
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَا عَلَى سَغَبٍ^(١٧)
لَمْ أَرَ إِلَّا جَهَازَهَا عَرَضًا^(٢٠)
فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ
وَمَا تَجَاوَزْتُ^(٢٣) إِذْ عَمِئْتُ^(٢٤) بِهِ

أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِ الْأَدَبِ^(١)
يُرْقَبُ^(٢) فِيهِمْ إِلَّا^(٣) وَلَا نَسَبُ
يُبْعَدُ مِنْ تَقْنَاهَا وَيُجْتَنَبُ
مِنَ اللَّيَالِي وَصَرَفُهَا^(٧) عَجَبُ
وَسَاوَرْتَنِي^(٩) الْهَمُومُ وَالْكُرْبُ
سُلُوكُ مَا يَسْتَشِينُهُ^(١١) الْحَسَبُ^(١٢)
وَلَا بَقَاتُ^(١٤) إِلَيْهِ أَثْقَلُ
بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطْبُ
خَسَا^(١٨) فَلَمَّا أَمَضْنِي^(١٩) السَّغَبُ
أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأُضْطَرُّ
وَالْعَيْنُ عَبْرَى^(٢١) وَالْقَلْبُ مُكْتَسَبُ^(٢٢)
حَدَّ التَّرَاضَى^(٢٥) فَيَحْدُثُ الْغَضَبُ

(١) أى أن من يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده (٢) يحفظ (٣) بكسر الهجزة وتشديد اللام العهد والقرابة الجوار (٤) جمع عرصة وهى فناء الدار أى كانهم فى مواضعهم (٥) تحير عقلى (٦) أبت به (٧) ثقلها (٨) انقبض قلبي (٩) ابتابتني وغلبتني (١٠) الذى يأتى بما يلام عليه (١١) يستشعنه (١٢) ما يعد من مفاخر الآباء أو الدين وقيل الكرم (١٣) يقال ماله سبد ولا لبد أى شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى إراد الحريرى انه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (١٤) الزاد ودناع لبيت (١٥) تدانيت (١٦) صفحة العنق وقيل مقدمه (١٧) جوع (١٨) خمس ليال (١٩) احرقنى (٢٠) حطام الدنيا وهو المال قل او كثر (٢١) دامة باكية (٢٢) حزين (٢٣) تمدت (٢٤) فلت به مالا يلىق فعله (٢٥) أى حد الرضا

فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوْهَمُهَا أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَسْكُتُسُبُّ
 أَوْ أَتْنَى إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخَرْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ (١)
 فَوَالَّذِي سَارَتْ الرِّفَاقُ (٢) إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا (٣) النَّجْبُ (٤)
 مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ (٥) مِنْ خُلُقِي وَلَا تَعَارِي (٦) التَّمْوِيهِ (٧) وَالْكَذْبُ
 وَلَا يَدِي مَدُّ نَشَأْتُ نَيْطُ بِهَا (٨) إِلَّا مَوَاضِي الْيِرَاعِ (٩) وَالْكُتْبُ
 بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ (١٠) لَا كَفَى وَشِعْرِي الْمَنْظُومَ لَا السَّخْبُ (١١)
 فَهَذِهِ الْحَرْفَةُ الْمَشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَحْوَى بِهَا وَأَجْتَلِبُ
 فَأَذُنْ لَتَرْحَى كَمَا أَذْنَتْ لَهَا وَلَا تُرَاقِبُ (١٢) وَاحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

قال : فلما أحكم ما شأده (١٣) وأكمل إنشأده ، عطف القاضى إلى الفتاة ، بعد أن شغف (١٤) بالأبيات ، وقال أما أنه قد ثبت عند جميع الحكماء ، وولادة الأحكام انقراض (١٥) جيل الكرام (١٦) وميل الأيام إلى اللثام ، وإني لا خال (١٧) بملك (١٨) صدوقاً فى الكلام ، برياً من الملام — وهأهو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن الحُض (١٩) وبين مصداق النظم ، وتبين أنه معروق العظم (٢٠) وإعذات المعذِر

(١) الحاجة (٢) جمع رفقة وهو جمع رفيق (٣) تستعجلها (٤) جمع نجبية وهى الكريمة من الأبل (٥) جمع محبة النساء العفاف (٦) تخلقى (٨) تزين الكلام واصله ان يطلى المعدن غير الذهب والنفضة باحدها أو النفضة بالذهب (٨) علق بها (٩) جمع يراعة وهى النقبة الجوفاء والمراد بها الانلام (١٠) جمع قلادة اصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ما ينظم من القصائد والاشعار (١١) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمك ليس فيها من الجواهر ثى تحمل فى اعتناق الاطفال (١٢) أى لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق (١٣) أى اتقن ما قاله واشده من شاد البناء اذا طلاء بالشيء وهو الجبس (١٤) ويروى بالعين الميملة من شغف الحب فؤاده أى علاه وشمله — وبالعين المعجمة أى فتن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب (١٥) انتطاع وفناء (١٦) أى جماعة الكرم والجيل أهل زمان واحد (١٧) كسر الهزرة أى لاطن (١٨) زوجك (١٩) الخالس (٢٠) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا أخذ ما عليه من اللحم .

مَلَأْمَةٌ ^(١) وَحَبْسُ الْمُسِيرِ ^(٢) مَأْلَةٌ ^(٣) وَكَيْتَانُ الْفَقْرِ زَهَادَةٌ ، وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ ، فَارْجِعِي إِلَى خِدْرِكَ ^(٤) وَاعْذُرِي أَبَا عَذْرُكَ ^(٥) وَنَهْنَهِي مِنْ غَرْبِكَ ^(٦) وَسَلِّمْ بِقَضَاءِ رَبِّكَ — ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْصَةً ^(٧) وَقَالَ لَهَا تَعَلَّلَا ^(٨) بِهِِنَّهُ الْمَأْلَةُ ^(٩) وَتَنْدِيَا بِهِِنَّهُ الْبَالَةُ ^(١٠) وَصَبْرًا عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَتَهَضَّأُ وَالشَّيْخُ فَرْحَةُ الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ ^(١١) وَهَزَّةُ الْمُوَسِّرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ — قَالَ الرَّأْوِيُّ وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ (أَبُو زَيْدٍ) سَاعَةً بَزَغَتْ شَمْسُهُ ، وَنَزَعَتْ ^(١٢) عِرْسُهُ ، وَكِدْتُ أَفْصَحَ عَنْ أَقْبَانِهِ ^(١٣) وَأُمَمَارِ أَفْنَانِهِ ^(١٤) ثُمَّ أَشْفَقْتُ ^(١٥) مِنْ عُثُورِ ^(١٦) الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ ^(١٧) وَتَزْوِيقِ ^(١٨) لِسَانِهِ ، فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ ^(١٩) أَنْ يُرْشَحَهُ ^(٢٠) لِإِحْسَانِهِ فَأَحْجَمْتُ ^(٢١) عَنْ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرتَابِ ^(٢٢) وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ ^(٢٣) إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَّلَ ^(٢٤) وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ ، لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ

(١) الاعنات الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ في العار أو هو الذي يأتي بما يعذره
ويطلق على المحقق العذر وعلى الذي بان عذره والملامة اللؤم (٢) العاجز عن قضاء الدين
(٣) إيلام (٤) بيتك وسترك (٥) أبو عذر المرأة أول زوج لها (٦) أي كفى وازجرى
نفسك عن الحدة (٧) هي ما يتناولها الإنسان بأطراف أصابعه (٨) تشاغلوا وتلاهما (٩) ما يتعلل
به وأصلها بقية اللبن (١٠) قدر ما يبيل به الشيء واسم للبقية أيضاً (١١) القيد الذي يشد
به الأسير (١٢) خبث والنزع الذكر بالقبيح والأفساد بين الناس ومعناه خاصته عرسه
(١٣) يقال افتن الرجل في حديثه إذا جاء بالافانين وهي الاساليب والمراد هنا تصرفه في الفنون
والمعارف (١٤) جمع فتن بالتحريك وهو طرف النصن (١٥) خفت (١٦) اطلاع (١٧) كذبه
(١٨) التزويق التحسين والتزين مأخوذ من الزاويق وهو الزئبق (١٩) معرفته

(٢٠) الترشيح والترية والتاهيل من ترشيح الطيبة ولدها لانها اذا بلغ ولدها السعي سعت به
حتى يرشح عرفا فيقوى — ويأتي بمعنى التقوية أيضا (٢١) تأخرت (٢٢) الشاك (٢٣) السجل
الصحيفة فيها الكتابة أى كما تطوى الصحيفة الكتابة (٢٤) ذهب

يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ ، لَا تَأَنَّا بَفَضِّ خَبَرِهِ ^(١) وَمَا يُنْتَسَرُ مِنْ حَبِيرِهِ ^(٢) فَاتَّبَعَهُ ^(٣) الْقَاضِي أَحَدُ أَمَنَائِهِ ، وَأَمْرَهُ بِالتَّجَسُّسِ ^(٤) عَنْ أَنْبَاءِهِ ^(٥) فَمَا لَبَّتْ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهِّدًا ^(٦) وَقَهَرٌ مُفْتَهًجًا ^(٧) فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي مَهْمٌ ^(٨) يَا أَبَا مَرْيَمَ ^(٩) ؟ فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا ، وَسَمِعْتُ مَا أُنْشَأُ طَرَبًا . فَقَالَ لَهُ مَاذَا رَأَيْتَ ؟ وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ ؟ قَالَ : لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رَجْلَيْهِ ^(١٠) وَيُغْرَدُ بِمِلِّهِ شِدْقِيهِ — وَيَقُولُ

كَيْدْتُ أَصْلِي ^(١١) بِبِلِيهِ مِنْ وَقَاحِ ^(١٢) تَكْمَرِيهِ ^(١٣)

وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَندَرِيهِ

فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ ^(١٤) دُنَيْتُهُ ^(١٥) وَذَوَتْ ^(١٦) سَكِينَتُهُ ^(١٧) فَلَمَّا

فَاءَ ^(١٨) إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْإِسْتِغْفَارِ ، قَالَ اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَادِّبِينَ ، ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ عَلِيٍّ ^(١٩) بِهِ ، فَاَنْطَلَقَ مُجِدًّا فِي مَطْلَبِهِ ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَا يَه ^(٢٠) مُخْبِرًا بِأَيِّهِ ^(٢١) فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي أَمَا إِنَّا لَوْ حَضَرْنَا لَكُنْفِي الْحَدَّرَ ^(٢٢)

ثُمَّ لَا أَوْلَيْتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى ، وَلَا رَأَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرُ لَهُ مِنَ الْأُولَى — قَالَ الْحَارِثُ ابْنُ هَمَّامٍ فَلَمَّا رَأَيْتُ صَغَوَ ^(٢٣) الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفُوتَ ثَمَرَةُ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي ^(٢٤)

(١) بحقيقة حاله (٢) الخبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة وهي ماتلبسه المرأة المصرية والمراد ما يدكره من الكلام المسجع الشبيه بالخبر في الحسن (٣) أي أرسل وراءه من يتبعه (٤) أي بالبحث سرًا بحيث لا يشعر (٥) أحاراه (٦) اتدمده الاسراع من دهمدت الحجر اذا دحرجته وتدل الهاء الاخيرة ياء ميقال تدمدى تدمديا (٧) القهقرة المشى إلى الوراء والنهضة الصبح صوت (٨) أي ما الخبر وهي كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك وماشأنك (٩) يقال لعون القاضي أبو مريم (١٠) أي يرقص (١١) احترق (١٢) الوقاح قليله الحياء بيبة القحة والوقاحة وحار وقاح صلب (١٣) الشمرى الماضي في الامور الجاد فيما يحاول (١٤) وقعت (١٥) تشديد اللون والياء جميعا تلتسوة طويلة يلبسها القضاة كانها منسوبة إلى الدن (١٦) ذبلت وفترت (١٧) وقارته (١٨) رجع (١٩) أي أثبت به وأحضره (٢٠) اللأى كالسعي الإبطاء والاحتساس (٢١) أي سعد (٢٢) ما يجدر منه ويخاف (٢٣) بميله (٢٤) ألتقى وحضرتي

نَدَامَةُ الْفَرَزْدَقِ (١) حِينَ أَبَانَ النَّوَّارَ (٢) وَالْكُسَمِّيَّ (٣) لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَّارَ

(المقامة البشرية لبديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : كَانَ بَشَرٌ بْنُ عَوَّانَةَ الْعَبْدِيُّ صُغْلُو كَأْ ، فَأَغَارَ
عَلَى رَكْبٍ فِيهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ — فَقَالَتْ
أَعْجَبَ بَشَرًا حَوَّرَ فِي عَيْدِي وَسَاعِدُ أَيْبُضُ كَاللَّجَيْنِ
وَدَوْنَهُ مَسْرُوحُ طَرْفِ الْعَيْنِ خَمْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَيْنِ
أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رَجَائِنِ لَوْ ضَمَّ بَشَرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي
أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ بَيْنِي وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي
لَأَسْفَرَ الصُّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ

قَالَ بَشَرٌ وَيُحَاكِ مِنْ عَنَيْتٍ ؟ فَقَالَتْ : بِنْتُ عَمِّكَ فَاطِمَةُ : فَقَالَ أَهَى مِنْ
الْحَسَنِ بِحَيْثُ وَصَفْتِ ؟ قَالَتْ : وَأَزِيدُ وَأَكْثَرُ — فَأَنشَأُ يَقُولُ
وَيُحَاكِ يَا ذَاتَ الثَّنَائِيَا الْبَيْضِ مَا خَلِئْتُنِي مِنْكَ بِمُسْتَعْيِضِ
فَالآنَ إِذْ لَوَّحْتَ بِالْتَّعْرِِيضِ خَلَوْتَ جَوًّا فَاصْفِرِي وَبَيِضِي
لَا ضَمَّ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِيضِ مَا لَمْ أَشْلُ عَرَضِي مِنَ الْحَضِيضِ

(١) هو همام بن غالب التميمي الشاعر (٢) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق
وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره في ذلك قوله :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو اني ملكت يدي وأمرى لكان علي للتندر الحيار

(٣) الكسعي هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حتى من بني
ثعلبة كان راعيا وعمل دوسا بعد طول تب ثم رمى عنها ليلا فنفذت في الرمية ووقع السهم في حجر
فقدح منه الشرر فظن أن السهم أخطأ الرمية فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الاسهم وكانت خمسا وهو
يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندمًا
شديدًا فضربت العرب المثل به في الندامة

فَقَالَتْ: كَمْ خَاطِبٍ فِي أَمْرِهَا أَلْحَا وَهِيَ إِلَيْكَ ابْنَةُ عَمِّ لَحَا

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَمَّتِهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ ، وَمَنْعَهُ الْعَمُّ أَمْنِيَّتَهُ ، فَأَلَى أَلَا بَرَعَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ — ثُمَّ كَثُرَتْ مَضْرَأَتُهُ فِيهِمْ وَاتَّصَلَتْ مَعْرَأَتُهُ إِلَيْهِمْ فَاجْتَمَعَ رِجَالُ الْحَيِّ إِلَى عَمِّهِ وَقَالُوا كُفَّ عَنَّا مَجْنُونُكَ . فَقَالَ : لَا تُلْدِسُونِي عَارًا وَأَمْهَلُونِي حَقًّا أَهْلَكَهُ بَعْضُ الْحَيْلِ — فَقَالُوا أَنْتَ وَذَاكَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمُّهُ إِنِّي آلَيْتُ أَنْ لَا أُزَوِّجَ بَنِي هَذِهِ الْإِمَامِينَ بِسَوْقٍ إِلَيْهَا أَنْتَ نَاقَةَ مَهْرًا . وَلَا أَرْضَاهَا إِلَّا مِنْ نُوقٍ خُرَاعَةٍ وَكَانَ غَرَضُ الْعَمِّ أَنْ يَسْلِكَ بِشَرِّ الطَّرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُرَاعَةٍ فَيَقْتَرُسُهُ الْأَسَدُ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ كَانَتْ تَحَامَتُ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى « دَاذَا » وَحِيَّةٌ تُدْعَى « شُجَاعَا » يَقُولُ فِيهِمَا قَائِلُهُمْ

أَفْنَكُ مَنْ (دَاذَا) وَمَنْ (شُجَاعَا) إِنْ يَكُ دَاذَا سَبَدَ السَّبَاعِ
فَانْهَاسِيَّةُ الْأَفَاعِي

ثُمَّ إِنْ نَشَرَّا سَلَكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَمَا نَصَفَهُ حَتَّى لَقِيَ الْأَسَدَ وَقَعَصَ مَهْرَهُ فَتَزَلَّ وَعَقَّرَهُ ، ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى الْأَسَدِ وَاعْتَرَضَهُ وَقَطَعَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الْأَسَدِ عَلَى قَيْصِهِ إِلَى أَنَّهُ عَمَّةٌ

وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَاكَ بِشَرَا	أَفَاطِمُ لَوْ شَهِدَتْ بِيْطُنَ خَبَتْ
هَزْبَرًا أَغْلَبَا لَاقَى هَزْبَرَا	إِذَا لَرَأَيْتَ لَيْتَا زَارَ لَيْتَا
مُحَاذَرَةً قَلَّتْ عُقْرَتَ مَهْرًا	تَبْهَتَسَ حِينَ أَحْجَمَ عَنْهُ مَهْرِي
رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا	أَنْلِ فَدَمَيَّ ظَهَرَ الْأَرْضِ إِنِّي
مُحَدَّدَةٌ وَوَجْهًا مُكْفَهْرًا	وَقَلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا
وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَى أُخْرَى	يُكْفِكُفُ غِيلَةَ إِحْدَى يَدَيْهِ

يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَفِي يُنْمَايَ مَاضِيِ الْحَدِّ أَبْقَى
وَبِاللَّحْظَاتِ تَحْسِبُهُنَّ جَمْرًا أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتُ ظُبَاهُ
بِمَضْرَبِهِ قِرَاعِ الْمَوْتِ أَثْرًا وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى
بِكَاطِمَةِ غَدَاةٍ لَقِيتُ عَمْرًا وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوْتًا
مُصَاوِلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ دُعْرًا فَفَقِيمَ تَسْوِمٍ مِثْلِي أَنْ يُوَكِّلَ
وَأَطْلُبُ لَابْنَتِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا فَصَحْتِكَ فَالْتَمِسْ يَالَيْثُ غَيْرِي
وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغَشَّ نُصْحِي
طَعَامًا إِنَّ لَحْيَ كَانَ مُرًّا مَشَى وَمَشِيَتْ مِنْ أَسْدِينَ رَامَا
وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرًا هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي
مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعَرَا وَجَدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرْتَهُ
سَلَّتْ بِهِ لَدَى الظُّلَمَاءِ نَجْرًا وَأَطْلَقْتُ الْمُهَنْدَ مِنْ يَمِينِي
بَأَنْ كَذَبْتَهُ مَا مَنَنْتُهُ غَدْرًا فَخَرَّ مُجْتَنِدٌ لَا بَدَمَ كَأَنِّي
فَقَدَّ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا وَقُلْتُ لَهُ يَعْزُ عَلَى أَنِّي
هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءَ مُشْمَخَرَّا وَلَكِنْ رُمْتُ شَيْئًا لَمْ يَرُمُهُ
قَتَلْتُ مُنَاسِيَّ جَلْدًا وَغَرًّا تُحَاوِلُ أَنْ تَعْلَمَنِي فِرَارًا
سَوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَالَيْثُ صَبْرًا فَلَا تَجِزَّعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا
لَعَمْرُ أَيْبِكَ قَدْ حَاوَلْتُ نَكْرًا

فَلَمَّا بَلَغْتَ الْأَبْيَاتُ عَمَّةَ نَدَمَ ، عَلَى مَا مَنَعَهُ تَرْوِيحُهَا وَخَشِيَ أَنْ تَغْنَالَهُ الْحَيَّةُ
فَقَامَ فِي أَثَرِهِ وَبَلَغَهُ وَقَدْ مَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الْحَيَّةِ فَلَمَّا رَأَى عَمَّةَ أَخَذَتْهُ حِمِيَةُ الْجَاهِلِيَّةِ
فَجَعَلَ يَدُهُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا وَقَالَ

بَشَرٌ إِلَى الْمَجْدِ بَعِيدٌ هَمُّهُ لَمَّا رَأَى بِالْعَرَاءِ عَمَّهُ
 قَدْ تَكَلَّفَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهْمُهُ
 قَامَ إِلَى ابْنِ اللَّفْلَا يُؤْمُهُ فَعَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكَمَّهُ
 وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِي سَمُهُ

فَلَمَّا قَتَلَ الْحَيَّةَ قَالَ عَمَّهُ إِنِّي عَرَضْتُكَ طَمَعًا فِي أَمْرٍ قَدْ ثَنَى اللَّهُ عِنَانِي عَنْهُ
 فَأَرْجِعْ لَأَزُوجَكَ ابْنَتِي — فَلَمَّا رَجَعَ جَعَلَ بَشَرٌ يَمْلَأُ قَهْ فُخْرًا حَتَّى طَلَعَ أَمْرَدُ
 كَشَقَّ الْقَمَرِ عَلَى فَرْسِهِ مُدْجَجًا فِي سِلَاحِهِ — فَقَالَ بَشَرٌ يَاعَمُّ إِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ
 وَخَرَجَ فَازِدًا بَغْلَامٍ عَلَى قَيْدٍ . فَقَالَ تَكَلَّمْتُكَ أَتَمَّكَ يَا بَشَرُ أَنْ قَتَلْتَ دُودَةً وَبَهِيمَةً
 تَمْلَأُ مَا ضَعِيقُ فُخْرًا أَنْتَ فِي أَمَانٍ إِنْ سَلَّمْتَ عَمَّكَ ، فَقَالَ بَشَرٌ مَنْ أَنْتَ ؟ لَا أُمُّ
 لَكَ ؟ قَالَ : الْيَوْمُ الْأَسْوَدُ وَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ . فَقَالَ بَشَرٌ تَكَلَّمْتُكَ مِنْ سَلَحَتِكَ . فَقَالَ
 يَا بَشَرُ وَمَنْ سَلَحَتِكَ . وَكَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَلَمْ يَتِمَّكَ بَشَرٌ مِنْهُ .
 وَأَمَّا الْعَالَمُ عَشْرِينَ طَعْنَةً فِي كُلِّ يَتَرٍ . كُلَّمَا مَسَّهُ شِبَالُ السَّنَانِ حَمَاهُ عَنْ بَدَنِهِ
 إِبْقَاءٌ عَلَيْهِ — ثُمَّ قَالَ يَا بَشَرُ كَيْفَ تَرَى ؟ — أَلَيْسَ لَوْ أَرَدْتُ لَأَطْعَمْتُكَ أُنْيَابَ
 الرُّمَحِ ؟ ثُمَّ أَلْقَى رُمَحَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ فَضْرَبَ بَشَرًا عَشْرِينَ ضَرْبَةً بَعْرَضِ السَّيْفِ وَلَمْ
 يَتِمَّكَ بَشَرٌ مِنْ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ قَالَ يَا بَشَرُ سَلِّمْ عَمَّكَ وَأَذْهَبْ فِي أَمَانٍ ، قَالَ نَعَمْ :
 وَلَكِنْ عَلَى شَرِيطَةٍ أَنْ تَقُولَ لِي مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ أَنَا ابْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي دَلَّكَ عَلَى
 ابْنَةِ عَمِّكَ — فَقَالَ بَشَرُ

تلك العصا من هذه العصية هل تلدُ الحيةُ الا الحيةُ

وحلفَ لا رَ كَبَ حِصَانًا . ولا نَزُوجَ حِصَانًا . ثُمَّ زَوَّجَ ابْنَةُ عَمَّهُ لابْنَهُ

— الفن السادس في الروايات —

الرّواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعلٍ حدثاً ، أو أمكنَ حدوثُهُما
وخواصّها أربعة : الإيضاح . والإيجاز . والامكان . والتلطف .

فالإيضاح يكون بتقديم فرش للحديث ، وتوطئة للخبر ، يُقرب مأخذ الرّواية
وبمراعاة الترتيب الطّبيعي في إيراد ظُرُوف الخبر مالم يكن للرّأوى غرضٌ لتجاوز
هذا النظام — وبالعُدول عن كثرة الاستطرادات في إنشاء الحديث لأنّ ذلك
يصرفُ العقلَ عن سياق الرّواية ويذهبُ بروقتها .

والإيجاز : حذفُ فضول حشو الكلام مع انتقاء أخصّ الظُرُوف وأنسبها
للغاية — ولا بأسَ بالإطناب إذا ما دعا اليه مقتضى الحال .
والامكان : ترشيحُ الرّواية للقبول في ذهن السّامع .

والتلطف في الرّواية أن يبلغ الكاتبُ كُنْهَ القلوب ويأخذَ بمجامع اللبّ
بأن ينتقل فيها من حال الى حال ، لأنّ النفس قد جُبِلَتْ على محبة التحوّل .
وطُبِعَتْ على إثارة التّقلّل .

وللرّواية ثلاثة أجزاء : صدرها . وعقدتها . وختامها . فالصدرُ التّوطئة للواقع
بحيث يَفِّقُ السّامع على أسماء الأشخاص وطبائعهم ، وعلى مكان الواقع وسوابق العمل
« والعقدة » هي الجزء الذي على محورهِ تدور الرّواية — وهو المجال الأوسع
الذي تتقابلُ فيه الأشخاصُ وتشتبكُ الاحوال وتضطربُ في النفس لواعجُ الشوق
للووقوف على عاقبة الأمر ، فتنتقل من الرّجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن .

« والختام » الجزء الأخيرُ من الرّواية الذي به تُفكّ الأربّة وتُحلُّ رِباقي
الحديث فتنالُ النفوسُ بذلك مرّامها وتفوزُ بوطنها — وسِمَتُهُ أن يكون فجائياً

مُرْتَبِطًا مَعَ مَاقِبِلِهِ ارْتِبَاطًا مُحْكَمًا وَافِيًا بِالْمُرَادِ بِحَيْثُ تَرْضَى بِهِ النَّفْسُ ، وَتَرْتَاحُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ . وَشَوَاهِدُ الرِّوَايَةِ كَثِيرَةٌ لَا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا — أَفْرَدَهَا الْأَدْبَاءُ بِالتَّالِيفِ الْعَدِيدَةِ — وَلَنْذَكُرَ هُنَا بَعْضَ مَلَحٍ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا الْمَقَامُ .

لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ مَعَ الْحَجَّاجِ

رَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ الْحَجَّاجُ فِي مَجْلِسٍ وَمَعَهُ عُنْبَسَةُ بْنُ سَعْدِ الْعَاصِي إِذْ دَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ امْرَأَةٌ بِالْبَابِ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : أَدْخِلِيهَا . فِدَخَلَتْ فَلَمَّا رَأَاهَا الْحَجَّاجُ طَاطَأَ رَأْسَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ ذَقْنَهُ قَدْ أَصَابَ الْأَرْضَ . فَجَاءَتْ حَتَّى قَعَدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَظَنَرْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ أَسْنَتْ ، حَسَنَةُ الْخَلْقِ ، وَمَعَهَا جَارِيتَانِ لَهَا . وَإِذَا هِيَ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ فَسَأَلَهَا الْحَجَّاجُ عَنْ نَسَبِهَا ، فَانْتَسَبَتْ لَهُ فَقَالَ لَهَا : يَا لَيْلَى مَا أَتَى بِكَ ؟ فَقَالَتْ اخْلَافُ الثُّحُومِ ، وَقَلَّةُ الْغُيُومِ ، وَكَلْبُ الْبَرْدِ ، وَشِدَّةُ الْجَهْدِ ، وَكُنْتُ لَنَا بَعْدَ اللَّهِ الرَّفْدُ ، فَقَالَ لَهَا صِفِي لَنَا الْفِجَاجَ . فَقَالَتْ ، الْفِجَاجُ مُبْعَرَّةٌ ، وَالْأَرْضُ مُتَشَعَّرَةٌ وَالْمَبْرُكُ مُعْتَلٌّ ، وَذُ الْعِيَالِ مُخْتَلٌّ ، وَالْهَالِكُ لَلْقُلِّ ، وَالنَّاسُ مُسْنِتُونَ ، رَحْمَةُ اللَّهِ يَرْجُونَ ، وَأَصَابَتْنَا سِنُونُ بِمُجْحَفَةٍ مُبْلَطَةٍ ، لَمْ تَدَعْ لَنَا هُبْعًا وَلَا رُبْعًا ، وَلَا عَافِظَةً وَلَا نَافِظَةً ، أَذْهَبَتْ الْأَمْوَالُ ، وَمَزَقَتْ الرِّجَالُ ، وَأَهْلَكَتِ الْعِيَالُ . ثُمَّ قَالَتْ : إِنِّي قُلْتُ فِي الْأَمِيرِ قَوْلًا . قَالَ هَاتِ — فَأَلْشَأْتُ تَقُولُ :

أَحْجَاجُ لَا يُفْنِلُ سِلَاحُكَ إِنَّمَا السَّمْنَايَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ يَرَاهَا
أَحْجَاجُ لَا تُعْطِي الْعَصَاةَ مِنْهُمْ وَلَا اللَّهُ يُعْطِي لِلْعَصَاةِ مِنْهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبَعُ أَقْصَى دَأْبِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاطَةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَّاهَا بِشَرْبِ سِجَالِهِ دَمَاءَ رِجَالٍ حَيْثُ مَالَ حَشَاهَا

إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رَزَّ كَتِيبَةً أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قَرَأَهَا
أَعَدَّ لَهَا مَصْقُولَةً فَارْسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صِرَاحًا
فَمَا وَلَدَ إِلَّا بَكَارٌ وَالْعُومُ مِثْلُهُ بِبَحْرِ وَلَا أَرْضٍ يَجِفُّ ثَرَاهَا
قَالَ : فَلَمَّا قَالَتْ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ الْحَجَّاجُ : قَاتِلْهَا اللَّهُ ، مَا أَصَابَ صِفَتِي
رُ مِنْذُ دَخَلْتُ الْعِرَاقَ غَيْرَهَا — نِمِ التَّفْتُ إِلَى عَنبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ ، وَاللَّهِ
لَأَعِدَّ لِلْأَمْرِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَبَدًا . ثُمَّ التَّفْتُ إِلَيْهَا فَقَالَ : حَسْبُكَ . قَالَتْ :
قَدْ قُلْتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . قَالَ : حَسْبُكَ . وَيُحَكِّ حَسْبُكَ . ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ
بِ إِلَى فَلَانٍ ، فَقُلْ لَهُ أَقْطِعْ لِسَانَهَا ، فَذَهَبَ بِهَا فَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ : أَقْطِعْ
هَا . قَالَ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْحَجَّامِ فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : نَكَلْتُكَ أُمِّكَ . أَمَّا
تَ مَا قَالِ ؟ إِنَّمَا أَمْرُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانِي بِالصَّلَةِ . فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ يَسْتَنْبِئُهُ ، فَاسْتَشَاطَ
أَحْ غَضَبًا ، وَهَمَّ بِقَطْعِ لِسَانِهِ ، وَقَالَ ارْذُودَهَا . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَالَتْ : كَادَ
إِنِّي (اللَّهُ) يَقْطَعُ مِقُولِي — ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

جَجَّجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّدِّ
جَجَّجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِحتُ . وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَى يَقْدُ
أَقْبَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى جُلُوسَاتِهِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ
نَرَقُطٌ أَفْصَحَ لِسَانًا ، وَلَا أَحْسَنَ مُحَاوَرَةً ، وَلَا أَمْلَحَ وَجْهًا ، وَلَا أَرْضَنَ شَعْرًا .
فَقَالَ : هَذِهِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ الَّتِي مَاتَ تَوْبَةُ الْخَفَّاجِي مِنْ حُبِّهَا . ثُمَّ التَّفْتُ إِلَيْهَا
: أَنْشِدِينَا يَا لَيْلَى بَعْضَ مَا قَالَتْ فِيكَ تَوْبَةُ . قَالَتْ : نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَهَلْ لَيْلَى تَبْكِينِي إِذَا مِتَّ قَبْلَهَا وَقَامَ عَلَى قَبْرِ النِّسَاءِ النَّوَائِحُ
كَأَلَوْ أَصَابَ الْمَوْتُ لَيْلَى بَكَيْتُهَا وَجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ سَافِحُ

وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلِي بِمَا لَا أَنَالَهُ بَلَى كُلِّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ طَائِحُ
 وَلَوْ أَنَّ لَيْلِي الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَى وَدُونِي جَنْدَلُ وَصَفَائِحُ
 لَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ رَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
 ثُمَّ قَالَ لَهَا سَلَى يَا لَيْلِي تُعْطَى . قَالَتْ أَعْطِ : فَمَثْلُكَ أَعْطَى فَأَحْسَنَ . قَالَ لَكَ
 عَشْرُونَ ، قَالَتْ : زِدْ ، فَمَثْلُكَ زَادَ فَأَجْمَلَ . قَالَ لَكَ أَرْبَعُونَ . قَالَتْ زِدْ ، فَمَثْلُكَ
 زَادَ فَأَكْمَلَ . قَالَ لَكَ ثَمَانُونَ . قَالَتْ زِدْ ، فَمَثْلُكَ زَادَ فَتَمَّمَ . قَالَ لَكَ مِائَةً ، وَاعْلَمِي
 أَنَّهَُا غَنَمٌ . قَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . أَنْتَ أَجْوَدُ جُودًا ، وَأَمْجَدُ مَجْدًا ،
 وَأَوْرَى زَنْدًا مِنْ أَنْ تَجْعَلَهَا غَنَمًا . قَالَ : فَمَا هِيَ وَيَحْكُ يَا لَيْلِي ؟ قَالَتْ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ
 بِرُعَاتِهَا فَأَمَرَ لَهَا بِهَا . ثُمَّ قَالَ : أَلَاكَ حَاجَةٌ بَعْدَهَا ؟ قَالَتْ يُدْفَعُ إِلَيَّ النَّابِغَةُ الْجَعْدَى .
 قَالَ قَدْ فَعَلْتُ . وَقَدْ كَانَتْ تَهْجُوهُ وَيَهْجُوهَا . فَبَلَغَ النَّابِغَةُ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَائِذًا
 بِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاتَّبَعَتْهُ إِلَى الشَّامِ . فَهَرَبَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ بَخْرَاسَانَ ، فَاتَّبَعَتْهُ عَلَى
 الْبَرِيدِ بِكِتَابِ الْحَجَّاجِ إِلَى قُتَيْبَةَ بِقَوْمَسَ - وَيُقَالُ بِحُلُوانَ .

﴿ بنات الشاعر المقتول ﴾

كَانَ لِشَاعِرٍ عَدُوٌّ : فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا هُوَ بِعَدُوِّهِ ، فَعَلِمَ
 الشَّاعِرُ أَنَّ عَدُوَّهُ قَاتِلُهُ لَا مُحَالَةَ — فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَنِيَّةَ قَدْ حَضَرَتْ
 وَلَكِنْ سَأَلْتُكَ اللَّهَ إِذَا أَنْتَ قَتَلْتَنِي أَنْ امْضِ إِلَى دَارِي ، وَاقِفْ بِالْبَابِ وَقُلْ « أَلَا
 أَيُّهَا الْبَنْتَانِ إِنَّ أَبَا كَمَا » فَقَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً ، ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَهُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِ أَتَى
 إِلَى دَارِهِ ، وَوَقَفَ بِالْبَابِ وَقَالَ « أَلَا أَيُّهَا الْبَنْتَانِ إِنَّ أَبَا كَمَا » وَكَانَ لِلشَّاعِرِ ابْنَتَانِ
 فَلَمَّا سَمِعَتَا قَوْلَ الرَّجُلِ « أَلَا أَيُّهَا الْبَنْتَانِ إِنَّ أَبَا كَمَا » أَجَابَتَاهُ بِفَمٍ وَاحِدٍ « قَتِيلٌ : خُذْ
 بِالنَّارِ مَنْ أَنَا كَمَا » ثُمَّ تَعَلَّقَتَا بِالرَّجُلِ ، وَرَفَعَتَاهُ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُ فَقَتَلَ قَتْلَهُ .

﴿ المرأة المتكلمة بالقرآن الكريم ﴾

قال عبد الله بن المبارك : خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام ، وزِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فبينما أنا في بعض الطريق إِذْ أَنَا بِسَوَادٍ ، فتميزت ذاك فَأَذْأَ هِيَ عَجُوزٌ عَلَيْهَا دِرْعٌ مِنْ صُفُوفٍ ، وَخِمَارٌ مِنْ صُوفٍ ، فقلت السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فقالت « سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ » قال : فقلت لها يَرْحُمُكَ اللَّهُ مَا تَصْنَعِينَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ قالت « وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ » فَعَلِمْتُ أَنَّهُمَا ضَالَّةٌ عَنِ الطَّرِيقِ . فقلت لها أَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قالت « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » فَعَلِمْتُ أَنَّهُمَا قَدْ قَضَتِ حَاجَتَهُمَا وَهِيَ تُرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ . فقلت لها أَنْتِ مُنْذُكُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ قالت « ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا » فقلت مَا أَرَى مَعَكَ طَعَامًا تَأْكُلِينَ . قالت « هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ » فقلت فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَتَوَضَّئِينَ ؟ قالت « فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا » فقلت لها إِنْ مَعِيَ طَعَامًا ، فَهَلْ لَكَ فِي الْأَكْلِ ؟ قالت « ثُمَّ أَنْتُمُ الصِّيَامُ إِلَى اللَّيْلِ » فقلت لَيْسَ هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ . قالت « وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ » فقلت قَدْ أُبِيحَ لَنَا الْإِفْطَارُ فِي السَّفَرِ . قالت « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » فقلت : لِمَ لَا تَكَلِّمِينِي مِثْلَ مَا أَكَلَّمُكَ ؟ قالت « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » فقلت فَمَنْ أَيْ النَّاسِ أَنْتِ ؟ قالت « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » فقلت قَدْ أَخْطَأْتُ ، فَاجْعَلْنِي فِي حِلٍّ قَالَتْ « لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ » فقلت فَهَلْ لَكَ أَنْ أَحْمَلَكَ عَلَى نَاقَتِي هَذِهِ فَتُدْرِكِي الْقَافِلَةَ ؟ قالت « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ » قَالَ فَأَنْخَرْتُ نَاقَتِي قَالَتْ « قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » فَغَضَضْتُ بَصَرِي عَنْهَا ، وَقُلْتُ لَهَا

اركبي . فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة ، فمزقت ثيابها فقالت « وما أصابكم من مُصيبة فَمَا كَسَبْت أَيْدِيكُمْ » فقلت لها اصبري حتى أعقلها ، قالت « ففهمناها سليمان » فعقلتُ الناقة ، وقلتُ لها اركبي فلما ركبت قالت « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح . فقالت « وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي رُوَيْدًا رُوَيْدًا وَأَتَرْتُم بِالشَّعْرِ . فقالت « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » فقلت لها لقد أُوتيتُ خيرًا كثيرًا . قالت « وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » فلما مشيتُ بها قليلاً قلت أَلَيْكَ زَوْجٌ ؟ قالت « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ » فسكتُ ولم أكلّمها حتى أدركت بها القافلة ، فقلت : لها هذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت « أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » فعلمتُ أَنَّ لها أولادًا : فقلتُ وَمَا شَأْنُهُمْ فِي الْحَجِّ ؟ قالت « وَعَلَامَاتٌ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » فعلمتُ أَنَّهُمْ أَذِلَّةُ الرِّكْبِ فَقَصَدْتُ بِهَا الْقِبَابَ وَالْعِمَارَاتِ فَقُلْتُ : هذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت « وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ » فناديتُ يَا إِبْرَاهِيمُ يَا مُوسَى يَا يَحْيَى فَإِذَا أَنَا بِشُبَّانٍ كَأَنَّهُمُ الْأَقْقَارُ ، قَدْ أَقْبَلُوا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْجُلُوسُ ، قَالَتْ « فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقَةٍ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ » فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدّمه بين يدي . وقالت « كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ » فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها . فقالوا هذا أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ، مخافة أن تزل فيسخط عليهم الرحمن ، فسبحان القادر على ما يشاء . فقلت « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

والله ذو الفضل العظيم »

﴿ مروان بن الحكم - وعبد الله بن الزبير ﴾

روى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم في حجرة عائشة (والحجاب بينهما وبينها) يحدثانها ويسألانها فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة - وعائشة تسمع : فقال مروان فمن يشأ الرحمن يخفضُ بقدره وليسَ لمن لم يرفع الله رافعُ

فقال ابن الزبير

ففوضُ الى الله الأمور إذا عترت وبالله لا بالأقربين أَدافعُ

فقال مروان :

وداؤِ ضمير القلب بالبر والتقى فلا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعُ

فقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان هذا مكذب عتلٌ لأرحام العشيرة قاطعُ

فقال مروان :

وعبدٌ يُجافي جنبه عن فراشه يبيتُ يُناجى ربه وهو راكم

قال ابن الزبير :

وللخير أهلٌ يعرفون بهديهم اذا اجتمعت عند الخطوب المجمعُ

قال مروان :

وللشر أهلٌ يعرفون بشكلهم تُشيرُ اليهم بالفجور الأصابعُ

فسكت ابن الزبير ولم يُجب ، فقالت عائشة : يا عبد الله مالك لم تُجب صاحبك ؟ والله ما سمعتُ تجاؤلاً في نحو ما تجاؤلتما فيه أعجبَ الى من تجاؤل كما . فقال ابن

الزبير : إني خفت عوار القول فكففتُ

﴿عبيد بن الأبرص - وامرؤ القيس﴾

قيل إنَّ عُبَيْدَ بن الأبرص لَقِيَ امرأَ القَيسِ يوماً فقال له : كيف معرفتك بالأوابد ؟ قال : ما أحببت . فقال :

ما حَبَّةٌ مِثَّةٌ قَامَتْ بِمِيتِهَا دَرْدَاءٌ ما أُنْبِتَتْ نَاباً وأُضْرَاساً

فقال امرؤ القيس :

تلك الشَّمِيرة تُسْقَى في سَنَابِلِهَا قد أخرجت بعد طول المُسْكَا كداساً

فقال عُبَيْد :

ما السُّودُ والبِيضُ والأَسْمَاءُ واحدةٌ لا تستطيعُ لهنَّ النَّاسُ تِمَسَّاساً

فقال امرؤ القيس :

تلك السَّحَابُ إذا الرَّحْمَنُ أنْسَأَهَا رَوَى بهنَّ مُحول الأَرْضِ أَيْبَاساً

فقال عُبَيْد :

ما مُرْتَجَاتٌ على هَوْلٍ مَرَاكِبُهَا يَقْطَعْنَ بعد المَدَى سِيراً وأَمْرَاساً

فقال امرؤ القيس :

تلك النُّجُومُ إذا حَانَتْ مَطَالِعُهَا شَبَّهَتْهَا في سَوَادِ اللَّيْلِ أَقْبَاساً

فقال عُبَيْد :

ما القاطعاتُ لأَرْضٍ لِأُنَيْسٍ بِهَا تَأْتِي سِرَاعاً وما يَرْجِعُنَّ أَنْكَساً

فقال امرؤ القيس :

تلك الرِّيحُ إذا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كُنَّاساً

فقال عُبَيْد :

ما الفاجعاتُ جهاراً في علانيةٍ أشدَّ من فيلقٍ ملحومةٍ بأساً
فقال امرؤ القيس :

تلك المنايا فما يبقينَ من أحدي . يأخذنَ حمقى وما يُبقينَ أكياساً
فقال عبيد

ما السَّابقاتُ سِرَّاعُ الطَّير في مهلٍ لا يَشْتَكِينُ ولو طالَ المدى بأساً
فقال امرؤ القيس

تلك الجيادُ عليها القومُ مُدُّ تَنَجَّتْ
فقال عبيد
كانوا لهنَّ عُدَّةُ الرُّوعِ أحلاساً

ما القاطعاتُ لأرضِ الجوفى طلقٍ قبل الصِّباحِ وما يسوينَ قرطاساً
فقال امرؤ القيس

تلك الأمانى يتركنَ الفتى ملكاً دون السماء ولم تُرفعْ له راساً
فقال عبيد

ما الحاكِونَ بلا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجبُ النَّاسَ
فقال امرؤ القيس

تلك الموازينُ والرحمنُ أرسلها ربَّ البرية بين النَّاسِ مقياساً
﴿ أبو تراب - الشريف العباسي ﴾

اجتمع يوماً أبو تراب هبةُ الله بن السَّريجي والشَّريف العباسي وكانا شاعرين
فقال أبو تراب

أسلوتُ حُبَّ بُدُورٍ أم تَتَجَلَّدُ وسهرتَ ليلاك أم جُفونك تَرَقُّدُ
فأجاب الشريفُ يديها

فأجاب الشريف
مادامَ لى جلدكُ فليستُ بِجازعٍ
أذْ كانَ صبرى فى العواقبِ يُحمدُ
فقال أبو تراب
أُحسنْتُ: كَيْمانُ الهوى مُستحسنُ
لو كانَ مأكهُ العينُ ممّا يَجبدُ
فأجاب الشريف
انْ كانَ جَفنى فإِضحى بدموعه
أظهرتُ للجلساءِ أننى أَرمدُ
فقال أبو تراب
فَهَبِ الدَّموعَ إِذا جرت موهبتها
فَيُقالَ لِمُ أنفاسُهُ تَتَصعدُ
فأجاب الشريف
أَمْشى وأَسرعُ كى يَظنّوا أنّها
من ذلك المَشى السَّريعِ تَوَلَّدُ
فقال أبو تراب
هذا يَجوزُ ومثلهُ مُستعملُ
لكنَّ وجهكُ بالحِجَةِ يَشهدُ
فأجاب الشريف
إِنْ كانَ وَجهى شاهداً بهوى فما
يَدْرِى الى مَنْ بالحِجَةِ أَقصدُ
فقال أبو تراب
إِخضعْ وذللْ لمن تحبُّ فليسَ فى
حُكمِ الهوى أنفٌ يَشالُ وَيَعقدُ
فأجاب الشريف

وعليك السلام يا أمة الله ، تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ ، فقالت :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يَهْدِي لِهَ الرِّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبَدُ (٢)
وَابْتَزَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَتَعَتِهَا ظُلُمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فَأُطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ عَنِّي وَأُفْرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
هَذَا أَوْ أَنْ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَانصُرْفِي وَأَحْضِرِي الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أُعِدُّ
وَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يَقْضَ الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِئُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ (٣)

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ :

(السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلامُ .

أَيْنَ الْخَصْمُ ؟ فَقَالَتْ : أَلَوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَوْمَاتُ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ .

فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ خُذْ بِيَدِهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا بِمَجْلِسِ الْخُصُومِ ، فَجَعَلَ كَلَامُهَا يَعْلُو .

كَلَامَ الْعَبَّاسِ فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ قَاضِي قِضَاةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِعَهْدِ الْمَأْمُونِ وَمِنْ سُلَالَةِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِي تَوَفَّى .

سَنَةَ ٢٤٢ هـ . (٢) أَصْلُ السَّبْدِ : الْقَلِيلُ مِنَ الشَّعْرِ . وَيُقَالُ مَالُهُ سَبَدٌ وَلَا أَبَدَ أَيُّ لَا قَلِيلَ وَلَا

كَثِيرَ . (٣) قَوْلُهُ : وَإِلَّا الْمَجْلِسُ . أَسْقَطَ مِنْهُ فَأَاءَ الْجَوَابَ لِلزُّرُورَةِ .

عاجلك وأجلك . قال : يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه . ولا أرغب في الإسلام . فدعاه عمر بالسيف فلما هم بقتله . قال : يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلى على ظمأ . فأمر له بشربة من ماء . فلما أخذها قال أنا آمن حتى أشربها قال : نعم . فرمى بها وقال : أوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج . قال : صدقت لك التوقف عنك والنظر في أمرك . إرفعوا عنه السيف . فلما رفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده . فقال عمر : أسلمت خير إسلام فما أخرك ؟ قال : كرهت أن تظن أنني أسلمت جزعاً من السيف . فقال عمر : إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك . ثم أمر به أن يُبرَّ ويُكرَّم ، وكان بعدُ يُشاوره في توجيه الجيوش لأهل فارس .

﴿ إبراهيم بن المهدي - وابن بختيشوع ﴾

قال العتبي : تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأرَبني ^(١) عليه إبراهيم

(١) أرَبني عليه : زُدد .

ولا تعجلنَّ فرُبَّ عَجَلَةٍ مَّهَبٌ رِيثًا : وَاللَّهِ يَعَصِمُكَ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ،
وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَمَرْتَ بِسَدَادٍ ، وَحَضَضْتَ عَلَى رِشَادٍ ، وَلَسْتُ
عَائِدًا لَمَّا يَنْلِمُ ^(٥) مُرُوءَتِي عِنْدَكَ ، وَيُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ ، وَيُخْرِجَنِي مِنْ مَقْدَارِ
الْوَاجِبِ إِلَى الْعِتْدَارِ ، فَهَذَا مُعْتَذِرُكَ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ اعْتِدَارًا مُقَرَّبًا بِذَنْبِهِ
مُعْتَرَفٌ بِجُرْمِهِ ، وَلَا يَزَالُ الْغَضَبُ يُسْتَفِزُّنِي ^(٦) بِيَوَادِرِهِ ، فَيُرْدُنِي مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ
وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا مِنْكَ . وَقَدْ جَعَلْتُ حَقِّي فِي هَذَا الْعَقَارِ لِابْنِ بَخْتِيشُوعَ
فَلَيْتَ ذَلِكَ يَكُونُ وَافِيًا بِأَرْشِ ^(٧) الْجَنَايَةِ عَلَيْهِ « وَلَمْ يَتَلَفْ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً »
وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

﴿ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ﴾

قِيلَ لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ الْحِلْمَ ؟ قَالَ : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمِنْقَرِيِّ
رَأَيْتُهُ قَاعِدًا بِنَاءِ دَارِهِ ، مُحْتَبِيًا ^(٨) بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ ، يُحَدِّثُ قَوْمَهُ حَتَّى أَتِي بِرَجُلٍ

(١) أَحْفَظُهُ : أَغْضَبُهُ . وَالْحَفِظَةُ : الْحِمَةُ وَالْغَضَبُ (٢) الْأُمَمُ : الْبَيْنُ مِنَ الْأَمْرِ وَالْوَسْطُ .

(٣) الْمُحْتَدُّ : الْأَصْلُ (٤) الرِّيثُ : الْإِبْطَاءُ وَالْمَقْدَارُ (٥) نَلِمَ الْإِنَاءُ : كَسَرَهُ مِنْ حَرْفِهِ .

(٦) اسْتَفْزَعَهُ : اسْتَحْفَظَهُ وَأَزْجَحَهُ (٧) الْأَرْشُ : الدِّيةُ وَمَا يُعْطَى تَهْوِيضًا (٨) احْتَبَى : جَمَعَ

بَيْنَ ظَهْرِهِ وَسَاتِيهِ بِعِمَامَةٍ أَوْ نَحْوِهَا ، وَالْإِسْمُ مِنْ ذَلِكَ الْحُبُوبَةِ .

من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجود مصاقع لسن^(٢)
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن^(٣)

معن بن زائدة - وجاره بين يدي المهدي

قال سعيد بن مسلم : نذر المهدي دم رجل من أهل الكوفة ، كان يسعى في فساد
سلطانه ، وجعل لمن دلك عليه أو جاء به مائة ألف درهم . فأقام الرجل حيناً متواريًا
ثم إنه ظهر بمدينة السلام^(٤) ، فكان ظاهرًا كغائب خائفًا مترقبًا . فبينما هو
يمشي في بعض نواحيها إذ بصُر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأهوى إلى مجامع^(٥)
ثوبه ، وقال : هذا بغية أمير المؤمنين . فأمكن الرجل من قياده ، ونظر إلى الموت .
أمامه . فبينما هو على تلك الحال ، اذ سمع وقع حوافر الخيل من وراء ظهره .
فالتفت فإذا معن بن زائدة . فقال : يا أبا الوليد أجرتني أبارك الله . فوقف وقال
للرجل الذي تعلق به : ما شأنك ؟ قال : بغية أمير المؤمنين الذي نذر دمه ، وأعطى

(١) أطباء : دعا . واستهواه . والافن : ضعف الرأي وفعله كفرح (٢) . رجل لسن وألسن فصيح
ويجمع ألسن على لسن كحمر وحر (٣) فطن . جمع فطن كجون : جمع جون ، وهذا جمع نادر
(٤) مدينة السلام : هي بغداد أوقفه منها (٥) مجامع الثوب : ما أحاط بالجيب ويقال لها التلايب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : وَفَدَّ لَيْسَ ثِيَابَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ
يُخْلَصَنَّ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ وَفِيكُمْ عَيْنَ تَطَرُّفٍ ^(١) ، ثُمَّ رَكِبَ وَدَخَلَ حَتَّى سَلَّمَ عَلَى
الْمَهْدِيِّ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا مَعْنُ أَتُجِيرُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
وَنَعَمْ أَيْضًا ؟ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ . فَقَالَ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلْتُ فِي طَاعَتِكَ بِالْيَمَنِ
فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَلِي أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ قَدْ تَقَدَّمَ فِيهَا بَلَاءٌ وَحُسْنُ غِنَائِي
فَمَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا أَنْ تَهْبُوا لِي رَجُلًا وَاحِدًا اسْتَجَارَ بِي ؟ فَأَطْرَقَ الْمَهْدِيُّ طَوِيلًا ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سُرِّيَ ^(٢) عَنْهُ فَقَالَ : قَدْ أَجْرَنَا مِنْ أَجْرَتِكَ . قَالَ مَعْنُ : فَإِنْ
رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصِلَهُ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ « فَعَلَّ » قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ
بِخَمْسَةِ آلَافٍ ، قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صِلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدَرِ جِنَايَاتِ الرِّعْيَةِ ،
وَإِنَّ ذَنْبَ الرَّجُلِ عَظِيمٌ ، فَأَجْزَلُ لَهُ الصَّلَةُ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ . قَالَ :
فَتَعَجَّلْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَفْضَلِ الدُّعَاءِ . ثُمَّ انْصَرَفَ وَلَحِقَهُ الْمَسَالُ ، فَدَعَا الرَّجُلَ
يَقَالَ لَهُ خُذْ صِلَتَكَ ، وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ، وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ خُلَفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

﴿ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ - وَالْأَسْوَدُ ﴾

رَوَى مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ مَعْنُ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا جَدَّ الْمَنْصُورُ فِي

(١) طَرَفَتِ الْعَيْنُ : تَحَرَّكَتْ (٢) سَرَى عَنْهُ الِهْمُ : انْكَشَفَ ، وَقَدْ يَحْذِفُ الْمَرْفُوعُ اكْتِنَاءً بِالْجَارِ
الْمَجْرُورِ .

يا هذا - اتق الله عز وجل ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا : فإني والله لا أعرف بك منك . فلما رأيت منه الجِدَّة قلت له : هذا عقْد جَوْهر ، قد حملتهُ معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يبيِّته بي ، فخذهُ ولا تكن سبياً لسفك دمي . قال : هاتِه فأخرجتهُ اليه فنظر فيه ساعة وقال : صدقت في قيمته ، ولست أقبله منك حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقْتُكَ . فقلت : قل . قال : إنَّ الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت مالكَ كلَّه قطُّ ؟ قلت : لا . قال : فنصفهُ ؟ قلت : لا . قال : فثلثهُ ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشر ، فاستحييتُ وقلت : أظنَّ أنَّي قد فعلت هذا . قال : ما ذاك بعظيم . أنا والله راجلٌ (١) ورزقي من أبي جعفر المنصور كلَّ شهر عشرون درهماً وهذا الجوهْر قيمته ألوفُ دنانير وقد وهبته لك ووهبتُكَ لنفسِكَ وجودِكَ الماثور بين النَّاس ، ولتعلِّمْ أنَّ في هذه الدنيا من هو أجودُ منك فلا تُعجبِكَ نفسك ولتُحترِّ بعد هذا كلَّ جودٍ فعلتهُ ولا تتوقَّف عن مكرُمة . فقلت : يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي عليَّ أهون ممَّا فعلت ، فخذ ما دفعتهُ لك فإني غنيٌّ عنه ، فضحك

(١) لو - العطش والسر : غيره ، ولوحت وجهه الشمس : غيرت لونه (٢) المارضان : جانا الوجه وما يكون عليهما من اللحية (٣) الطلبة : الحاجة وما يطلب (٤) الراجل : غير الراكب

خَرَجَ معاويةَ متنزهاً ، فمرَّ بِحَوْسٍ سَمَّ فَقَصَدَ قَصْدَ بَيْتٍ مِنْهُ ، فَاذْأَبْنَاءَهُ
 امْرَأَةً بَرْزَةَ ^(٢) ، فَقَالَ لَهَا : هَلْ مِنْ غَدَاءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ حَاضِرٌ . قَالَ : وَمَا غَدَاؤُكَ ؟
 قَالَتْ : خُبْزٌ خَمِيرٌ ، وَمَاءٌ نَمِيرٌ ، ^(٣) وَحَيْسٌ فُطِيرٌ ، وَلَبَنٌ هَجِيرٌ ، ^(٤) فَتَنَى وَرَكَّهُ
 وَنَزَلَ ، فَلَمَّا تَغَدَّى قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فَذَكَرَتْ حَاجَةَ أَهْلِ الْحِوَاءِ . قَالَ : هَاتِ
 حَاجَتَكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَنْزِلَ وَادِيًا ^(٥)
 فَيَرَفَ أَوَّلُهُ ، وَيَقِفَ آخِرُهُ ^(٦) .

﴿ الأحنف بين يدي معاوية ﴾

وَفَدَّ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ الْآذِنُ فَقَالَ :
 إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعِزُّمُ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ إِلَّا لِنَفْسِهِ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ قَالَ
 الْأَحْنَفُ : لَوْلَا عَزْمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ دَافَةَ دَفَّتْ ^(٧) وَنَازَلَتْ نَزَلَتْ وَنَابَتُهُ
 نَبَتَتْ ، كُلَّهُمْ بِهِمْ حَاجَةٌ إِلَى مَعْرُوفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِرِّهِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : حَسْبُكَ
 يَا أَبَا بَحْرٍ فَقَدْ كَفَيْتَ الشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ .

(١) الحواء ككتاب : جماعة البيوت المتدانية (٢) البرزة من النساء : الكلمة الجليية
 تبرز للقوم وتحدثهم مع العفة (٣) الحيس : تمر يخلط بسمن ولبن ممخوس (٤) الهجير :
 الحائر من اللبن (٥) رف النبات : اهتز (٦) قف النبات : يبس (٧) يقال : دفت .
 دافة أى أتت فته مهاجرة .

المُخْتَلَفَةُ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى (٢) وَحَدَقَةُ (٣) الْبَعِيرِ، تَأْتِيهِمْ ثِمَارُهُمْ غَضَةً لَمْ تَخْصُرْ (١) وَإِنَّا نَزَلْنَا أَرْضًا طَرَفٌ فِي فَلَاةٍ. وَطَرَفٌ فِي مِلْحٍ أَجَاغٌ، جَانِبٌ مِنْهَا مَنَابِتُ الْقَصَبِ وَجَانِبٌ سَبَخَةٌ نَشَاشَةٌ (٤) لَا يَجِفُّ ثَرَاهَا، وَلَا يَنْبُتُ مَرَعَاهَا. يُخْرِجُ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ مِائًا يَسْتَعَذُّ الْمَاءَ مِنْ فَرَسَخَيْنِ، وَيُخْرِجُ الْمَرْأَةُ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَرْنُقٌ (٥) لَوْلَاهَا تَرْنِيقُ الْعَنْزِ، تَخَافُ عَلَيْهِ الْعَدُوَّ وَالسَّبَّعَ. فَإِنَّ لَا تَرْفَعُ خَسِيسَتِنَا، وَتَنْعَشُ (٦) رَاكِسَتِنَا وَتَجْبُرُ فَاقَتَنَا، وَتَزِدُّ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا. وَفِي رَجَالِنَا رَجَالًا، وَتُصَغِّرُ دَرَهْمَنَا، وَتُكَبِّرُ قَفِيزَنَا (٧)، وَتَأْمُرُ لَنَا بِحَفْرِ نَهْرٍ نَسْتَعَذُّ بِهِ الْمَاءَ هَلَكُنَا. فَقَالَ عَمْرُ: هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ! هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ! ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَحْتَفِرَ لَهُمْ نَهْرًا.

﴿أُسَيْدُ بْنُ عَنَقَاءَ - وَعُمَيْلَةُ الْفَزَارِيُّ﴾

كان أُسَيْدُ بْنُ عَنَقَاءَ الْفَزَارِيُّ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ عَارِضَةً وَلِسَانًا

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم (٢) السلي : غلاف رقيق يكون فيه المولود والمولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد وهذا يكون به عن الخصب وكثرة الماء والحضرة (٣) قال في اللسان : وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حذقة البعير أى نزلوا في خصب وشبهه بحذقة البعير لانهاريا من الماء (٤) خصر : يرد (٥) أرض سبخة نشاشة : لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها (٦) رفق الماء صفاء (٧) نعشه : رفعه كانهشه والركيسة الضعيفة . (٨) القنفز : مكبال

رَجَاءٌ وَيَأْسٌ . فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ : سَمِعَ رَغَاءَ الْإِبِلِ ، وَثِقَاءَ الشَّاءِ ، وَصَهِيلَ الْخَيْلِ
وَلَجَبَ الْأَمْوَالِ (٣) . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا عُمَيْلَةٌ ، سَاقَ إِلَيْكَ مَالَهُ . فَخَرَجَ
ابْنُ عَنَقَاءَ لَهُ ، فَقَسَمَ عُمَيْلَةٌ مَالَهُ شَطْرَيْنِ ، وَسَاهِمَهُ (٤) عَلَيْهِ . فَأَنْشَأَ ابْنُ عَنَقَاءَ يَقُولُ
رَأَيْتُنِي عَلَى مَابِي عُمَيْلَةٌ فَاشْتَكَيْتُ
دُعَانِي فَاسْأَلْنِي وَلَوْ ضَنْ لَمْ يُلْهِمْ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فَعَلَهُ
وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتُ مِنْ ذِمِّ أَوْشَكَرْتُ
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْبِرَتْ ثِيَابُهُ
غُلَامَ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا
لَهُ سِيمِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ (٥)
إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ
ذَلِيلٌ بِلَاذِلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَا تَنْتَصِرُ (٦)

﴿ الفضل - وجعفر ابنا يحيى البرمكي ﴾

قال (٨) محمد بن عبد الرحمن الهاشمي : كانت أم جعفر بن يحيى تزور أمي

(١) تبقل : خرج يطلب البقل (٢) جنح الليل أو الظلام : الطائفة منه (٣) اللجب : الجلبة
والصياح واضطراب موج البحر (٤) ساهمه : قارعه أي ضرب القرعة . (٥) : انزر من الازار
قلبت الهمزة تاء وأدغمت في تاء الافتعال (٦) السيام والسيماء والسيمياء : العلامة . يقول
يفرح به من يراه للطف بحياء . (٧) العوراء الكلمة القبيحة ، وقريب من هذا البيت قوله
يصم عن الفحشاء حتى كأنه إذا ذكرت في مجلس القوم غائب

(٨) هو محمد بن عثمان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة .

بِالشَّطْرَنَجِ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ وَكَانَ أَجْرَاهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَهَلْ لَا عِبْتَ أَخَاكَ بِهَا؟ قَالَ
 جَعْفَرٌ : لَا . قَالَ : فَالْعِبَابُ بَيْنَ يَدَيَّ لَا أَرَى لِمَنِ الْعَلَبُ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ
 الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بِهَا . فَجِئْتُ بِالشَّطْرَنَجِ فَصُفِّتَ بَيْنَهُمَا . وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ ، وَأَعْرَضَ
 عَنْهَا الْفَضْلُ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَا لَكَ لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ؟ فَقَالَ : لَا أُحِبُّ ذَلِكَ . فَقَالَ
 جَعْفَرٌ : إِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي ، فَيَأْتِنِي مِنْ مُلَاعِبَتِي ، وَأَنَا أُلَاعِبُهُ مُخَاطَرَةً
 فَقَالَ الْفَضْلُ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ أَبُوهُ : لَا عِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : رَضِيتُ .
 وَأَبَى الْفَضْلُ ، وَاسْتَعْفَى أَبَاهُ : فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِي : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَاقْضِ . فَقُلْتُ :
 قَدْ قَضَيْتُ بِالْفَضْلِ لِلْفَضْلِ عَلَى أَخِيهِ . فَقَالَتْ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْقَضَاءَ لَمَّا
 حَكَمْتُكَ . أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَعْفَرَ قَدْ سَقَطَ أَرْبَعُ سَقَطَاتٍ تَنْزَرُهُ الْفَضْلُ عَنْهُمْ؟
 فَسَقَطَ حِينَ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنَجِ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ جِدَّةٍ
 وَسَقَطَ فِي التَّزَامِ مُلَاعِبَةَ أَخِيهِ وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِعَلْبِهِ وَالتَّعَرُّضِ لِنَفْضِهِ .
 وَسَقَطَ فِي طَلَبِ الْمُقَامَرَةِ وَإِظْهَارِ الْخِرُصِ عَلَى مَالِ أَخِيهِ .
 وَالرَّابِعَةُ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ لَا عِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ ، فَقَالَ أَخُوهُ
 ، وَقَالَ هُوَ نَعَمْ؟ فَصَاحَبَ صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ؟ فَقُلْتُ أَحْسَنْتَ ، وَاللَّهِ وَإِنَّكَ

والثاني : قول أبي لاجب وانا معه .
 ن يكون ابي معي على اخي . ثم خلوت
 بجعفر ، فقلت له : يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعرف ، وأبوك
 صاحب جد ؟ فقال : إني سمعت أبي يقول نعم لهو البال المكدود (١) . وقد علم
 ما نلقاه من كد التعلم والتأدب . ولم آمن أن يكون بلغه أننا نلعب بها ، ولأن يبادر
 فينكر ، فبادرت بالاقرار اشفاقاً على نفسي وعليه ، وقلت إن كان توبىخ فديته
 من المواجهة به . فقلت له : يا بني ، فلم تقول ألا عبه مخاطرة ؟ كأنك تقامر أخاك
 وتستكثير ماله . فقال : كلاً - ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين
 فعرضتها عليه فأبى قبولها ، وطمعت أن يلاعبنى فأخطره عليها ، وهو يغليني
 فتطيب نفسه بأخذها . فقلت لها : يا أماء ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت : إن جعفر
 دخل على أمير المؤمنين ، فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر ، مُحلاةً بالياقوت
 الأزرق والأصفر ، فرآه ينظر إليها فوهبها له . فقلت إيه . فقالت : ثم قلت لجعفر
 هبك اعتذرت بما سمعت . فما عذرُك من الرضا بمناسبة أبيك حين قال لا عبه
 وأنا معك ؟ فقلت أنت نعم : وقال هو لا ؟ فقال : عرفت أنه غاليبي ، ولو فتر لعبه
 لتغلبت له ، مع ماله من الشرف والشورى بتحيز أبيه إليه . قال محمد بن عبد الرحمن
 فقلت . بخ . بخ (٢) هذه والله السيادة ! ثم قلت لها : يا أماء - أكان منهما من بلغ

(١) كده : أجهده وأثعبه (٢) يقال : يحج - ويحج عجايبا بالعيء واطهاراً للسرور به

سيرت . وبسمه من البركات . سبي يقول : من يوم من أيامه سري سبي
أُمسِه ، مُقَصِّرًا عن غده .

فقال له الرشيد . يسهل : مَنْ رَوَى من الشعرَ أَحْسَنَهُ وَأَرْضَنَهُ ، ومن الحديث
أَفْصَحَهُ وَأَوْضَحَهُ ، إذا رام أن يقول لم يُعْجِزْهُ القول .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظننتُ أن أحداً تقدمني إلى هذا المعنى . قال :
بل أَعْشَى هَمْدَان : حيث يقول :

رَأَيْتُكَ أَمْسَ خَيْرَ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسِ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةً عَبْدَ شَمْسِ

﴿الوائق وابن أبي دُوَاد﴾

قال أبو العيْناء : دخل ابنُ أبي دُوَاد على الواثق فقال له : ما زال اليوم قومٌ
في ثَلْبِكَ وَتَقْصِكَ . فقال : يا أمير المؤمنين لِكُلِّ امرئٍ منهم ما اكْتَسَبَ من
الإِثْمِ . والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم . والله وليُّ جزائِهِ ، وعقابُ أميرِ
المؤمنين من ورَائِهِ ، وما ذَلَّ يا أمير المؤمنين مَنْ كُنْتَ ناصِرَهُ . ولا ضاعَ من كُنْتَ
حَافِظَهُ . فماذا قلتَ لَهُمْ يا أمير المؤمنين ؟ قال : قُلْتُ يا أبا عبد الله :

وَسَعَى إِلَى بَعْيْبٍ «عِزَّة» مَعَشَرٌ جَعَلَ الْإِلَهِ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا

تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي . وَلَوْ جَارَ . يَسْرُكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمُنَاصِحَةِ لَمَّا
سَبَقَنِي لِذَلِكَ أَحَدٌ .

قال : صدقت . عَلِمِي بِهَذَا مِنْكَ أَحْلَاكَ هَذَا الْحُلَّ . فَسَلَنِي مَا شِئْتَ ؟ ؟

قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرُبَ عَبْدَكَ « الْفَضْلَ » وَتُوَثِّرَهُ وَتُحِبَّهُ .

قال : يَارَبِيعَ : إِنْ الْحُبُّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوَهَّبُ ، وَلَا رُتْبَةٌ تُبَذَّلُ ، وَإِنَّمَا تُوَكَّدُهُ

الْأَسْبَابُ

قال : فَاجْعَلِي لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالْتَّفَضُّلِ عَلَيْهِ .

قال : صدقت . وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي

لِتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي . وَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَارَبِيعَ ؟

قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ . وَمِغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تَسْتَتِرُ بِهَا عِنْدَكَ عُيُوبُهُ

وَتَصِيرُ حَسَنَاتِ ذُنُوبِهِ . قال : صدقت ، وَأَتَيْتَ بِمَا أَرَدْتَ .

﴿ الْأَعْرَابِيُّ السَّائِلُ ﴾

وَقَفَّ أَعْرَابِي يُسْأَلُ ، فَعَبَثَ بِهِ فَتَى ، وَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟

(١) الرِّبِيعُ بْنُ يُونُسَ هُوَ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٧٠ هـ

(٢) يَقُولُ : إِنَّكَ أَطَلْتَ السَّكُوتَ فَنَبِهْتَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِكَ فَتَقَامُ السَّكُوتُ مَقَامَ الْكَلَامِ ، وَعَلَى هَذَا
الْقِيَاسِ مَا بَعْدَهُ .

باعتداره ، وأطال الكلام : فقال له الأعرابي ، يا هذا ! إناك منذُ اليوم أدُّبْتَنِي
بمزحك ، وقطعتني عن مسألتني بكلامك واعتذارك ، وإناك لتكشف من جهلك
بكلامك ما كان السكوت يُستره من أمرك . وَيَحْك ! إنا الجاهل إن مزح أسخط
وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط^(٤) وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر
تورط^(٥) وإن جلس مجلس الوقار تبسط^(٦) . أعودُ منك ، ومن حال اضطررتني
إلى احتمال مثلك .

﴿ معاوية - والأخنف بن قيس ﴾

لَمَّا عَزَمَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ : كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ - أَنْ يُوجِّهَ إِلَيْهِ بِوَفْدٍ
أَهْلَ الْعِرَاقِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِوَفْدٍ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، فَكَلَّمَتْهُمُ الْخُطْبَاءُ فِي يَزِيدَ
وَالْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا - قَالَ : قُلْ يَا أَبَا بَجْرٍ ، فَإِنَّ الْعَيْنَ إِلَيْكَ
أَشْرَعُ^(٧) مِنْهَا إِلَى غَيْرِكَ ، فَقَامَ الْأَخْنَفُ : فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى
نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ :

(١) الهامات : الرؤوس . (٢) امتنع : تالم . (٣) الدعاية : اللعب والمزح
(٤) أسقط : أخطأ . (٥) تورط في الأمر : وقع وارتبك . (٦) تبسط : أكثر من القول
وجانب الاحتشام . (٧) أشرع : ارفع وأكثر نظراً .

أفرغ - ر ب م
 فقال له : أقم يا أبا بحر ، فإن حيرة الله تجري ، وقضائه يمضي ، وأحكامه
 تنفذ ، لا معقب (٢) لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وإن « يزيد » فتى بكونه ولم
 نجد في قرئش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .
 فقال : يا أمير المؤمنين : أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب
 وإذا أراد الله شيئاً كان .

﴿ الحجاج - ورسول المهلب ﴾

يروى أن المهلب (٣) لما فرغ من أمر عبد ربه الحروري (٤) ، دعا بشر
 ابن مالك : فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج . فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟
 قال : بشر بن مالك . فقال الحجاج : بشارته وملك . كيف خلقت المهلب ؟ قال :
 خلفته وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب . قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟
 قال : كانت البداءة لهم ، والعاقبة لنا . قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، فما حال

(١) الذنوب : الدلو المלאى ، جمعه أذنية ذنائب (٢) أي لاراد لقضائه .

(٣) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي : كان شجاعاً مهيئاً وقائداً من أكبر قواد الجيوش في
 الدولة الأموية وهو الذي شتت الخوارج ومزقهم كل ممزق . ويقال للبصرة بصرة المهلب لانه
 حماها من الخوارج توفي سنة ٨٣ هـ (٤) الحروري نسبة إلى حروراء على غير القياس وهي
 بلدة بقرب الكوفة . والحرورية : فرقة من الخوارج كالازارقة . (٥) كذا في زهر الآداب
 وفي تاريخ ابن خلكان أن اسم الرسول مالك بن بشير - والخطب سهل .

إِلَّا اللَّهُ . فقال الحجاجُ جلسائه : هذا (والله) الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع
{ حديث معاوية - وليلى (٥) الأَخيلية }

قال بعضُ الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً فقال لبعض شرطه اثنتي
به ، وإيّاك أن ترؤعه . فأنابه فقال : أجب أمير المؤمنين . فقال : إياه أردتُ .
فلما دنا الرّاكبُ حذر لئلاّ مه ، فاذا ليلى الأَخيلية : فأنشأت تقول :

معاوى لم أكُ أدّ آتيك تهوى برحلي نحو ساحتك الرّكابُ

تجوبُ الأرض نحوك ماتاً نى إذا ما الأُكُم قنعها السّراب (٦)

وكنت المرُتجى وبك استعاذتُ لئنعشها إذا بخل السّحابُ

فقال : ما حاجتكِ ؟ قالت : ليس مثلى يطلبُ الى مثلك حاجة ، فتخيرَ أنْتِ
أعلى عيْناً . فأعطاهما خمسين من الإبل . ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت :

(١) النفل الغنيمة جمعه أنفال . (٢) يقول : إنهم يخشون أن يبيتهم العدو أي يهجم عليهم ليلاً فلا
ينامون إلا إذا أمنوا ذلك . (٣) السرح : الماشية في المرعى . (٤) الحلقة المفرغة : المصوبة
قطعة واحدة ، وهذه الجملة مثل لامرأة عريية .

(٥) ليلى الأَخيلية أشعر امرأة عريية بعد الحناء . (٦) الأُكُم : واحدة أكمة وسكنت
الكاف للوزن . تقول : إن ركابها تجول في الأرض قاصدة معاوية ، ولا تتأني عند اشتداد الحر
إذ تنطى الأُكُم بالسراب .

مخبر ، سيد ، يتنزر ، جميل .

بَعِيدَ الْمَدَى لَا يَبْلُغُ الْقَرَمُ غَوْرَهُ أَلَمْ لَدَّ يَغْلِبُ الْحَقُّ بِإِطْلِهِ (٢)

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : وَيَحْكُ يَا لَيْلَى ! يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ عَاهِرًا فَاجِرًا . فَقَالَتْ مَنْ .

اعتمها مُرْتَجِلَةٌ :

مَعَاذَ النَّهَى قَدْ كَانَ وَاللَّهِ تَوْبَةً جَوَادًا عَلَى الْعِلَاتِ جَمًّا نَوَافِلُهُ (٣)

أَغْرُ خَفَاجِيًّا يَرَى الْبُخْلُ سُبَّةً تُحَالِفُ كَفَاهُ النَّدَى وَأَنَا مِلُهُ

عَفِيفًا بَعِيدَ الْهَمِّ صُلْبًا قَنَاتُهُ جَمِيلًا مُحِيَاهُ قَلِيلًا غَوَائِلُهُ (٤)

وَكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ أَرْغَى بَعِيرُهُ لَدَيْهِ أَتَاهُ نَيْلُهُ وَفَوَاضِلُهُ

وَقَدْ عِلْمُ الْجَدْبِ الَّذِي كَانَ سَارِيًّا عَلَى الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ أَنْكَ قَاتِلُهُ

وَأَنْكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَنْوَبُ بِالْقَرَى إِذَا مَا لَثِمَ الْقَوْمُ ضَاقَتْ مَنَازِلُهُ

بَيْتُ قَرِيرِ الْعَيْنِ مَنْ كَانَ جَارُهُ وَيُضْحِي بِخَيْرٍ ضَيْفُهُ وَمَنَازِلُهُ

فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَيَحْكُ يَا لَيْلَى ! لَقَدْ جُرْتَ بِتَوْبَةِ قَدْرِهِ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ : وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَهُ وَخَبَرْتَهُ لَعَلِمْتُ أَنَّي مُقْصِرَةٌ فِي نَعْتِهِ ، لَا أَبْلُغُ كُنْهَ مَا هُوَ

(١) مضر : أصل لقيس وتميم وأسد . تقول : إن مضر ذات مجد عظيم وتيس أهل البسالة .

والأقدام وتيم ذوو الكثرة والعدد وأسد أهل الحجة والدد . (٢) القرم السيد . والألد :

الشديد الخصومة ، والملد مبالغة في الألد . تقول : لا يدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب

الحق (٣) على العلات : أى على كل حال . والنوافل : المطايا . (٤) الغوائل : الدواهي . وفلان قليل الغوائل : أى ليس فيه ما يعيبه العشير .

ولقد أجذت حيت اقول :

جزى الله خيراً والجزاء يكفه فتى من عقيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفك جم التصرّف
ينال عليّات الأمور بهونة إذا هي أعيت كل خرقي مسوف^(١)

﴿ الحارث^(٢) بن عوف المرّي ومصاهرته أوس^(٣) بن حارثة الطائي ﴾
يروى أنّ الحارث بن عوف المرّي : قال يوما لخارجة بن سنان المرّي : أتراني
أخطب إلى أحد فيردني ؟ قال . نعم . قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن حارثة
أبن لأم الطائي . فقال الحارث لغلامه : ارحل بنا . ففعل : فركبنا حتى أتيا أوساً
فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحباً بك يا حارث . قال : وبك . قال : ما جاء
(١) الهونة : التؤدة . والخرق : النقي الحسن الكريم السجاي . والمسوف : من يصنع
ما شاء لا يردّه أحد .

(٢) هو أحد عطاء ذبيان . ومرة : بطن من ذبيان . والحارث أحد السيدين اللذين سعي في
الصلح بين عبس وديان في حرب داحس والغبراء التي دامت نحو أربعين سنة . وقد احتملا في
حالهما خاصة عرامة تلك الحرب . (٣) هو سيد طيء في زمانه وفيه يقول الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقتضى حاجتي فيمن قصاها
فما وطئ الحصا مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

حارث

ت : وكيف

لعم . قالت : فإذا لم تر سيد

ريد أن تزور

خاطباً .

العرب : فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال بماذا ؟ قالت تلحقه فترذه . قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت : تقول له : إنك لقيتني مقتضياً^(٤) بأمر لم يتقدم مني فيه قول ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فأنصرف ولك عندي كل ما أحببت ؟ فانه سيفعل . فركب في أثرهما . قال خارجه بن سنان : فوالله إني لأسير إذ حانت مني التفاتة ، فرأيتة ناقبلت على الحارث وما يكلمني غماً ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نصنع به ؟ أمض . فلما رأنا لا نقف عليه ، صاح : يا حارث اربع^(٥) على مائة . فوقفنا له . فكلمنا بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

فبلغني أن أوساً لما دخل منزله - قال لزوجه : ادعي لي فلانة - لأكبر بنا تته^(٦) ، فقال : يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً بآطبا ، وقد أردت أن أزوجه منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولِمَ ؟ قلت : لأنني امرأة في وجهي ردة^(٦) ، وفي خلقي بعض العهدة^(٧) ، ولست

(١) أي لست كفتاً . (٢) عيس وذيان ابنا عم . (٣) استحق : فعل فعل الحق (٤) الاقتضاب : المفاجأة .

(٥) ربيع عليه : وقف له أو مال إليه . (٦) يقال : في وجهه ردة أي قبس مع شيء من الجمال . (٧) العهدة : الضعف .

« يعنى الصغرى » فأتى بها ، فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذاك . فقال لها :
 قد عرضتُ ذلك على أُخْتَيْكَ فَأَبْتَاهُ ، فقالت ولم يذكر لها مقالتيهما ، لكننى والله
 الجميلةُ وجهاً . الصنّاع ^(٢) يداً ، الرفيعةُ خلُقاً ، الحسيدةُ أباً ، فانْ طَلَقْنِي فلا أُخْلَفَ
 الله عليه بخيرٍ . فقال : بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ .^١

قال خارجة : ثم خرجَ الينا فقال : قد زوّجتك يا حارث « بِبَيْسَةَ » بنتِ أَوْس
 قال : قد قَبِلْتُ . ثم أمر أمها أن تُهيئَها ، وتُصَلِّحَ من شأنها ، ثم أمر بييت فضرب ^(٣)
 له ، وأنزله إياه . فلما هَيَّئْتُ بَعَثَ بها اليه ، فلم يَلْبَثْ عندها إلا هُنَيْهَةً ^(٤) ثم خرج
 الىّ ، فقلت : أبْنَيْتَ بأهلك ؟ قال : لا والله ، فانى لِمَا دَنَوْتُ منها قالت : مه ،
 أعِنْدِ بى واخوَسِ ؟ هذا والله مالا يكون . قال خارجة : ثم ارتحلنا بها فسيرنا ما شاء الله
 ثم انتحى بها ناحية ، ولم يَلْبَثْ أنْ عادَ الىّ . فقلت : أبْنَيْتَ بأهلك ؟ قال : لا والله
 فقد قالت : أَلَمْ يَفْعَلْ بِالْأَمَةِ الْجَلْبِيَّةِ ^(٥) ؟ وَالسَّبِيَّةِ الْأَخِيذَةِ ^(٦) ؟ لا والله حتى
 تَنْحَرِ الْجُزُرَ ، وَتَذَبِجَ الْغَنَمَ ، وَتَدْعُو الْعَرَبَ ، وَتَعْمَلَ مَا يُعْمَلُ لِمِثْلِى . قلت : والله إنى
 لأرى هِمَّةً وَعَقْلاً ، وأرجو أن تكونَ المرأةُ مُنْجِبَةً أنْ شاءَ الله . فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا

(١) الحرقاء : التى لاتحسن صنعة (٢) امرأة صناع : حاذقة فى الصناعة (٣) أقيم وبني .

(٤) الهنية : الزمن اليسير . (٥) الجلبية : المجلوبة (٦) الأخيذة : المأخوذة

؟ قالت .

والعرب صا ؟ - لمس ذبيكان - باذا
تريدين ؟ قالت : أخرج إلى هؤلاء . ثم أخرجهم ، ثم أرجع إلى أهلي
فلن يفوتك . قال خارجه . فقلت : والله إنى لأرى همةً وعقلاً . قال : فأخرج
بنا فخرجنا حتى أتينا القوم ، فمشينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا وحملنا عنهم
الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجل الذكرك (١)
« ولو كان النساء كمثل هدى » لفضلت النساء على الرجال »

﴿ سودة بنت عمار - ومعاوية ﴾

قال عامر الشعبي : وفدت سودة بنت عمار بن الأشرم الهمدانية على معاوية بن
أبي سفيان : فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها : كيف
أنت يا ابنة الأشر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها : أنت القائلة لأخيك

شمر لفعل أهلك يا بن عمار	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه	واقصد لهند (٢) وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قدماً بأبيض صارم وسنان

(١) وقد خلد زهير هذا الذكرك الجميل في معلقته إذ يقول من أبيات كثيرة :

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منضم

(٢) هند هي أم معاوية

يا أمير المؤمنين : إنك للناس سيد ، ولا بُدَّ لهم مُقلِّد . والله سَأَلَكَ عما افترض عليك من حقنا . ولا نزال نُقَدِّمُ علينا من يَنْهَضُ بعزك ، وَيَبْسُطُ بِسُلْطَانِكَ ، فَيَحْصُدُ نَاحِيَصَادَ السُّنْبُلِ ، وَيَدُوُّ سَنَادِيَّاسَ الْبَقَرِ ، وَيَسُومُنَا الْخَسِيْسَةَ ^(١) وَيَسْأَلُنَا الْجَلِيلَةَ ، هذا ابن أَرْطَاة : قَدِيمٌ بِلَادِي ، وَقَتْلٌ رِجَالِي ، وَأَخَذَ مَالِي ، وَلَوْلَا الطَّاعَةُ لَكَانَ فِيْنَا عِزًّا وَمَنْعَةً ، فَأِمَّا عَزَلْتُهُ فَشَكَرْنَاكَ ، وَإِمَّا لَا فَعَرَفْنَاكَ . فقال معاوية : أَيَايَ تُهَدِّدِينَ بِقَوْمِكَ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرُدَّكَ إِلَيْهِ عَلَى قَتَبٍ أَشْرَسَ ^(٢) فَيَنْفِذَ حَكْمَهُ فِيكَ . فسكتت . ثم قالت :

صَلَّى الْآلَهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا

قَدْ حَالَفَ الْحَقَّ لَا يَبْغِي بِهِ ثَمَنًا فَضَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانَ مَقْرُونًا

قال : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قالت : عَلَى بْنِ أَبِي طَالِب . قَالَ : مَا أَرَى عَلَيْكَ مِنْهُ أَثَرًا . قالت : بلى ، أَتَيْتُهُ يَوْمًا فِي رَجُلٍ وَلَا هَ صَدَقَاتِنَا ، فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَ الْغَثِّ وَالسَّيْنِ ، فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا يُصَلِّيُ فَانْقَلَبَ ^(٣) عَنْ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَالَ بِرَأْفَةٍ وَتَعْطُفٍ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلِ ، فَبَكَى ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : االلَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَسْأَلْهُمْ

(١) سَامَهُ الْأَمْرُ : كَلَفَهُ إِيَّاهُ . تَقُولُ : يَجْشِمُنَا دَنَائَا الْأُمُورَ . (٢) - الْقَتَبُ : الرَّحْلُ الصَّغِيرُ . وَالْأَشْرَسُ : الْحَشَنُ الْغَلِيظُ . (٣) انْقَلَبَ : انْصَرَفَ

بِأَمْرِ اللَّهِ خُ

مؤمنين يا أي من يقيضه منك والسلام . فعر
 بدأ فاحتفظ بما في
 حتى
 قومين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام
 فقال معاوية : أكتبوا لها بالألف نصاب لها والعدل عليها . فقالت : ألي خاصة أم
 لقومي عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاء واللوم ، ان كان
 عدلاً شاملاً ، والأيسعني ما يسع قومي . قال هيهات ، لمظكم ^(١) ابن أبي طالب
 الجرأة - وغرركم قوله :

فلو كنت بوأبا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
 وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سني فتحة الباب
 كالهندواني لم تغفل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
 أكتبوا لها بحاجتها .

﴿ أم سنان بنت جشمة - ومعاوية ﴾

قال سعيد بن أبي حنيفة : حبس مروان وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث
 في جناية جناها ، فأتته جدة الغلام ، وهي أم سنان بنت جشمة المدحجية
 فكلمته في الغلام ، فأغلظ مروان لها ، فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانتسبت
 فعرّفها فقال لها : مرحباً يا بنت جشمة : ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتكم تشميننا .

(١) لفظ الشيء : منحه إياه .

خيرُ الخلائقِ وابنُ عمِّ محمدٍ إنَّ يَهْدِيكُمْ بالنورِ منه تَهْتَدُوا
ما زالَ مَدَّ شَهِدَ الحروبَ مُظْفَرًا والنصرَ فوقَ لَوَائِهِ ما يُعْقَدُ ؟
قالت : كانَ ذلكَ يا أميرَ المؤمنين - وأرجو أنْ تَكُونَ لَنَا خَلَفًا . فقال ر .

من جُلُوسائِهِ : كيفَ يا أميرَ المؤمنين ؟ وهى القائلة :

إِما هَلَكْتَ أبا الحُسينِ فلمَ تَزَلْ بالحقِّ تُعَرِّفُ هادِيًا مَهْدِيًا
فاذْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ ما دَعَتْ فوقَ العُصُونِ حَمَامَةً قُفْرِيًا
قد كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلَفًا كما أَوْصَى اليكَ بنا فَكُنْتَ وَفِيًا
واليومَ لا خَلْفٌ يُؤْمَلُ بَعْدَهُ هِيَهَاتَ نَأْمَلُ بَعْدَهُ إِنْ سِيًا
قالت : يا أميرَ المؤمنين لَسانُ نَطَقَ ، وقولُ صَدَقَ ، وَلَئِنْ تَحَقَّقَ ما ظَنَّنَّا فحُظًّا

الأوفر . والله ما وَرَثَتِكَ الشَّنَّانَ (٢) فى قلوبِ المسلمين إِلا هُوَ لاءِ ، فأدْخِضْ
مِقاتِلَهُمْ ، وأَبْعِدْ مَنْزِلَتَهُمْ ، فانك انْ فَعَلْتَ ذلكَ تَزِدُّدُ منَ اللهِ قُرْبًا ، ومنَ المومِنِ
حُبًّا . قال : وإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذلكَ . قالت : سُبْحانَ اللهِ ! والله ما مِثْلُكَ مُدْخِيبًا
، ولا اعتُذِرَ اليه بِكَذِبٍ ، وإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ذلكَ منَ رَأْيِنَا وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا

شكرًا لربِّ الذى أعاننى على طبعِ الجزءِ الأولِ ويليه الجزءُ الثانى
أولِه الفَن السَّابِعُ فى التَّارِيخِ